

# صفات بني إسرائيل

في

## القرآن الكريم

"دراسة لغوية"

رسالة تقدمت بها  
فليحة لسعود حمود ظاهر الجنابي

إلى مجلس كلية التربية للبنات جامعة بغداد  
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير  
في اللغة العربية وآدابها

بإشراف الأستاذ المساعد  
الدكتور علي جميل السامرائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ  
الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. [النمل/٧٦]

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي  
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ  
وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا  
جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ \* وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ  
افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا  
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ \* يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ  
بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ \* هُوَ الَّذِي  
أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ  
كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. [الصف/٦-٩].

الْحَمْدُ لِلَّهِ

## من هدي السيرة النبوية

قال ابن إسحق : ((وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال : حدثت عن صفيّة أم المؤمنين رضي الله عنها بنت حيي بن أخطب أنها قالت : كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما، إلا أخذاني دونه، قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب، مغلسين، قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت : فأتينا كسلايين ساقطين يمشيان الهويني، قالت : فهشيت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما، مع ما بهما من الغم، قالت : وسمعت عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي حيي بن أخطب : أهو هو؟ قال : نعم والله، قال : أتعرفه وتثبته؟ قال : نعم، قال : فما في نفسك منه؟ قال : عداوته والله ما بقيت))<sup>(١)</sup>.

عن السيدة عائشة رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قال : [ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين]<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه ابن هشام في السيرة النبوية في باب الأعداء من اليهود ٣٠٩/١.

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، باب الجهر بآمين ٢٧٨/١-٢٧٩ رقم (٨٥٦) عن عائشة- رضي الله عنها، وذكره بهذا اللفظ. ورواه أيضاً في الموضع نفسه برقم (٨٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال : قال رسول الله ﷺ ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على آمين، فأكثرُوا من قول آمين.

## كَلِمَةٌ لِلذِّكْرِ :

لَمَّا جِيءَ بِحَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، عَدُوَّ اللَّهِ.. لِيُقْتَلَ .. نَظَرَ  
إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْنِ وَاجْفَتَيْنِ فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا لُمْتُ  
نَفْسِي فِي عِدَاوَتِكَ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللَّهَ يَخْذُلْ .. ثُمَّ أَقْبَلَ  
عَلَى النَّاسِ فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ.. كِتَابُ اللَّهِ وَقَدَرُهُ،  
وَمُلْحَمَةُ كِتَابِهَا اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ .. ثُمَّ جَلَسَ  
فَضْرَبَ عُنُقَهُ<sup>(١)</sup>.

وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ أَمْرٌ هَؤُلَاءِ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَيَصْرُونَ  
عَلَى الْبَاطِلِ وَيَمُوتُونَ فِي سَبِيلِهِ.

(١) ينظر ذلك في : السيرة النبوية، ابن هشام ٣١٢/١، وتاريخ الطبري ، الطبري ٥٨٨/٢ -

٥٨٩ وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦٣٠/٣ - ٦٣٣.

## الإهداء

إِلَى مَنْ تَحَمَّلَ أَعْبَاءَ نَشْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَوَجَّهَ فِي سَبِيلِهِ كُلَّ أَسَالِيبِ الْعِدَاءِ، مُعَلِّمَ الْإِنْسَانِيَةِ الْأَوَّلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَحَابَتَهُ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ أَقْتَفَى الْأَثَرَ وَسَارَ عَلَى الدَّرَبِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وإلى كلِّ مسلمٍ طاله الغدر اليهودي ..

وإلى صباحٍ مُشْرِقٍ يَوْمِيَّ بِرَحِيلِ الْاِحْتِلَالِ عَنْ عِرَاقِنَا الْحَبِيبِ ..

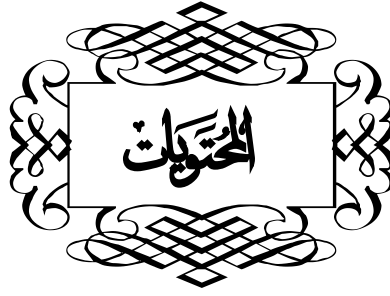
وإلى الذي علمني أحسن الأخلاق، وغرس في نفسي معاني الخير ..  
والذي كلَّمَا ذَكَرْتَهُ تَذَكَّرْتُ الْحُبَّ وَالْعُطْفَ وَالْوَفَاءَ وَالتَّضَحِّيَةَ فَفَاضَتْ عَيْنَايَ لِذِكْرِهِ دَمًا لَا دُمُوعًا .. وَاللهِ.

وإلى التي علمتني صفاء النفس والقدرة على تحمُّلِ الصَّعَابِ، وَسَهَرَتْ اللَّيَالِيَ تَلُو اللَّيَالِيَ إِذَا أَلَمَّ بِي أَلَمٌ أَوْ عَنَاءٌ، وَالتَّيَّ أَبْعَدْتَنِي الدِّرَاسَةَ عَنْهَا كَثِيرًا فَلَمَّا عَدْتُ إِلَيْهَا رَحَلْتُ هِيَ إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ .. وَاللهِ.

أَسْأَلُ اللَّهَ لهُمَا فِي كُلِّ صَلَاةِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفَرَةِ، اللَّهُمَّ وَكَمَا كَانَتْ عَيْنَاهُمَا أَنْيْسَ طِفْلَوْتِي وَسِرَاجَ ظِلْمَتِي، فَاجْعَلْ ثَوَابَ مَا بَذَلْتَهُ مِنْ جَهْدٍ أَنْيْسَ وَحَشْتَهُمَا وَسِرَاجَ قَبْرَهُمَا.

لَقَدْ أَبْقَنْتَ بُلُوغَ الْغَايَةِ مِمَّا رَأَيْتُ أَنْيَّ لَا أُسِيرُ إِلَّا بِهَدْيِ خَطَاكُم .. أَهْلِي.

فليحة



الصفحة	الموضوع
أ-ح	- المقدمة
٥٧-١	- الدراسة التمهيدية وتشمل :
١	توضيح المصطلحات
٥	تسميات بني إسرائيل في القرآن الكريم
٥	أولاً : بنو إسرائيل
٩	ثانياً : يهود
١٢	ثالثاً : أهل الكتاب
١٥	الخطاب القرآني لبني إسرائيل
١٨	قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم والعبير المُستقاة منها
٢٦	الموقف الربانيّ من بني إسرائيل في القرآن الكريم
٣٠	صفات بني إسرائيل في القرآن الكريم
١٤٨-٥٨	- الفصل الأول : المستوى الصوتي
٦٢	المبحث الأول : التكرار ودلالاته الصوتية
٦٤	أولاً : التكرار الصوتي :
٦٤	أ- تكرار الصوت المفرد في الكلمة الواحدة
٦٦	ب- تكرار الصوت المفرد بالتضعيف " التشديد "
٦٨	ج- تكرار الصوت المفرد على مستوى السياق
٧٠	د- تكرار الأصوات الصائتة على مستوى السياق

الصفحة	الموضوع
٧٣	ثانياً : التكرار اللفظي على قسمين :
٧٤	أحدهما : تكرار الأفعال ويشمل
٧٤	أ- تكرار الفعل بلفظه
٧٥	ب- تكرار الفعل بمصدره
٧٦	الآخر : تكرار الأسماء ويشمل :
٧٦	أ- الإظهار في موضع الإضمار
٧٧	ب- تكرار الضمير المتصل
٧٩	ج- تكرار الصيغ
٨١	المبحث الثاني : الفاصلة القرآنية
٨٥	التشكيل المقطعي لفواصل آيات الصفات
٩٦	المبحث الثالث : الوحدات غير المقطعية وتشمل
٩٦	أولاً : النبر :
١٠٢	١- الهمز
١٠٦	٢- التشديد
١٠٩	ثانياً : التنغيم
١٢١	المبحث الرابع : الدلالة الصوتية، على مسارين :
١٢٥	أحدهما : دلالة الصوت المفرد " الفونيم "
١٤٠	الآخر : دلالة البنية الصوتية للمفردة
٢٢٧-١٤٩	– الفصل الثاني : المستوى الصرفي
١٥٢	المبحث الأول : أبنية الأسماء ويشمل :
١٥٢	أولاً : أبنية المصادر، على قسمين :
١٥٣	أحدهما : أبنية مصادر الأفعال الثلاثية المجردة
١٧١	الآخر : أبنية مصادر الأفعال الثلاثية المزيدة
١٧٢	ثانياً : أبنية المشتقات، وتشمل :

الصفحة	الموضوع
١٧٢	١- أسم الفاعل
١٧٩	٢- اسم التفضيل
١٨١	٣- أبنية المبالغة
١٨٦	٤- المصدر الميمي
١٨٨	٥- اسم المفعول
١٨٩	ثالثاً : أبنية الجموع، على قسمين :
١٩٠	أحدهما : جمع المذكر السالم
١٩٣	الآخر : جمع التكسير، وعلى قسمين :
١٩٣	أحدهما : جمع القلة
١٩٦	الآخر : جمع الكثرة
٢٠١	المبحث الثاني : في أبنية الأفعال ويشمل :
٢٠٢	أولاً : أبنية الأفعال الثلاثية المجردة
٢١٠	ثانياً : أبنية الأفعال الثلاثية المزيدة
٢٢٤	ثالثاً : الفعل المبني للمجهول
٣٥٠-٢٢٨	– الفصل الثالث : المستوى النحوي " التركيبي "
٢٣٠	المبحث الأول : الجملة العربية
٢٣٠	أ- مفهوم الجملة
٢٣٢	ب- أقسام الجملة
٢٣٣	ج- أركان الجملة
٢٣٣	د- بين دلالة الجملة الفعلية والجملة الفعلية
٢٤٣	هـ- عوارض الجملة العربية
٢٤٤	أولاً : التقديم والتأخير
٢٥١	ثانياً : الحذف

الصفحة	الموضوع
٢٦٨	المبحث الثاني : الخبر والإنشاء
٢٦٩	أولاً : الخبر
٢٧٠	أغراض الخبر ودلالته
٢٧٤	أقسام الخبر
٢٧٦	أسلوب التوكيد
٢٨٢	ثانياً : الإنشاء على قسمين :
٢٨٢	أحدهما : الإنشاء الطلبي ويشمل :
٢٨٣	١- أسلوب الاستفهام
٢٨٦	٢- أسلوب الأمر
٢٩١	٣- أسلوب النهي
٢٩٣	٤- أسلوب التمني
٢٩٤	٥- أسلوب الترجي
٢٩٧	الآخر : الانشاء غير الطلبي :
٢٩٨	١- أسلوب المدح والذم، له طريقتان :
٢٩٨	إحدهما : الطريقة القياسية
٣٠١	الأخرى : الطريقة السماعية
٣٠٣	٢- أسلوب القسم
٣٠٩	المبحث الثالث : دلالة حروف المعاني
٣١٢	وظيفة حرف المعنى
٣١٣	طائفة من حروف المعاني في آيات الصفات : أولاً : الحروف المفردة :
٣١٣	١- ب
٣١٦	٢- ف
٣٢٠	٣- و

الصفحة	الموضوع
٣٢٤	ثانياً : الحروف الثنائية
٣٢٤	١- أم
٣٢٦	٢- إن
٣٢٨	٣- أو
٣٣٠	٤- بل
٣٣٢	ثالثاً : الحروف الثلاثية
٣٣٢	١- إذا
٣٣٣	٢- إذن
٣٣٤	٣- بلى
٣٣٦	٤- ثم
٣٣٩	رابعاً : الحروف الخماسية
٣٣٩	١- كلما
٣٤٠	المبحث الرابع : تعدد الأوجه الإعرابية
٣٤٢	١- ما يحتمل الرفع على الفاعلية، وعلى البدلية، وعلى الخبرية.
٣٤٥	٢- ما يحتمل أن يكون في موضع نصب على البدلية، وعلى الذم، أو في موضع رفع على الذم وعلى الابتداء.
٣٤٦	٣- ما يحتمل النصب والجزم
٣٤٧	٤- ما يحتمله اللفظ من أوجه النصب
٣٤٨	٥- ما يحتمل أن يكون خبراً، أو نعتاً أو حالاً.
٣٤٩	٦- ما يحتمل الرفع والجزم
٤٥٣-٣٥١	— الفصل الرابع : المستوى الدلالي
٣٥٣	المبحث الأول : تمهيد في البحث الدلالي
	أنواع الدلالة في آيات الصفات :

الصفحة	الموضوع
٣٥٧	١ - الدلالة اللغوية أو المعجمية
٣٦١	٢ - الدلالة الإضافية أو الهامشية
	مظاهر التطور الدلالي في آيات الصفات
	١ - تخصيص الدلالة على قسمين :
	أحدهما : الألفاظ العرفية
٣٦٨	الآخر : الألفاظ الإسلامية
٣٧١	٢ - تعميم الدلالة
٣٧٤	٣ - تغير مجال الدلالة على قسمين :
٣٧٥	أحدهما : الاستعارة
٣٧٨	الآخر : المجاز المرسل
٣٨١	المبحث الثاني : العلاقات الدلالية بين الألفاظ وتشمل :
٣٨٢	أولاً : الترادف
٣٩٥	ثانياً : التضاد
٤٠٦	ثالثاً : الاشتراك اللفظي
٤١٣	رابعاً : التقابل الدلالي
٤٢٤	المبحث الثالث : ألفاظ صفات بني إسرائيل السلوكية في القرآن الكريم في حقل دلالي
٤٣٢	طائفة من ألفاظ الصفات السلوكية لبني إسرائيل : الحسد
٤٣٤	الخيانة
٤٣٦	السوم
٤٣٨	الضلالة
٤٤١	الطغيان

الصفحة	الموضوع
٤٤٤	الغُرُور
٤٤٥	الغُلُو
٤٤٦	الكَسْب
٤٤٨	اللَّعِب
٤٥٠	النجوى
٤٥١	الاستهزاء
٤٥٤	الخاتمة ونتائج البحث
٥١٠-٤٦٦	ثَبَتَ المصادر والمراجع
٥١١	ملحق الرسالة باللغة الانكليزية



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ نَسْتَفْتِحُ خَزَائِنَ عِلْمِهِ، وَنَطْرُقُ أَبْوَابَ حِكْمَتِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مَقَامًا لَذِكْرِهِ، وَخَلَقَ الْأَشْيَاءَ نَاطِقَةً بِحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ، وَأَصْلَى وَأَسْلَمَ عَلَى صَفْوَةِ الْخَلْقِ وَحَبِيبِ الْحَقِّ، أَبِي الْقَاسِمِ "مُحَمَّدٍ ﷺ" وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

### أما بعد

الناظر اليوم لحال امتنا يهوله ما أصابها وقد تكالب عليها الأعداء من كل حذب وصوب بمختلف فئاتهم ومشاربهم وبشتى أساليب حربهم لضرب الدين الإسلامي وتشويه صورته، فجعلوها أشبه ما تكون بحالها قبل مجيء الإسلام إليها من الفرقة والضعف والتبعية والهزيمة..

كثيرة هي الحقائق التي غابت عن أبناء أمتنا أو غيبت عنهم عن عمد وقصد سابق بغية إخفاء الحق وأعلاء الباطل في الأرض.

وإن ما يمر بالأمة الإسلامية من أحداث جسام متلاحقة متسارعة، ومصائب وفتن تزداد وتتغل على كاهلها حتى باتت تعصرها إلى درجة لا تقوى على الفكاك منها ولا تهدي إلى الطريق المنقذ لها رغم أن كتاب الله بين يديها، يدعونا إلى التسليح، وإن أعظم ما تتسلح به الشعوب المجاهدة أن تعرف كل ما يتصل بعدوها من ماضيه وحاضره، وإن تدرس صفاته وأخلاقه دراسة واعية، لتكون على بينة من أمرها.

ولما رأيت من قلة استعداد المسلم إزاء ما يعاصره من أحداث وما يعيشه من حالة الإرباك والفوضى أفقدته القدرة على التمييز بين أعدائه ومحبيه، وما ينبغي أن يكون عليه موقفه تجاه أعداء الله والأمة والتاريخ من "يهود" وغيرهم، ذلك الداء البغيض الذي ما فتى ينخر في عروق الأمة ويمزقها ويستنزف طاقاتها بلا كل ولا مل لإطفاء نور الله ورد المؤمنين عن دينهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة/٢١٧].

إن للقوى المعادية -اليوم- في أنحاء العالم الإسلامي جيشاً جراراً من العملاء متغلغلين في كل مجالات العلوم والفنون والآداب والصحافة، موجه لخلخلة العقيدة

الصحيحة في النفوس بشتى الأساليب، بصورة بحث وعلم وأدب وصحافة وفن، وتوهين قواعدها من الأساس، والتهوين من شأنها سواء بتأويلها وتحميلها ما لا تطيق والدق المتصل على "رجعيتها" والدعوة للتغلب منها وإبعادها عن مجالات الحياة، وابتداع تصورات ومثل وقواعد للشعور والسلوك تناقض وتحطم تصورات العقيدة ومثلها، وترتيب تلك التصورات المبتدعة، وترتيب الشخصية المسلمة الصحيحة، وهؤلاء قد يعلنون الإسلام وجه النهار، وبهذه المحاولات المجرمة يكفرون آخره. وذلك يتطلب من طلبة العلم الاجتهاد وتوخي الحذر.

أن البحث في "بني إسرائيل" لم يكن أمراً سهلاً، لأن الباحث يجد نفسه أمام تناقضات كثيرة في الفكر والمبدأ والسلوك، في فترة زمنية طويلة امتدت قبل الميلاد وحتى وقتنا الحاضر، لذا لابد للباحث أن يمتلك دقة الإضافة، وقوة الملاحظة، والموضوعية في إصدار الأحكام من دون تعصب وتحامل، لئلا يبتعد عن سماء الحقيقة ولا عن جو الكلمة المسؤولة، لذا يتحتم عليه أن يعتمد كتاب الحقائق الصادقة والبراهين الساطعة، ذلكم هو "القرآن الكريم" : **﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** [فصلت/٤٢]. وإذا كان "بني إسرائيل" المعروفين بين الشعوب والأمم بصفات خاصة تميزهم من غيرهم من الناس وخلق معين يدور حوله كل سلوكهم، فأن القرآن الكريم كان دون شك أول من حدد صفاتهم وأخلاقهم، وما زال كل ما توصل إليه الباحثون من تحديد لصفات معينة إنما هي تعبير لاحق لما حدده القرآن. يقيناً أننا لا نستطيع أن نهتدي إلى فهم صحيح للعربية ما لم نضع النص القرآني موضع الصدارة في مباحثنا، فهو الكلام الذي انتهت عند بابه الكلمات وسجدت بين يديه العبارات فظهرت العربية في أبهى حللها وكامل زهوها.

"والقرآن الكريم" كان وما زال معيناً لا ينضب لكل باحث يود الغوص في أعماق اللغة لاستخراج مكنوناتها، لا ريب في ذلك، وهو المعجزة الربانية والحجة القوية عند أهل العربية، فعنده ينقطع الجدل وينحسر الخصام.

ولكي يكون الباحث - أي باحث - على الطريق الأمثل في دراسة اللغة يجب أن يقف على القرآن الكريم أولاً وآخرًا يتأمله بالدرس والمتابعة يتكشف تراكيبه ويستلمس ألفاظه، فتكون له حصيلة لغوية تمكنه من البت في أمر من أمور اللغة أو النحو، فالحمل

في الدراسة اللغوية يهيئ للباحث الإحاطة بعلوم العربية كافة، ثم إنه وسيلة للموازنة بين جهود القدماء والمحدثين مع التأكيد على أصالة جهد علماء العربية الأوائل.

رغبة الباحثة في دراسة موضوع تأصيلي يتعلق بالإسلام عقيدة ودعوة ومنهج حياة، وبالرسول الكريم ﷺ - داعية ومربياً ومجاهداً، وبأعداد الإسلام "اليهود"، ووضع ذلك كله في دراسة علمية مؤصلة، فجاء الاختيار لموضوع "صفات بني إسرائيل في القرآن الكريم-دراسة لغوية-" ويضاف إلى ما تقدم:

❖ يرمي البحث إلى إثبات ما ذكره القرآن الكريم بحق "اليهود" مع التأكيد على أبدية الصراع بين الحق والباطل.

❖ ضرورة فهمنا لطبيعة "بني إسرائيل" قديماً، ودور الباحثين في إجلاء حقيقتهم ومحاولاتهم المتكررة في هدم الحضارة الإسلامية، كي يحذرهم المسلم من باب "أعرف عدوك تأمن مكره".

❖ تخصيص "القرآن الكريم" آيات كثيرة للحديث عن "بني إسرائيل" وجدت فيها مادة لغوية غزيرة ومتنوعة جديرة بالدراسة والبحث.

❖ لم أعتز في حقل الدراسات على دراسة علمية شاملة ومستقلة تناولت الموضوع بالطريقة ذاتها، ونحن بحاجة ماسة لمثل هذه الدراسات.

❖ الرغبة في تقديم شيء نافع ومفيد لطلبة العلم والباحثين خاصة والمكتبات والمؤسسات العلمية عامة.

لقد لازمتني صعوبة كتابة البحث بالرغم من اتضاح النظرة الشاملة في ذهني والوقوف على جزئياتها من خلال الإطلاع على قراءات مستفيضة في مختلف المجالات العلمية، وكثيراً ما كنت أتوقف عند النص القرآني قلقة من أن يجنح قلبي ويزل لساني سائلة الله العون والمساعدة والسداد في ذلك، ومن هذه الصعوبات:

- خطورة الموضوع كونه متعلقاً بكلام الله ﷻ وكتابة العزيز.
- اتساع الموضوع وكثرة تشعباته.
- صعوبة التنقل والحركة للحصول على المصادر والمراجع اللازمة في الظرف الراهن الذي يعيشه عراقنا الحبيب في ظل الاحتلال الأجنبي وإنعدام الأمن ونحوه.
- زحمة العمل وسرعة الزمن وندرة المصادر التي تناولت هذا الموضوع من هذا الجانب.

وقد نهجت في دراستي تلك "منهج الدرس اللغوي الشامل" الذي يدرس اللغة بمستوياتها الأربعة: الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، فأقتضت المنهجية العلمية أن يتألف البحث من أربعة فصول، فصل في كل مستوى، تسبقها دراسة تمهيدية، وتتبعها الخاتمة ونتائج البحث.

جاء التمهيد في ستة محاور، أقيمت الضوء فيها على: تحديد المصطلحات، وتسميات "بني إسرائيل" في القرآن الكريم، والخطاب القرآني "لبنّي إسرائيل" والموقف الرباني منهم، والفوائد المستقاة من تكرار قصصهم في القرآن الكريم، عرض صفات بني إسرائيل كما ذكرها القرآن الكريم.

وعالج الفصل الأول: الدراسة الصوتية لآيات الصفات وتمثل ذلك بأربعة مباحث: أختص الأول بالتكرار الصوتي ودلالته على المعنى، والثاني: بالفاصلة القرآنية وتشكيلها المقطعي في آيات الصفات، وكان الثالث في الوحدات غير المقطعية في آيات الصفات مقتصرة فيه على "النبر" و"التنغيم"، وضمّ الرابع محورين اثنين: أحدهما في الدلالة الصوتية للأصوات المفردة والآخر في البنية الصوتية للمفردات.

وقد تناول الفصل الثاني: دراسة المستوى الصرفي لصفات بني إسرائيل، فشمّل مبحثين اثنين: أحدهما في أبنية الأسماء: المصادر، والمشتقات والجموع، والآخر في أبنية الأفعال الثلاثية المزيدة والمجردة والفعل المبني للمفعول.

أمّا الفصل الثالث فاختص بدراسة المستوى النحوي-التركيب في آيات الصفات وضمّ أربعة مباحث:

الأول: في دراسة مفهوم الجملة وأقسامها ودلالاتها بنوعها الأسمية والفعلية، مع بيان أهمّ العوارض التي تصيب الجملة في آيات الصفات.

والثاني: في الخبر والإنشاء، وبيان أبرز الدلالات التي يخرج إليها الخبر ودراسة أساليب الإنشاء الطلبي: الاستفهام والأمر والنهي والتمني والترجي، وأساليب الإنشاء غير الطلبي: أسلوب المدح والذم وأسلوب القسم.

وأما الثالث: فألقى الضوء على دلالة طائفة من حروف المعاني في آيات الصفات.

والرابع: كان في إبراز أثر تعدد الأوجه الإعرابية في تحديد الدلالة.

وجاء الفصل الرابع في المستوى الدلالي وأحتوى ثلاثة مباحث:

الأول منها تمهيد في علم الدلالة وإيضاح الدلالة اللغوية الهامشية لبعض الألفاظ في آيات الصفات وإبراز مظاهر التغيير الدلالي في الألفاظ: تخصيص الدلالة، وتعميم الدلالة، وتغيير مجال الدلالة.

والثاني: العلاقات الدلالية بين الألفاظ: الترادف، والتضاد، والاشتراك اللفظي، والتقابل الدلالي في آيات الصفات.

الثالث: حقل دلالي لألفاظ الصفات السلوكية لبني إسرائيل في القرآن الكريم. وقد حرص البحث على وضع منهجية سارت عليها الدراسة منها:

- إن إيراد الآيات الكريمات كان أساسه إعطاء المباحث حقها من الدرس اللغوي لهذه الآيات بما يتضح به المعنى.
- عمدت إلى وضع مدخل لكل فصل من فصول الرسالة، والتعريف بكل مبحث فيها لغةً واصطلاحاً حتى يتبين المقصود من المادة التي يحتويها.
- في جوانب من البحث اعتمدت على المختصرات والرموز وهي اختصار لأسماء أسفار العهد القديم:

١- سفر الخروج (خر)

٢- سفر العدد (عد)

٣- سفر التثنية (تث)

٤- سفر التكوين (تك)

٥- سفر الملوك الأول (امل)

٦- سفر الملوك الثاني (٢مل)

٧- سفر أخبار الأيام الأول (أخ)

٨- سفر أخبار الأيام الثاني (٢أخ)

سفر التكوين إصحاح ٣٢/فقرة ٤-١ ← تك ٣٢/١-٤.

- لم يعتمد البحث الآيات المتعلقة بصفات أنبياء بني إسرائيل إذ ليسوا هم المقصودون بالبحث.

- حاولت عدم الخروج عن الخط المنهجي المتصل بعنوان البحث وهدفه، فعمدت إلى الإيجاز حيناً والإطالة حيناً آخر.

- أقتصر البحث على دراسة الآيات المتعلقة بصفات بني إسرائيل - موضوع الدراسة - ولم يتناول غيرها إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك.
- كتبت الآيات القرآنية بالرسم العثماني حفاظاً على طابعها وسلامتها من التصحيف والتحريف.
- تحرّز البحث من الانجرار وراء التشعبات والتفاصيل التي تغري الباحث في مثل هذا الموضوع الذي يتناول موضوعات مختلفة. ولذلك تمّ الاكتفاء في تحليل الآيات بما يبرز دلالة السياق ويتصل بها اتصالاً مباشراً.
- في معظم جوانب البحث تتدرج آيات كثيرة من أجل هذا عمدت إلى انتخاب أمثلة من الآيات ذات الصلة المباشرة بما لا يخل بمنهج البحث، ثم الإشارة إلى الأمثلة الأخرى أو بعضها في الهامش إذا اقتضى الأمر ذلك، وعدم الإشارة إلى ذلك إذا كانت القضية واضحة بيّنة لكي لا يشمل الهامش بما لا ضرورة له، وكثيراً ما اقتصر على ذكر موطن الشاهد في الآية دون إتمامها.
- استعان البحث بالجدول في أغلب مباحث الرسالة.
- كان ترتيب الألفاظ بحسب كثرة ورودها وشيوعها في آيات الصفات إلا في بعض الأحيان جاء الترتيب بحسب الترتيب الهجائي "الألفبائي".
- أحياناً اكنفي بما قاله أهل العربية، فينحصر عملي في التوفيق بين الآراء دون ترجيح، وقد أبدي رأياً في ذلك.
- وفي آفاق هذا البحث كنت أنظر إلى القراءات القرآنية لأقتبس منها ما يعينني على فهم الدلالة، وقمت بتخريجها من الكتب المعتمدة إلا ما ندر فإنني أخرجها من التفاسير المعتمدة.
- لم أقم بالترجمة لأي علم من الاعلام الوارد ذكرهم في متن الرسالة، وذلك لعدم الحاجة إلى ذلك، إمّا لشهرة هؤلاء الاعلام، وإمّا لوجود ترجمتهم في بحوث ورسائل أخرى سابقة فتركت ذلك خشية الإطالة وإثقال الهامش.
- إنّ طبيعة الموضوع اقتضت مني العودة إلى المصادر والمراجع المختلفة وهي كثيرة لارتباط الموضوع بعدة جوانب، وقد قسمتها على النحو الآتي:
- الكتب النحوية، مثل: كتاب سيبويه وغيره من أمّات الكتب..
- الكتب اللغوية، مثل: الأضداد، والخصائص، والمزهر..

- الكتب المعجمية، مثل: العين، ومقاييس اللغة، ولسان العرب..
- كتب مجاز القرآن ومعانيه وإعراجه، مثل: معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن للأخفش، وإعراب القرآن للنحاس..
- كتب التفسير، مثل: التبيان في تفسير القرآن، والكشاف، والجامع لاحكام القرآن..
- كتب القراءات، مثل: السبعة في القراءات، والمحتسب، والتبصرة في القراءات..
- كتب الحديث، مثل صحيح مسلم ومسند أحمد بن حنبل..
- كتب أسباب النزول، مثل: أسباب النزول، ولباب النقول في أسباب النزول..
- كتب البلاغة وإعجاز القرآن، مثل: دلائل الإعجاز، والبرهان في علوم القرآن..
- والكتب الصرفية، مثل: المنصف، وشرح الشافية، والممتع في التصريف..
- الكتب التاريخية والدينية، مثل: مفصل العرب واليهود في التاريخ، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة..

- الكتب الخاصة بعلم الدلالة والتركيب.
- الكتب الخاصة بعلم الأصوات والألسنيات.
- كتب علم نفس الشخصية.

وغيرها من المراجع التي هي من مستندات البحث العلمي.

وختمت البحث بالنتائج التي توصلت إليها فلخصت ثمرة الجهد المتواضع ثم أرففها بذكر المظان التي اعتمدت عليها مع ملخص للرسالة باللغة الإنكليزية..

وإذا كان هذا البحث قد استقامت أصوله، وأينعت ثماره، ورأى النور على هذه الصورة التي صار عليها، فأنا أعترف بأن لأستاذي المشرف أ.م.د. علي جميل السامرائي، الفضل الكبير في هذا الإخراج والعرض وذلك بمواصلته المضنية والشاقة للبحث ومتابعة مباحثه وفصوله، فكان الناصح الأمين، والعين الباصرة على البحث، يقوم اعوجاجه، ويزيل عنه هفواته وعثراته ويضعه جاهزاً على الطريق القويم. فلا أنسى له الفضل ما دمتُ أشمُ عبير المعرفة وأتنسم شذاها، فجزاه الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء، وبارك له في وقته وعلمه وعمله وجعل له لسان صدق في الآخرين إنه سميع الدعاء.

وشكري إلى من تشرفت في الجلوس إليهم، ونهلت من علومهم في دراستي الأولية أ.د. هاشم طه شلاش، و أ.د. خليل بنیان أستاذي في كلية التربية-ابن رشد، وأساتذتي في

الدراسات العليا في كلية التربية للبنات، أ.د. كاسد ياسر الزيدي، أ.د. كريم حسين ناصح الخالدي، و أ.د. عبد الهادي خضير، وأ.م.د.حسن منديل العكيلي، و د. خديجة زبار الحمداني، وجميع الأساتذة في قسم اللغة العربية، داعية لهم بالصحة الدائمة وحسن الخاتمة. وأقدم شكري الخالص -سلفاً- لرئيس لجنة المناقشة وأعضائها، لتفضلهم بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة، ولما سيبدلونهم من جهدٍ مبارك في قراءتها وتقويمها. وأعدهم بأن ملاحظاتهم القيمة ستجد مكانها في هذا العمل وستكون سبباً في وصوله إلى مستوى أفضل راجيةً من الله ﻋﻠﻴﻪ أن يجعل لهم بكل حرف من هذه الدراسة القرآنية حسنةً، ويرفعهم بكل كلمة درجةً.

كما أشكر كل من أسدى إليّ معروفاً على طريق البحث والعلم والمعرفة. وبعد، فإنني أرجو من الله العليّ القدير أن أكون قد وفقت في عملي الذي أجهدي كثيراً، والذي قدمت الحديث عنه، ولمّ شمل موضوعه وتحقيق غرضه، وما حاولتي إلا وجهه من الوجوه التي أتلّس من خلالها الإفادة والاستفادة من كتاب الله، فالعمل فيه ميدان كريم والنفس إليه نارة مطمئنة غير مأسوف على جهدٍ ومالٍ مبذول فيه، لعله يكون إضافةً إيجابية لما يكتب في الساحة العلمية بما يخدم الإسلام والمسلمين عسى أن يكون لي شافعاً يوم القيامة.

ثم بعد ذلك، فإنني لا أزعم أن هذا البحث هو الصورة الأخيرة التي أنتهى إليها البحث بالجهد المبذول، فإذا أضاف باحث آخر إلى هذه الصورة ما يراه نافعاً فنحن أشد الناس به اغتباطاً وله ابتهاجاً، فكل محاولةٍ في دراسة القرآن الكريم تظل عاجزةً عن الوصول إلى عظّمته وسر إعجازه، مما يجعل الإعجاز قائماً إلى يوم القيامة.

ثم ما أبرأ إليك أيها القارئ الكريم بعدُ من العثرة والزلة وما أستغني عنك إن وقعت على شيء من التنبيه والدلالة أن تدرأ بالحسنة السيئة؛ لأرجع إلى الصواب عن الغلط، فإن هذا العلم الذي أنا غامرت فيه مجال لطيفٌ خفيٌّ، وأبن آدم إلى العجز والضعف والعجلة.. أسأل الله العليّ القدير أن يوفّقني فيما فهمت وكتبت وأستنتجت، عليه توكلت، وبه أستعين، والله ولي التوفيق.

الباحثة

٢٠٠٥/٣/٢١

## الدراسة التمهيدية توضيح المصطلحات :

بغية تحديد مفهوم واضح لما نقصده بـ "صفات بني إسرائيل في القرآن الكريم"، ورغبة في أن يكون القارئ الكريم على بينة من أمره، عمدنا إلى توضيح دلالة هذه المصطلحات، فنسأل أولاً؛ ما المقصود بلفظة "صفات"؟ وتجيبنا المعاجم اللغوية لتحدد الدلالة اللغوية للفظه :

قال "الخليل" (ت ١٧٥هـ) : الوصف : وصفك الشيء بحليته ونعته<sup>(١)</sup>، ((الواو، والصاد، والفاء أصل واحد، هو تحلية الشيء، ووصفته أصفه وصفاً. والصفة : الأمانة اللازمة للشيء))<sup>(٢)</sup>.

ويضيف "ابن منظور" (ت ٧١١هـ) : والهاء عوض من الواو، قال الليث : الوصف، وصفك الشيء بحليته ونعته، واتصف الشيء : أمكن وصفه، وقوله في حديث عمر رضي الله عنه أن لا يشف فإنه يصف، أي يصفها، يريد الثوب الرقيق إن لم يبين منه الجسد، فإنه لرقته يصف البدن فيظهر منه حجم الأعضاء<sup>(٣)</sup>، وجمع الصفة : صفات، والصفة هي الحالة التي يكون عليها الشيء من حليته ونعته كالسواد، والبياض، والعلم والجهل ونحو ذلك<sup>(٤)</sup>.

على حين تعددت تعريفات "الصفة" الاصطلاحية — وإن انصبت في مفهوم واحد — إلا أنها تقترب كثيراً من دلالتها اللغوية، يقول "أبو هلال العسكري" (ت بعد ٣٩٥هـ) : الصفة : ضرب من الوصف وأخص منه، مثل : الجلسة والمشية، وهي هيئة الجالس والماشي، ولهذا أجريت الصفات على المعاني فقل : العفاف والحياء من صفات المؤمن ولا يقال أوصافه بهذا المعنى؛ لأن الوصف لا يكون إلا قولاً، والصفة أجريت مجرى الهيئة وإن لم تكن بها فقل للمعاني نحو : العلم والقدرة صفات؛ لأن الموصوف بها يعقل عليها<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر في مادة (وصف) : العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٦٢/٧.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس ١١٥/٦.

(٣) ينظر : لسان العرب، ابن منظور ٢٢٣/١٥، والمصباح المنير ٦٦١/١.

(٤) ينظر : تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي ٢٦٧/٦، ومتن اللغة، أحمد رضا ٧٦٦/٥.

(٥) ينظر : الفروق اللغوية، أبي هلال العسكري ١٩.

وعلى هذا فالوصف : كلام الواصف وقائم به، وقد يكون حقاً أو باطلاً، أما الصفة فهي المعنى القائم بذات الموصوف<sup>(١)</sup>.

ويعرف " علماء النفس " لفظة " السمة – Trait " ، التي تبدو مرادفةً للفظـة "الصفة" ، عدة تعريفات<sup>(٢)</sup>: بأنها خصائص للأفراد نستنتجها من سلوكهم، وتتسم بالدوام النسبي، ويشارك في الاتصاف بها مختلف الأفراد بدرجات متفاوتة. أو أنها الصفة الجسمية، أو العقلية، أو الانفعالية، أو الاجتماعية، الفطرية أو المكتسبة التي يتميز بها الشخص وتعبّر عن استعدادات ثابتة نسبياً لنوع معين من السلوك.

وعلى هذا يمكن أن نتفق على أن السمة نمط سلوكي، يتميز به الفرد من غيره من الأفراد، ويتسم هذا النمط السلوكي بالثبات النسبي في المواقف التي يتضح فيها. ورغم هذا الثبات النسبي في السمة إلا أنها متغيرة وقابلة للنمو، وذلك نتيجة التفاعل الدائم بين العوامل الشخصية والاجتماعية المادية.

وعلماء النفس يفترضون وجود استعداد عام أو نزعة عامة تطبع سلوك الفرد بطابع خاص وتشكله وتلوّنه وتعيّن نوعه وكيفيته، ويشيرون إلى أنها تعبر عن تهيؤ الفرد للسلوك أو التصرف بشكل معين. وأن هذه السمات ليست منعزلة بعضها من بعض، فمجموعها تتكون الشخصية، وهي التنظيم العام الذي يشمل هذه السمات في علاقات وظيفية تجعلها كلاً موحداً.

وبعد هذا نبدأ بالاتفاق على أن " صفات بني إسرائيل " هي الأمانة الثابتة نسبياً والملازمة لبني إسرائيل وعرفوا بها منذ عصرهم الأول، فأنمازوا بوساطتها من غيرهم، ومن خلالها حددت طباعهم ومواقفهم تجاه الآخرين، ورسمت منهج التعامل معهم، وكانت الباعث وراء سلوكهم، ومن مجموع هذه الصفات تألفت شخصيتهم قديماً وحديثاً.

(١) ينظر : المفردات، الراغب الأصبهاني ٨٢٣، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي ٣١٧/٤، والتعريفات، السيد الشريف الجرجاني ١٣٧، وكشاف اصطلاحات الفنون، محمد أعلى بن علي التهانوي ١٣٩٤/٢، والكلديات، الكفوي ٤٥/٥.

(٢) ينظر : خصائص الشخصية، عبد الحميد سعيد حسن (ط/٢) ٤٥-٦٤.

ولا يفوتنا — ونحن في هذا اللون من الحديث — أن نشير إلى أن بني إسرائيل قد تعرضوا إلى عقوبات ربانية بما قدمت أيديهم اتصفوا بها فحددت كثيراً من سلوكهم، دائمية تلازمهم كظلهم إلى يوم القيامة لا محيص لهم منها مهما حاولوا الإنفكاك أو الخلاص منها، كالغضب الرباني، واللعنة، والذلة والمسكنة .. وغير ذلك، ومؤقتة وقعت لطائفة منهم وفي زمن معين، كتحويلهم إلى "قردة خاسئين" .. وغير ذلك وقد ساهمت في تحديد جوانب من شخصيتهم. لذا أرتأينا أن تضم الدراسة الآيات المتعلقة بذلك، كما شملت الدراسة تعبيراتهم اللغوية وإدعاءاتهم الزائفة وقد حكاها عنهم القرآن الكريم، تخفي فضلاً عن سوء أدبهم مع الله وكذبهم عليه، صفاتهم الكامنة وراء إطلاقها؛ لأنها تمثل أفضل الأدلة على إدانة أصحابها، وأياً كانت هذه الأقوال فإنها تفنقر إلى الحجة الدامغة والبرهان الكافي.

وأختيارنا "القرآن الكريم" ليكون دليلنا في الكشف عن صفات بني إسرائيل؛ لأن القرآن الكريم هو الذي بقي من الكتب السماوية منضبطاً في صورته، واضحاً في معالمه، غالباً كل الغلبة على محاولات التزييف في الشكل أو المعنى، فلم يتطرق إليه التحريف ولم تعبت به أيدي المغرضين، والوثيقة الإلهية الوحيدة الباقية بين أيدي الناس وتتضمن وصفاً صادقاً وصحيحاً لنفسية بني إسرائيل وسوء دخيلتهم<sup>(١)</sup>، قال تعالى :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر/٩].

((وتأتي أهمية الصورة اليهودية القرآنية في أنها صورة باقية أبد الدهر، ولن يستطيع أحد تغييرها أو تحويرها أو طمس معالمها؛ لأنها من لدن حكيم خبير...))<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا المنطلق سعيانا في نقل الصورة الكاملة الواضحة والأمنية لصفات بني إسرائيل، وإذا كنا قد توصلنا إلى تصورٍ لدلالة لفظة "صفات" فإننا لا نزال بحاجة إلى استيضاح ما نعنيه بـ "بني إسرائيل" فمن هو إسرائيل؟ ومن هم أبناؤه؟.

أطلق على بني إسرائيل تسميات عدة منها : ما كانت دالة على أصلهم، ومنها ما كانت صفة لهم، ومنها ما كانت تمييزاً لهم من غيرهم، ونظراً لتعدد هذه التسميات

(١) ينظر : أسرار التكرار في القرآن " البرهان " ، الكرمانلي، ٥-٨، "مقدمة المحقق"، واليهود في القرآن الكريم، صلاح أبو إسماعيل، "مقدمة المؤلف".

(٢) أديان مقارنة ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، ليلي حسن

واختلاف الآراء فيها وتشعبها، ستقتصر الدراسة على ما ورد منها في القرآن الكريم فحسب متخضية تسمياتهم الأخرى التي جاءت في "العهد القديم" - old testament "التوراة"، أو كتب التاريخ إلا إشارات\*\*؛ وذلك لضيق المجال ولتخصيص الدراسة بما ورد منها في القرآن الكريم.

\* "العهد القديم" : هو التسمية العلمية لأسفار اليهود وليست التوراة إلا جزءاً من العهد القديم، وقد تطلق التوراة على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل، أو لأهمية التوراة في نسبتها إلى "موسى" عليه السلام. ينظر: مقارنة الأديان " اليهودية " أحمد شلبي ٢٣٠.

\*\* والتسمية التي لم ترد في القرآن الكريم هي " العبرانيون " أو " العبريون " ، وجاءت هذه التسمية في العهد القديم، وعلى لسان العلماء وكتاب التاريخ ويعودونها أقدم تسمية أطلقت على بني إسرائيل يزعمهم \_ وإن كانوا مختلفين في سبب إطلاقها عليهم، وعلى ما يبدو أن ما ذهب إليه العلماء وهم، معتمدين في ذلك على ما جاء في " العهد القديم " الذي دُونَ بعد السبي البابلي فحاول كتبه إرجاع نسبهم إلى أقدم الشخصيات التاريخية سيدنا " إبراهيم الخليل" عليه السلام. فحذفوا ما حذفوا وأثبتوا ما يناسب أهواءهم، في حين كشفت الأبحاث الحديثة أن هذه التسمية أطلقت في نحو الألف الثانية قبل الميلاد على طائفة من القبائل العربية في شمال جزيرة العرب في بادية الشام، حتى صارت مرادفة لابن الصحراء، وابن البادية بوجه عام وبهذا المعنى وردت كلمة " الأبري " و " الهيري " و " الخيرو " و " العبيرو " في المصادر المسمارية والفرعونية. ينظر : مفصل العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة ٨٦-٨٧، ١٦٠-١٦١.

والتسمية الأخرى " الموسويون " ولم ترد في القرآن وإنما وردت " قوم موسى " وهو مصطلح أطلق على أتباع " موسى" عليه السلام، الذين اتبعوه وخرجوا معه من مصر منقاداً لهم من ظلم فرعون، يبدو أن الدكتور "أحمد سوسة" قد انفرد بذلك المصطلح. ينظر : مفصل العرب واليهود في التاريخ ٨٨-٨٩. والمتفق عليه أن كل رسول قد أرسل من وسط قومه الذين يعرف عنهم ما يعرفه عن نفسه، لذا فإن "موسى" عليه السلام من بني إسرائيل قد أرسله " الله " إليهم قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم/٤].

وقد يسمّى هؤلاء أهل الذمة أو الذميين، والذمة لغة: الأمان والعهد والضمان، وأهل الذمة هم المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممن يقيم في دار الإسلام. ينظر : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٤٧/٢ ، وأحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، عبدالكريم زيدان ٢٢- وما بعدها.

وإتماماً للفائدة أحيل القارئ الكريم إلى أبرز المؤلفات التي تناولت تسميات بني إسرائيل : تاريخ اللغات السامية، إسرائيل ولفنسون ٧٧-٧٨. والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ٥١٢/٦، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري ٢٠٥/٢-٢١٠، وتاريخ فلسطين القديم، سامي سعيد الأحمد ٩٦-٩٧، ١٣٤-١٥٧، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي ٣/١-٥، ومقارنة الأديان "اليهودية" ٤٦-٤٧، والرؤية العربية لليهودية، مهنا يوسف حداد ٣٦-٣٧، والشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا ٢٣-٢٧.

## تسميات بني إسرائيل في القرآن الكريم

أولاً: "بنو إسرائيل Banu Israel"

في البدء نقوم بتحليل هذا التركيب، ذكر علماء اللغة والمفسرون في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُون﴾ [البقرة/٤٠]. أن "بني" : منادى وعلامة نصبه الياء؛ لأنه ألحق بجمع المذكر السالم، وحذفت نونه للإضافة، وهو شبيه بجمع التكسير لتغير مفرد، ولذلك عامله العرب ببعض معاملة التكسير، فألحقوا في فعله المسند إليه تاء التأنيث نحو : قالت بنو فلان.

وفي لامه المحذوفة قولان : أحدهما : إن لامه واو، وإليه ذهب "الأخفش" (ت ٢١٥هـ)، فجعل البنية دليلاً على ذلك؛ ولأن حذفها أكثر؛ لتقلها، ويقال : تبنيتها، إذا ادّعت بنوته.

والآخر : إن لامه ياء؛ لأنه مشتق من البناء، وهو وضع الشيء على الشيء، والإبن فرع عن الأب، ومبني عليه، ولذلك ينسب المصنوع إلى صانعه، فيقال : ابن الحرب وبنيت فكر فيفيد الاختصاص ومداومة الصحبة.

واختلف في وزنه فقليل : "بني" بفتح العين، وقيل "بني" بسكونها، وهو أحد الأسماء العشرة التي سكنت فاؤها وعوض من لامها همزة الوصل<sup>(١)</sup>.

ذهب "ابن فارس" (ت ٣٩٥هـ) مذهب "الأخفش" فقال : ((الباء والنون والواو كلمة واحدة، وهو الشيء يتولد عن الشيء، كابن الإنسان وغيره، وأصل بنائه بنو))<sup>(٢)</sup>.

في حين أختار أكثر المفسرين القول الثاني؛ لأنه يناسب معنى الاشتقاق، قال "القرطبي" (ت ٦٧١هـ) في القول الأول : وهذا لا حجة فيه<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر : معاني القرآن، الأخفش ١/١٧٠، وإعراب القرآن، النحاس ١/٢١٧ والفروق اللغوية ٢٧٥-٢٧٦ والمفردات ٨٥٠ والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١/٢٢٥-٢٢٦، ولسان العرب ٢/٤٥، والبحر المحيط، أبي حيان الأندلسي ١/٢٨٠-٢٨١، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ١/٢٠٢، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ١/٦١، وإرشاد العقل السليم، أبو السعود ١/١٢٦. والكليات ٢٤١ والفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين، سليمان بن عمر العجيلي ١/٧٢.

(٢) مقاييس اللغة ١/٣٠٣.

أما "إسرائيل" فهو اسم ثانٍ لسيدنا "يعقوب" عليه السلام وهو ما اتفق عليه أكثرُ المفسرين<sup>(١)</sup>، بدليل ما روي عن "ابن عباس" - رضي الله عنهما - قال : حضرت عصابة من اليهود إلى "نبي الله" ﷺ فقال لهم : **[هل تعلمون أن إسرائيل "يعقوب"؟ قالوا : اللهم نعم ، فقال النبي ﷺ : "اللهم أشهد عليهم"]**<sup>(٢)</sup>.

و "إسرائيل" اسم أعجمي، ولذلك لا ينصرف؛ للعلمية والعجمة، وقد تصرف فيه العرب بلغات كثيرة أفصحها لغة القرآن وهي قراءة الجمهور..<sup>(٣)</sup>

ومن خلال استقراء المصادر والمراجع نجد اختلاف العلماء والباحثين في أصل اشتقاق هذه اللفظة، وهذا عرضٌ لابرز الآراء التي وقفنا عليها.

قيل : إن "إسرائيل" يعني : عبدالله، فـ "إسرا" بالعبرانية هو عبد، و "إيل" هو اللفظ الكنعاني للفظ الجلالة "الله" - وقيل : "إسرا" هو صفوة الله ، وقيل : "إسرا" من الشد، فكأن "إسرائيل" الذي شده "الله" وأتقن خلقه.

وقيل : "إسرا" مشتق من "الأسر" وهو القوة ، فكأن معناه : الذي قواه الله. وقيل؛ لأنه أسرى ذات ليلة حين هاجر إلى الله تعالى، فسُمي "إسرائيل" أي : أسرى إلى الله فيكون بعض الأسم عبرانياً وبعضه موافقاً للعرب<sup>(٤)</sup>. والله أعلم.

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٢٥/١، والتحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور ٤٥٠/١-٤٥١.

(٢) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٢٦٧/١، والكشاف ، الزمخشري

٤٤٥/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٦/١، والبحر المحيط ٣٢٨/١ وأنوار التنزيل ٦١/١.

(٣) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٥٩٦-٥٩٧، برقم (٢٥١٤)، وينظر : تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧٩/١، وبهجة الأريب في بيان مافي كتاب الله العزيز من الغريب، ابن التركماني ٨٦/١.

(٤) ينظر : إعراب القرآن، النحاس ٢١٧/١، والمحتسب ، ابن جني ٧٩-٨٠، والمعرب من الكلام الأعجمي، الجواليقي ٦٢، والمحرر الوجيز ٢٦٧/١، وشفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، شهاب الدين الخفاجي ٣٤، والدر المصون ٢٠٢-٢٠٣، واللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤/٢-٥، وإتحاف فضلاء البشر أحمد البنا ٣٩٠/١، والمهذب في القراءات العشر وتوجيهها، محمد محمد سالم محيسن ٥٤/١، ٨٩، ومعجم القراءات ٨٨-٩٠.

(٥) ينظر : جامع البيان، الطبري ٢٤٨/١، وفتح القدير، الشوكاني ٩١-٩٢، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة ٦/١.

يرى الأستاذ "صابر طعيمة" في مؤلفاته أنَّ التسمية كانت من قبل "إسرائيل Yisrael" مؤلفاً من "يسر" العبرية التي تعني : غلبَ وسادَ، و "إيل" هو الإله القوي القاهر فكأنَّ المعنى غلبَ الإله القوي القاهر<sup>(١)</sup>. يتابعه في ذلك الدكتور "عبدالوهاب المسيري" في موسوعته<sup>(٢)</sup>.

الذي يبدو أنَّ الأستاذين يؤيدان رواية العهد القديم "التوراة" ؛ إذ ذُكر فيها أنَّ "إسرائيل" لقب منحه ملاكُ الربِّ إلى "يعقوب، Jacob" ومعناه : يجاهدُ الله أو مصارعُ الربِّ "God Protects"<sup>(٣)</sup>.

ويرى الدكتور "أحمد سوسة" أنَّ الاكتشافات الأخيرة أظهرت أنَّ "إسرائيل" كانت اسماً لموضع في فلسطين، وهي تسمية كنعانية تعني : عبدٌ أو جندي الإله "إيل". مُشيراً إلى أنَّ عادةَ إقران أسماء الأشخاص باسم الإله "إيل" هي عادة قديمة جداً وإنَّها لا تزال شائعة حتى يومنا هذا من غير أنَّ ننتبَّه إلى أصلها، ومن أمثلتها "إسماعيل" و "صموئيل" .. الخ، وكان سكان الجزيرة العربية يُقرنون أسماءهم باسم الإله "إيل" تيمناً وتبرُّكاً به<sup>(٤)</sup>.

يقول الدكتور "علي رؤوف" : والأرجح على وفق تصوُّرنا المتوافق مع مدلول الألفاظ لغوياً ودينياً الموائم لمنطق الأحداث التاريخية والمسميات المكنى بها أنبياءه ورسله **عَدْلٌ** أنَّ لفظ "إسرائيل" يتكون من مقطعين : **المقطع الأول** : بمعنى **عَدْلٌ** أو **عدالة**، و**المقطع الثاني** بمعنى : الله أو الربُّ، فكأنَّ المعنى مكتملاً يكون : **عدْلُ الربِّ** أو **عدالة الله**<sup>(٥)</sup>.

و "إسرائيل" اسم قد تكرر كثيراً في العهد القديم "التوراة" ، حتى تجاوز الخمسمائة، وأما في العهد الجديد "الإنجيل" فيزيدُ على خمسين مرة، وفي "القرآن الكريم"

(١) ينظر : اليهود في موكب التاريخ، صابر طعيمة ٥٣، واليهود بين الدين والتاريخ، المؤلف نفسه ٧١.

(٢) ينظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢/٢٠٦.

(٣) ينظر تك ٢٤/٣٢-٣٠.

(٤) ينظر : مفصل العرب واليهود في التاريخ ٨٧-٨٨، ٩٣.

(٥) ينظر : بنو إسرائيل والعبرية الحديثة، علي رؤوف سيد مرسى ٦٠.

فقد ورد ذكره تحديداً في ثلاثة وأربعين موضعاً<sup>(١)</sup>، موضعين منهما أختصَّ الكلام فيهما عن سيدنا "يعقوب" عليه السلام\* أما المواضع الباقية كلها فقد جاءت هكذا "بنو إسرائيل"، والخطاب فيها موجه إلى الذين يدعون باتصالهم بهذا النبي الكريم.

وبمقابلة "العهد القديم" و "القرآن الكريم" نجد أن القرآن أعطى هذا النبي الصورة الحقيقية المشرفة التي تليق بمقام النبوة في حين أن "العهد القديم" يذكره في روايات لم يذكرها "القرآن الكريم" وينسب له صفات لم ينسبها له "القرآن الكريم"، وهي مذبذبة موضوعية أو قد يكون لها أصل ولكنها محرفة وفيه أغاليط<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا المقام نلقي بعض الضوء على نسل سيدنا "يعقوب - إسرائيل". فبنو إسرائيل هم أولاد "يعقوب" الذكور الاثنا عشر ولداً، من أمهات شتى، كما يذكر "العهد القديم"<sup>(٣)</sup>. وفي القرآن جاءت إشارات عنهم في رؤيا "يوسف" قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ\* قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف/٤-٥].

يبدو أن خلافاً موجوداً حول هؤلاء الأبناء أهم "الأسباط" أم غيرهم؟. ولكن من الثابت أن لفظ "الأسباط" ليس معناه أولاد يعقوب من صلبه فحسب بل ذريته، أي

(١) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي ٣٣.

\* ينظر : سورة آل عمران/٩٣، وسورة مريم/٥٨.

(٢) ينظر مثلاً : تك ١/٢٧-٤٥.

(٣) "يعقوب" عليه السلام قد تزوج من لينة "أوليا" وأنجبت : رأوبين، وشمعون، ولاوي أوليفي، ويهوذا وبساکر وزبولون ودينه " الفتاة الوحيدة، ومن شقيقتها راحيل وأنجبت يوسف وبنيامين، ومن بلهة جارية راحيل وأنجبت دان ونفثالي، ومن زلفة جارية لينة وأنجبت جاد وأشر أو "أشير". ينظر: تك ٢٩-٢٢/٣٥، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة ٦/٣-٧.

\* السبط : واحد الأسباط بمعنى الفرقة أو الطائفة أو هو ولد الولد، وقيل له الابنة أو الابن، والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب وسُمي سبطاً لِيُفَرَّقَ بين ولد إسماعيل وولد إسحق. وجمعه أسباط وقيل السبط الجماعة المتتابعة التي ترجع إلى أصل واحد. ينظر : مجاز القرآن إلى عبدة ٢٣٠، وتفسير غريب القرآن، ابن قتيبة ١٧٣، النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات، ابن الجزري ٣٣٤/٢، ولسان العرب ١١١/٧، وعمدة الحفاظ ١٦٧/٢، والبحر المحيط ٥٦٩/١، وبهجة الأريب ١١٠/١.

مَنْ هم من أصْلاب أصْلابه، فقد عمَّهم الاسم جميعاً، كما يُقال لسائر الناس "بنو آدم"، ومن أبناء "يعقوب" عليه السلام وذرياتهم من بعدهم تكونت أمة "بني إسرائيل" ونُسبوا إليه<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: "يهود Jews"

استعمل القرآن هذه التسمية وقصدَ بها "بني إسرائيل"، في ثمانية مواضع\*، وجاءت لفظة "يهودي" في موضع واحد في معرض نفس اليهودية عن سيدنا "إبراهيم" عليه السلام\*\*\* في حين وردت لفظة "هُود" عي عشرة مواضع\*\*\*\*، سبع منها كانت أسماً لنبي الله "هُود" عليه السلام، قال تعالى ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود/٥٠].

والمواضع الثلاثة الأخرى وردت علماً على "اليهود"، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة/١٣٥].

وفي أصل اشتقاق "هُود" أقوال ثلاثة:

الأول منها: إنَّ "هُود" جمع "هائد" بمعنى: تائب.

والثاني: إنَّه مصدر على وزن "فعل"، نحو: حُزن، وشُرب.

والثالث: وهو قول "الفراء": إنَّ أصله "يهود" فحذفت الياء الزائدة من أوله<sup>(٢)</sup>. ويرى "ابن عادل" (ت بعد ٨٨٠هـ) بأنه رأي بعيد<sup>(٣)</sup>.

ومما جاء علماً وصفة لليهود بصيغة الفعل الماضي مسنداً إلى واو الجماعة

"هَادُوا" في عشرة مواضع\*. وفي "هادوا" قراءتان:

إحدهما: بضم الدال، وهي القراءة المشهورة، فتكون مادتها "هـ، و، د" أو "هـ، ي، د".

(١) ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة ٧/١، واليهود في القرآن، عفيف عبدالفتاح طيارة ١٥.

\*\*\* ينظر: المعجم المفهرس ٩٤١.

\*\*\* ينظر: آل عمران/٦٧.

\*\*\*\* ينظر: المعجم المفهرس ٩٠٨.

(٢) ينظر: معاني القرآن، الفراء ٧٣/١ والدر المصون ٢٠٠/١.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٣٩٦-٣٩٧، ٤٠١/٢.

\* ينظر: المعجم المفهرس ٩٠٨.

والأخرى : بفتح الدال مشتقة من "المهاداة" ، أي : مال بعضهم إلى بعض، وهادوا : فاعلوا من الهداية، وجاء فيه "فاعل" موافقة "فعل" كأنه قيل : والذين هدوا، أي : هدوا أنفسهم نحو جاوزت الشيء بمعنى جزته<sup>(١)</sup>.

من ذلك قوله تعالى : ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء/١٦٠].

أختلف العلماء والباحثون في تحديد المقصود بمصطلح "يهود" وفي معرفة أصحابه الأصليين ومن انضموا تحته عبر العصور؛ وذلك لاختلافهم في الأدلة التي استندوا إليها بل ربما انفرد بعضهم برأي لم يقل به الآخرون. والناظر فيما قيل من آراء حول اشتقاق "يهود" يهوله شدة الاختلاف لدرجة يصعب معه اختيار الصحيح، مما اضطرني إلى حصر الآراء في أقل عدد ممكن من الأقوال التي وقفت عليها.

يرى بعض اللغويين والمفسرين أن أصل اشتقاق "يهود" عربي، بمعنى التوبة والرجوع، هَادَ يَهُودُ هَوْدًا وَتَهُودًا : إذا تابَ ورجعَ إلى الحق، فهو هَائِدٌ. جاء في التنزيل العزيز : ﴿إِنَّا هَدْنَا إِلَيْكَ..﴾ [الأعراف/١٥٦]، أي : تبنا إليك ورجعنا عن فعل القبيح، وعُدِّيَ بالي؛ لأن فيه معنى رجعنا، وعن "ابن الاعرابي" : هَادَ : إذا رجعَ من خيرٍ إلى شرٍّ أو من شرٍّ إلى خير. وقوله تعالى : ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ [الأنعام/١٤٦]، أي : دخلوا اليهودية، "والتهود" أن يُصيرَ الإنسان يهوديًا، يقال : هَادَ فلان إذا تحرَّى طريقة اليهود في الدين، والمصدر "تهويد" يأتي بمعنى الصوت اللين الفاتر، وبمعنى الإبطاء في السير، فتَهُودٌ في مشيه: مشى مشيًا رقيقًا تشبُّهاً باليهود في حركتهم عند القراءة.

وأرادوا باليهود، اليهوديين، ولكنهم حذفوا ياءَ الإضافة كما قالوا زنجيٌّ وزنج، وأدخلوا الألف واللام على إرادة النسب<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر : المحتسب ابن جني ٩١/١، والبحر المحيط ٤٠٤/١، وقطف الأزهار في كشف الأسرار ، السيوطي ٢٦٧/١.

(٢) ينظر : العين ٧٦/٤، وجمهرة اللغة، ابن دريد ٣٠٦/٢، مقاييس اللغة ١٧/٦-١٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٩٤/١، ولسان العرب ١٠٧/١٥-١٠٨، والبحر المحيط ٣٩٩/٤، والزاهر في كلام الناس أبي بكر الأنباري ٢٢٦/٢، وتاج العروس ٥٤٨-٥٤٩، وبهجة الاريب ٩٤/١ وموسوعة الأديان والمذاهب، عبدالرزاق محمد أسود ١٤١/١، واليهود في القرآن الكريم "بحث في الدلالة والمعنى" محمد عبد المطلب البكاء ١٤-٥.

يقول "الراغب الاصبهاني" (ت ٤٢٥هـ) : وَيَهُودُ في الأصل كان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم، وإن لم يكن فيه معنى المدح<sup>(١)</sup>. ويرى "ابن عادل" : أنا قد تكون أسماً منقولاً من الفعل المضارع، نحو : يزيّد ويشكر<sup>(٢)</sup>.

في حين يرى آخرون أنّ لفظة "يهود" أعجمية معربة<sup>(٣)</sup>. جاءت نسبة إلى الابن الرابع لسيدنا "يعقوب" ~~عليه السلام~~ وهو "يهودا" وكان أرشدهم عقلاً، إلا أنّ التسمية اشتهرت أكثر ما يكون في نسبتها إلى مملكة يهوذا التي انبثقت عن المملكة الموحدة للنبي "داود" ~~عليه السلام~~؛ إذ يشير التاريخ إلى أنّ هذه المملكة، قد انقسمت على مملكتين : مملكة "يهودا" في الجنوب ، ومملكة "إسرائيل" في الشمال، ثم مالبت أنّ دُمّرت المملكة الشمالية على يد "سرجون الثاني" ملك آشور سنة (٧٢١ ق.م)؛ لإعلانهم العصيان والتمرد. بينما استمرت المملكة الجنوبية إلى أنّ حطّمها البابليون بقيادة "نبوخذ نصر" سنة (٥٨٦ ق.م)، وتعرّف هذه الحادثة بالأسر البابلي الثاني، ورحّل أهلها سبايا إلى بابل فاصطلح عليهم "اليهود" نسبةً إلى مملكتهم التي ينتمون إليها ولتميزهم من سواهم ممّن لم يكن على دينهم<sup>(٤)</sup>.

وهذا ما يراه الدكتور "أحمد سوسة" من أنّ اسم "يهود" لم يُعرّف قبل الأسر البابلي وسقوط مملكة يهوذا<sup>(٥)</sup>.

أمّا كيف أصبحت "يهودا" تسمّى "يهود"؟ ، فذلك ، لأنّ العرب لما نطقت لفظة "يهودا" أبدلوا الذال المعجمة دالاً مهمله فأصبحت "يهودا" أو "يهود"، فإنّ العرب إذا نقلوا اللفظ الأعجمي إلى لغتهم تصرّفوا فيه وغيّروا بعض حروفه<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر : المفردات ٧٩٦.

(٢) ينظر : اللباب في علوم الكتاب ٤٠٢/٢.

(٣) ينظر : المعرب في الكلام الأعجمي ٣٥٠-٣٥٧، والاتقان في علوم القرآن، السيوطي ٣٧٨/١، والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، السيوطي ٣٨.

(٤) ينظر : التاريخ اليهودي العام صابر طعيمة ٣٣-٣٤، بنو إسرائيل في القرآن والسنة ٧-٩ ، الرؤية العربية لليهودية ٢٣٠ وتاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ١٦، ٢٩-٣٠.

(٥) ينظر : مفصل العرب واليهود في التاريخ ٨٩.

(٦) ينظر : العين ٧٦/٤، وشفاء الغليل ٢٧٩.

وفي الاصطلاح فإن لفظة "يهود" أصبحت علماً على كل من يعتنق اليهودية ويتخذها ديانة له في أي زمان ومكان بغض النظر عن انتمائه العرقي أو الجغرافي<sup>(١)</sup>. والذي يبدو — إن رجحنا مذهب إليه الفريق الأول — أن اليهود حريصون على أن يكون اسمهم رمزاً لمعنى يريدون به إيهام الناس في كونهم أبناء أولئك التائبون إلى الله.

وإن رجحنا مذهب إليه الفريق الآخر فإنهم أبناء الابن الرشيد لسيدنا "يعقوب" <sup>عليه السلام</sup> نقول : وسواء هذا أو ذاك فهي كالتسخرية بهم؛ لأن سجل تاريخهم المقيم لا يدل على أي معنى للتوبة أو الرشد والحلم<sup>(٢)</sup>. فلا يظن المرء أن التوبة كلمة تقال بعد كل ذنب يرتكب، وإنما هي عزيمة في القلب يتحقق مدلولها بالإيمان والعمل الصالح ويتجلى أثرها في السلوك العملي.

### ثالثاً: "أهل الكتاب"

ومفهوم هذه التسمية لغة : أهل الرجل: عشيرته وذوو قرياه، أو من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراها من صناعة، وبيت، وبلد، وعبر عن أهل الرجل بأمرأته، وأهل الأمر : ولاته، وأهل البيت : سكانه ، وإذا أطلق أهل البيت يعني أسرة "النبي" <sup>عليه السلام</sup> وأهل القرآن حفظته العاملون به، وأهل المذهب : من يدين به<sup>(٣)</sup>. وهذا هو مرادنا.

أما "الكتاب" فهو مصدر مشتق من الفعل كتب، ((الكاف، والتاء، والباء، أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء من ذلك الكتاب والكتابة))<sup>(٤)</sup>، وسمي به المكتوب توسعاً<sup>(٥)</sup>، والجمع كتب، وكتب، قيل : الكتاب، اسم لما كتب مجموعاً، والكتاب مطلق التوراة، وله معان أخرى منها : الصحيفة، والرواة، والقضاء.. الخ<sup>(٦)</sup>. ((وقد غلب

(١) ينظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢/٢٠٧.

(٢) ينظر : سورة الإسراء وبنو إسرائيل، عامر نايف الزوبعي، (ر/م) ٧١، ٧٣-٧٤.

(٣) ينظر : المفردات ٣٦، ولسان العرب ١/١٨٥-١٨٦، ولطائف ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٨٣/٢.

(٤) مقاييس اللغة ٥/١٥٨.

(٥) ينظر : الكليات ٤٧٦.

(٦) ينظر في مادة (كتب) : جمهرة اللغة ١/١٩٦، وتهذيب اللغة الأزهري ٧/٥٠، ولسان العرب ١٣/١٧-١٨، والمصباح المنير ١/٥٢٤، والبرهان في علوم القرآن الزركشي ١/٣٤٧.

غلب في العرف العام على جمع من الكلمات المنفردة بالتدوين... والكتاب في عرف الفقهاء؛ ما يتضمن الشرائع والأحكام<sup>(١)</sup>.

وأهل الكتاب هم من يجمعه الكتاب "التوراة والإنجيل" وتطلق هذه التسمية على اليهود والنصارى، ولا تخص أحدهما على انفراد، وهذا لا يعني أنهم أصحاب علم بالكتابة، وإنما المراد بذلك أنهم أهل كتاب سماوي منزل من الله وهو "التوراة والإنجيل"<sup>(٢)</sup>.

وردت تسمية "أهل الكتاب" إحدى وثلاثين مرة في القرآن الكريم\*، ولكن ليس المراد منها بكل مرة أهل الكتاب جميعاً، فقد يخاطب بها أحدهما على وجه الخصوص، والغالب يقصد بها اليهود، ويعيننا في إيضاح من المقصود عدة قرائن كأسباب النزول، وسياق الآية، إن لم يكن لها سبب، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شدة عداوة اليهود للمسلمين وحسدهم الدائم لهم كما سيتضح لنا.

وهذا الوصف — في ذاته — فيه اعتراف بهم في ماضيهم وحاضرهم، فخاطبهم الله ﷻ بأحسن الأسماء، وأكمل الألقاب، حيث جعلوا أهلاً لكتاب الله، تطيباً لخاطرهم وتآلفاً لقلوبهم، فاستعمله على سبيل التكريم لهم والتلطف معهم والمديح لمن يستحق تارة، وعلى سبيل الذم والتوبيخ لهم، وذلك بحسب الأغراض التي يراد منها التسجيل على جميعهم<sup>(٣)</sup>.

وقد نجد التعبير القرآني يستعمل عبارة ﴿آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ بصيغة البناء للمعلوم، و ﴿أوتُوا الْكِتَابَ﴾ بصيغة البناء للمجهول، إذا كان الغرض التسجيل على علمائهم، فمن المعلوم أن الصيغة الأولى أبلغ من الثانية؛ لإسناد الإيتاء إليه سبحانه،

(١) الكليات ٤/١١٧-١١٨.

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦/٥٦٧، واليهود في القرآن، طبارة ١٦.

\* ينظر: المعجم المفهرس ١٢٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ١/٤٤٩، وقطف الأزهار ١/٦٠١، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة ١/١٥٤-١٥٥.

\* ينظر: المعجم المفهرس ١٢.

\*\* ينظر: نفسه ١٤.

معبراً عنه بنون العظمة (نا) فالمقام مقام مدح، وكذا مايجيء من نحو هذا مراداً به الإكرام نحو "هديننا"، و "اصطفينا" .. ونحو ذلك، وإذا كان المقام مقام ذم لهم لم يسند الإيتاء إليه سبحانه تحقيراً لهم، وقيل؛ لأن صيغة "أوتوا" قد تستعمل فيما لم يكن له قبول و "أتيناهم" أكثر ما تستعمل فيما له قبول<sup>(١)</sup>.

وهذه التسمية لم تطلق على أمة قبلهم فكان عليهم بمقتضاها أن يحرسوا حرصاً شديداً على الالتزام بكل ما جاءهم في الكتاب وألا يسمحوا لأحد منهم أن يكسر شيئاً من تعاليمه، ولكن انحرافهم أدى بالأمور أن تجري على عكس ما هو متوقع لها. لنستمع إلى قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة/٥٩] وقوله تعالى : ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء/١٥٣]، وقوله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران/٧٠-٧١].

وقد يشير التمييز القرآني إليهم بعبارة ﴿أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ وهو تعبير قرآني شاع في العهد المدني بعد الهجرة إلى المدينة بمناسبة وجود اليهود فيها، وهو وصف مطابق لحالهم حقيقة لا مجازاً، وإنما مجازه في (أوتوا الكتاب)؛ لأنهم لم يؤتوا كل الكتاب الذي هو (وحي الله) فيطلق عليهم الكل وهو (أوتوا الكتاب) ويراد به الجزء وهو (نصيباً من الكتاب)، وهذا تطور في حديث القرآن عنهم ناسب مقتضى الحال في المدينة المنورة بعد الهجرة.

يمكن القول أن الخطاب القرآني قد ركز على مخاطبتهم بـ ((عنوان أهلية الكتاب الموحية للإيمان به وبما يصدقّه من القرآن العظيم مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم))<sup>(٢)</sup>، وهذا يوحي بابتعادهم عن تعاليمه، فيظهر الفرق واضحاً بين ما يعرضونه

(١) ينظر : البحر المحيط ٤٣٢/١، ونظم الدرر، البقاعي ٢٨٩/٥، ٢٩٤، وقطف الأزهار ٧١٤/٢،

والتحرير والتتوير ٤٤٩/١، والتعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي ٢٨٠-٢٨١.

(٢) إرشاد العقل السليم ٨/٢.

من مبادئ وتعاليم، وما يقومون به من ممارسات وأعمال فتكون هذه التسمية أعظم حجة عليهم<sup>(١)</sup>.

### الخطاب القرآني لبني إسرائيل

خاطب "القرآن الكريم" أمة كانت قبلنا قد أنزل عليها هدى من ربها، وبعث فيها رسل كثير، ومما أنزل عليها كتاب سماوي "التوراة" ثم كتاب آخر "الإنجيل" فهي على علم من الله وعهد معه إلا أنها حادت عن منهجه، وتكرت لعهودها معه، فوجه لها الخطاب تذكيراً لها بذلك فقال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُونَ﴾ [البقرة/٤٠].

وهذا الخطاب موجه إليهم لتمييزهم من غيرهم بما ورثوه من الكتب السماوية فهم أشهر أمة ذات كتاب سماوي تسكن المدينة وما حولها، قد ظهر منها العداء للدعوة الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

وهذا النداء هو أول نداء قرآني موجه لبني إسرائيل، وهو نداء لجماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد "يعقوب" عليه السلام والمعاصرين للنبي ﷺ<sup>(٣)</sup>. وقد وقع هذا النداء القرآني في ستة مواضع من القرآن الكريم\*. بالأداة "يا" لتنبية المخاطبين وتهئية أسماعهم نفوسهم لنلقي الأمر الذي بعده، وأنه ذو مكانة عالية، استدعت النداء المباشر لهم من سبحانه، ((ففي هذا النداء خير داع لذوي الفطر السليمة منهم إلى الإقبال على مايرد بعده من التذكير بالنعمة))<sup>(٤)</sup>.

ولم يرد في القرآن الكريم نداء يناديهم بـ "يا أيها اليهود" مع أن الخطاب القرآني يخصصهم!!، وقد علل الشيخ الطاهر بن عاشور (ت ١٢٨٤هـ) ذلك بقوله: إن لفظة "إسرائيل" هي اسم القبيلة، أما لفظة "اليهود" فهي اسم النحلة أو الديانة؛ ولأن من كان

(١) ينظر: الحوار في القرآن "قواعده، وأساليبه، ومعانيه" محمد حسين فضل الله ١٤٤١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١/٤٤٧-٤٤٨.

(٣) التفسير الكبير، الرازي ٣/٢٨، والبحر المحيط ١/٢٨١، والنهر الماد من البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي ١/٦٦، وقطف الأزهار ١/٢٣٩.

\* ينظر: المعجم المفهرس ٤٢-٤٣.

(٤) بنو إسرائيل في القرآن والسنة ١/٤٣١، وينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبدالكريم محمد المدرس ١/١٧٠.

متبعاً دين اليهودية من غير بني إسرائيل كقبائل حمير وغيرهم لم يعتد بهم؛ لأنهم تبع لبني إسرائيل، فلو آمن بنو إسرائيل بالدعوة الإسلامية، لأمن أتباعهم، فالمقلد تبع لمقلده، وخطابهم بـ "بني إسرائيل" أكثر مناسبة للسياق وهو التذكير بنعم الله على أسلافهم التي بدورها نعم عليهم<sup>(١)</sup>.

ويلحظ الآن — كما سيلحظ في فصول الدراسة — أن القرآن الكريم قد أدلى عنايته الخاصة بالمخاطب وإيراز دوره في العملية الخطابية، لذا تنوعت وتباينت مراتب الخطاب فيه تبعاً لتنوع وتباين مقامات المخاطب وسياقات الكلام، يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في ذلك : ((ورأينا الله، تبارك وتعالى، إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم، جعله مبسوطاً، وزاد في الكلام))<sup>(٢)</sup>.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الخطاب القرآني فرق بين مفهومي "بني إسرائيل" و "اليهود" فاستعمل الأول في مواضع الرضا والتذكير، والثاني في مواضع السخط والازدراء والتفريع لأفعالهم الشريرة<sup>(٣)</sup>.

يقول الدكتور "حسن ظاظا" : والذي يبدو أن اسم "يهود" اتخذ معنىً بغضاً بين الأمم، فهم أبناء هذه الطائفة المتمردة، المنطوية على نفسها، الشديدة التعصب، المتهمّة بقتل الأنبياء، إلى جانب صفات سيئة أخرى اكتسبوها من الظروف الشاذة التي عاشوا فيها بين الأمم الأخرى على شكل أقلية من أبرزها : الجشع، وحب المال، والعدوان.. وغير ذلك<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أن لهذا اللفظ من النداء سرّاً بلاغياً، ((وسره أن القوم لما خوطبوا بعبارة الله، وذكروا بدين أسلافهم، موعظة لهم وتنبيهاً من غفلتهم، سمو بالاسم الذي فيه تذكرة بالله فإن "إسرائيل" اسم مضاف إلى الله سبحانه في التأويل))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٤٤٩/١.

(٢) الحيوان، الجاحظ ٩٤/١، وينظر : البرهان في وجوه البيان، ابن وهب ١٩٦.

(٣) ينظر : مفصل العرب واليهود في التاريخ ٩١، والرؤية العربية لليهودية ٦٣، وأديان مقارنة (مثل الذين حملوا النوراة ثم لم يحملوها) ٢١.

(٤) ينظر : الشخصية الإسرائيلية ، حسن ظاظا ١٨.

(٥) البرهان في علوم القرآن ٢٠٧/١، وينظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي ٣٢٣/١.

نقول : والمراد من هذا التخصيص تذكيرهم بأبيهم نبي الله "يعقوب" عليه السلام الذي ابتلاه الله كثيراً، فقد حاول أبناؤه قتل أخيه يوسف عليه السلام وكان أحبههم إلى قلب أبيه، فحزن عليه حزناً شديداً، صابراً على ابتلاءات الحق له؛ لأنه يعلم أن الصبر هو الطريق لاصطفاء الله له، فوجه سبحانه الخطاب لأبنائه ليذكروهم بما كان لأبيهم من منزلة رفيعة عنده عليه السلام وتقرباً لهم؛ لأن سلوكهم يختلف عن سلوك أبيهم العبد الصالح، تماماً كما يحاول أحدنا أن يذكر ابن رجل صالح بالآل يسرف على نفسه والآخر يفسد في الأرض فيقول له : استح إنك ابن رجل صالح فلا يصح منك هذا العمل. هكذا أراد الله لأبناء "إسرائيل" أن يستحووا من أنفسهم وأن يتذكروا أنهم أبناء نبي الله وصفوته، يقول أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) : ((وأضافهم إلى لفظ "إسرائيل" وهو "يعقوب" ولم يقل "يابني يعقوب" لما في لفظ "إسرائيل" من أن معناه "عبدالله" أو "صفوة الله"، وذلك على أحسن تفاسيره فهزمهم بالإضافة إليه فكانه قيل يابني عبدالله، أو يابني صفوة الله، فكان في ذلك تنبيه على أن يكونوا مثل أبيهم في الخير كما تقول : يا ابن الرجل الصالح أطع الله، فتضيفه إلى ما يحركه لطاعة الله، لأن الإنسان يحب أن يقتفي أثر آبائه وإن لم يكن بذلك محموداً فكيف إذا كان محموداً؟ ألا ترى ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾\*، وقوله : ﴿بَلْ نَتَّبِعْ مَا آفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾\*\*، وفي قوله : "يابني إسرائيل دليل على أن من انتمى إلى شخص ولو بوسائط كثيرة يطلق عليه أنه ابنه وعليه "يابني آدم" ويسمى ذلك أباً، قال تعالى ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾\*\*\*، وفي إضافتهم إلى "إسرائيل" تشريف لهم بذكر نسبتهم لهذا الأصل الطيب وهو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن))<sup>(١)</sup>.

وهكذا فالخطاب القرآني يستعمل مثل هذا التعبير في مقام الترغيب والترهيب، بناءً على أن الحسنة في نفسها حسنة وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوة أسوأ، فمن كرمه ربه وفضله بالحكم والنبوة لا يليق به أن يكون حظه من هداية الله الجود والإنكار<sup>(٢)</sup>.

\* الزخرف / ٢٣، ٢٢.

\*\* البقرة / ١٧٠.

\*\*\* الحج / ٧٨.

(١) البحر المحيط ٣٢٨/١، وينظر : تفسير القرآن العظيم ٧٧/١، والفتوحات الإلهية ٧٢/١.

(٢) ينظر : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ٤٣٠-٤٣١، وإلى القرآن الكريم ، محمود شلتوت ٢٧.

## قصة بني إسرائيل والعبر المستقاة منها

وحين ننعم النظر في آيات الكتاب العزيز نجد أن قصة بني إسرائيل هي أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم، إذ حظوا بتفصيل كبير ومساحة واسعة من السياق القرآني لم تحظ به أية فئة أو طائفة أخرى من الناس فقد جاء ذكرهم في أكثر سور القرآن بين مكية ومدنية\*.

إن القارئ المتتبع ليقف مشدوهاً أمام هذا السرد المتواصل لحياتهم وممارساتهم وسلوكهم.. فالقرآن يلقي الضوء على أغوار نفوسهم، ويقرأ أفكارهم كاشفاً بتشخيصه عما تحمله هذه النفوس من صفات أصيلة فيها وما يخطر في قلوبهم مما لم يصرحوا به وإنما ظهرت أفعالاً للآخرين وتجسدت سلوكاً عملياً ينم عن صاحبه<sup>(١)</sup>.

ترى ما السر وراء هذه المساحة التي احتلتها قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم؟، ولم هذا الاهتمام بتكرارها والعناية الظاهرة بعرض مواقفها؟ لا بد أن ذلك يوحى بحكمة أرادها الله، لذلك رأينا من الأهمية بمكان الوقوف على ذلك.

كان لليهود جالية كبيرة تعيش في "المدينة المنورة" جوار النبي ﷺ في مجتمع النبوة، يخالطهم المسلمون ويحتكون بهم، إلا أنهم أشد من وقف ضد الدعوة الإسلامية الجديدة بالدس والكيد سرّاً وعلانية، لمحاولة ضرب الإسلام من الداخل من جهة، والتشكيك فيه أو تشويه صورته من جهة أخرى.

فاستخدم القرآن في خطابهم أسلوب التعرية في كشف مخططاتهم وفضح مواقفهم وما تتطوي عليه نفوسهم ثم توجيه المسلمين إلى أساليبهم الملتوية في لباس الباطل ثوب الحق وتزييف الحقائق وكتمانها ومناقضة أفعالهم لأقوالهم، مما يجعلهم مركز الاتهام في كل زمان ومكان، محاولاً إبطال تأثيرهم السيء في الآخرين وما يثيرونه من مشاكل.

وإذ كان هؤلاء أهل الكتاب الأول، وللناس ثقة بعلمهم، فقد يكون موقفهم المتعنت المتكبر من الهدى الجديد سبباً في توقف بعض الناس عن الإيمان بالدعوة الجديدة؛ لذا اقتضى ذلك تفصيل الكلام عن صفاتهم ومواقفهم من رسلهم ومن الهدى الذي أنزل عليهم<sup>(٢)</sup>.

\* ينظر : ذلك في ملحق رقم (١) ، (٢) في الصفحة اللاحقة.

(١) ينظر : الخطاب اليهودي بين الماضي والحاضر، زياد حماد عليان الحسنات (ط/د) ١٢١-١٢٢.

(٢) ينظر : الأساس في التفسير، سعيد حوى ١٣٤/١-١٣٥، والحوار في القرآن ١٣٢، ١٤٥.

عَلِمَ — سبحانه — بعلمه الأزلي أن اليهود سيكونون أشد أعداء هذه الأمة في كل تاريخها، كما كانوا بالأمس البعيد ، وسيكون لها معهم معارك ومناقشات جدلية، فكان لابد أن تبصر الأمة المسلمة وأن تلم، وهي وارثة الرسالات السماوية كلها، بتاريخ القوم لتعرف من هم أعداؤها؟ وما تاريخهم؟ وما هي صفاتهم؟ فتضم هذه التجربة في حقل العقيدة والحياة إلى حصيلة تجاربها وتنتفع بها<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر : في ظلال القرآن، سيد قطب ١/٨٣، ٦٥، ٢٨، والتصوير الفني في القرآن، للمؤلف نفسه ١١١-١١٩، وسيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة ١٢٦.

## ملحق رقم (١)

جدول بأسماء السور المكية التي ورد فيها الخبر عن بني إسرائيل بحسب الترتيب  
النزولي\*

الآيات	ترتيب النزول	اسم السورة	التسلسل	الآيات	ترتيب النزول	اسم السورة	التسلسل
١٢٢-١١٤	٥٦	الصفافات	-٢٠	١٦-١٥	٣	المزمل	-١
١٤-١٠	٥٨	سبأ	-٢١	٣١	٤	المدثر	-٢
٥٤-٢٣	٦٠	غافر	-٢٢	٧	٥	الفاطحة	-٣
٤٥	٦١	فصلت	-٢٣	١٩	٨	الأعلى	-٤
١٤-١٣	٦٢	الشورى	-٢٤	١٤-١٠	١٠	الفجر	-٥
٦٧-٤٦	٦٣	الزخرف	-٢٥	١٩-١٨	٢٨	البروج	-٦
٣٧-١٧	٦٤	الدخان	-٢٦	٤٠-١٧	٣٨	ص	-٧
١٧-١٦	٦٥	الجاثية	-٢٧	١٠٧-١٠٣	٣٩	الأعراف	-٨
١٢-١٠	٦٦	الأحقاف	-٢٨	٣٦-٣٥	٤٢	الفرقان	-٩
٤٠-٣٨	٦٧	الذاريات	-٢٩	٥٣-٥٠/٣٨-٢ ٥٩-٥٨	٤٤	مريم	-١٠
٨٢-٦٠	٦٩	الكهف	-٣٠	٧٩-٩	٤٥	طه	-١١
١١٨	٧٠	النحل	-٣١	٦٨-١٠	٤٧	الشعراء	-١٢
١٤-٥	٧٢	إبراهيم	-٣٢	٤٤-٧	٤٨	النمل	-١٣
٨٢-٧٨/٤٨ ٩١-٨٩	٧٣	الأنبياء	-٣٣	٨٢-٧٦/١٥-٣	٤٩	القصص	-١٤
٥٠-٤٥	٧٤	المؤمنون	-٣٤	١٠٤-١٠١/٨-٢ ١٠٩-١٠٧	٥٠	الإسراء سورة "بني إسرائيل"	-١٥
٢٥-٢٣	٧٥	السجدة	-٣٥	٩٤-٧٥	٥١	يونس	-١٦
١٠-٩	٧٨	الحاقة	-٣٦	١١١-٩٦	٥٢	هود	-١٧
٢٦-١٥	٨١	القارعة	-٣٧	١١١-١	٥٣	يوسف	-١٨
٤٧-٤٦	٨٥	العنكبوت	-٣٨	١٤٧-١٤٦/٩١/٢١-٢٠	٥٥	الأنعام	-١٩

## ملحق رقم (٢)

جدول بأسماء السور المدنية التي ورد فيها الخبر عن بني إسرائيل بحسب الترتيب  
النزولي :

الآيات	ترتيب النزول	اسم السورة	التسلسل
١٥٩/١٤٦-١٣٢/١٢٣-٤٠ ٢١١/١٧٦-١٧٤/١٦٢ ٢٥١-٢٤٦/٢١٣	٨٧	البقرة	١-
٥٨-٥٥/٢٢-٢١	٨٨	الأنفال	٢-
٦٥/٥٤-٣٥/٢٥-١٩ ٩٨/٩٤-٩٣/٨٣-٨٢/٧٨ / ١٢٠ - ١١٠/١٠٥/١٠٠ ١٨٨-١٨٠	٨٩	آل عمران	٣-
٦١/٥٧-٥٦/٢٧-٢٦	٩٠	الأحزاب	٤-
١٦٢-١٥٠/٥٥-٤٤/٣٧	٩٢	النساء	٥-
٢٩/١٦	٩٤	الحديد	٦-
٦/١	١٠٠	البينة	٧-
١٥-١١/٥-٢	١٠١	الحشر	٨-
١٤/٩-٥	١٠٩	الصف	٩-
٨-٥	١١٠	الجمعة	١٠-
٨	١١١	المجادلة	١١-
٣٢/٢٦-١٨/١٥-١٠ ٧٧/٧١-٥٧/٥١-٤١/٣٣ ١١٠/٨٢	١١٢	المائدة	١٢-
٣٥-٢٩	١١٣	التوبة	١٣-

لقد تكفل "القرآن" بتهوين شأن هؤلاء في نفوس المسلمين ليحذروا منهم وتتفر قلبهم من الولاء لهم والتناصر معهم، فكان -بلاشك- أقوى سلاح معنوي اعتصم به المسلمون الأولون، فجعلهم يشعرون بأنهم كثرة دافقة وهم قلة قليلة، وجمعهم حول راية واحدة وحشد كل الأسلحة المعنوية ليقوي من عزمهم في صراعهم الرهيب مع الأعداء، وليحطم كل الأسلحة التي يصوبها أعداء الإسلام نحوهم<sup>(١)</sup>.

ونتفق مع الرأي القائل بأن القرآن الكريم لم يكرر من القصص أو من حلقاتها إلا ما كان أشدّ تجاوباً مع بيئة الدعوة، وأكثر استجابة لأهدافها، وخدمة لأغراضها<sup>(٢)</sup>. ((فالتكرار في الحقيقة عمل تدريبي للذاكرة))<sup>(٣)</sup>، يهدف إلى تدعيم المعاني وتأكيداها في النفوس، حتى تستوعب الأمة هذا الحكم أو هذه القصة، فتسير في تطبيق عملي، فالقصة - كما هو معلوم - أفضل وسيلة للتربية والتهديب.

يعدّ القرآن بهذا الأسلوب معلماً للمسلمين حتى تكون لهم الدرجة العليا فيضمون هذا العلم إلى ذكائهم ونباهتهم الفكرية فيصبح عامة المسلمين مساويين في العلم لخاصة بني إسرائيل<sup>(٤)</sup>.

والقرآن لم يكرر من قصص الأنبياء إلا ما يسلي الرسول ﷺ ويقوي عزيمته؛ لأن نفوس المفسدين في كل زمان متقاربة، ووسائلهم في محاربة الحق متشابهة وهذا ما يطمأن نفوس المسلمين أمام مؤامرات اليهود الخبيثة التي يدل على ضخامتها هذه الحملة القرآنية المنوعة الأساليب في ردها والقضاء عليها، فنجد القرآن يتفنن في مخاطبتهم فتارة دعاهم بالملاطفة واللين لاستمالة قلوبهم، وأخرى بالتخويف والشدة، وطوراً بالتنكير والتوبيخ وطوراً آخر بإقامة الحجة عليهم وتحذيرهم بنزول العذاب بهم كما نزل بأسلافهم من قبل إن ساروا على الطريق ذاته<sup>(٥)</sup>، فإذا كان كل الناس تكفيهم

(١) ينظر : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، محمد عزة دروزة ٤٩٢، وأسلوب السخرية في القرآن، عبد الحميد حفني ١٢.

(٢) ينظر : سيكولوجية القصة في القرآن ١١٨.

(٣) الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي ٣٣٤.

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٤٤٨/١.

(٥) ينظر : الإتيان في علوم القرآن ١٨٩/٢-١٩٠، صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ٥٢/١-٥٣، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ٤٦٤-٤٦٥، وسيكولوجية القصة في القرآن ١٣٠، ١١٨.

توجيهات سريعة للوصول إلى حقيقة التقوى، فإن أهل الكتاب الأول لا تفهم إلا مجموعة توجيهات ليستطيعوا الانسجام والتعامل والتسليم مع هذا الدين ولهذا الدين، هدف القرآن في ذلك تطويق كل حالة نفسية معقدة تقف حائلاً بين الإنسان والهدى، وحشد أكبر عدد ممكن من عناصر التشويق والإثارة العاطفية والعقلية<sup>(١)</sup>. ولا يخفى مال هذا الأسلوب من دلالة على صحة نبوة محمد ﷺ؛ لأنه أخبر عنها من غير تعلم أو نظر في الكتب فلا يكون ذلك إلا عن طريق الوحي<sup>(٢)</sup>. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف/١٠٢] وقوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران/٤٤].

يقول "ابن عاشور": ((فجاء القرآن على لسان أبعد الناس عنهم وعن علمهم صادعاً بما لا يعلمه غير خاصتهم فكانت هذه المعجزة للكتابيين قائمة مقام المعجزة البلاغية للأمينين))<sup>(٣)</sup>.

ونضيف إلى مقاصد إيراد قصصهم بهذه المساحة الواسعة بيان وحدة الأديان ووحدة الدعوة وتشابه المواقف للأقوام<sup>(٤)</sup>.

لقد نقل القرآن قصة بني إسرائيل بأسلوب رائع يمتزج فيه الأعجاز بالروعة والصدق، في نقل دخائل النفس البشرية فيظهرها كما هي في وقت النزول.

ومما يلفت الانتباه أن القرآن الكريم يأخذ في استعراض صفاتهم يندد بمواقفهم مع النبي "محمد" ﷺ ورسالته وتعنتهم في طلب الإمارات والآيات منه يقرن بين موقفهم هذا وما كان لهم من مواقف مع أنبيائهم، فإذا هم جبلة واحدة في أجيالهم المتتابعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ عَمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة/٩١].

(١) ينظر: الأساس في التفسير ١/١٣٥، والحوار في القرآن ١٣٧-١٤٩.

(٢) ينظر: روائع الأعجاز في القصص القرآني، محمود السيد ١٤٦-١٤٧، والقصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب ٦٥.

(٣) التحرير والتوير ١/٤٤٩.

(٤) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن ١٣٢.

فالقُرآن بذلك يوحد موقف اليهود في التاريخ، ويربط ربطاً وثيقاً محكماً بين الجيل الذي واجه محمداً ﷺ والجيل الذي واجه عيسى عليه السلام والجيل الذي واجه موسى عليه السلام كذلك من قبل، ليثبت وحدة الشخصية اليهودية عبر التاريخ، مبيناً أن ما عليه الأبناء من فسوق وعصيان، إنما هو ميراث من الخلق السيء يتوارثه الخلف عن السلف<sup>(١)</sup>. وهذا نابع من انطلاقهم من قاعدة واحدة، ولرضا الآخرين بما عمله الأولون مما يجعل المسؤولية الأدبية مشتركة على أساس أن الحاضر امتداد للماضي<sup>(٢)</sup>، بل ربما كان المتأخرون أضرب من المتقدمين لتمكن نوازع الشر فيهم بالوراثة والقذوة، والتربية بالقذوة — كما هو معروف أسرع في القبول وأثبت.

**نقول :** إن القرآن لم يخاطب الأخلاف من الأمم بما كان عليه أسلافهم إلا اليهود، فما خاطب المشركين بجرائم من سبقوهم ، فنجدته قد نسب عبادة العجل وقتل الأنبياء.. وغيرها إليهم جميعاً مع أن تلك الأعمال كانت من السابقين ولم تكن صادرة عن يهود المدينة. كقوله تعالى : **﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾** [البقرة/٥١]. فكان التعبير القرآني يحول السياق من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى الخطاب ومن الماضي إلى الحاضر وبالعكس ويعرف هذا بأسلوب "الالتفات"<sup>(٣)</sup>.

وفي ذلك يقول الدكتور " التهامي نقرة " : ((شخصية جنس وحدث بين طباعه وأخلاقه عوامل العرق والوراثة حتى صار الفرد مرآة للجنس كله، والجنس يتمثل في أي فرد من أفراد. ويكاد ينحصر ذلك في بني إسرائيل الذين لهم تاريخ طويل، ولكنهم جنس واحد في سجايا العرف متضامنو الأجيال، متحدوا الجبل في جميع العصور، لذلك نرى القرآن في عرضه لأخبار بني إسرائيل يحول السياف من الحكاية إلى الخطاب، ليذكرهم بما أنعم الله على آبائهم من نعم جلييلة قابلوها بالجحود والانحرافات كالعناد،

(١) ينظر : في ظلال القرآن ١/٣٣-٣٤، ٦٤، وبنو إسرائيل في القرآن الكريم والسنة، مقدمة الجزء الأول ، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ٤٠٦-٤٢٣، ٤٣٨-٤٤٣.

(٢) ينظر : الحوار في القرآن ١٤٥.

(٣) ينظر : الصناعتين : أبي هلال العسكري ٤٣٨-٤٣٩، والتبيان في علم البيان، ابن الزمكاني

١٧٤، والإتقان في علوم القرآن ٢/٢٣٥-٢٣٦، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،

مجدي وهبه وكامل المهندس ٥٨-٥٩.

والتمرّد، واختلاف المعاذير الواهية في التخلي عن الواجبات، والاستخفاف بأنبيائهم، والاعتداء على بعضهم بالقتل، ونكث العهود... والادعاءات العريضة الباطلة؛ وكأنّه بذلك يخاطب جيلاً واحداً، لا أجيالاً عديدةً فرقت بينها القرون؛ لأنّ مافي طبيعتهم من تعصّب شديد، جعل تصرفات الأحفاد، متساوقة مع تصرفات الأجداد<sup>(١)</sup>.

من العجيب أنّ المرء ليراهم في أخلاقهم اليوم على اختلاف منازلهم وبيئاتهم صورةً طبق الأصل لما وصفهم بها القرآن من صفات، فلم تزداهم الأيام إلا رسوخاً مما هو مصداق لما قرره القرآن من الجبلّة الراسخة المتوارثة، ومما لمسّه منهم البشر جميعاً في كل زمان ومكان حتى صاروا في ذلك كله العلم المفرد بين البشر<sup>(٢)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أنّ المسألة ليست حوادث تروى فحسب أو تأريخاً يعرض أو قصة تسرد لأمة كبيرة جحدت يد المنعم وأعرضت عنه، المقصود منها هجاؤها، إنما هي غطة وعبرة للمتلقّي المسلم؛ لتكون دروساً عظيمة تتلقاها الأمة لكيلا تقع فيما وقع فيه غيرها، والا ينتهي بها المطاف إلى ما انتهى إليه بنو إسرائيل وظنّوا أنهم يحسنون صنعا، وغرّتهم الأمانى، وحسبوا ألا يفتنهم الله بالبلاء وألا يأخذهم بالعقاب قال تعالى : **﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُنْزُورُهَا﴾** [الحاقة/١٢].

لقد قصّ سبحانه — على الأمة المسلمة تاريخ أكبر الأمم التي تحمل ديناً سماوياً لعلها تحذر مزالق الطريق الذي عثرت به "بنو إسرائيل" من قبل حتى لا تسلب منها الخلافة في الأرض والإمامة التي أناطها الله، وليتأسوا بأنبيائهم حين يصادفون من الصعاب ما صادفهم في تبليغ الرسالة. قال تعالى : **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [يوسف/١١١].

يذهب أكثر المفسرين إلى أنّ جميع ما خوطب به بنو إسرائيل هو تنبيه للعرب وخطاب لهم، ومن خلالهم يوجه الناس كلهم ضمناً<sup>(٣)</sup>، بل ان بعضهم يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول : **﴿إنّه مامن آية في القرآن إلا وهي موجهة للمؤمنين بشكل من الأشكال؛ لأنهم هم المستفيدون وحدهم من كتاب الله.. فإذا يقص الله علينا شيئاً حدث لبني**

(١) سيكولوجية القصة في القرآن ٣٧٢-٣٧٣، وينظر ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) ينظر : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ٤٣٩.

(٣) ينظر : اللباب في علوم الكتاب ٤٧/٢، فتح القدير ٩٣/١، وفي ظلال القرآن ٨٩/١.

إسرائيل فلكي نأخذ منه العبرة فنتجنب أو نستبشر أو نتعظ أو نعمل أو نتوقع أو نتعلم، وهكذا الشأن في كل آية<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا يمكن القول أن الأمر لا يقف عندهم ليختص بهم، بل يمتد في معانيه الواسعة إلى كل النماذج البشرية من الناس الذين تتجسد فيهم هذه الصفات؛ لأن القرآن الكريم لا يتعامل مع الأشخاص في إطارهم الذاتي، بل يرفضهم في إطارهم الفكري والعمل<sup>(٢)</sup>.

### الموقف الرباني من بني إسرائيل

زعم بنو إسرائيل أنهم "شعب الله المختار"، وإن الله تعالى فضلهم على العالمين، وراحوا يتفاخرون بذلك الزعم ويقولون للمسلمين، نحن بنص الكتاب الذي تؤمنون به "القرآن الكريم" أفضل العالمين بتفضيل الله، وقد أوتينا من فضل الله ما لم يؤت أحد من العالمين، قاصدين بذلك أفضليتهم على أمة الحبيب المصطفى ﷺ<sup>(٣)</sup>.

والمتدبر للقرآن الكريم يرى أن هناك إشارة إلى هذا التفضيل في عدد من آياته\* كقوله تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة/٤٧].

وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة/٢٠].

وهذه الآيات وغيرها تبين أفضلية هؤلاء على العالمين، وهذا يدعو للسؤال عن مدى هذه الأفضلية؟ هل هي مطلقة في كل زمان ومكان؟ كيف يفضل القرآن قوماً في آيات منه، ثم يذمهم في مساحات واسعة؟ قد يبدو ذلك لبعض المتوهمين تناقضاً في الموقف الرباني تجاه بني إسرائيل!! وإزالة هذا التوهم نقف وقفة لبيان المراد من هذا التفضيل في كتاب الله.

أجمع المفسرون على أن تفضيل بني إسرائيل على العالمين يراد به تفضيلهم على عالمي زمانهم، وأهل كل زمان عالم<sup>(١)</sup>.

(١) الأساس في التفسير ١/١٣٩.

(٢) ينظر : الحوار في القرآن ١٢٩.

(٣) ينظر : المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء، محمد محمد المدني ١٠١.

\* ينظر : المعجم المفهرس ٥٢١-٥٢٢.

لقد أصاب بنو إسرائيل فضلاً\* من الله عظيم بإرسال موسى إليهم لينقذهم من اضطهاد شر طاغية في عصرهم ويهديهم إلى التوحيد فيمتازوا من الأمم الوثنية، وقد حدثنا القرآن عن قصة بني إسرائيل وفرعون، كقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص/٥].

يقول المفسرون في بيان معنى العالمين: وهم من كان قد برز إلى الوجود في ذلك الزمان، بالتخصيص بذلك دونهم، ولا يدخل في هذا من لم يكن برز إلى الوجود في ذلك الزمان، فالشخص الذي لم يوجد بعد ليس من جملة العالمين، فـ "محمد" ﷺ وأمه لم يكونوا من الموجودين في ذلك الزمان<sup>(١)</sup>.

يقول الإمام "محمد عبده" فيما ينقله عنه "محمد رشيد رضا" (ت ١٩٣٥م) ((والتفضيل هو مناط الأخذ بالفضائل وترك الرذائل؛ لأن الذي يرى نفسه رذلاً خبيثاً لا يبالي بما يفعل، ومن يرى نفسه مفضلاً مكرماً، فإنه يترفع عن الدنيا والخسائس .. والحكمة في التذكير بالتفضيل: أن يتذكروا أن الذي فضلهم له أن يفضل غيرهم "محمد" ﷺ وأمه، وتنبيههم إلى عدم الذهول عن أنفسهم ليذكروها عند أمر الناس بالبر ويعلموا أنهم أولى بأن يبروا ممن يأمرونهم بالبر؛ لأنهم يتلون الكتاب الداعي إليه وهو آية تفضيلهم، وإلى أنهم أحق باستعمال الفكر في الآيات التي أوتيتها النبي ﷺ وأجدر من جميع الشعوب بالإيمان به، فإن المفضل أولى بالسبق إلى الفضائل ممن فضل هو عليه...))<sup>(٢)</sup>.

وهذا التفضيل قائم ما التزم القوم بشروط العهد مع الله، يقول "سيد قطب" (ت ) ((وتفضيل بني إسرائيل على العالمين موقوف بزمان استخلافهم واختارهم، فأما بعدما عتوا عن أمر ربهم، وعصوا أنبياءهم، وجحدوا نعمة الله عليهم، وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم، فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب، والذلة والمسكنة، وقضى عليهم

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٥٦/١، والبحر المحيط ٣٠٦/١، وأنوار التنزيل ٦٥/١، وإرشاد العقل السليم ١٣١/١، وفتح القدير ١٠٢/١-١٠٥، والفتوحات الإلهية ٧٩/١، ومواهب الرحمن ١٧٠/١.

\*\* الفضل: ضد النقص والنقيصة، وهو الزيادة في الخير ينظر: مقاييس اللغة ٥٠٨/٤، ومختار الصحاح ٥٠٦، ولسان العرب ١٩٣/١١.

(٢) ينظر: الباب في علوم الكتاب ٤٦/٢، ونظم الدرر ٣٤٥-٣٤٦.

(٣) المنار ٢٥١/١.

بالتشديد وحق عليهم الوعيد))<sup>(١)</sup>، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ\*فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ...﴾ [المائدة/١٢-١٣].

وبهذا بين سبحانه أنهم لم يلتزموا بالعهود التي أخذت عليهم فكان من الطبيعي أن يتغير الحال وتزول الأفضلية ويحل بدلاً منها اللعن والذل.. ماداموا على الطريق ذاته سائرين، فالشعوب في مقياس العدل الإلهي متساوية وكلماته سبحانه الخالدة توضح قاعدة الإسلام الكبرى في العمل والجزاء، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات/١٣٠].

فالأفضلية المذكورة كانت لطائفة معينة من بني إسرائيل في زمن معين، وكانوا يومئذٍ أفضل الأقوام الوثنية المجاورة لهم، أما التفضيل المطلق الأبدي فإنه غير ممكن ، إذ لا ينسجم مع ما وصفهم به من طبائع سيئة ولا يستقيم وقاعدة العمل والجزاء، ولكنهم فهموا التفضيل خلاف حقيقته زاعمين أنه اختيار عرقي عنصري<sup>(٢)</sup>.

علم — سبحانه — ما سيقوله هؤلاء، فقال لهم بعد التفضيل : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة/٤٨].

يقول الشيخ "محمد المدني" : فتفضيل الله لهم هو إثارة لهم بدعوة موسى وغيره من الدعوات التي ترادفت عليهم، وليس معناه تفضيلهم التكويني في خلق أو خلق أو علم أو فراهة أجسام، أو نحو ذلك مما يزعمون به، ولا يكاد يعرف شعب من الشعوب التي أرسل الله إليها أنبياءه قبل بني إسرائيل، صابرتهم السماء على تكذيبهم والتوائهم ، كشعب إسرائيل، فقد كان الذين يكذبون يستأصلون بقارعة سماوية كقارعة عاد وثمود وأصحاب مدين وغيرهم، ولكن دعوة الرسل دخلت بعد ذلك في طور جديد غير طور الاستئصال والإبادة، والله في ذلك الحكمة البالغة، فهو تمهيد لعهد جديد يترك فيه الناس وما يختارون بعد أن وضحت الرسالات وتعددت الآيات. فهذا هو ما يمتن الله به على

(١) في ظلال القرآن ٦٩/١، وينظر : فائز النفسية الإسرائيلية، محمد الزعبي ٥٧.

(٢) ينظر : الخطاب اليهودي بين الماضي والحاضر ١٢٤-١٢٦.

بني إسرائيل من التفضيل والإيثار، ولو كان الأمر كما يزعمون لما كان القرآن إلا متعارضاً بعضه مع بعض حيث يصفهم في كثير من المواضع باللؤم ونقض العهد واللعنة، بل إن الله قد أخرج بعضهم من عالم الإنسانية إلى عالم القردة والخنازير\* في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾\*\*، بل بين أن الجماد أفضل منهم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾\*\*\*، فالقرآن حين قرر أنهم فضلوا على العالمين، إنما ساق ذلك في معرض الإمتتان عليهم بالنعمة، وإثبات جحودهم لها<sup>(١)</sup>.

يتضح لنا أن الموقف الرباني من بني إسرائيل لم يتغير، فسبحانه لم يفضلهم ثم قطع هذا التفضيل وإزاله عنهم واستبدل به العذاب من دون أسباب. فقد علم سبحانه بأنهم لم يعودوا قادرين على حمل مؤهلات القيادة الجديدة لأنهم ضلوا وأضلوا، فكان على وفق العدل الإلهي أن ينتقل هذا التفضيل لأمة أخرى هي أمة "الحبيب المصطفى" ﷺ مادامت تسير على منهج الحق وتستضيء بهديه، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران/١١٠].

وسنبداً بالبحث عن صفاتهم المستخلصة من الآيات البيّنات ودلالاتها التي وردت فيها آخذين بالحسبان تقديم صورة شاملة عن بني إسرائيل من دون مراعاة ترتيب للآيات الكريمة بحسب ورودها في الذكر الحكيم.

### صفات بني إسرائيل في القرآن الكريم

في هذا المقام نقف مع النص القرآني لنستعرض من خلال آياته بعضاً من صفات القوم كما نقلها لنا سبحانه في كتابه العزيز: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية/٢٩]. ونسلط الأضواء الكاشفة على ما قيل

\* فأما الخنازير فيكفي في وصفها نبأ تحريمها في القرآن، وأما القردة فدونك المثل العربي المعروف أزنى من قرد، وما كان ذلك إلا للاستخفاف والإهانة، ينظر: مجمع الأمثال، الميداني ٣٢٦/١، رقم المثل ١٧٥٦.

\*\* المائدة/٦٠.

\*\*\* البقرة/٧٤.

(١) ينظر: المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء ١٠١-١٠٢، واليهود في القرآن، طيارة ٤٣.

فيهم من أقوال أبانت صفاتهم، وأفصحت عن سجاياهم، فنتناولها بروح علمية نزيهة هدفها وجه الحق ودحض الباطل بعيداً عن الشطط والتحيز والهوى، والمسألة تلح على الانصراف عن التعامل مع النص الكريم بطرائق عابرة وسريعة، علماً أن التحليل اللغوي لآيات الصفات أرجى لفصول الدراسة الأربعة من خلال مستوياتها اللغوية الأربعة "الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي" إلا فيما ندر.

لقد صح العزم — بعد الاتكال على الله — في بدء الحديث عن أبرز صفاتهم التي تولى "القرآن الكريم" كشف القناع وإمطة اللثام عنها، فنجد يصفهم بأنهم عبيد أذلاء مستضعفون يسومهم فرعون وجنده سوء العذاب دهرًا. وأن العطف الإلهي أرسل إليهم نبياً منهم يرشدهم ويخلصهم من هول ما يعانون، ولا نبالغ إذا قلنا: إن مرحلة الخلاص\* تعد نقطة تحول في منعطف تاريخي جديد في حياة بني إسرائيل<sup>(١)</sup>.

لقد سجل القرآن تلك المحنة التي عاشها القوم، فنجد يوجه الخطاب لأبناء الناجين وذريتهم للتذكير والتحذير بالا يتجردوا من سلاح الإيمان الذي ضمن لهم النجاة دون عناء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ\* وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة/٤٩-٥٠].

ولكن كيف تلقى القوم رعاية الله وعنايته لهم؟ لنستمع إلى القرآن وهو يخبرنا عن أبرز صفاتهم: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف/١٣٨]، ((فأي جهل فوق هذا؟ والعهد قريب، وإهلاك المشركين أمامهم بمرأى من عيونهم))<sup>(٢)</sup>، إنه التقليد الأعمى والعدوى التي تصيب الأرواح، ولكنها لا تصيبها حتى يكون لديها الاستعداد والتهيؤ، فحب العودة إلى الوثنية قد أفسدت عقولهم وأضعفت استعدادهم لتحمل التكاليف، فأنحرفت تصوراتهم. وقد لا نسميه تقليداً أعمى،

\* يقسم "القرآن الكريم" تاريخ بني إسرائيل إلى ثلاث مراحل: مرحلة الاضطهاد على يد فرعون، ومرحلة الخلاص منه على يد موسى عليه السلام، ومرحلة الأعراس عن منهج الله الذي جاء به الرسل والأنبياء. ينظر: اليهود في القرآن، صلاح أبو إسماعيل ١١-١٣.

(١) ينظر: النهر الماد ٧٣/١، ومواهب الرحمن ١٧٢/١.

(٢) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية ٤-٥.

بل نسميه تقليداً مبصراً في اتباع سبل الشر، وهذا أخبت من التقليد الأعمى؛ لأنه تلاعب شيطاني بقضايا الحق تحت ستار التقليد، لتحقيق شهوات وغايات دنيئة<sup>(١)</sup>.

ورواسب الوثنية التي رسخها فرعون عبر السنين لا تزال باقية في نفوسهم بحيث أصبحوا معها لا يستطيعون تصور "الإله" تصوراً ذهنياً من غير تجسيم ولا تشبيه فغداً من الصعب عليهم أن يعتقدوا بإله غير منظور وفي هذا المعنى يقول الأستاذ "أحمد شلبي" : ((لم يستطع بنو إسرائيل في أي فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا له أنبياءهم، دليلاً على تجديد الشرك فيهم))<sup>(٢)</sup>. فمنذ أول احتكاك لهم بالمجتمعات الوثنية يتزعزع الإيمان.

يبدو أن عزيمتهم المخلخة وتناقض تفكيرهم وسلوكهم قد حدا بهم إلى أن يتخذوا عجلاً ذهبياً للعبادة صاغوه بأيديهم، فأشركوا بالله وعبدوا غيره، بل عبادة أبلد الحيوانات، وأقلها دفعا عن نفسه، بحيث يضرب به المثل في البلادة والذل<sup>(٣)</sup>. لنستمع إلى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة/٥١]، و ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف/١٤٨/].

وهذا يدل على شدة حبهم لبريق الذهب، وهو ما عُرف عن بني إسرائيل حتى اليوم<sup>(٤)</sup>.

يرى الأستاذ "ول ديورانت" أن اليهود لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل<sup>(٥)</sup>، وكتابهم "العهد القديم" خبر شاهد على ذلك<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/١٦١، وفي ظلال القرآن ٣/١٣٦٦، ومكائد يهودية عبر التاريخ، عبدالرحمن الميداني ١٨.

(٢) مقارنة الأديان "اليهودية" ١٧٣.

(٣) ينظر : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٥٠٥، ومجمع الأمثال "أبلد من ثور" ١/١١٩ رقم المثل ٦٠٠، وقد اختلف أهل العلم في عبادة العجل وكيفية صياغته ينظر في ذلك : جامع البيان ٩/٧٦-٨٥، والكشاف ١/٢٨١، والتفسير الكبير ٣/٧٠-٧١، ٤/١٧٠ والبحر المحيط ٤/٣٩٠-٣٩١.

(٤) ينظر : أديان مقارنة ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ ٢٨٨.

(٥) ينظر : قصة الحضارة، ول ديورانت ٢/٣٣٨.

ويذكر بعض الباحثين أنه كان يفترض بهم أن يكونوا دعاة توحيد، ولكن لم يعرف عنهم في أي عصرٍ أنهم حملوا مشعل هداية للأمم الأخرى، فما عرفناهم أهل علمٍ ولا أصحاب أدبٍ أو حضارة راقية، كما أن أسس عملهم الفكري أخذوها من الذين أوجدوا الحضارات، أما ذكاؤهم فإنه ينزغ دائماً إلى الهدم والتخريب والحيل، ولا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا : إن الذي عرفوا به منذ تاريخهم الأول إلى اليوم هو أنهم يعدون في طليعة دهاقنة الدهاء ومبتكري وسائل الفساد، فقد حاولوا تدمير كل ماهو قائم من مبادئ وعلوم ومثل عليا واحتقار كل ماهو محترم<sup>(١)</sup>.

والفساد والإفساد صفتان عرفوا بهما على مدار التاريخ، ولسنا نبالغ إذا قلنا : إنه ما سعى قوم لإفساد الأمم الأخرى كما سعى اليهود، وأسفار "العهد القديم" بين أيديهم تشرع لهم بذلك وترسخه في شخصيتهم، فتمكنوا عبر تاريخهم الطويل من السيطرة على المجتمعات البشرية من خلال استخدام المال والجنس لينشروا من خلالهما الفساد أينما حلوا هدفهم تحطيم القيم والمثل السامية التي يتمتع بها كل مجتمع ليسهل لهم القضاء عليه وجعله مطية لأهوائهم؛ \* لإدراكهم أن الاخلاق جدار واق يمنع الأمة من السقوط، فإذا ما تدهورت أخلاقها بدأ خطر الانحلال يسري إلى كيانها تمهيداً لإسقاطها<sup>(٢)</sup>. ومادة "فسد" ومشتقاتها تكررت كثيراً في القرآن الكريم، ظفر منها "الشيطان" و "اليهود" بالنصيب الأكبر<sup>\*\*</sup>.

قال تعالى : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء/٤].

(١) ينظر مثلاً : خر ١/٣٢-٢٨.

(٢) ينظر : الموسوعة الفلسطينية عبدالرزاق محمد أسود ٨٢-٨٣، والشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا ٣٨-٣٩، ودفائن النفسية الإسرائيلية ٨٨، ومكائد يهودية عبر التاريخ ٣١٨-٣٢١.

\* الأهواء جمع الهوى وهو ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع. ينظر التعريفات ١٤٠، فالهوى يتضمن بدليل الكتاب المعجز المبين "القرآن الكريم" مالا يحمد من الرغبات ولا يحسن فعله من ذوي المكرمات.

(٣) ينظر : الخطاب اليهودي بين الماضي والحاضر ٢٢٥-٢٢٨.

\*\* ينظر المعجم المفهرس ٦٥٨-٦٥٩.

لقد أوضح القرآن الكريم أن كثيراً من رجال الدين اليهود "الأخبار"\*\*\* قد زينوا لعامتهم الفساد، فكانوا لقومهم أساطين للكذب، ودهاقته للضلال قال تعالى : **﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** لَوْلَا يُنَهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ **﴿﴾** [المائدة/٦٢-٦٣].

ويلاحظ الفرق بين الفاصلتين القرآنيتين **﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**، و **﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** في الثانية تخصيص لعلمائهم عن النهي عن ذلك، "فيصنعون" أبلغ من قوله "يعملون"، من حيث أن الصنع عمل الإنسان بعد تدريب فيه وترو وتحمري الإجابة، ولذلك ذم به خواصهم وعلماؤهم؛ ولأن ترك الحسنة أقبح من مواقعة المعصية ، لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها فكان جديراً بأبلغ الذم وفيه أيضاً ذم لعلماء المسلمين توانيهم في النهي عن المنكرات<sup>(١)</sup>.

وقارئ "العهد القديم" يهوله وصفهم الأنبياء الكرام بصفات لا تليق بمقام النبوة<sup>(٢)</sup>، وكأنهم دعاة فساد لا أنبياء مصلحون ليسوغوا ارتكاب الفساد ويزينوا الجريمة للناس وعمل الموبقات بإثبات ارتكاب الأنبياء لها فيتجروا عليها، حينها تصل الإنسانية إلى نهاية مروعة ومخيفة<sup>(٣)</sup>.

ونعود مع القرآن لنجد كثيراً منهم يرفض الإيمان لنبيهم حتى يروا الله جهرةً، فالقرآن يواجه بهذا الفكر المادي والتعنت وسوء الأدب يهود المدينة لنستمع إلى قوله تعالى : **﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾** [البقرة/٥٥]، وهذه الطبيعة الصلدة لا تؤمن إلا بالمحسوس وتظل مع ذلك

\*\*\* الأخبار : الحبر : هو الأثر المستحسن ، والحبر والحبر — بالكسر والفتح والكسر أفصح — هو العالم وجمعه أخبار، وسمى بذلك؛ لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس وأثار أفعالهم الحسنة المقتدى بها. ينظر : المفردات ١٠٤-١٠٦ وبصائر ذوي التمييز ٤٢٣/٢، وإصلاح الوجوه والنظائر، الدامغاني ١١٥، وقال أهل المعاني : الحبر العالم الذي صنعتته تحبير المعاني بحسن البيان، والأخبار مختص بعلماء اليهود. ينظر الكليات ٤٧٨.

(١) ينظر : أنوار التنزيل ٢٧٧/١، والفتوحات الإلهية ٢٦٣/٢.

(٢) ينظر مثلاً : قصة نوح تك ٢١/٩-٢٦، وقصة لوط تك ١٩/٣٠-٣٨، وقصة داود ٢ مل ١١/٣-٢٧.

(٣) ينظر : اليهود والأنبياء، توفيق علي وهبة ٥-٨.

تجادل ولا تستجيب إلا تحت وقع العذاب<sup>(١)</sup> يتضح لنا مما تقدم ضعف الاعتقاد الديني بمعناه الحقيقي بصفة عامة إلى درجة عدم الثبات والاستقرار وبعبارة أدق فقدان الاستعداد للإيمان مهما كانت الآيات والبراهين، يؤكد ذلك كثرة من أرسل إليهم من الأنبياء، كما أن تكرار إرسال رسل في شعب واحد معناه أن أحداً منهم لم ينجح في أن يغرس فيه الإيمان والاعتقاد، فإنه لو نجح لما كان هناك داع لرسول آخر؛ لأن الرسل كلهم من مصدر واحد هو الله سبحانه؛ لذلك كان تعدد الرسل وكثرتهم فيهم؛ ولذلك أيضاً كان موقفهم من الرسل هذا الموقف الذي لم يعرف في التاريخ عند عنصر غير بني إسرائيل وهو عمدتهم المباشر إلى قتل الأنبياء والرسل، فلم يعرف عن مجتمع آخر غيرهم أنه جعل وسيلته للرد على الأنبياء أن يقتلهم، وهذا يؤكد أنهم لم يؤمنوا بل لم يظنوا حتى مجرد ظن في صدق الأنبياء، فكان من الطبيعي ألا يكتفوا بمجرد رفض رسالتهم وإنما يلجؤون إلى قتلهم<sup>(٢)</sup>.

كانت عادة قتل الأنبياء منتشرة في بني إسرائيل، وهذا ديدنهم فقد حاول أخلافهم قتل الرسول ﷺ لنستمع إلى قوله تعالى وهو يُدين جرائمهم النكراء في كثير من آياته : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [آل عمران/٢١]. وقوله : **﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ..﴾** [النساء/١٥٥].

والقرآن إذ يواجه المعاصرين جرائم أسلافهم يثبت أنهم جيلة واحدة لا تتغير مهما تغير الزمان وتبدل المكان؛ لأنه يعد تاريخهم كله وحدة قديمة كحديثه، تمرّد وعصيان وظلم ورغبة في إخضاع الدعاة لنزواتهم المتقلبة وأهوائهم الجامحة.

(١) ينظر : في ظلال القرآن ٧٢/١، والشخصية الإسرائيلية عبده الراجحي ٥٧ وما بعدها.

(٢) ينظر : أسلوب السخرية في القرآن (٢٤٦-٢٤٨)، وبعد البحث في فقرات "العهد القديم" لم أعثر على نص صريح يؤكد صفة قتل الأنبياء، رغم أنهم ذكروا محاربتهم لهم وجحودهم، ولعل ذلك — والله أعلم — مما أخفته أو محته أيدي الكتبة من الأحبار، ولكن تكرار هذه الصفة في الآيات القرآنية يؤكد أنها كانت صفة متأصلة فيهم كما تعطي شاهداً على كثرة الأنبياء الذين قتلوا، وفي مقدمتهم سيدنا زكريا ويحيى — عليهما السلام وعيسى عليه السلام الذي سقوا إلى قتله وتسليمه للرومان بعد أن كفروا به وأثاروا حوله إشباع الاتهامات والإشاعات وحاكوا حوله المؤامرات، ولكن سبحانه خيب مساعهم هذا ورفعهم إليه.

إنَّ انعدام الاستعداد للإيمان لهو أوضح تعليل لصفة "النفاق"، الذي تنشأ على أساس فقدان الاعتقاد في أي شيء خارج ذات صاحبه ومصحتها، وهذا يوضح السرّ في أنَّ النفاق الجماعي أو حتى الفردي لم يعرفه الإسلام في الجزيرة العربية، إلا في المدينة وما حولها، وبعد أن قويت شوكة المسلمين، فلم يظهر قط في مكة؛ لأنه لا يتفق وطبيعة العربي الصريحة المهيأة للإيمان. ويمكن القول إنَّ "اليهود" أول من سنَّ هذا الخلق البغيض في الدين وأشاعوه<sup>(١)</sup>.

ولفظه "النفاق" مشتقة من النَفَق وهو السرب في الأرض مُشتق إلى موضع آخر، وفي تهذيب اللغة ((له مخلص إلى مكان آخر))<sup>(٢)</sup>، وفيما نرى أنَّ النَفَق مشتق من الصرف، أي : لما يصرف فيه من الجهد في شقه كما يصرف المال ومنه نفاقاء اليربوع؛ وهو الحجر الذي ينفق فيخرج منه يقال نفق ينفق نفقا<sup>(٣)</sup>.

والفتحتان أفادتتا ما يقتضي الدخول فيه والخروج دون المكوث فحققت السرعة خفة الحركة وافقت خفة السرعة في الانتقال. والكافر يبتغيه ليدس نفسه فيه.

وسمى المنافق منافقا للنفاق وهو السرب في الأرض، وقيل : إنما سمي منافقا لأنه نافق كاليربوع، وهو دخوله نفاقاء، وهكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه.

فالنفاق هو الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر<sup>(٤)</sup>. وعن "ابن منظور" ((النفاق اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستركفره ويظهر إيمانه وإن كان أصله في اللغة معروفا))<sup>(٥)</sup>.

وهذا يدل على أنَّ اليهود هم الذين أغروا المنافقين من العرب بالنفاق أو شجعوهم في مواقف الخداع، وعلى أن النبي ﷺ والمسلمين لم يرغب عنهم ذلك.

(١) ينظر : أسلوب السخرية في القرآن ٣٢٩-٢٤٠، ٢٤٩، ولغة المنافقين في القرآن عبد الفتاح لاشين ١٠/١-١١.

(٢) تهذيب اللغة (نفق) ١٩٢/٩، وينظر : تفسير غريب القرآن ٢٩، والصاحح الجوهري ٥٩٧/٢، والمصباح المنير ٦١٨/٢.

(٣) ينظر : المفردات ٥٠٢، والكليات ٤٣٤.

(٤) ينظر : مجاز القرآن ١٩٠/١، والجامع لأحكام القرآن ٤١٦/٦، والتطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، عودة خليل أبو عودة ٢٦٦.

(٥) لسان العرب ٢٣٥/١٢، وينظر منه ٢٣٧.

لقد وجد اليهود في "النفاق" مرتعاً خصباً لمحاربة الإسلام وستاراً يكمنون خلفه، لفتن المسلمين في دينهم، فكانوا عيوناً وجواسيس لنقل أخبار المسلمين للأعداء<sup>(١)</sup>، ويصف القرآن ذلك بقوله : ﴿.. سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [المائدة/٤١].

وتكمنُ خطورة هؤلاء في أنهم من أبحار اليهود وعلمائهم وعندهم علمٌ بالكتاب، ويمتلكون أفانين النفاق ما لا طاقة لكثير من عامة المسلمين على كشف أساليبه<sup>(٢)</sup>.

ويمكن القول أنه قد انعقد خلف طبعي بين اليهود والمنافقين، بل أن المنافقين اتخذوهم مرجعاً لهم كما يخبرنا سبحانه بذلك : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة/١٤]. حيث يرى المفسرون أن "شياطينهم" تعني اليهود<sup>(٣)</sup>.

وقد تتبّع القرآن حركاتهم وسكناتهم فكان لهم بالمرصاد فلا تخفى عليه خفاياهم، قال تعالى : ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران/٧٢].

وهذه الخدعة وأمثالها تمارس إلى اليوم بطرق خبيثة..، وهذا النوع الذي تحكيه الآية من صدّ المسلمين عند الإسلام مبني على قاعدة طبيعية من سلوك البشر وهي أن علامة الحق ألا يرجع عنه من عرفه واقتنع به<sup>(٤)</sup>.

وقد ظلت يد اليهود تمارس طبعها التخريبي عبر إثارة الفتن وإطلاق الإشاعات الكاذبة وإشعال الحروب لتقويض صرح الإسلام، وهذه العداوة صفة متأصلة فيهم ؛ إذ يمثلون أشدّ عقبة حاولت الوقوف في طريق انتشار الإسلام وفاعليته باتباع كل الوسائل

(١) ينظر : سيرة الرسول ﷺ صور مقتبسة من القرآن الكريم ، محمد عزة دروزة ١٠٤/٢.

(٢) ينظر : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ٢/٢٩٧، وللاستزادة في نفاق اليهود ينظر : السيرة النبوية ٣٠٦/١، ٣١٣-٣١٤، ٥١٣-٥٢٩، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ٤٩٥-٥٠٠، الرؤية العربية لليهودية ٦٢.

(٣) ينظر : جامع البيان ١/١٤٩، وتفسير القرآن العظيم ١/٤٩، وفي ظلال القرآن ١/٣١-٣٣.

(٤) ينظر : اليهود في القرآن ، طبارة ٣١. وتراجع في ذلك السيرة النبوية ١/٣٢٨-٣٢٩.

التي تتجرد من كل قيم المروءة وشهامة الطبع<sup>(١)</sup>. قال تعالى : ﴿كَلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا  
لِلْحَرْبِ أَطْفَاَهَا اللَّهُ ..﴾ [المائدة/٦٤] وقوله : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا  
الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ..﴾ [المائدة/٨٢].

وكثيراً ما حاولوا تأليب قوى الكفر من الوثنيين ضد المسلمين ومساندتهم مع  
أنهم أهل كتاب يدعو للتوحيد وقد نقل القرآن الكريم لنا ذلك بقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ  
أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ  
أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء/٥٠].

وكانت رغبتهم في إضلال المسلمين عميقة : ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ  
يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران/٦٩]، وقوله تعالى : ﴿يَا  
أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ  
كَافِرِينَ﴾ [آل عمران/١٠٠].

يبدو أن سبب تلك العداوة الشديدة للمسلمين هو إدراكهم أن الإسلام سيساهم في  
تكوين هوية حضارية جديدة للمسلمين تطمس شخصيتهم وتفقدهم مركزهم وتزعزع  
مكانتهم، لذا حسدوا الرسول ﷺ خاصة والعرب عامة في أن يكونوا حملة خاتمة  
الرسالات السماوية، و ((شأن الحاسد يتمنى أن يسلب محسودة النعمة إذا تمت وثبتت  
يكون من أثرها سيادة المحسود عليه وإدخاله تحت سلطانه كما كان يتوقع علماء "يهود"  
في عصر التنزيل))<sup>(٢)</sup>.

أوضح سبحانه بأن الحسد بدأ يطفو من أعماقهم إلى سلوكهم والغیظ يعلو  
وجوههم فقال : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا  
مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ...﴾ [البقرة/١٠٩].

كان من المتوقع من بني إسرائيل بمالهم من صلة بالنبوة أن يسارعوا إلى  
الأيمان بالدين الإسلامي؛ لأنه جاء بالمنهج الذي يقوي صلتهم بكتبهم إن كانوا - بحق -

(١) ينظر في ذلك : الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام عبدالله التل، وأساليب الإسلام في الفترة  
النبوية، عبدالغني حيدر الوصابي (ر/م) وينظر فيها أساليب اليهود في كل فصول الرسالة.

(٢) المنار ٣٤١/١، وينظر : اليهود في القرآن، طيارة ٣٢.

حريصين على تلك الصلة، وعندهم البشارة بمقدم الرسول ﷺ بكتبهم<sup>(١)</sup>، وكثيراً ما تباهاوا بمقدمه، فكانوا يستفتحون\* به في معاركهم مع العرب المشركين. ولكنهم ادعوا أنه ليس هو كاتمين بذلك صفته ﷺ في التوراة زاعمين أن الأنبياء كانت من بني إسرائيل فما بال هذا الرسول من بني إسماعيل حسداً وبغياً<sup>(٢)</sup>.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن اليهود بطريقة أو بأخرى كانوا عاملاً رئيساً في تهئية عقول أهل يثرب إلى حد ما لتقبل تعاليم الدين الجديد<sup>(٣)</sup>.

و "الحسد" صفة قديمة في بني إسرائيل، فقد حسدوا أخاهم "يوسف عليه السلام" حين توسم فيه أباهم "يعقوب عليه السلام" طلائع عز كريم، فأثره بالكرامة وأحاطه بالمحبة فأثار ذلك في صدور أخوته غيرة منه بلغت شأواً بعيداً فلم يجدوا منفذاً إلا بالخلاص منه، فهذا الداء الوبيل هو الذي قاد خطواتهم الأولى نحو إساءة الظن بأبيهم قال تعالى : ﴿إِذْ قَالُوا لْيُيَسِّفْ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ \*﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ \*﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف/٧-١٠].

لقد شعر يهود المدينة بخطر العزلة في المجتمع المدني الذي كانوا يزاولون فيه تجارتهم الرابحة والربا مما زاد في توجيه حربهم ضد الإسلام<sup>(٤)</sup>، لذلك شاعت الرشوة بينهم وأكل المال الحرام وهذا ما جعل ذكر الرشوة في "العهد القديم" يرد في أكثر من سبعة عشر موضعاً<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر مثلاً : وتث ١٥/١٨-١٨، تث ٢/٣٣، وإغاثة اللهفان ٥٤٠-٥٤١، و "محمد" في الكتاب المقدس، عبد الواحد داود "أسمه قبل إسلامه القسيس دافيد بنجامين"، والتبشير بالنبي "محمد ﷺ" في القرآن والسنة والكتب السماوية؛ لجين عبدالله (ر/م) ٤٢-٥٩.

\* الاستفتاح : الاستتصار. ينظر في مادة (نصر) : مختار الصحاح ٤٨٩، ولسان العرب ١١/١٢٠.

(٢) ينظر : السيرة النبوية ٣٢٥/١، ومعجم البلدان، ياقوت الحموي ٨٤/٥، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة ١٠٨/١-١١٢.

(٣) ينظر : السيرة النبوية ٢٥٩/١.

(٤) ينظر : في ظلال القرآن ٣٢/١، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥١١/٦-٥٣٥، والرؤية العربية لليهودية ٥٨-٦٢.

(٥) ينظر مثلاً : تث ١٧/١٠، و٢ أخ ٧/١٩، وامل ٣/٨.

كما عُرِف عنهم قديماً احتكارهم التجارة والصناعة وتعاملهم بالربا وقد نهوا عنه كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ [النساء/ ١٦١].

وأُسلوب أكلهم أموال الناس بالباطل يفسره قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ ﴾ [الأعراف/ ١٦٩]. وعبارة عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى "لم ترد إلا في حق اليهود وهم يأخذون أموال الناس، وجاءت بحق المسلمين مرتين معبرة عن أخذ الأموال بطريق شرعي غير مرغوب فيه قال تعالى : ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ... ﴾ [النساء/ ٩٤]، ﴿ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ .. ﴾ [الأنفال/ ٦٧]. ولكن القرآن استعمل مع اليهود وعبارة : ﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ﴾ فماذا يعني هذا؟

قال الرازي في ذلك : ((هو جمع المال بالطرق الخسيسة، من الدنو : وهو السقوط في الخسة والحقارة))<sup>(١)</sup>. وقيل أن الشيء الأدنى هو الدنيا وهو من الدنو لقربها بالنسبة إلى الآخرة وكونها من الدناءة خلاف الظاهر، والعَرَض الذي يأخذه هو الرشوة على تحريف الكلام<sup>(٢)</sup>، ورغم ذلك هم لا يبالون بهذه الخسة والحقارة ويقولون : ﴿ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ فتمنوا على الله الأمانى وغرةً يغترون بها لا ينهاهم شيء عن ذلك كلما هف لهم

\* الرِّبَا : من رَبَا الشيء يَرْبُو رَبْواً وَرَبْواً وَرِبَاءً : إذا زادَ ونما والاسم الربا : وهو الربا على رأس المال، وقد خُصَّ شرعاً بالزيادة على وجه دون وجه، وبعبارة أخرى هو فضل مال لا يقابله عوض في معاوضة مال بمال وكل قرض يؤخذ به أكثر منه أو تجري به منفعة فحرام. وكتب بالواو كـ "الصلاة" للتفخيم على لغة من يفخم وزيدت الألف بعدها تشبيهاً بواو الجمع فصار اللفظ به على طبق معنى الربا في كون كل منهما مشتملاً على زيادة غير مستحقة، والربا سبب النقصان دون النماء وإن رآها الجاهل زيادة في المال. ينظر في مادة (رَبَا) : الصحاح ٢٣٤٩/٦، ومقاييس اللغة ٤٨٣/٢، والمفردات ٢٧٣ جامع البيان ٣٨٨/٢ ومختار الصحاح ٢٣١، والجامع لأحكام القرآن ٦٠٠/١، ولسان العرب ٣٠٤/١٤، وعمدة الحفاظ ٦٨/٢، والكليات ٢٤، وروح المعاني ٤٨/٣ ومعجم القراءات ٤٠١/١، ١٩٨/٢.

(١) التفسير الكبير ٢٠١/٦، وينظر : مجاز القرآن ٢٣٢/١، وتفسير القرآن العظيم ٢٤٩/٢، والإعجاز القرآني في وصف اليهود، أحمد الكبيسي "بحث" ٣٩-٤٠.

(٢) ينظر : روح المعاني ١٤١/٦.

شيء من الدنيا أكلوه لا يبالون حلالاً كان أو حراماً، فهم حريصون على الدنيا بأخس الوسائل، وهذا شأنهم دائماً وقد أثبتته الواقع الحالي، فاخترعوا فن الصيرفة والبورصة وفتحوا دور الدعارة والجنس للتلاعب بمقدرات الشعوب وخلق الأزمات المالية واستغلالها للضغط على الحكومات بما يخدم مصالحهم العدوانية<sup>(١)</sup>. وحبهم للكسب الحرام ومحاولة خلق الفرص للحصول عليه دفعهم إلى التحايل على الشرع وانتهاك محارمه ونواهيه.

وقد جاءت الآيات البيّنات دامغة لاستحلالهم محارم الله متخذين من الجهالة وضعف الإرادة وسيلة لأختراق الأحكام الشرعية قال تعالى : ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف/١٦٣]. والسنة النبوية تصفهم بهذه الصفة أيضاً فقد جاء في الحديث : ((لعن الله اليهود، حرّمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها، وإن الله ﷻ إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه))<sup>(٢)</sup>.

مر بنا ذكر الصفة المادية في اليهود، والشخص المادي بخيل يستكثر أي عطاء يناله غيرهم وكأنه مقطوع منه، مع أن الله قد منحهم فيضاً مدراراً من النعم فلم يلهمهم ذلك السماحة والسخاء قال تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء/٥٣] والنقير : النقطة في ظهر النواة كأن ذلك الموضع نُقِرَ منها ويضرب به المثل في الشيء الطفيف القليل كالفتيل والقطمير، والمعنى لو كان عندهم ملك الدنيا لا يعطون الناس شيئاً ولا مقدار تلك النقطة لفرط بخلهم<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر : دفائن النفسية الإسرائيلية ٣٧، والأيدولوجية الصهيونية، عبد الوهاب المسيري ١٤-٣٢. (٢) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٥٣٢/١، ٦٢٩، وتراجع قصة أصحاب السبت في مثلاً : الكشف ٢٨٦/١، ١٢٥-١٢٦، وتفسير القرآن العظيم ٩٦/١، ٩٧-٩٨، ٣٦٩/٢-٣٧١، وفتح القدير ١٢١/١.

(٣) ينظر : معاني القرآن الفراء ٢٧٣/١، وتفسير غريب القرآن ١٢٩ وتأويل مشكل القرآن ١٣٨، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٢٦٥/٢، الصحاح الجوهري ٨٣٥/٢ والمفردات ٥٠٣، والكشاف ٥٣٤/١، ولسان العرب ٣٣٥/١٤ والزاهر من كلام الناس ٣٥٨/١، والتحرير والتنوير ٨٨/٥.

"والبخل" صفة غير غريبة على الناس بل هي موجودة في كل عصر وفي كل مجتمع، ولكن بخل اليهود يتميز عن البخل العادي من ناحيتين : إحداهما : إنه ليس مجرد حرص عادي على ما في اليد، إنما سيطرة متغلغلة في النفس لأقصى ما يتصور من حرص وشح، والأخرى : إن البخل في الناس ينظر إليه على أنه مظهر فردي فنقول مثلاً : فلان بخيل وفلان بخيلة، أما في اليهود فإنه خلق جماعي\* يسيطر عليهم جميعاً كعنصر سلالة، حتى صاروا مضرب المثل منه وعنواناً له بل لقد كان الفنانون والأدباء حين يريدون أن يشخصوا صورة البخل كانوا يختارون يهودياً باعتباره الإنموج الإنساني الذي تتلازم صورة البخل معه؛ فبخلهم لا يقف عند حد ولا يلين أمام شيء حتى أمام حاجة صاحبه ورغبته<sup>(١)</sup>.

فـ ((ليس في تاريخ البشرية أمة اشتهرت بحب المال والسعي إلى جمعه كما اشتهر به اليهود فقد سلكوا في سبيل ذلك كل الطرق المشروعة وغير المشروعة... وأسرفوا في الحرص على جمع المال إلى حد العبادة، حتى أن "السيد المسيح" الذي أرسله الله لهداية بني إسرائيل خاطبهم بهذه الكلمة الرائعة : "لاتعبدوا ربين : الله والمال".))<sup>(٢)</sup>، فهو عندهم المقياس الأوحد للقوة<sup>(٣)</sup>.

واستحكام هذه الصفة فيهم نتيجة مباشرة للأنانية المتطرفة والنظرة الاستعلائية نحو الآخرين، ولا يخفى على الحصيف ما لهذه الصفات من تقوية نزعة حب الذات المؤدي إلى تصاعد الشعور العدائي العميق نحو البشر جميعاً ورغبة جامحة في إشعال الحروب، وعشق الدمار منطلقين من وهم عاشوا فيه - ولا يزالون - وهو أنهم "شعب الله المختار" الذي اختاره الله لتنفيذ إرادته في الكون، ولعل هذه العنصرية من أهم مرتكزات الشخصية اليهودية التي أدت بها إلى تبني المفاهيم والمقولات الخاطئة ورسوخها في العقلية اليهودية عبر الأيام<sup>(٤)</sup>، - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - قال

\* ينظر في صفة الميل الجماعي لليهود إلى الانحراف: مكائد يهودية عبر التاريخ ٢١-٢٥.

(١) ينظر : الشخصية الإسرائيلية ، عبده الراجحي ٧٥-٧٨، وأسلوب السخرية في القرآن ٢٦٠-٢٦١.

(٢) اليهود في القرآن، طبارة ٣٦، ينظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ١٥/٢-١٦.

(٣) ينظر : الإعجاز القرآني في وصف اليهود، ٤٠.

(٤) ينظر : الخطاب اليهودي بين الماضي والحاضر ١٧٨.

الله تعالى على لسانهم : ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة/١١١]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران/١٨١]، وقوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا..﴾ [البقرة/١٣٥].

ومن أوضح آثار عنصريتهم وانطوائهم على ذواتهم أنهم دون أصحاب الأديان جميعاً، صحيحها وباطلها، انفردوا بحرصهم على أن يكون دينهم لهم وحدهم، مع أن المؤلف في كل دين أو دعوة، أن يحاول أصحابها نشرها، أو على الأقل لا يذودون عنها أحداً، إذ يعدونه ملكية خاصة بهم، وهذا بالطبع ليس مذهباً، فالأديان إنما أنزلت لهداية البشر بلا تفريق وما هذا الا أثرٌ من آثار حب الذات النابع من الرغبة في تملك كل شيء<sup>(١)</sup>.

وهذا ماجعلهم يعيشون في كل مجتمع يحلون فيه أقليات دينية لها أسلوبها الخاص متكئين في أحياء معزولة\* فهذا الدين المغلق هو الذي حدد سمات العقيدة اليهودية<sup>(٢)</sup>. وحب الذات هذا يصل إلى حد تقديسها والانجراف وراء أهوائها الضالة، من دون الالتفات للآخرين ومطالبهم إلى درجة تدمير الآخر ومحاولة إهلاكه من أجل الإبقاء على حياتهم الشخصية، وقد بين القرآن الكريم حبهم للخلود في أدق تعبير بقوله : ﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة/٩٦]، ويلحظ دقة الاستعمال القرآني البلاغة في تكرير لفظة "حياة" فهذا التكرير يوحى بحررر أولئك اليهود على أن يضيفوا إلى حياتهم حياة زائدة ولو كان الزائد حياة رخيصة لا قيمة لها، وهذا ما أثار في النفس معنى التحقير وشدة التكالب عليها من قبلهم الا ترى

(١) ينظر : الشخصية الإسرائيلية، عبده الراجحي ٤٢، ينظر : أسلوب السخرية في القرآن ٢٥٩.

\* وتسمى هذه الأحياء بـ "الجيتو أو الكيتو" وهي حي اليهود أو معزلهم في المدينة محاط بسور وأحياناً يقام خارج المدينة الأم. ينظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢/٢٠١.

(٢) ينظر : الشخصية الإسرائيلية ، عبدة الراجحي ، ٤٢-٤٤.

لأنه لا يحرص على الحياة إلا الحي ولا يستقيم حرصه على أصل الحياة بل على الازدياد<sup>(١)</sup>.

وحرصهم على الحياة الدنيا جعلهم لا يعدّون أنفسهم ليوم الحساب، فقلما يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم ترد فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض<sup>(٢)</sup>. قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة/١٣].

وحرصهم على الحياة - وإن كانت مهينة - صفة متأصلة فيهم على مدار الأيام، ولعل هذا يفسر اتجاههم منذ القدم إلى بناء القلاع الضخمة والأسوار العالية، وقد عاش يهود المدينة داخل هذه الآطام\* والقرى المحصنة لتكون وسيلة لتوحيد مركزهم في المدينة وإقراراً لهيبتهم في نفوس المسلمين وصدّ الهجمات الخارجية في المعارك في حين أن العربي لا يختبئ وراء الجدران، وإنما يقاتل على أساس قاعدة الكرّ والفرّ<sup>(٣)</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى حياتهم تلك : ﴿وَضَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا...﴾ [الحشر: ٢] وقوله : ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ...﴾ [الحشر: ١٤].

وهذا إن دل على مجتمعهم المغلق فإنه دال على جنبهم وخور عزيمتهم. فكثيراً ما يقيمون حروبهم على أساس الانتصار فيها دون ملاقات العدو، وإذا اضطروا إلى الالتحام معهم لجأوا إلى حصونهم تحميهم<sup>(٤)</sup>، فهم لا يقاتلون إلا مدججين بالسلاح من داخل حصونهم، هكذا اليهود قديماً وحديثاً، ونحن نشهد اليوم في حربهم معنا أنهم لم يخرجوا للقتال إلا وقد اتخذوا من عدد الحرب حصوناً واقية تحميهم من القتل، وتدخل

(١) ينظر : أنوار التنزيل ٨٢/١، وإرشاد العقل السليم ٦٠/٣، وفتح القدير ١٤٥/١، من أسرار التعبير في القرآن "صفاء الكلمة" عبد الفتاح لاشين ١٨-١٩.

(٢) ينظر : قصة الحضارة ٣٤٥/٢، ومقارنة الأديان اليهودية ١٩٤-١٩٦، وأسلوب السخرية في القرآن ٢٥٨.

\* الآطام : جمع أطم وهي الأبنية المرتفعة كالحصون : ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٤/١.

(٣) ينظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥١٦/٦، ٥٣٢-٥٣٣.

(٤) ينظر : الشخصية الإسرائيلية، عبده الراجحي ٩١-٩٣.

في قلوبهم الطمأنينة فيكونوا في مأمن من أن ينال العدو منهم فنرى اعتمادهم في المقام الأول على سلاح الطيران الذي يضمنون من خلاله عدم المواجهة<sup>(١)</sup>.

وصفة "الجبن" ليست بصفة ندعياها عليهم وإنما هي نتيجة طبيعية لكل مكونات نفسيتهم الأخرى، فلا تزول بزوال أسبابها بل هي جوهر مكون للشخصية يتناسق مع بقية الصفات الجوهرية الأخرى، وإن ظفروا بعدوهم فإنهم لا يعرفون في التعامل معه الشهامة والنبيل<sup>(٢)</sup>.

وجبنهم هذا هو الذي دعاهم إلى محاولة إيذاء الرسول ﷺ وسبه بكلمة "راعنا" يلوون بها ألسنتهم متسترين بمعناها العربي فكانوا يخشون شتمه ﷺ مواجهة وهذا الطريق الملتوي لا يسلكه إلا صغار النفوس، قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ..﴾ [النساء: ٤٦]، فأمر سبحانه المسلمين أن يستبدلوا بمرادفه الذي لا يملك هؤلاء إمالاته وتحريفه وهذا يشير إلى أنهم لا يتركون فرصة يسيئون بها للإسلام إلا انتهزوها.

راعنا : يمكن أن تكون من "رَعَن" وتدل حُمق واضطراب<sup>(٣)</sup>. أو من "رَعَى" تدل على معنى المراعاة والسياسة بالرفق<sup>(٤)</sup>. والعناية المعنوية أو المادية في الدنيا.

وصيغة "راعنا" قد يراد بها فعل أمر من "راعى" بمعنى طلب المراعاة قال "الفراء" : ((هو من الإرعاء والمراعاة))<sup>(٥)</sup>، ويجوز أنها كلمة سب وشتيمة بالعبرية.

(١) ينظر : التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ٨٧١/٧-٨٧٢، وأديان مقارنة ﴿مَثَلُ الَّذِينَ

حُمِلُوا النَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا..﴾ ٢٢٦-٢٢٧، والاعجاز القرآني في وصف اليهود ٣٧.

(٢) ينظر : الشخصية الإسرائيلية، عبده الراجحي ٨٨-٩٠.

(٣) ينظر في مادة (رعن) : العين ١١٨/٢-١١٩، وإصلاح المنطق ٥٧، ومقاييس اللغة ٤٠٧/٢-٤٠٨، وأساس البلاغة ١٦٨، ومختار الصحاح ٢٤٨.

(٤) ينظر في مادة (رعي) : العين ٢٤٠/٢-٢٤١، ومجاز القرآن ٤٨/١، ومقاييس اللغة ٤٠٨/٢-٤٠٩.

(٥) ٤٠٩، وأساس البلاغة ١٦٨، ومختار الصحاح ٢٤٨، والمصباح المنير ٢٣١/١، والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ٨٩، وبهجة الاريب ١٠٣/١.

قال ابن المبارك الزيدي (ت ٢٣٧هـ) : ((رَاعِنًا من رَاعَيْتَ إِذَا لم تَنْوِّنْ، ويُقال ارعني سمعك، أي استمع لي. وَمَنْ نَوَّنَ "راعنًا" جعله من الرعونة، أي : لا تقولوا "راعنًا" من القول ، أي : حُمَقًا))<sup>(١)</sup>.

يبدو مما تقدّم أن "راعنًا" فعل أمر أُريد به طلب المراقبة، وقد استعملها المسلمون على بابها من اللغة، لكنها وافقت صوت نطق كلمة عند اليهود وهي "راعنًا" ، وفيها شتمٌ واستهزاء وتهكمٌ<sup>(٢)</sup>، فتكون الكلمة على هذا قد دلت على اختيار معنى سيء أراد به اليهود فسلكوا هذا السلوك الماكر في استعمال هذه الكلمة مخفين خلاف مايضمرون.

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة/١٠٤]، وبهذا المقياس الدقيق والميزان المضبوط كانت ألفاظ القرآن الكريم طبقاً لمعانيه<sup>(٣)</sup>.

وقصة امتناعهم عن دخول الأرض المقدسة وارتدادهم يُعدُّ أكبر دليل على تخاذلهم ، وكتابهم خير شاهدٍ على ذلك<sup>(٤)</sup>. ولكنهم مهرةٌ في تدبير المؤامرات والاعتداءات المصحوبة بالغدر والخيانة، وما غدرهم هذا إلا تعويض عما ينقصهم من شجاعة<sup>(٥)</sup>.

و "غدرُ اليهود" ليس مجرد عجزٍ أو عدم استعداد للوفاء، وليس مجرد سلوك تدفع إليه الظروف، أي ليس مجرد استعداد للغدر إذا أتاحت له الظروف أن يبرز، وإنما هو خلقٌ متحركٌ في نفوسهم فهم لا ينتظرون أن تسنح الفرصة للغدر، وإنما يخلقونها ليزاولوا فيها خلقاً مسيطراً على نفوسهم هو "الغدر" والفرق غير هين بين الاستعداد لسلوك معين ومزاولة هذا السلوك فعلاً وممارسةً، وأن من أوضح أسباب هذا الغدر في نفوس اليهود نظرتهم العدائية إلى سائر الشعوب، فهم يرون كل الناس أعداءهم ولا

(١) معاني القرآن، الفراء ١/١٩، وينظر : معاني القرآن، الأخفش ١/٢٤٠، ومعاني القرآن وأعرابه ١/١٨٨ ، المفردات ٩٨.

(٢) غريب القرآن وتفسيره، أبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك الزيدي ٧٨.

(٣) ينظر : الإتيان في علوم القرآن ١/٣٧٢.

(٤) ينظر : من أسرار التعبير في القرآن "صفاء الكلمة" ٩.

(٥) ينظر مثلاً : عد ١٤/١-٤، وخر ١٠/١٢-١٣، ٦/٣.

(٦) ينظر : اليهود في القرآن ، طيارة ٤٦.

يرون في أحد صديقاً يستحق الحرص معه على عهد أو ذمة<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿أَوْكَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة/١٠٠]، وقوله ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة/١٣].

ونقض العهود خلق اليهود وأحد أعمدة نفاقهم، وهم يعلمون عن العهود والمواثيق ما لا يعرفه غيرهم من الأمم. والمتتبع للآيات القرآنية يدهشه كثرة العهود والمواثيق التي أخذت عليهم قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران/١٨٧].

وأول عهد نقضوه عهد أبيهم "يعقوب" عليه السلام حين حضر الموت وقد وصّى ذريته بالتوحيد والإسلام قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة/١٣٣].

لقد نقض يهود المدينة عهدهم مع الرسول ﷺ الذي عقدوه معه حرصاً منه على التعايش السلمي معهم، وحفاظاً على بناء مجتمعه وتقوية أركان دولته، فكان أول ما استهدفه غدرهم شخص الرسول ﷺ فهموا بقتله أكثر من مرة بمحاولة إلقاء حجر كبير على رأسه الشريف\* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ..﴾ [المائدة/١١].

وقصة إهداء إحدى اليهوديات "زينب بنت الحارث" زوجة سلام بن مشكم للرسول ﷺ شاة مسمومة في غزوة خيبر ليست ببعيدة عنا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها فجاء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك قال ما كان الله ليسطك على ذلك، قال أو قال: علي، قالوا ألا تقتلها؟ قال: لا، قال: فما زلت أعرفها في لهوات\*\* رسول

(١) ينظر أسلوب السخرية في القرآن ٢٦٥-٢٦٦.

\* تراجع القصة في السيرة النبوية في باب "أمر إجلاء بني قينقاع" ٣٣٣/١-٣٣٤، وأسباب النزول، الواحدي ١٣٢.

\*\* لهوات: اللهاة من كل ذي حلق: اللحمية المشرفة على الحلق والجمع لهوات ولهيات ولهي: ينظر المعجم الوسيط ٨٤٣/٢.

الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وعن السيدة عائشة "رضي الله عنها" قالت : كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : **[يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير فهذا أوان انقطاع أبهري \*\*\* من ذلك السم]**<sup>(٢)</sup> وهذا يدل على أن الغدر اليهودي النسوي لا يقل شراسة عن غدر الرجال منهم، فالنفوس واحدة، والطبائع المنحرفة هي ذاتها<sup>(٣)</sup>. فضلاً عن ان محاولاتهم اتسمت بالدس والخفاء.

من المؤكد أن محاولتي الإغتيال ليست عابرتين، أو أنها أعمال فردية، وإنما هي أعمال مخطط لها بشكل دقيق ومحكم من قبل قيادة اليهود، وهكذا فالغدر والخيانة من القضايا المعروفة في طباع اليهود التي لا تحتاج إلى إقامة برهان عليها لكثرة أمثلتها المتكررة فيهم على اختلاف العصور<sup>(٤)</sup>.

ولتأصل الصفة التعريفية فيهم عمدوا إلى تحريف كتاب الله "التوراة" وتأويل كلماته إلى غير معناها المراد منها. وقد أثبت القرآن صدق "التوراة" التي أنزلت على "موسى" عليه السلام واعترف بها وأنصفها حتى ممن أرسلت إليهم، قال تعالى : **﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً ... ﴾** [المائدة/٤٤]. وكثيراً ما أنكروا صراحة أحكامها، وما هذا التلاعب بالمقدسات إلا لفساد فطرتهم قال تعالى : **﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ... ﴾** [البقرة/٧٩]، وقوله : **﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ .. ﴾** [المائدة/١٣] و **﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾** [المائدة/٤١].

وفي آيتي المائدة ذكر العلماء سبب تخصيص كل آية لما ورد فيها بقولهم : إن "بعد" في قوله **﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾** قد تكون لما تأخر زمانه بأزمنة كثيرة، و "عن" في قوله **﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾** لما جاوز الشيء إلى

(١) ينظر : صحيح مسلم ٢/٢٧٥ "كتاب السلام - باب السم" رواه أحمد في مسنده ٣/٢١٨، وتراجع القصة في السيرة النبوية ٢/٢١٠.

\*\*\* الأبهران : الوريدان اللذان يحملان الدم من جميع أوردة الجسم إلى الأذين اليمين من القلب. ينظر : المعجم الوسيط ١/٧٣.

(٢) ينظر : صحيح البخاري ٦/١١ باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٣) ينظر : أديان مقارنة **﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾** ١٨٠.

(٤) ينظر : مكائد يهودية ٨٤.

غيره ملاصقاً زمنه لزمنه نقول : "عدّل عنه" أي : ابتعد عنه وجاوزه، فالآية الأولى في أوائل اليهود، وتضمنت إخبار الله سبحانه لنبيه ﷺ بمرتكب من تقدّم من كفار "بنّي إسرائيل" حين أخذ عليهم الميثاق في قوله : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ [المائدة/١٢]. وأما الثانية فتعريف له ﷺ بأحوال معاصريه فهم سماعون لما يقوله ليكذبوا عليه، ويخبروا بخلاف ما يقوله، فالظرف (بعد) يدل على أنه بعد ما ثبت اللفظ في الموضع وتقرر حرفوه عنه، فلما كان هذا إخبار بحال خلفهم، والأول إخبار بحال سلفهم، ناسب حال الأولين بذكر ما تناولوه بأنفسهم وبأشروه من التحريف والتبديل<sup>(١)</sup>.

والمتتبع لآيات الصفات يجد حملة قرآنية شديدة على العقلية التحريفية اليهودية التي لا تستفيد من أيّ هادٍ يدلّها على الخير.

ومن الجدير بالذكر أنّ مؤامرات اليهود ومطاعنهم ضد "القرآن الكريم" ما زالت إلى اليوم، فنسمع عن محاولات تحريفه ونشره مُحرفاً في آسيا وأفريقيا ولا تزال الصحف تتحدث عن أخبارهم بين الحين والآخر<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال تعاليم "التوراة" المحرّفة ترسّخت في أعماقهم الطباع السيئة، وبهذا فقد جعلوا الدين أداة رخيصةً ووسيلة لاغتنام مكاسب دنيوية.

وإن جاز لنا القول فإنه لم يحط كتاب سماوي بالتشويش والتلفيق والتناقض كما أحاطت بالتوراة، "العهد القديم"، وإنّ مَنْ يقرأها "بتدبر" يعلم أنها كتبت بأيدي أناس يعلمون ماذا يكتبون وماذا يريدون ، ولا غرو فإن من أنزلت عليهم يعدون من أعتى شعوب الأرض كفراً وتردياً في مهاوي البغي والاعتداء.

وتجدر الإشارة إلى أنّ كثيراً من العلماء من مسلمين وغيرهم تناولوا "التوراة" بالنقد والتحليل<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر : درّة التنزيل، الخطيب الاسكافي ٩١، وملاك التأويل ، ابن الزبير ١٠٢، وأسرار التكرار في القرآن الكريم "البرهان" ٥٦، والجنى الداني في حروف المعاني، المرادي ٢٦١/، ومعاني النحو، فاضل صالح السامرائي ٥١/٣.

(٢) ينظر : أسلوب السخرية في القرآن ٢٤٣.

(٣) ينظر في ذلك : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم ١١٩/١-١٢١، وإغاثة اللفهان ٥٣٥-٥٤٠، وإظهار الحق، رحمة الله الهندي ٥٥/١ وما بعدها، وتاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، سعدون محمود الساموك، ورشدي محمد عليّان ٣٩-٤٠.

والسؤال الذي يطرح نفسه ما الشيء الذي ساروا على وفق منهجه بعد أن حرقوا الكتاب ونبذوه وراء ظهورهم؟ ويجيبنا النص الكريم بقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ...﴾ [البقرة/١٠٢].

وهذا اتباع مذموم ولكنه نتيجة حتمية وبديل مُسيء، وهذا شأن كل من رفض منهج الحق واتباع الأوهام والخرافات فلحق بركب الشيطان وتعلم "السحر"، و ((اليهود أسحر الناس، وأحسدهم فإنهم لشدة خبثهم فيهم من السحر والحسد ما ليس في غيرهم))<sup>(١)</sup>، وقد قرن عليه السلام بين شر الساحر والحاسد في سورة\* واحدة كثيراً ما يجتمع في

(١) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية ٢/٢٣٣، وينظر المنار ٩/٣٩-٥١، واليهود في القرآن، طبارة ٥٤-٥٥.

\* ينظر: سورة الفلق.

وقصة محاولتهم سحر الرسول معروفة ولكن الله قد أنجاه منها<sup>(١)</sup>.

ويلحظ في الآية خروج عن مقتضى الظاهر إذ عبر بلفظ الماضي (اتبعوا) وهو حاضر، ولفظ المستقبل (تتلوا) وهو ماضٍ أي (تلت)؛ والداعي إليه التنبيه على تحقيق الوقوع فعلاً في الأول، واستحضار الصورة الماضية، وكأنها واقعة الآن في الثاني<sup>(٢)</sup>، والخروج عن مقتضى الظاهر ورد كثيراً في آيات الصفات كما سيمر بنا في فصول الرسالة.

لقد استحق هؤلاء اللعنة الأبدية عقوبة مستمرة من الله ﷻ، ((فلما كانت اللعنة أبدية إلى يوم القيامة، غير قابلة للزوال، فإن هذه الأخلاق اليهودية التي ذكرها القرآن الكريم هي الأخرى أبدية غير قابلة للزوال... وإنما جاء الإعجاز القرآني يتحدى طبيعة اليهود أن تتغير وطباعهم أن تتبدل وطابعهم أن يداخله التطور والتعديل))<sup>(٣)</sup>. والحقيقة أنه لم يحظ شعب بنصيب وافر من اللعنات بقدر ما حظي الشعب اليهودي، فقد خصهم سبحانه باللعنة إحدى عشرة مرة سوى اللعنة التي دخلوا بها مع غيرهم ممن لعنهم الله في كتابه<sup>(٤)</sup>. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة/ ٨٨]. نقل الطبري (ت ٣١٠هـ) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم لعنوا بكل لسان، فقد لعنهم الأنبياء جميعاً<sup>(٥)</sup>، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة/ ٧٨].

وحل عليهم غضب من الله ملازم لهم في كل أحوالهم وأزمانهم، فجاء في الحديث عن "عدي بن حاتم" رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون﴾<sup>(٦)</sup>، قال تعالى: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ

(١) تراجع القصة في الجامع لأحكام القرآن ٣٣/٢، وما بعدها، وتفسير القرآن العظيم ٧٤٦/٤ وفي

ظلال القرآن ٢٠٠٨/٦، ومكائد يهودية ١١٣-١١٤، وتفسير آيات الأحكام، محمد علي السائس ١٩.

(٢) ينظر: الصاحبى في فقه اللغة، ابن فارس ١٨٦-١٨٧، والإتقان في علوم القرآن ١٠٧/٢،

والمجالات الدلالية في القرآن الكريم صيغة (أفتعل)، زين كامل الخويسكي ١٠٠.

(٣) الإعجاز القرآني في وصف اليهود ٣٠.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ٨٢٤-٨٢٥.

(٥) ينظر: جامع البيان ٣٧٦/٦.

(٦) ينظر: سنن الترمذي "الجامع الصحيح" ١٨٦-١٨٧، والدر المنثور في التفسير بالمأثور،

السيوطي ٤١/١-٤٢.

**مُهِينٌ** [البقرة/٩٠]. ووصفهم بـ "المغضوب عليهم" لا يعني أنه خاص بهم دون سواهم من المنحرفين، وإنما هو جنس للفرق التي تعمدت الكفر والعصيان واستخفت بالديانة عن عمدٍ أو تأويلٍ بعيدٍ جداً فذكرهم بأشهر أوصافهم وأحقهم بها، فغلب عليهم هذا الوصف ولزمهم فصار علماً عليهم<sup>(١)</sup>.

ومن عقوباته سبحانه الملازمة لهم قوله تعالى : **﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾** [البقرة/٦١] فمشاعر الذل والهوان بادية عليهم في كل حين لا يستطيعون الإنفكاك عنها أبداً، فالآية الكريمة تحدد مدى تشوه أعماق من يرتبط بتلك العقيدة التي تدعي لأفرادها التمايز.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو كيف وصف القرآن هؤلاء بالذلة والمسكنة أينما وجدوا ، وما نحن نراهم يتحكمون بمصائر الشعوب ومقدراتها، وهم أصحاب الكلمة المسموعة؟؟ تأتينا الإجابة من خلال قراءتنا لقوله تعالى : **﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقَفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ .. وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ..﴾** [إل عمران/١١٢].

فما أصبح لهم هذا السلطان إلا بمساندة الدول الكبرى، فلم يتقدموا هذه الخطوة مستندين إلى قوتهم الذاتية وإنما إلى حبلٍ من الناس أي الكفالة والضمان والالتزامات من الدول القوية، فإن رؤساءها هم الذين كفلوا اليهود وراعوهم، **﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾** [النساء/١٢٢].

وفي العصر الحديث نجد أحفادهم يضحون من أحاسيس المهانة حتى يكسبوا عطف الجميع، وقد نالوه، ويتشبثون بأي تحالفٍ مع دولة قوية، مستخدمين تلك القوة بكل مكرٍ وخداع ضد أصحاب الحقوق الطبيعية<sup>(٢)</sup>. فضلاً عن أن ابتعادنا نحن المسلمين - عن تعاليم ديننا الحنيف وتفرقنا قد منحهم فرصة الانتصار علينا فلن نستعيد ما فقدناه من مكانةٍ عاليةٍ بين الأمم إلا بعودتنا للعقيدة الصحيحة ونبذ الفرقة والخلافات.

(١) ينظر : أنوار التنزيل ٧/١، وبدائع الفوائد ٢٩/٢-٣٢، والإتقان في علوم القرآن ٢/٢٣٨، والتحرير والتنوير ١/١٩٦.

(٢) ينظر : النبأ العظيم، عبدالله دراز ٥٢-٥٣، واليهود في القرآن، طيارة ٤٧، ومواهب الرحمن ٢/٢٣٨.

وبسبب تحايلهم على أحكام الشرع فإنه سبحانه شدد عليهم في الأحكام عقاباً لهم، وقد سجل القرآن مجموعة الأحكام الثقيلة بقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام/١٤٦].

لقد استحق هؤلاء أن يحملهم ربهم إصراً ثقیلاً\* ودعوانا: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ..﴾ [البقرة/٢٨٦].

ومن عقوباته سبحانه التي شملتهم إلقاءُ العداوة والبغضاء بينهم وقسوة القلوب لتصبح تلك القاعدة التي تتحكم بالعلاقات الاجتماعية بينهم وهي بلا شك قد أثرت تأثيراً شديداً في المجتمع اليهودي، ودمرت روابطه الداخلية وعلاقاته الأسرية، بسبب سعيهم الحثيث لإفساد الناس وتدمير المجتمعات التي يحلون بها بوسائل خبيثة، فيكونوا بذلك كأنهم حولوا السوء وما يمكرون على أنفسهم؛ لأن الجزاء من جنس العمل<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ..﴾ [المائدة/٦٤].

يقول الإمام "البقاعي" (ت ٨٨٥هـ): ((ولقد قام لعمري دليلُ المشاهدة على صدق ذلك بغزوة قَيْنَقَاع ثم النصير ثم قريظة والقبائل الثلاث بالمدينة لم يتناصروا ولم ينصروا، ثم غزوة خيبر وأهل فدك ووادي القرى وهم متقاربون ولم يتناصروا ولم

\* الاصر : العهد وقيل العهد بالنبطية، وأصله، النقل وسمي العهد إصراً لانه فما يؤصر به ويُشد ويقيده قيل : هو العهد المؤكد الذي يثبُط ناقضه عن الثواب ينظر : تفسير غريب القرآن ١٠٠، ١٠٧، والمفردات ٢١، والكشاف ٣٨٠/١ وعمدة الحفاظ ٣٨/١-٣٩، والإتقان في علوم القرآن ٣٧٠/١، والكلبيات ١٢٢ مما يلحظ أن أصوات اللفظة عبّرت عن معناها فالحمزة من أشد أصوات العربية تسندها الكسرة وهي أثقل الحركات فضلاً عن الاطباق في الصاد والتكرار في صوت الراء مالميس في مرادفه (العهد) فلا يخفى جرس اللفظة الشديد على الاذن. ينظر : علم اللغة العام (الأصوات) كمال بشر ١٢٠.

(١) ينظر : العقوبات الربانية لليهود "إلغاء العداوة والبغضاء بينهم" إبراهيم العلي "بحث" ٥١-٥٢.

ينصروا، هذا فيما في خاصتهم...<sup>(١)</sup>، والناظر إلى المجتمع اليهودي يدرك حقيقة ذلك فقد قسموا إلى طوائف وشيع متناحرة، والتمييز العنصري بينهم قائم حتى اليوم<sup>(٢)</sup>. ومن عقوباته ﷺ "التغريب والشتات والانتشار في بقاع الأرض" قال تعالى : **﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** [الأعراف/١٦٨] "قطعناهم" أي جعلناهم قطعاً منفصلة عن بعضها أوصرتناهم فرقاء، فمنذ عهدهم مع سيدنا موسى ﷺ قسموا إلى اثني عشر جزءاً "سبطاً" كل جزء أمة بخصوصيتها، وهم مع انتشارهم في كل بلد إلا أنهم لا يذوبون في المجتمعات التي يحيون فيها. فقد جعل ﷺ كل فرقة وطائفة منهم في قطرٍ من أقطار الأرض بحيث لا تخلو ناحية منهم، وذلك كي لا تكون لهم شوكة وهذا التقطيع هو حكم أزلي قضاه الله عليهم<sup>(٣)</sup>. قال تعالى : **﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾** [الاسراء/١٠٤] أي أن الله حكم على "بني إسرائيل" من بعد "موسى" أن يسكنوا أي مكان من الأرض ليس لهم وطن يجمعهم، والسؤال الذي يلح علينا طرحه، مامعنى هذا التجمع اليوم في "فلسطين" إذا كان الأمر كذلك؟، والذي يبدو أن حكمته ﷺ قد اقتضت ذلك التجمع لحكمة يريد بها، وهي محاربة المسلمين لهم والقضاء عليهم بعونه تعالى؛ لأن آية حربٍ ضدهم مستحيلة وهم في حالة شتاتهم في دول مختلفة؛ لأن معنى ذلك أننا نحارب دول الأرض جميعاً<sup>(٤)</sup>. قال تعالى : **﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾** [الأعراف/١٦٧]. وقوله تعالى : **﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا...﴾**.. **﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾** [الاسراء/٥-٧].

(١) نظم الدرر ٢٢٢/٦-٢٢٣.

(٢) ينظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/١٠٢ وما بعدها ، ومقارنة الأديان "اليهودية" ٢١٨-٢٢٥.

(٣) ينظر : جامع البيان ١٢٥/٩، والتفسير الكبير ٤٢/١٥ وتفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٩، وإرشاد العقل السليم ٤٧/٣، وروح المعاني ١٣٩/٦.

(٤) ينظر : الاعجاز القرآني في وصف اليهود ٤٦.

أفبعد كل هذه الصفات وغيرها يجروا أحدهم بالتشريق والتباهي بدعوى الأفضلية؟! فلا غرابة أن تأتي قصة هذه الأمة بعد قصة أبانا "آدم عليه السلام" و "إبليس - لعنه الله"، ففي "بني إسرائيل" ما في "إبليس" من المثالب الكثيرة فكلاهما كان الحسد هو أول داء فتك بهما، وكان العصيان والتمرد والتكبر والبغي والجحود وسوء الأدب وغير ذلك من أبرز الصفات التي سيرت خطواتهم الأولى.

**ولا نعد والحقيقة إذا قلنا :** إن اليهود كانوا في إساءة الأدب مع الله أشد من "إبليس" فجعلوا الله شركاء والمعجزات تجري بين أيديهم تترى، وخاطب "إبليس" الله بصفة الربوبية فقال : ﴿ رَبِّ.. ﴾\* ، وأقسم بعزته فقال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ.. ﴾\*\* وما صدر عن بني إسرائيل مثل هذا فقالوا : ﴿ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ.. ﴾\*\*\* ، وما عرفوا الله عزة أو وقاراً فقالوا : ﴿ إِنْ لِلَّهِ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾\*\*\*\* وهكذا ، فقد وضع - سبحانه - أعداءنا نصب أعيننا لنحذرهم.

نكتفي بالقليل عن الكثير وبالشرر عن اللطى وبالنزر اليسير من تاريخهم الطويل، وبهذه الكلمات نطوي سجلاً معتمداً لأمة هوت في دركٍ سحق وسارت في ركاب الشر يحدها "الشيطان" من كل جانب. نسأله تعالى العافية.

ولكن على الرغم من تلك الصفات إلا أن أمة بني إسرائيل حالها كحال سائر الأمم، فيها الخبيث - وهم الأكثرية - وفيها الطيب، والمتبع للخطاب القرآني لبني إسرائيل يجد ثمة آيات تضمنت استثناءً لبعضهم وتتويهاً بسلامة مواقفهم واعتدالهم وصفاتهم السوية، وهذا يدل على أن طائفة من علمائهم وعامتهم استطاعت أن تتحرر من المؤثرات العنصرية والنفسية التي خضع لها اليهود طوال تاريخهم، فلم يسعهم إلا أن يصدقوا بالدين الجديد "الإسلام" ويجاهروا بذلك دون إكراه<sup>(١)</sup>.

\* الحجر/٣٦، ٣٩، ص/٧٩.

\*\* ص/٨٢.

\*\*\* ينظر : البقرة/٦١، ٦٨، ٧٠، ٦٩.

\*\*\*\* آل عمران/١٨١.

(١) ينظر : سيرة الرسول ﷺ صوراً مقتبسة من القرآن الكريم، ٢٠٧-٢١١.

وهذه الاستثناءات القرآنية أشارت بوضوح إلى أن الفريق المهتدي ليس سوى أفراد قلائل، كانوا على الأيمان والتوحيد ومعهم شيء من بقايا الكتب السماوية المنزلة فلما جاءت الرسالة الإسلامية استقبلوها بالقبول والتصديق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/١٤٦].

لقد انصفهم الحق ﷺ بكمال عدله خير إنصافٍ عندما وصفهم بعمق التفكير وحسن التدبر لكتابه بلا تزيف ولا تحريف قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة/١٢١]، وقوله: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الاعراف/١٥٩]، وللمفسرين في هذه الآية أقوال عدة منها: أنهم طائفة لم ينظموا إلى عامتهم في المعصية والبعد عن منهج الحق أو أنهم الذين أدركوا النبي ﷺ وآمنوا به من نسل أولئك الصالحين<sup>(١)</sup>. وفي هذه الآية إشارة إلى قلة عدد هؤلاء المؤمنين، وهذا ما شهد به تاريخهم، فقل من دخل من اليهود إلى الإسلام على العكس من النصارى<sup>(٢)</sup>، ونجد القرآن يقابل بين موقف اليهود وموقف النصارى في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَن مِنْهُمْ قِسِيَّيْنِ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة/٨٢].

وكما انصف القرآن هذا الفريق المؤمن باستثناءه من الحملة القرآنية التنديدية وقد قاربت الألف آية عداً، أنصفتهم السنة النبوية فوصفهم الرسول الكريم ﷺ بأنهم خير يهود<sup>(٣)</sup>.

كان لابد أن يفصل القرآن الكريم بين الفريقين ليحفظ حق المؤمنين منهم قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ\*يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران/١١٣-١١٤].

كأن الحق — سبحانه — بهذا الاستثناء يعلمنا أن لا يكون حكمنا على "بنى إسرائيل" حكماً مطلقاً عاماً بل ننشد العدالة والدقة في إصدار الأحكام.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/١٩٢، وتفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٥.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٥/١٩٨.

(٣) ينظر: السيرة النبوية ١/٥١٨.

لقد عَلِمَ هؤلاء أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْئُولٌ عَنْ أَعْمَالِهِ، فمن يملك القدرة على التخلص من أدران الجهل فأهلاً به في رحاب الأيمان قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ..﴾ [النساء/١٦٢]. لقد وصفهم "العزیز الحکیم" بصفات خیر أمةٍ أخرجت للناس، فیالها من شهادةٍ استحققتها هذه الطائفة من بني إسرائيل إلى يوم القيامة!!.

الخطاب القرآني قد انصف في عدد من آياته مؤمني بني إسرائيل الذين استوتقوا من الدعوة الإسلامية بعد أن علموا أنه النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً في كتبهم فأسرعوا في طلب الأيمان به متمسكين بوصايا أنبيائهم من قبل. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف/١٥٧].

هذه وقفنا على بعض صفات بني إسرائيل كما وصفتها لنا الآيات الكريمات.



الفصل الأول

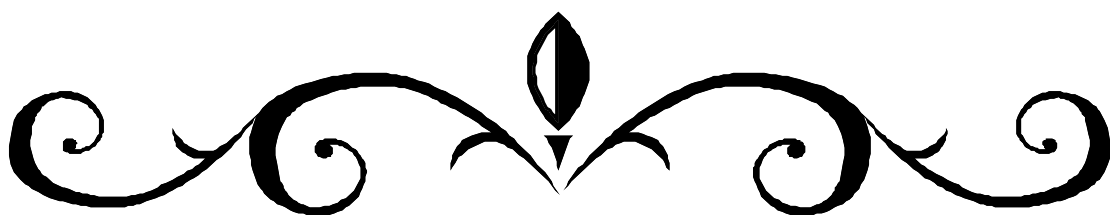
# المستوى الصوتي

المبحث الأول : التكرار ودلالته الصوتية.

المبحث الثاني : الفاصلة القرآنية.

المبحث الثالث : الوحدات غير المقطعية.

المبحث الرابع : الدلالة الصوتية.



## الفصل الأول المستوى الصوتي

يشكل الصوت اللغوي المادة الخام للكلمة، وهو بذلك الأساس في الدرس اللغوي، حيث تتكون من الأصوات المتألّفة الكلمات، ومن الكلمات تتكون التراكيب وصولاً إلى الدلالة، وتحقيقاً لها بوصفها غاية الدراسات اللغوية جميعاً، وقد احتلت دراسة الأصوات جانباً كبيراً من جهود علماء العربية قديماً وحديثاً<sup>(١)</sup>.

يُعدّ هذا المستوى من النظم، الحجر الأساس في بناء النص، والاطرار التي تُبنى عليه البنى الأخرى من الكلام، فيعنى بالكيفية التي يتم بها نظم الألفاظ صوتياً ودلالياً.. والذي يبدو أن دراسة نظم أصوات الألفاظ في النصف اللغوي، يساعد كثيراً في سبر أغواره، ومعرفة أسس بنائه، ومن ثم يقودنا ذلك إلى تمثّل مميزاته وخصائصه.

إن أول الطريق إلى معرفة بلاغة الكلام تذوّق أصوات الحروف، من حيث طبيعتها النغمية حتى يحصل بها تصوّر ذهني لطبائع الأصوات، فكل صوت من الأصوات العربية طبيعته النغمية الخاصة به، فتتأسق أصوات العربية على نوع من التشاكل النغمي هو من طبيعة اللغة العربية في تقسيم أصواتها فلغتنا ((مهيأة تماماً؛ لأن تكون لغة شاعرة، فهي لغة إنسانية ناطقة، يستخدم فيها جهاز النطق الحي أحسن استخدام يهدي إليه الافتتان في الإيقاع الموسيقي وليست هناك أداة صوتية ناقصة تحسّ بها الأبجدية العربية))<sup>(٢)</sup>.

وللبناء الصوتي في القرآن الكريم أهمية كبيرة، ومكانة مميزة، ((فالموسيقى في التعبير القرآني صورة للتناسق الفني فيه، ومظهر من مظاهر تصوير معانيه))<sup>(٣)</sup>، فهي أحد أركان الإعجاز فيه، ((فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه؛ لأنه يمسك

(١) ينظر : البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر ٧٥.

(٢) اللغة الشاعر، محمود عباس العقاد ١٤.

(٣) الجرس والإيقاع في تفسير القرآن، كاسد ياسر الزبيدي "بحث" ٣٢٩، وينظر : البناء الصوتي في البيان القرآني حسن شرشر ١٧.

الكلمة التي هو فيها، لِيَمْسِكَ الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السرُّ في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فإن إعجاز النظم الموسيقي في القرآن الكريم مما لا يتعلق به أحد، وترتيب أصواته من حيث مخارجها وصفاتها وائتلافها مع بعضها البعض ائتلافاً طبيعياً همساً وجهرًا، وشدة ورخاوة، تفخيماً وترقيقاً، جعله نظاماً مخصوصاً لا مثيل له في خدمة المعنى وإيصاله بأفضل وجه وإحداث التأثير النفسي المطلوب في المتلقي، ولعل هذا يدعونا إلى القول أن لغة "القرآن الكريم" لغة صوتية تصديرية دالة وذات تأثير نفسي كبير، قال أستاذنا الدكتور كاسد ياسر الزيدي : ((لقد ارتبطت الموسيقى في القرآن بقيمه ومفاهيمه ارتباطاً جعلها أهم الأدوات ذات التأثير المباشر في نفسية الجاهلي ووجدانه<sup>(٢)</sup>)).

ومن هنا أثرنا أن ندرس هذا المستوى في النص القرآني بوصفه نصاً معجزاً خارجاً عن المعهود يتمثل فيه نظم الألفاظ تمثيلاً رائعاً من خلال مبادئ النظم على مستوى الألفاظ، فقد حرص البيان القرآني حرصاً شديداً على انتقاء ألفاظه انتقاءً ينسجم مع ما يؤديه النص من معانٍ ودلالات في العبارة، فكل كلمة وضعت في مكانها المحدد، وإن إبدالها بأخرى يخل بالنظام المتكامل الذي بُني عليه القرآن<sup>(٣)</sup>.

عمدت الدراسة في هذا المستوى إلى وصف الأصوات بحسب مخارجها وصفاتها، ليكون تصور كل صوت جاهزاً في ذهن لحظة تحسس الدلالة في الكلام. في هذه الدراسة نجد أن للبناء الصوتي أثره البالغ في موضوع صفات بني إسرائيل في القرآن الكريم؛ وذلك لسعة الآيات الكريمة التي تناولت صفاتهم، ولتعدد هذه الصفات وتنوعها بتنوع الفترة الزمنية والفئات، فكل فئة حالتها النفسية الخاصة، التي يعبر عنها بصفتها فيأتي الكلام مصوراً تلك الأحوال التي كانوا عليها وبحسب هيئة اللفظة المفردة أو الأسلوب التعبيري الخاص في نطاق النظم، لقد كان لآيات الصفات جرسها الذي يعبر عنها بالذات، ويميزها من غيرها.

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي ٢١١.

(٢) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن كاسد ياسر الزيدي "بحث" ٣٢٩.

(٣) ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ٨٠.

ستقف الدراسة في هذا الفصل عند البناء الصوتي في آيات الصفات، فنتناول ظاهرة التكرار الصوتي في أنساق الصفات على مستوى الصوت المفرد والكلمة والجملة، ثم ندرس الفاصلة القرآنية من حيث جرس حروفها وائتلافها، ومن حيث تشكيلها المقطعي وما لذلك من أثر كبير في تجسيد المعنى، ثم ترصد الوحدات غير المقطعية وأثرها في الإيقاع وفي تركيب الصفات فتحلل ظاهرتي النبر والتتغيم وتأثيرهما الصوتي في تصوير المعنى وإحياءاته في نطاق صفاتهم، ثم تتجه لدرس الدلالة الصوتية لعدد من الأصوات المفردة التي كان لها إحياء خاص يدل على المعنى، فضلاً عن دلالة البنية الصوتية لبعض المفردات..

## المبحث الأول التكرار ودلالاته الصوتية

التكرار في اللغة : مصدر من الكر، وكرّ عليه يكرّ كراً وتكريراً وتكراراً، وكرّر الشيء، أعاده مرةً بعد أخرى. ويقال : كررتُ عليه الحديث، إذا رددته عليه، والكرّ: الرجوعُ على الشيء<sup>(١)</sup>.

لذا يمكن القول أنّ (التكرار) مفهوم لغويّ عامّ يشتمل على الإعادة، والترديد والرجوع على الشيء، وهذه المعاني ترتبط بالمفهوم الإصطلاحي للتكرار، وهو : ((عبارة عن الإتيان بشيء مرةً بعد أخرى))<sup>(٢)</sup>.

ويُعَدُّ التكرار من الظواهر الشائعة والمألوفة في الطبيعة والفن، فهو ((في الطبيعة : توقف الحركة أمام حاجزٍ ثم استئنافها، وجماله قائمٌ في لذة الانتظار لما نستبِقُ حدوثه...))<sup>(٣)</sup>.

يرى بعض الباحثين أنّ التكرار حضور متعاقبٍ لصورة الشيء في الحسّ أو العقل ضمن فترات زمنية محددة ومتساوية، فهو من الناحية الجمالية سمة موضوعية تكون قيمته الجمالية مرتبطة بالكيفية التي يظهر بها بتأثيره الإيجابي أو السلبي في النفس أو الحواس<sup>(٤)</sup>.

والتكرار من أبرز الأساليب التعبيرية في اللغة العربية، لما ينطوي عليه من فوائد ومعانٍ جديدة في الكلام. قال "ابن فارس" : ((وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ التَّكْرِيرُ

(١) ينظر في مادة (كر) : مقاييس اللغة ١٢٦/٥، ومختار الصحاح، الرازي ٥٦٧، ولسان العرب ٤٦/١٣، والمصباح المنير ٥٣٠/٢، والقاموس المحيط ١٢٥/٢.

(٢) التعريفات ٥٨.

(٣) النقد الجماليّ وأثره في النقد العربي، روز غريب ٢٨، وينظر : التكرار اللفظي "أنواعه ودلالاته قديماً وحديثاً" صميم كريم الياس (ر/م) ٦.

(٤) ينظر : السمات الجمالية في القرآن الكريم من وجهة نظر فنان تشكيلي، قيس إبراهيم (ط/د) ٨.

والإعادة، إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر<sup>(١)</sup>. لذا فقد أكثر العرب من استعماله في كلامهم؛ ((لأنه يشتمل على كثير من اللطائف والأسرار التي تكسب الكلام حسناً وجمالاً وتكسوه رونقاً وبهاءً وتعين الأديب على إصابة الهدف وتحقيق الغرض))<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن "الزركشي" (ت ٧٩٤هـ) أفضل من تناول التكرار؛ إذ جمع آراء السابقين وأفاد منها في معالجة هذه الظاهرة، مشيراً إلى أثره في تماسك النص والغاية من استعماله وفوائده، وفي مقدمتها التأكيد والتقرير والإقناع وغير ذلك<sup>(٣)</sup>. فالعربي لا يكرر كلامه عبثاً، ولا يهدف إلى سدّ نقص في الكمية الصوتية في الكلام، بل يعمد إلى تسليط الضوء على نقطة حسّاسة في كلامه كاشفاً عن اهتمامه بها<sup>(٤)</sup>.

إن مجيء أسلوب التكرار في الخطاب القرآني لم يكن اعتباطاً، بل أن لوروده أسباباً ومسوغات<sup>(٥)</sup>، فقد تنوعت دلالاته؛ لأن المكرّر في كتاب الله يؤدي كل مرة وظيفة دلالية مختلفة<sup>(٦)</sup>.

وقد تجلّت النصوص القرآنية الكريمة بصور من التكرار ممّا منح البنية القرآنية ((خصائص صوتية لا تتوافر لها مع عدمه من حسن الإيقاع وتكافل النسق وتآلف الجمل بعضها ببعض في وحدة عضوية متآخية))<sup>(٧)</sup>.

يرى بعض الباحثين أن التكرار في القرآن الكريم لم يصل إلى هذا المبلغ من الأهمية إلا لكونه تراكمًا دلاليًا على المعنى يرسّخ هذا المعنى ويثبّته ويقنع السامع به لما فيه من إعادة الكلام بلفظه ومعناه<sup>(٨)</sup>.

والذي يهمنّا في هذا المبحث أهمية التكرار وقيمتها الصوتية في النصوص التي ستقف عندها الدراسة، أي النظر إلى التكرار كونه محوراً فاعلاً ينظوي تحت قانون التوازن الصوتي في السياق، فهو تجانس صوتي، مردّد يخضع في تحديد كينونته

(١) الصاحبى في فقه اللغة، ابن فارس ٣٤١، وينظر: فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي ٤٢١.

(٢) أسرار التكرار في لغة القرآن، محمود السيد شيخون ٢١.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣/١٢-٣٧، والإتقان في علوم القرآن ٢/١٨٥-١٨٦.

(٤) ينظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ٢٧٦.

(٥) ينظر: التكرار اللفظي أنواعه ودلالاته قديماً وحديثاً ٣٥.

(٦) ينظر: دلالة الأنساق البيانية، عامر عبد محسن السعد (ط/د) ٧٩.

(٧) المعاني الثمانية في الأسلوب القرآني، فتحي أحمد عامر ٤٤٤.

(٨) ينظر: التراكم الدلالي في النص القرآني، مجيد طارش عبد (ط/د) ٣٧-٣٨.

الترددية اعتماداً على الوحدة المكررة بدءاً من الصوت المفرد وانتهاءً بالنص مجتمعاً ليستحيل الصوت حينئذٍ إلى رمز دلالي<sup>(١)</sup>، وهذا من شأنه إنتاج ظاهرة موسيقية عندها تتردد الأصوات أو الألفاظ على شكل لازمة موسيقية تخلق جواً نغمياً ممتعاً.

**والتكرار، كما هو معلوم ويقسم على قسمين :**

**الأول :** يوجد في اللفظ والمعنى.

**الآخر :** يوجد في المعنى دون اللفظ.

وستقفُ الدراسةُ على القسم الأول؛ لأهميته في الجانب الصوتي دون الآخر؛ إذ ((يحدث نوعاً خاصاً من الإيقاع تستلزمه العبارة؛ لأغراض فنية ونفسية واجتماعية، ودينية))<sup>(٢)</sup>.

وقد ارتأى البحث أن تكون دراسة التكرار تتضمن بحث مسائل انضوت تحت

عنوانين هما :

١- التكرار الصوتي

٢- التكرار اللفظي

**أولاً. التكرار الصوتي ويشمل :**

**أ- تكرار الصوت المفرد في الكلمة الواحدة**

وهذا النوع من التكرار تكون قيمته الموسيقية متأتية من تكرار الوحدات الجزئية المكونة للكل<sup>(٣)</sup>. فيؤدي ذلك إلى زيادة النغم وتقوية الجرس في الآية، فلبعض الأصوات معانٍ مترسّخة في ذهن المتلقي فإذا ما تكررت في نصٍّ ما فأنها تكون علاقةً بينها وبين ما يؤديه النصُّ ذو التأثير الحسي من معنى لما يوحيه للسامع باتساق اللفظة وتوافقها مع غيرها من الألفاظ في التعبير يُشبه إلى حدٍّ بعيدٍ ضرب الإنسان باللحن والموسيقى<sup>(٤)</sup>.

يتخذ "القرآن الكريم" من الصوت المتكرر وسيلةً لتصوير الموقف وتجسيمة والإيحاء بما يدلُّ عليه معتمداً في ذلك على ما تتميزُّ به بعض الألفاظ من خصائص

(١) ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ٥١.

(٢) البناء الصوتي في البيان القرآني، محمد حسن شرشر ٨٨.

(٣) ينظر : جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال ٢٣٩.

(٤) ينظر : نفسه ١٩-٢٠.

صوتيه وما تشيعه بجرسيها من نغم يساهم في إبراز المعنى المراد<sup>(١)</sup>. وفي ردّ الدلالة بمزيد من الطاقات التعبيرية المؤثرة في المتلقي.

وفي آيات الصفات يبدو التناسب واضحاً بين الأصوات المتكررة والمعاني التي تؤديها ألفاظه وهذا ما يلحظ جلياً في قوله تعالى : ﴿.. بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ..﴾ [الحشر/١٤].

فصوت (الدال) قد تكرر مرتين في لفظة (شديد)، وهو صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مرقق<sup>(٢)</sup>، ويحكي هذا الصوت عند دخوله المفردة أو المفردات في سياق التعبير الأحداث القويّة والشديدة بما يملكه من جرس شديد وعنيف وهذا يتلاءم ودلالة اللفظة، فالشدة : الصلابة ، وهي نقيض اللين فـ ((الشين والدال أصل واحد يدل على قوة في الشيء))<sup>(٣)</sup>.

وهكذا برزت قيمة صوت (الدال) التعبيرية بمحاكاته الحدث والمتمثل بصفة شدة بأس اليهود ومن والاهم فيما بينهم، وقد قيل : أهل الباطل لا يتفقهون على شيء إلا على عداوة أهل الحق، وفي ذلك وهن لكيدهم<sup>(٤)</sup>.

فضلاً عما أضفاه صوت (الشين) المتفشي ليدل على مدى سعة هذا البأس وانتشاره بينهم، وتوسط الصوت الطويل المشبع (الياء) الممدود المجهور، الذي يسمح بمدّ الصوت ما شاء المتكلم فيدل على ((الانفعال المؤثر في البواطن))<sup>(٥)</sup> فيشعرنا هذا المدّ الهابط بتدني شجاعة اليهود وهبوط قوتهم مما يعطي حافزاً للمؤمنين على تصور مكنوناتهم وكشف حقيقتهم.

(١) ينظر : لغة القرآن الكريم في جزء عمّ، محمود أحمد نحلة ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) ينظر : سر صناعة الإعراب ، ابن جني ٥٣/١ ، ٦٩ ، ٢٠٠ ، والأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ٤٨ ، ودراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر ٢٧٠-٢٧٧ ، وعلم اللغة العام "الأصوات" ١٠٢ ، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، رمضان عبد التواب ٤٦ ، والأصوات اللغوية، عبدالقادر عبدالجليل ١٦٠-١٦١.

(٣) مقاييس اللغة ١٧٩/٣ (شدّ) وينظر : لسان العرب ٣٨/٨ ، والمصباح المنير ٣٠٧/١.

(٤) ينظر : قطف الأزهار في كشف الأسرار ٣٤١/١ ، والتحرير والتنوير ١٠٥/٢٨-١٠٦.

(٥) المدخل اللغوي في نقد الشعر "قراءة بنيوية"، مصطفى السعدني ١٠١.

## ب- تكرار الصوت المفرد بالتضعيف

استخدم علماء العربية القدماء مصطلح "لتضعيف والتشديد" عند الإشارة إلى تكرار الصوت عند نطقه، ومن إشاراتهم نفهم أن الصوت المشدد عندهم صوتان أدخل أحدهما في الآخر<sup>(١)</sup>، وكان لعلماء التجويد مذهبان في فهم حقيقة الصوت المشدد : أحدهما : إنَّ المشدد يقوم مقامَ صوتين ويستغرق نطقه ما يستغرقه الصوتان من الوقت. والآخر : إنَّ زمانَ الصوت المشدد أطول من زمان الصوت الواحد وأقصر من زمان الصوتين<sup>(٢)</sup>. ويرى علماء الصوت المحدثين أنَّ تضعيف عين الكلمة إنما يعني في التحليل الصوتي تطويل مدة النطق بها من مخرجها، حتى يمكن أن يقال : أنَّ الصامت المضعف هو صامت طويل<sup>(٣)</sup>.

أما مجيء التشديد في كثير من نصوص القرآن الكريم فمعناه ودلالته الكثرة والمبالغة، فالعرب إنما زادت في الصوت لزيادة المعنى، ليدلوا بتضعيف الصوت على تكثير اللفظ نفسه وتقويته والمبالغة في حصوله فالتضعيف ثقيل على اللسان؛ لأنه يستلزم من الناطق العودة إلى الموضع نفسه بعد مفارقتة وذلك يتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً<sup>(٤)</sup>.

إنَّ تكرار الصوت بالتضعيف قد ساهم في رسم المعنى الدال على صفة من صفات بني إسرائيل مساهمة رائعة، وذلك لما يقدمه تكرار الصوت بهذه الصيغة من عمق صوتي يرسم صورة تساند معنى اللفظ الذي يكون فيه مساندة تخدم الفكرة التي يأتي بها النص القرآني، فمن ذلك مانجده في قوله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

(١) ينظر : العين ٥٠/١، والكتاب ، سيبويه ٥٢٩/٣.

(٢) ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب القيسي ٦٦/١، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد غانم قدوري الحمد، ٤٦٨-٤٦٩.

(٣) ينظر : درس في علم أصوات العربية، جان كانتيني ٣٩، والمنهج الصوتي للبنية العربية، عبدالصبور شاهين ٧، وعلم الأصوات العام، بسام بركة ١٤٢.

(٤) ينظر : الكتاب ٥٣٠/٣، ٤٣٥/٤، والخصائص ، ابن جني ٢٦٦/٣، والمحتسب ٢١٠/٢، والأشباه والنظائر في النحو، السيوطي ١٥٧/١-١٥٨، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، حسام النعيمي ٢٨٤، ومعاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي ٣١-٣٢.

**يَعْلَمُونَ**\* [البقرة/٧٥]. فتكرار صوت (الراء) في مضارع الفعل (حرف) مضَعَّف العين قد أضيفَ جو التكرار والاستمرارية على الآية ومعناها، و (الراء) صوت، ذَلَقِي، لثَوِي مجهور، متوسط، تكراري<sup>(١)</sup>. والتكرير صفة تحدَّث عنها علماء العربية القدماء وخصوصاً بها صوت (الراء)، وتابعهم في ذلك علماء التجويد<sup>(٢)</sup>. وعلماء اللغة المحدثون<sup>(٣)</sup> فصوت (الراء) عندهم يتكون بالنقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا وفي النطق ينكسر كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرَقاً لِيناً مرتين أو ثلاثاً لتكوين الراء العربية.

إنَّ هذا التكرار قد ساعدَ على تصوّر المبالغة في التحريف الذي مارسه اليهود بحق كلام الله بشكل يحدث أثراً في السامع يتّضح ذلك من خلال ((الضربات المتلاحقة التي تصحب نطق الراء))<sup>(٤)</sup>. وهكذا أصبح التكرار عاملاً رئيساً في تصوير الصفة التحريفية، وتدخل في خلق إيقاع صوتي منتظم وواضح في نفوس سامعيه.

ومن ذلك قراءة أبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) وآخرين لقوله تعالى: **﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الحشر/٢].

\* ينظر أيضاً: البقرة / ٨٧، ٥٩، ٩٦، ١٠٢، والنساء / ٤٩، والمائدة / ١٣، ٤٢، والأعراف / ١٦٢، ١٧٠.

(١) صوت الراء عند سيبويه ومن تابعه صوت شديد مكرر، أما المحدثون فيعدّونه من الأصوات المتوسطة التي تجمع بين الشدة والرخاوة ينظر : الكتاب ٤/٤٣٥ والمقتضب المبرد ١/١٩٦، وعلم اللغة "مقدمة للقارئ العربي" ، محمود السعران ٧٧، وعلم الأصوات العام، بسام بركة ١٢٨، والأصوات اللغوية، عبدالقادر عبدالجليل ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) ينظر : الرعاية لتجويد القراءة، مكي بن أبي طالب القيسي ١٧٠ والنشر في القراءات العشر ١/٢٠٤، وأسباب حدوث الحروف ، ابن سينا ٨٢، مخارج الحروف وصفاتها ، ابن الطحان ٩٥.

(٣) ينظر : الأصوات اللغوية ٦٦-٦٧، وعلم اللغة، السعران ١٧١، ومناهج البحث في اللغة، تمام حسان ١٣٢، وعلم اللغة المبرمج، كمال البديري ١١٥.

(٤) في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم العطيه ٦٠.

جاء الفعل المضارع (يُخَرَّبُونَ) على قراءة "أبي عمرة" بفتح الخاء وتشديد الراء المكسورة مضارع (خَرَّبَ) \* مضعف العين، على معنى : تكثير الخراب والمبالغة فيه، وقرأ الباقر (يُخَرَّبُونَ) بإسكان الخاء وتخفيف الراء مضارع (أُخْرِب) الرباعي المزيد بالهمزة<sup>(١)</sup>.

ويعلل أبو عمرو اختياره التشديد في (يُخَرَّبَ) الذي بمعنى هدم وأفسد، بأن الإخراب (بالهمزة) ترك الشيء خراباً بغير ساكن والذهاب عنه، وبنو النضير - وهم يهود المدينة - لم يتركوها خراباً، وإنما خربوها بالهدم بعد ان كانت حصوناً عامرة ، فدل ذلك على التكثير والمبالغة في فعل التخريب<sup>(٢)</sup> فكأن (أخربته) أقل منه خراباً، قال الفراء (٢٠٧هـ) : ((كأنَّ يُخَرَّبُونَ : يهدمون، ويُخَرَّبُونَ بالتخفيف : يخرجون منها يتركونها، الا ترى أنهم كانوا ينقبون الدار فيعطّلونها؟ فهذا معنى "يُخَرَّبُونَ" ))<sup>(٣)</sup>، ويرى مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) : أن "خَرَّبَ وأُخْرِبَ" لغتان بمعنى الهدم<sup>(٤)</sup>. فجاء صوت (الراء) المشدد في قراءة "أبي عمرو" ليصور جرسه وإيقاعه المعبراً أحسن تعبير وأدقّه عن صفة التخريب والتدمير، فكان هذا في غاية الغرابة؛ لأنهم فعلوا في أنفسهم ما فعله المسلمون بهم، فهذا إخراب سبقه إخرابٌ على أيدي المؤمنين.

\* ينظر في مادة خرب : مقاييس اللغة، والصاحح ١/١١٩، ولسان العرب ٥/٣٦، والمصباح المنير ١/١٦٦.

(١) ينظر : السبعة في القراءات، ابن مجاهد ٦٣٢، والعنوان في القراءات السبع، أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأندلسي ١٨٨، ٧٣، وإتحاف فضلاء البشر ٢/٥٢٩، والمهذب في القراءات العشر ٢/٤٠٤، والقراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محمد سالم محيسن ١/٤٣٩، ومعجم القراءات ٩/٣٨٦-٣٨٧.

(٢) ينظر : أسباب النزول، الواحدي ٢٩٧-٢٩٨، والجامع لأحكام القرآن ١٨/٥٠٤، والدر المصون ٦/٢٩٣، ونظم الدرر ١٩/١٤٠-١٤١، ولباب النقول في أسباب النزول، السيوطي ٢١٤.

(٣) معاني القرآن، الفراء ٣/١٤٣، وإعراب القرآن، النحاس ٣/٣٨٦.

(٤) ينظر : الكشف ٢/٣١٦، والدرس الصرفي والنحوي عند مكي، عبدالله النهاري (ط/د) ٨٤.

### ج- تكرار الصوت المفرد على مستوى السياق

إنَّ لكلَّ صوتٍ من أصوات العربية جرساً معبراً خاصاً به ينسجم مع غيره من الأصوات، وهذا الانسجام يكون بلا أهمية إذا لم تدخل المفردة في سياق يبرز المناسبة بين الصوت والمعنى.

هناك مفردات تحوي أصواتاً موزعة توزيعاً رائعاً على أجزاء من السياق تصوّر - في مجموعها - الحدث تصويراً عاماً، وتكون عندئذٍ ((كالموسيقى التصويرية المصاحبة لذلك الحدث))<sup>(١)</sup>، فإذا ما تكررت هذه الأصوات أصبحت أقدر على الإيحاء بالمعنى والإسهام في إعطاء السياق تناعماً إيقاعياً يجعل ذهن المتلقي وفؤاده في حالة من الانسجام والتركيز. فهذا النوع من التكرار يكون على مستوى الأداء الفني والصوتي أعمق أثراً لانتشاره في وحدات السياق كله تقريباً وهذا مانجده في تكرار صوت (الباء) في قوله تعالى: ﴿بَنَسَمًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ نَبِئًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾\* [البقرة/٩٠].

نجد أن صوت (الباء) قد تكرر عشر مرات، وصوت (الباء)، كما يراه القدماء، صوت شفوي، مجهور، انفجاري، عند النطق به يقف الهواء الصادر من الرئتين وقوفاً تاماً عند الشفتين، إذ تنطبق هاتان الشفتان انطباقاً كاملاً، ثم تنفرج الشفتان فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً، وهذا عينه ما يراه المحدثون من دارسي الصوتيات<sup>(٢)</sup>. إنَّ هذا الصوت يستدعي جهداً أكبر عند النطق به فيحاكي هذا الصوت الأحداث القوية والعنيفة، وقد برزت القيمة التعبيرية لصوت (الباء) في محاكاته لشدة الغضب الإلهي وقوته فخلق نغماً أشبه بالانفجار الشديد، وقد أزره في ذلك وجود صوت

(١) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، السيد سليمان العبد "بحث" ٧٧.

\* ينظر مثلاً: آل عمران/ ١٨١-١٨٣، والنساء/ ١٥٥-١٥٧.

(٢) ينظر: العين ٥٨/١، والكتاب ٤٣٣-٤٣٤، والمقتضب ١٩٤/١، والأصوات اللغوية ٤٥، وعلم اللغة، السعران ١٦٧، وعلم اللغة العام "الأصوات" ١٠١، وعلم اللغة المبرمج ١١١، والأصوات اللغوية، عبدالقادر عبدالجليل ١٥٦.

(الضاد) لما فيه من صفات قوية كالجر والانفجار والإطباق والاستعلاء والاستطالة<sup>(١)</sup> أوحى بقوة ذلك الغضب، فضلاً عن تكرار صوت (الغين) المجهور الرخو<sup>(٢)</sup>، وماله من قيمة شبه تقخيمية<sup>(٣)</sup>. قد أوحى بشدة حسدهم وبرهبة العقوبة وعظمتها في النفس، فمن خلال تراكم هذه الأصوات وغيرها تمثلت الصورة في إحساس المتلقي ووجدانه، ولا يخفى أثر تنكير الغضب في تعظيم الحدث.

كذلك مانجده في تكرار صوت (التاء) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف/٨٥].

تكرر صوت (التاء)، وهو صوت ذلقي، لثوي، مهموس انفجاري<sup>(٤)</sup>، لنقرأ هذه الآية مراراً، وننصت إلى هذه الموسيقى المتدفقة منها تدفق السيل الهادر في لجة البحر، فالإيقاع يجري مع مقاطعها ومخارجها مكوناً أروع نظم تسمعه الأذن، فالتاء من الأصوات المتفجرة، وإذا كانت مفتوحة اتسعت رقعة انفجارها، فإذا وقع بعدها سكون كان هو القرار الذي يمسك هذا الدوي الحادث من التفجير، فعند ترديد تلك المقاطع (تَلْ/تَقْ/تَكْ) فلا نجد أوضح ولا أصدق من هذه الصورة التي تنطقها هذه الكلمات معبرة عن الموقف المتأزم بين "سيدنا يعقوب" وبنيه بعد أن فعلوا فعلتهم "بيوسف" فتعالت أصواتهم بقسم شديد فيه معنى التعجب<sup>(٥)</sup> ولا يخفى ما للمد الطويل اللاحق لصوت التاء في (حتى وتكون) من أثر في تصوير طول المدة التي أساء فيها الأبناء إلى أبيهم.

إن ما يمتاز به صوت (التاء) من صفات جعلته قادراً على التعبير عن المبالغة في حصول الشيء، وهذه الأصوات المكررة تؤازرها أصوات أخرى مبنوثة في السياق

(١) ينظر: الكتاب ٤/٤٣٤-٤٣٦، والكشف ١/١٣٧، والأصوات اللغوية ٤٨-٤٩، والتطور النحوي للغة العربية، برجستر أسر ١٨-١٩، والعربية الفصحى، هنري فليش ٣٧. والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٦٢.

(٢) ينظر: الكتاب ٤/٤٣٤، والمقتضب ١/١٩٤، والأصوات اللغوية ٨٧-٨٨.

(٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة ١٠١.

(٤) ينظر: الكتاب ٤/٤٣٣-٤٣٣، والمقتضب ١/١٩٥، وأسباب حدوث الحروف ٧٩، والأصوات اللغوية ٦١، وعلم اللغة، السعران ١٦٨، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ٤٦، والأصوات اللغوية، عبدالقادر عبدالجليل ١٦٧.

(٥) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش ٨/٣٥، وإعجاز القرآن، عبدالكريم الخطيب ٢/٢٧١-٢٧٣.

أضفت على الآية جرساً شديداً تتعالى فيه النغمة القرآنية علواً شديداً منسجماً وارتفاعاً أصواتهم. وقد ذكر بعضهم تعليلاً طريفاً عن سبب تكرار صوت (التاء) في هذه الآية<sup>(١)</sup>.

#### د- تكرار الأصوات الصائتة على مستوى السياق

راعى النظم القرآني في ظاهرة التكرار الأصوات الصائتة فكان تكرار هذه الأصوات في سياق آيات الصفات بيّناً مما يجعل التلاوة سلسلة والاستماع إليها حسناً وجميلاً، إذ أن مزج الكلام بالصوائت يأتي ((في الأغلب مجانساً للفكرة، والإحساس الممتزج بالفكرة ليعطيها جانباً في التصوير بقوة التداعي))<sup>(٢)</sup>.

ومما هو معروف في خصائص الصوائت الطويلة أن لها قيمةً تعبيرية خاصة بها، وتسمى هذه الأصوات بأصوات المدّ (وهي الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها)، والمد عند علماء الأصوات والتجويد إطالة صوت على ما فيه من مدّ طبيعي لا تقوم ذات الصوت إلا به ولتلك الزيادة أسبابها، ولها مقدارها<sup>(٣)</sup>، وهذا يعني أنه نوع من الإشباع الموسيقي الذي تطرب له الأذان وينبسط به العقل.

ذكر بعضهم أن صوت المدّ (الألف) أمكن هذه الأصوات، فهو صوت عال يحكي المد إلى الأعلى، فالياء وهو صوت منخفض يحكي المد إلى الأسفل، ثم الواو الذي يحكي المد إلى الأمام ويفيد الانتشار والامتداد<sup>(٤)</sup>.

وقد انتبه الأقدمون إلى ظاهرة التطريب التي تقوم بها أصوات المدّ، فيرى "الزركشي" أن الحكمة في كثرة إلحاق أصوات المدّ واللين والنون ((وجود التمكن من التطريب بذلك))<sup>(٥)</sup>.

وقد كان سيبويه (ت ١٨٠هـ) قد التفت إلى ذلك من قبل، فقال: ((أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والباء والواو ما ينون وما لا ينون؛ لأنهم أرادوا مدّ الصوت))<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري ٧٨، ومعتزك الأقران، السيوطي ٢٩٥/١.

(٢) التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد ٦٣.

(٣) ينظر: القوافي، الأخفش ١٠، والنشر ٢٠٤/١، والأصوات اللغوية ١٥٨-١٦٠، وفقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك ١٧٨-١٨٠، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٢ وما بعدها.

(٤) ينظر: كتاب الموسيقى الكبير، أبي نصر الفارابي ١٠٧٣.

(٥) البرهان في القرآن ٩٩/١.

وقد لقيت ظاهرة المدّ عنايةً مستفيضةً من دارسي الأصوات المحدثين، وذهب قسم منهم إلى عدّ أصوات المدّ حركاتٍ طويلة لا حروفاً صامتة أو معتلة يكون مداها الذي تستغرقه بحدود ٢٢٥-٣٥٠ م/ث<sup>(١)</sup>.

والموسيقى المستمدة من تكرار أصوات المدّ ذات قدرة على محاكاة أجواء الحدث كما في قوله تعالى واصفاً صفات مؤمني أهل الكتاب الذين امتدحهم محكم التنزيل في كتابه العزيز : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ يَنْتُلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ\*يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ\* وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾\* [آل عمران/١١٣-١١٥].

تكرر صوت المدّ (الألف) تسع مرات، ومثله تكرر صوت (الواو) ، في حين جاء صوت (الياء) مكرراً ثلاث مرات. وصوت (الألف) عبارة عن حركة الفتحة المشبعة وتكمن قيمته التعبيرية في استطالته وامتداده إلى الأعلى، فيتطاول النفس عند ترديده وهذا التطاول يساهم قطعاً في تجسيد حالة العلو والارتفاع والإطلاق فيحكي هذا الصوت المقام المرفوع والمكانة العالية التي حظي بها مؤمنو أهل الكتاب.

أما صوت (الواو) وهو الضمة المشبعة، فقيمته التعبيرية تكمن في استطالته وامتداده إلى الإمام وأثره في تمطيط الصوت معبراً عن ترابط المشاهد ومحاكياً نظرهم المطمئنة إلى قابل أيامهم. في حين حاكى صوت الياء المكرر وهو الكسرة المشبعة في العربية السكينة النفسية وشفافية الروح المؤمنة، ويشاء الحق أن يكون تصوير القرآن في منتهى الدقة معبراً عن الرضا النفسي والانبساط الروحي وهذا ما نتلمسه في تفسير هذه الآيات<sup>(٢)</sup>. فأولئك الموصوفون بهذه الصفات قد صلحت أحوالهم عند الله فاستحقوا ثناءه عليهم فجاء تكرار أصوات المدّ متلائماً أشد التلاؤم مع موقف الخشوع المهيمن

(١) الكتاب ٢٠٤/٤، وينظر : القوافي ، الأخفش ١٠٢، ١٠٤-١٠٥. ومخارج الحروف وصفاتها ٩٤.  
(٢) ينظر : الأصوات اللغوية ١٥٩-١٦٠، والمنهج الصوتي للبنية العربية ٣٢، والتشكيل الصوتي في اللغة العربية، سلمان حسن العاني ١١٥، وفي الأصوات اللغوية "دراسة في أصوات المد العربية"، غالب طالب المطليبي والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣٤٤.

\* ينظر : النساء/١٦٢، والإسراء/١٠٧-١٠٨.

(٣) ينظر : الكشاف ٤٥٦/١، والبحر المحيط ٣٠٨/٣-٣١٢، وأنوار التنزيل ١/١٨١، وقطف الأزهار ١/٦٢٧.

على النصّ مما أعطى النسق اللغوي روعةً ووضوحاً وكان له آثاره العميقة في النفوس.

إنّ هذه الآيات الثلاثة كانت بمثابة وحدة عضوية وموضوعية لا يمكن الفصل بينها، فلو قرئت كل آية لوحدها لم يتم المعنى بسبب ارتباطها ارتباطاً بنائياً ومعنوياً لا سبيل إلى الفكّك منه، كل هذا أضفى حالة من الخشوع أو غلت في القوة والتضحية، كما أنّ لهذا التردد الصوتي أثره البارز في إضفاء جوٍّ من الهدوء والاسترسال في التلاوة على إيقاع تلك الآيات.

### ثانياً. التكرار اللفظي

يقع هذا اللون من التكرار في الألفاظ، فالمتكلم يأتي بلفظٍ يعيده بعينه، سواء أمتقاً كان المعنى أم مختلفاً، فإذا كان اللفظان متفقين في المبنى والمعنى، فالفائدة في التكرار تأكيد المعنى وتقديره في النفس، وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفاً، فالفائدة من التكرار الدلالة على المعنيين المختلفين<sup>(١)</sup>.

إنّ لألفاظ لغتنا وقعاً على الأذان وتأثيراً يختلف شدةً ولطافة باختلاف التراكيب سواء نثراً كان أم نظماً، فإذا تكررت فقد يولد تكرارها في الكلام الملل، ولكنّ هذا التكرار في عبارات القرآن يزيد قوةً في المعنى وإحكاماً في السبك، فكل لفظةٍ فيه تحمل معنىً دقيقاً، وقد أخذت موضعها في الجملة القرآنية واتسقت مع السياق وتلاحمت فيه، فأذاب أسلوب القرآن حدة التكرار.

إن أصوات الحروف تتسرب إلى مركز الحسّ ومواطن التأثير، فتثير الفكر والخيال وتعمل صفاتها من اللين والقوة والرخاوة عملها الخفي والمضمر في النفس الحساسة، فإذا ما تكرّر صوت الحرف كان كأنه نقرة تتبع أخرى على وترٍ واحد، فيتميز الرنين ويقوى باعث الإيقاظ والتأثير، وقلّ ضعف ذلك إذا تكرّر حرفان، ثم تصور جملة الحروف إذا تكررت في سياق واحد يؤلف لفظاً ذا دلالة مقصودة<sup>(٢)</sup>.

وتكرار الألفاظ يُعد ((من الوسائل الفنية ذات الفائدة المزدوجة))<sup>(٣)</sup>:

(١) ينظر : معجم النقد العربي القديم، أحمد مطلوب ٣٧٠/١.

(٢) ينظر : البناء الصوتي في البيان القرآني ٩١.

(٣) البناء الفني لشعر الحب العذري في العصر الأموي، سناء حميد البياتي (ط/د) ١٧.

**إحداهما :** معنوية ودلالية؛ إذ اللفظة المكررة تحمل معنىً، والتكرار يعمق هذا المعنى ويزيد بيانه.

**والأخرى :** صوتية ونغمية، فالأصوات التي تتكون منها اللفظة تتردد عند تكرار اللفظة فيساعد ذلك على تكوين جو نغمي لا ينفصل عن المعنى<sup>(١)</sup>.

**يقسم البحث تكرار الألفاظ على قسمين :**

**إحداهما : تكرار الأفعال، ويشمل :**

**أ- تكرار الفعل بلفظه**

فضلاً عما في تكرار الأفعال من إيقاع صوتي متناسق وجرس لفظي يبعث الانسجام في الآيات البينات، فإن له فوائد معنوية كبيرة يكونها السياق الذي تأتي فيه فيبلغ الحسن في تكرار الأفعال مبلغاً عظيماً، فمن ذلك ما نجده في قوله تعالى : **﴿وَمَكْرُوا اللَّهَ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** [آل عمران/٥٤] نجد أن الفعل الماضي المسند إلى ضمير الغائبين (مكروا)، والفعل الماضي في الآخر المسند إلى الاسم الظاهر - لفظ الجلالة - (ومكر الله)، وهذا التكرار في البنية الشكلية للفعليين قد حصل معه تخالفاً في بنية المضمون والمكر : الخديعة والاحتتيال في خفية<sup>(٢)</sup>.

وهذا التقابل اللفظي، وتكرار أصوات بعينها في موقف معين أعطى دلالات كثيرة منها : إن مكر اليهود بسيدنا "عيسى" **عليه السلام**، يتضاءل أمام مكر الله، وهذا التضاؤل خاف عنهم، والمكر من الله جزاء على مكر البشر<sup>(٣)</sup>. وهو يأتي الظالمين بغتةً، وسبحانه أرفع من أن يمكر بالمعنى الذي نفهمه، فمكر الله أشد قوة وأكثر إدامةً من مكرهم، لذا أسند صراحةً إليه سبحانه، في حين أسند مكرهم إلى ضمير الغائب وكأنه مكرٌ مغيبٌ لضعفه وعدم استناده على حجة قوية. كذلك لا يخفى الانسجام الموسيقي

(١) ينظر : نفسه.

(٢) ينظر في مادة (مكر) : العين ٣٧٠/٥، ومقاييس اللغة ٣٤٥/٥، والمفردات ٧١٥، ولسان العرب ١١٠/١٤، والقاموس المحيط ١٣٦/٢.

(٣) ينظر : معاني القرآن، الفراء ٢١٨/١، وإعراب القرآن المنسوب للزجاج ٣٧٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٦٣-٦٤، وأنوار التنزيل ١٦٦/١.

المنبعث من توالي الأصوات المكررة، وتكرار الكلمات في تقابلها اللفظي لا المعنوي مما يثير الوجدان ويؤدي إلى إعمال الفكر والتعامل بعمق مع النصوص القرآنية<sup>(١)</sup>. وبهذا يكون التكرار اللفظي قد دخل عنصراً فاعلاً في تصوير الحدث تصويراً دقيقاً، واصفاً الحالة النفسية والسلوك المنحرف لليهود، ليشكل حافزاً لإثارة السامع وشدة انتباهه بالتركيز على كلمة (المكر)، وإعادتها صوتياً عدة مرات، فالتكرار في بنية الأفعال على أساس التماثل الصوتي أدى إلى التجديد في الحدث والإشعار بالحركة والمزج بين الحدث والزمن في اللفظ المكرر<sup>(٢)</sup>.

ومن التراكيب الفعلية التي تلفت النظر في آيات الصفات تكرار أول الآية حين يطول السياق، كقوله تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الاعراف/١٤٨]، نجد أن التركيب الفعلي (اتخذوه) قد فصل عن الجملة الفعلية ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ ؛ لأنها مؤكدة لها، وفضلاً عن التوكيد فقد حقق التكرار فائدة دلالية أخرى هي : تنبيه التشنيع من موقفهم المشين، ولتبنى عليه جملة جديدة تحمل صفة ملازمة لهم وهي قوله : ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ، وليبيان هول الحدث وضخامته في التصور<sup>(٣)</sup>.

ومن الناحية الصوتية فإن تكرار (اتخذ) يشعر المتلقي بظهور صوتي له دلالاته على التنبيه، فضلاً عما يؤديه من تعزيز الموسيقى الداخلية للآية، ولو تمت قراءة الآية من غير هذا التكرار لشعرنا بفرق كبير بين جمال نغمة الآية ، وقوة تعبيرها عن المعنى وضعف الجملة بعد الحذف.

إن تكرار الفعل ساعد على رسم صورة عميقة التأثير حين يتراءى للخيال موقف "قوم موسى" وهم يتخذون عجلاً لغير ما خلق له من مهام في الحياة إنها صورة مفزعة، فأين هذا المخلوق الهزيل من عظمة الخالق سبحانه!!؟.

(١) ينظر : المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ٤٦٠.

(٢) ينظر : لغة الشعر العراقي المعاصر، عمران خضير حميد الكبيسي ١٥٦.

ينظر : النساء ١٥٠، والإسراء ١٠٧-١٠٩.

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم ٣/٣١-٣٢، والتحرير والتنوير ٢٨/١١١.

## ب- تكرار الفعل بمصدره

وهو نمط آخر من التكرار اللفظي يتمثل في إعادة الفعل بمصدره وفائدته تقوية المعنى وتثبيتته في النفس وتقريره عن طريق رفع توهم المجاز عنه ، ولتأكيد مضمون الفعل فجيء بالمصدر عوضاً عن تكرار الفعل مرتين، فعدلوا عن الجملة الفعلية إلى المفرد اختصاراً وتوسعاً ودلالة المصدر أكثر استقراراً وثباتاً من الفعل<sup>(١)</sup>.

إن لهذا اللون من التكرار قيمته الصوتية؟ إذ يضيف على النص القرآني جمالاً صوتياً ينسجم مع ما في ذلك النص من بنى صوتية تمنحه تناسقاً صوتياً لا يمكن أن يوجد إلا في القرآن الكريم؛ لأنه من لدن عزيز حكيم، ونجدُ مصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾\* [يوسف/٥].

فالتكرار في ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ قد منح الآية ميزتين : إحداهما : دلالية؛ إذ أكد معنى الكيد من خلال تكراره بالمصدر ليدل على قوة كيد إخوة يوسف وقد زاده التنوين تهويلاً وتعظيماً، والكيد : ضربٌ من الاحتيال والخبث يحدث سراً وعلناً<sup>(٢)</sup>.

والأخرى : صوتية ، تولدت عن تكرار أصوات اللفظة مما ساعد على خلق جوٍّ نغمي جسد المعنى وعززه بشكلٍ أعمقٍ وأدقٍّ، فالكيد بأصواته الشديدة عالية النبرة منح السياق تدفقاً صوتياً منسجماً مع حال إخوة "يوسف" ~~الكليلة~~ ويبرز صوت (الكاف) متمكناً في السياق، وهو من أصوات أقصى الحنك، انفجاري مهموس<sup>(٣)</sup>، ويحاكي الأحداث الشديدة والأصوات المدوية عند تكراره خاصة.

(١) ينظر : الكتاب ٣٧٨/٤-٣٨٢ ، وتأويل مشكل القرآن، ١١١، والكافية في النحو لابن الحاجب بشرح الرضي الاسترآبادي ١٤٤/١، وشرح ابن عقيل ٥٠٥/١، والنحو الوافي، عباس حسن ٢٠٧/٢.

\* ينظر : البقرة/١٢١، والنساء/٣٧، والإسراء/٤.

(٢) ينظر في مادة (كَيْدٌ) : العين ٣٩٦/٥، ومقاييس اللغة ١٤٩/٥، والمفردات ٦٦٦، ولسان العرب ١٤١/١٣، والقاموس المحيط ٣٣٤/١.

(٣) ينظر : الأصوات اللغوية ٨٣-٨٤، ودراسة السمع والكلام، سعد مصلوح ٢٠١، وعلم اللغة المبرمج ١٢٠.

### الآخر : تكرار الأسماء

#### أ- الإظهار في موضع الإضمار

بمعنى أن الاسم المذكور أولاً يُعاد بلفظه، ويكرر دونما إعادة لضميره، وهذا تكرار يتضح فيه التراكم الدلالي على الاسم المكرر بلفظه لا بضميره<sup>(١)</sup>، فالاسم الظاهر والضمير يرتبطان بعلاقة تقوم على أساس التوافق في المعنى والمغايرة في المبنى؛ لأن الضمير أوجز من الاسم الظاهر، وهذه الخاصية أفادت المنشيء في إثارة على الاسم الظاهر<sup>(٢)</sup>. ومع ذلك فقد يوضع الظاهر موضع المضمّر لعدم إمكان الاستغناء عنه بالضمير، وأكثر ما يكون ذلك في موضع التقخير والتعظيم، والتهويل، وعندما يُراد الاهتمام بالأمر اهتماماً خاصاً فيعاد الاسم مرة ثانية دون ضميره لإعادة تصوّره في ذهن والتأكيد عليه وإقراره في النفوس<sup>(٣)</sup>.

حفلت آيات الصفات بهذا النوع من التكرار من ذلك قوله تعالى : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾\* [البقرة/٥٩].

والأصل (فأنزلنا عليهم) فكرر اسم الموصول وصلته، وفي هذا التكرار زيادة في تقبيح أمرهم وإيدان بإنزال الرجز عليهم لظلمهم، وتقريباً لهذا المعنى في ذهن، وللمبالغة في ذمهم وتقريعهم<sup>(٤)</sup>.

ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من تناسق صوتي عزز الإيقاع الداخلي من خلال تكرار بعض الأصوات التي رفدت السياق لما فيها من طاقة إيحائية كبيرة تكمل المعنى وتوضحه بشكل أدق.

(١) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني ٦٩-٧٠، والتراكم الدلالي في النص القرآني ٤٠.

(٢) ينظر : الدلالة الوظيفية في بنية الجملة الشعرية، عامر عبد محسن السعد (ر/م) ٧٤-٧٥.

(٣) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب ٣/٣٥٥-٣٦٠، لغة القرآن في جزء عم ٤٠٥، ودقائق العربية، أمين آل ناصر الدين ١٩٥.

\* البقرة ٨٩، ٩٨، والأعراف ١٥٢، ١٧٠.

(٤) ينظر : الكشاف ٨٣/١، وإرشاد العقل السليم ١٣٧/١، والفتوحات الإلهية ٩٢/١، والمعاني في ضوء أساليب القرآن، عبدالفتاح لاشين ٢٥٢-٢٥٦.

## ب- تكرار الضمير المتصل

تكرر الضمائر لفظياً بقصد التأكيد، فيؤكد الضمير بآخر من لفظه ومعناه، وتكرار الضمير تابع لغرض المرسل، فهو مخير بين التكرار وعدمه، وإنما يؤتي بمثل هذا التكرار في معرض المبالغة<sup>(١)</sup>.

وهذا اللون من التكرار يمد السياق بقوة في الجرس والإيحاء وتأكيداً للمعنى الوارد، ومن ذلك ما نجد في تكرار ضمير الغائبين (هم) في قوله تعالى : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا\* وَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا\* وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا\* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا\*﴾ [النساء/١٥٥-١٥٨].

لقد حقق هذا التكرار فائدتين، إحداهما : دلالية تتضح من خلال الخطاب القرآني غير المباشر بوساطة ضمائر الغيبة ليدل على تحقير هؤلاء والإعراض عنهم، ولبيان هول ما اقترفوه ولعظمتهم فقد نسبهم سبحانه لهم جميعاً والقصد منه تقضيع صفاتهم التي تناهت في الظهور فلا مجال لإخفائها.

والأخرى صوتية : إذ أنعش تكرار الضمير (هم) السياق بحركة وفاعلية فكان للتأثر الصوتي إسهامه الفاعل في بلورة التأثر الدلالي الذي لا يمكن إغفاله بأي حال من الأحوال. إن قراءة متدبرة لهذه الآيات يشعرنا بالمناسبة التامة والانسجام الواضح بين موضوعها ونغمها.

إن الإيقاع الشديد الذي أحدثه تكرار ضمير الغيبة (هم) بجرسه الذي يغلق الشفتين ويشد عضلات الفم بقوة في نغمة مشوبة بالدمدمة تنعكس على النفس فتتهزها هزاً موحية بالاحتقار لبشاعة صنيع اليهود.

لقد احتشد صوت (الميم) في السياق حشداً توازره أصوات أخرى مكررة، مما أثر في الإيقاع الداخلي للنص وإعطائه دقة التعبير وشموليته، والميم صوت مجهور

(١) ينظر : المثل السائر، ابن الأثير ١٩/٣.

\*\* ينظر مثلاً : النساء/١٦٠، ١٥٤، ٥٣-١٦١، المائدة/١٣.

متوسط<sup>(١)</sup>، وهو صوت غنة\*، وهي ميزة صوتية موسيقية تنشأ من ضغط الهواء من الرئتين بالفم عند النطق فيخرج الهواء من الأنف من دون عائق. فضلاً عما تؤديه الأداة (ما) من تعظيم لمعنى ما تدخل عليه وإعطائه ملمحاً بلاغياً معنوياً زائداً لارتباطه بأمر عظيم كنقض العهد، فجاء جرسها وإيقاعها ملائماً للجو النفسي الذي أراد القرآن الكريم بيانه<sup>(٢)</sup>.

### ج- تكرار الصيغ

ونعني بالصيغة - هنا - ورود الكلمة على حالة معينة من بين الصيغ التي نجدها في تصريف الكلمة، فلصيغة التعبير من حيث الدقة وحسن الاختيار، الأثر الكبير في بناء الكلام الأدبي، بما لها من دور في إضفاء الدلالات المختلفة على التعبير، فقد تهيمن الصيغة على البناء العام للنص سواء كان ذلك على مستوى الجملة أم على مستوى النص بأكمله فتعدت التأثير المطلوب.

وقد كان التعبير القرآني حريصاً في اعتماده صيغاً مختلفة في إبراز الجانب الدلالي للألفاظ، فضلاً عن الجانب الفني المتعلق بموسيقى اللفظ خاصة والآية عامة، إذ يمكن أن ننظر إلى صيغ الألفاظ على أنها ((أوزان موسيقية خاصة، فإن جميع الألفاظ المبنية على هيئة (فاعل) مثلاً هي وزن موسيقي واحد وكذلك ما كان منها على وزن مفعّل أو مفعول أو فعيل أو فعول، أو غيرها من الأبنية))<sup>(٣)</sup>، ولذا فإن الكلمات التي تكون على بنية واحدة في الصيغة ((تجمعها أو تكاد رابطة التناظر التزييني في الكلام المكتوب))<sup>(٤)</sup>، ورابطة التناسق الموسيقي في الكلام المنطوق.

(١) ينظر : الأصوات اللغوية ٤٥، وعلم اللغة، السعران ١٨٤، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٣١٧-٣١٨.

\* عرف علماء التجويد "الغنة" بأنها : صوت يخرج من الخيشوم، وهي صفة للنون والميم، وقد قال بذلك علماء العربية المتقدمين : ينظر : الكتاب ٤٣٥/٤ القوافي ٤٤-٤٥ وجمهرة اللغة ٧/١، ١١٦. والكشف ١٦٤/١، والرعاية ١٠٦، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣٠٩-٣١٠، وهي عند المحدثين : إطالة الصوت بالحرف مع تردد موسيقي صحبه فيها، ينظر : الأصوات اللغوية ٧١، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن ٩٢.

(٢) ينظر : التبيان في علم البيان، ٧٠، من بلاغة القرآن ١٠٢، والجرس والإيقاع في تعبير القرآن ٢٤٠-٢٤١.

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية ١٢٥.

(٤) نفسه.

إنّ لدقة اختيار الكلمات من حيث دلالات صيغها لها أثر بالغ في تماسك النص صوتياً ودلالياً، لما في بعض الصيغ من إحياءات تخص المعنى والشكل فكيف بها إذا تكررت في السياق؟ وهذا ما نجده واضحاً في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا .. سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسُّحْتِ إِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ...﴾\* [المائدة/٤١-٤٢]. في النص الكريم تكرر مجيء صيغة المبالغة (فَعَال) أربع مرات، منها تكرار لفظة (سماعون) ثلاث مرات، وصيغ المبالغة في العربية تدلّ على الكثرة والمبالغة في اتصاف الذات بالحدث، لذا فإنّ دلالتها أقوى وأبلغ من دلالة اسم الفاعل، فقولنا : رجلٌ سمّاع، أيّ : كثير الاستماع لما يقال وينطق به<sup>(٢)</sup>. فاليهود لكثرة ممارستهم لتلك الأعمال (سماع الكذب وقبوله، وأكل المال الحرام) واستمرارهم عليها فكأنهم نسبوا إليها فصارت كالحرفة والصناعة اللتين تقتضيان الاستمرار والإعادة والتكرار<sup>(٣)</sup>، فجاء تكرار صيغة (فَعَال) ملائماً للمعنى الذي أراد القرآن الكريم ببيانه.

لقد احدث تكرار صيغ المبالغة إيقاعاً خاصاً يُشبعُ الفم انتفاضاً وضغطاً بما توحيه من جرس عال يتصل بالنطق والسماع ونغمة مشوبة بالقوة والعنف تفيد بلاغةً فائقةً، والمتدبر لهذا النص ينجذبُ بسمعه إلى نغمة تفرض حضورها على النص وتسيطر على مسامع القارئ، فصوت السين الاحتكاكي المهموس الصغيري<sup>(٤)</sup>، له دلالة عامة على الهدوء والسكون والضعف وهذه الدلالة تحاكي موقف اليهود في الاستماع سرّاً واختلاق الكذب..

\* ينظر النساء/١٥٥-١٥٦، ١٦٠-١٦١.

(٢) ينظر : المقتضب ١١٣/٢، والتكملة ، أبي علي الفارسي ٣٦٦، المزهر، السيوطي ٢٤٣/٢، والنحو الوافي ٢٥٨/٣، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي ٢٦٩.

(٣) ينظر : شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى ٦٥/٢، والتحرير والتنوير ١٩٩/٦-٢٠٢، ومعاني الأبنية في العربية، فاضل السامرائي ١٠٥-١١٠.

(٤) ينظر : الأصوات اللغوية ٧٤-٧٥، وعلم اللغة العام "الأصوات" ١٢٠، وعلم اللغة المبرمج ١١٥، وفي البحث الصوتي عند العرب ٥٨.

ومن ذلك يظهر لنا أن لهيئة اللفظة أو شكلها أو وزنها دخلاً في تصوير المعنى، كما يزداد تصور المتلقي للمعنى عندما يسمع أصواتاً ما وقد تكررت في اللفظة وفي السياق فالقرآن الكريم ((يتخير الألفاظ تخييراً يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المتسقة مع جو الآية وجو السياق كله، وجو السورة جميعاً))<sup>(١)</sup>، فالقرآن الكريم قد راعى قوة المعنى، وقوة الإحياء الصوتي بالمعنى في آن واحد، فجاءت هذه الأصوات والألفاظ المكررة صورة موثقة ومصورة للمعنى..

(١) فقه اللغة العربية، كاسد ياسر الزيدي ١٣٧.

## المبحث الثاني الفاصلة القرآنية

وهي جزءٌ من موسيقى الآيات حيث تتناغم الألفاظ بعضها مع بعض في نسق غير شعري، فيتمُّ بها المعنى ويزداد وضوحاً وجلالاً، إذ التفصيل يعني التبيين<sup>(١)</sup>.  
كثير الحديث عن (الفاصلة)، قديماً وحديثاً، فعرفها العلماء العرب ولم يمنعهم الاتفاق على المصطلح أن يختلفوا في تعريفه، وهم في تعريفاتهم تلك قد أشاروا إلى وظيفة الفاصلة، فقيل: ((إنها كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع))<sup>(٢)</sup>، ولكن الفاصلة تزيد ((على نظيرتها - القافية - بشحنة المعنى، ووفرة النغم، والسعة في الحركة))<sup>(٣)</sup>.

ارتأت الدراسة الابتعاد عن الحديث في قضية التشابه والاختلاف بين الفاصلة والسجع، أو في القرآن سجع أم فواصل؟ تلك القضية التي أثارها الأقدمون؛ إذ أثبت بعضهم السجع في القرآن ونفاه آخرون.  
ويبدو أن هذه القضية قد أخذت نصيبها من البحث والدراسة، فتكرارها لا يغني شيئاً، وإن رأى بعض المحدثين أن دخول السجع في القرآن لا يضره، بل هو جزء مهم من نظمهِ وتأليفهِ<sup>(٤)</sup>.

وقد لا يراد بالفاصلة الكلمة كلها، وإنما حرف الروي، ويُطلق عليه (نهايات الفواصل)، ويراد به الحرف الذي تنتهي به الفاصلة ولذلك قيل: ((الفواصل حروف

(١) ينظر: في مادة (فصل) مختار الصحاح ٥٥، ولسان العرب ١١/١٨٨ ومن بلاغة القرآن ٧٥، وأبحاث في أصوات العربية، حسام النعيمي ١٤٣، والفاصلة في القرآن، الحسناني ٢٣ وما بعدها.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/٨٣، والإتقان في علوم القرآن ٢/٢٧٠ وما بعدها.

(٣) من بلاغة القرآن ٨٩، وينظر: التعبير الفني في القرآن، بكرى الشيخ أمين ٢٠٩.

(٤) لمزيد من الفائدة ينظر: البديع تأصيل وتجديد، منير سلطان ٢٧-٤٤ والفاصلة في القرآن ٢٧-١٢٨. وجماليات المفردة القرآنية ٣٠٩-٣١٧، والإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم، عبدالواحد زيارة المنصوري (ر/م) ٤٤ وما بعدها فقد فصل الباحث مشكلة السجع والفواصل في القرآن.

متشاكلة في المقاطع **تُوجِبُ حُسْنَ إِفْهَامِ المعاني**<sup>(١)</sup>. وحرف الروي هذا هو جزء من الكلمة، وهو أيضاً العامل المهم الذي يُعطي الكلمة دلالتها وإيحائها وبعدها الصوتي. وقد امتازت فواصل آيات الصفات في السور المدنية - وهي الأغلب - والمكية بوقوفها على السكون متبوعة بواو أو ياء مختوم بنون أو ميم، إن بناء الفواصل على هذه الأصوات، ثم برعاية التماثل والتقارب بينها، استكملت أداة التلاوة، وتم الإيقاع لها، فهذه الأصوات هي الأصوات الطبيعية في الموسيقى نفسها<sup>(٢)</sup>. وأيضاً قد يكون ذلك؛ لأن الغالب في فواصل آيات الصفات أن تنطوي على صيغة اسم الفاعل المجموع جمع سلامة أو الأفعال الخمسة فكانت دلالة الوقف عليها تعبر عن مخاطبة الجموع من أمة بني إسرائيل. ولا نعني بذلك اقتصار هذه الفواصل على صوت النون، وإنما هو تفسير لكثرة مجيئه في الفواصل القرآنية، بالقياس إلى غيره، فذلك الصوت يحمل لنا إيقاعاً مميزاً لا يوجد في الأصوات الأخرى، ينشأ من اندفاع الهواء من الرئتين محركاً الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق أولاً، حتى إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثاً نوعاً من الحفيف لا يكاد يُسمع، وهذا ينطبق على النون والميم كليهما، إلا أن طرف اللسان مع النون يلتقي باللثة فيمتنع مرور الهواء عن طريق الفم، بعكس الميم، فإن الذي يمنع مرور الهواء من الفم معها، هما الشفتان<sup>(٣)</sup>. كما أن كثرة مجيئهما في الفواصل يحمل دلالات إسلوبية وموسيقية عالية فهما صوتان متوسطان أنفيان\* مجهوران ويعدان من أطول الأصوات الصامتة في العربية من حيث المدة الزمنية التي يستغرقانها في النطق<sup>(٤)</sup>، فضلاً عن صفة الغنة التي تكون في النون أشدّ ممّا في الميم.

(١) النكت في إعجاز القرآن ((ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)) الخطابي ٨٩.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٨٤/١، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٢١٦-٢١٧، والبناء الصوتي في البيان القرآني ٨٥.

(٣) ينظر : الكتاب ٤/٤٣٣-٤٣٥، والقوافي ٤٤-٤٥ وجمهرة اللغة ٨/١ والأصوات اللغوية ٦٦-٦٧، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٤٩، علم اللغة المبرمج ١١٢، ١١٨.

والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبدالعزيز سعيد الصيغ (ر/م) ١٠٠.

\* أنفي : كلمة منحوتة من كلمتين هما الأنف والفم، بمعنى أن الفراغ الأنفي يشترك مع مجرى الصوت من الفم في نطق الصوت، ينظر : الأصوات اللغوية ٧١.

(٤) ينظر : الرعاية ١٠١، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣٢٤.

أما الأصوات الصائتة فقد جاء صوت المد (الألف) كثيراً في فواصل آيات الصفات وقد يكون ذلك طلباً للخفة أولاً، ولما يوفره هذا الصوت من إشباع موسيقي ثانياً، فحين يدخل المد في نهاية الفاصلة فإنه يمنح اللفظة التي وقعت فاصلة بعداً موسيقياً ونغماً جمالياً لقوة وضوحها في السمع. يرى بعض الباحثين أن الصوت الصائت الطويل إذا دخل في نهاية لفظة من الألفاظ فإن الانسجام الصوتي يكون هو المقصود، في حين تكون وظيفة الأصوات الصامتة في موسيقى الكلام تشبه وظيفة قرع الطبول في الأوركسترا<sup>(١)</sup>.

والفاصلة في هذه الدراسة تعني الكلمة الأخيرة من الآية، ووظيفتها هو تلخيص معنى الآية تلخيصاً يتضح به المعنى المراد منها وتقع ((عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها...))<sup>(٢)</sup>. والفاصلة إشارة مضيئة إلى مركز الثقل في الآية<sup>(٣)</sup>، لذا فإن القرآن الكريم لا يعنى بالانسجام الصوتي للفواصل وحده من دون أن يلحظ تناسقها مع المعنى الذي يفرضه السياق أو الحالة النفسية التي يريد القرآن الكريم للسامع أن يكون عليها<sup>(٤)</sup>. ومن هنا لا يمكن التطلع إلى صوت الفاصلة شيئاً مكتفياً بذاته بل بوصفه بنية معنوية وجمالية في أن واحد.

ستقف الدراسة على الألفاظ التي تتطوي على صفة مباشرة من صفات بني إسرائيل أو التي تختفي في ظلالها الصفة. فللفاصلة في آيات الصفات حضور متميز في تجسيد الدلالة؛ إذ يتأزر أمران في منحها هذه القدرة الإيحائية هما : التشكيل المقطعي، وجرس الأصوات وإيقاعها، ولم يكن من المناسب أن نفصل بين هذين الأمرين في الشرح والتحليل؛ لأن أحدهما متعلق بالآخر ويقوم عليه ويكمله، فالصوت والمقطع هما

(١) ينظر : موسيقى الشعر العربي "مشروع دراسة علمية" شكري محمد عياد ١١٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٨٤/١، وينظر : من أسرار التعبير في القرآن "الفاصلة القرآنية"، عبدالفتاح لاشين ٦.

(٣) ينظر : إعجاز القرآن، ٢٠٦/٢.

(٤) ينظر : الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبدالرحمن ٢٥٨، وأبحاث في أصوات العربية ١٤٣، والتعبير القرآني ١٩٦، والجرس والإيقاع في تعبير القرآن ٣٥١.

مركزا الفاصلة في دلالتها الصوتية، وتعدّ هذه الخطوة محاولةً استنتاجية لدراسة بعض بُنى القرآن التي تتجلى فتبدو أكثر فاعلية في بيان أثر التشكيل المقطعي في دلالة الفاصلة وما تؤدّيه في السياق من معنى في آيات الصفات.

والتشكيل المقطعي هو انقسام اللفظة على مقاطع متباينة الأنواع وربما متفّقة، تمثّل البناء الهيكلي لها، وبحسب عدد تلك المقاطع يُصنّف نوع الكلمة كأن تكون أحادية المقطع أو ثنائية.. الخ مع عدم مراعاة المدة التي يستغرقها المقطع المنطوق.

وللمقاطع أهمية كبيرة في الدراسات الصوتية الحديثة<sup>(١)</sup>، وقد كان علماءنا الأجلاء على وعي تامّ بفكرة المقطع على عكس ما يظنه بعض الباحثين<sup>(٢)</sup>.

نجد أول إشارة واضحة للمقطع بمعناه الاصطلاحي الحديث عند "أبي نصر الفارابي" (٣٣٩هـ) حيث قال : ((وكل حرف غير مُصَوِّتٍ أتبع بمصوِّتٍ قرن به، فإنه يُسمى "المقطع القصير" والعربُ يسمونه "الحرف المتحرك" من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات.. وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل، فإننا نسميه "المقطع الطويل"))<sup>(٣)</sup>.

عرّف المحدثون المقطع تعريفات عدة، وإن اختلفوا في تعريفه<sup>(٤)</sup>، واختلافهم هذا يرجع جزئياً إلى اختلاف نظرة كل واحدٍ منهم إلى المقطع سواء كانت نظرةً أكوستيكية، أم نظرةً نطقية، أن نظرة فونولوجية، ولكنهم مع ذلك أدركوا أهميته في الدراسة الصوتية التي أرجعوها إلى أسباب كثيرة<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : الأصوات اللغوية، ١٥٩، ودراسة الصوت اللغوي ٢٣٧-٢٣٨، والفاصلة في القرآن ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) ينظر : البحث اللغوي عند العرب ٩٠، والتصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيّب البكوش ٧٦.

(٣) كتاب الموسيقى الكبير ١٠٧٥، وينظر : أبحاث في أصوات العربية ٨٦-٨٧، والبحث الصوتي والدلالي عند الفيلسوف الفارابي، رجاء عبدالرزاق (م/ر) ١١٠.

(٤) ينظر : موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس ١٤٧، ومناهج البحث في اللغة ١٣٨ والمنهج الصوتي للبنية العربية ٣٨، وعلم الأصوات العام، بسام بركة ١٨٠، دراسة السمع والكلام ٢٧٦-٢٧٧، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير إبراهيم وحيد العزاوي ١٢٨، والوحدات غير المقطعية في اللغة العربية، ندى صالح يوسف (م/ر) ٧-١٨.

(٥) ينظر : دراسة الصوت اللغوي ٢٣٧-٢٤٠.

وقد استفاد الدكتور "حسام النعيمي" من تعريفات من سبقه ليصوغ تعريفاً واضحاً محدداً بداية المقطع ونهايته فيقول : ((المقطع وهو وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعاً بصائت، أو حيث تنتهي السلسلة المنطوقة قبل مجيء القيد))<sup>(١)</sup> وهذا يتناسب مع نظام كل لغة في صوغ مفرداتها، ويؤدي تتابع كل نوع من هذه المقاطع دلالة في المعنى اعتماداً على الحيز الزمني الذي يستغرقه كل نوع من أنواع المقاطع.

بمعنى أنه لما كانت الكلمات تتكون من مقاطع متتابعة، وكان لكل مقطع سماته الصوتية المتميزة، كان ترتيب هذه المقاطع في الكلمات وتواليها على نسق معين، ذا أثر كبير في إحداث نوع من الموسيقى الداخلية تتناسب والأفكار التي تعبر عنها وتصورها، فالمقاطع المقفلة تستغرق في نطقها زمناً أقل مما تستغرقه المقاطع المفتوحة، ومن هنا كان استخدام المقاطع المقفلة يناسب لونا من التعبير لا تؤديه المقاطع المفتوحة والعكس صحيح<sup>(٢)</sup>.

ومن أبرز المقاطع التي تشكلت منها الفواصل القرآنية في آيات الصفات :

- ١ - المقطع القصير : ويتكون من صوت صامت ومصوت قصير، ورمزه (ص ح).
- ٢ - المقطع الطويل المفتوح : ويتكون من صامت واحد ومصوت طويل، ورمزه (ص ح ح).
- ٣ - المقطع الطويل المغلق : ويتكون من صامتين بينهما مصوت قصير، ورمزه (ص ح ص).
- ٤ - المقطع المديد : ويتكون من صامتين بينهما مصوت طويل، ورمزه (ص ح ح ح).

والأنواع الثلاثة الأولى هي الشائعة، وهي التي تكون الكثرة الغالبة من الكلام العربي، أما النوع الرابع فأقل منهما ولا يكون إلا في أواخر الكلمات وعند الوقف<sup>(٣)</sup>.  
والفواصل القرآنية في آيات الصفات تقسم من حيث عدد مقاطعها على :

(١) أبحاث في أصوات العربية ٨.

(٢) ينظر : لغة القرآن في جزء عم ٣٥٧.

(٣) ينظر : الأصوات اللغوية ١٦٣، ومناهج البحث في اللغة ١٤٠-١٤١، ودراسة الصوت اللغوي ٢٥٦-٢٥٧، وعلم اللغة المبرمج ١٤٥-١٤٦؛ وأبحاث في أصوات العربية ٩-١٠.

(ثنائية) و (ثلاثية) و (رباعية) المقاطع فقط على أن البحث سيرا على الوقف على الفواصل، يقول "الزركشي" ((إن مبنى الفواصل على الوقف، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون))<sup>(١)</sup>.

جاءت الفواصل الثنائية المقطع قليلة جداً مقارنةً بغيرها، وهي في الغالب تأتي للتعبير عن صفة لأفراد معينين لا جماعات، ومن أمثلة هذا النوع من الفواصل قوله تعالى : ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف/١٦]، إذ أنها تتكون من مقطعين على الوجه الآتي:

يَبْكُونَ : يَبْ — /كُونَ

طويل مغلق /مديد

جاء في معنى الآية : يبكون، أي : متباكون<sup>(٢)</sup>، فقد أصطنعوا البكاء تمويهاً على أبيهم "يعقوب"، وهذا ضرب من الخداع والنفاق لذا قيل : ((إِذَا كَمَلْ نَفَاقُ الْمَرْءِ مَلَكُ عَيْنِهِ حَتَّى يَبْكِي مَا يَشَاءُ))<sup>(٣)</sup>، وعلى الرغم من قصر التشكيل المقطعي إلا أنه يتناسب مع السياق الدال على الحركة السريعة والانفعال، فقد اختيرت الفاصلة اختياراً منسجماً مع ما تعبر عنه، كذلك جاءت أصواتها متآزرة مع الصيغة فهي تبدأ بصوت (الياء) وهو صوت نصف حركة مجهور<sup>(٤)</sup>، والباء الشفوي الانفجاري، والكاف بهمسه وشدته متبوع بصوت المد (الواو) باستطالته وامتداده إلى الأمام، متبوع بغنة النون المجهورة كل ذلك قد جعل مشهد التباكي ماثلاً أمامنا ومتخيلاً لنا، إذ أن جهر الأصوات وشدتها يحاكي شدة بكائهم وقوته.

ومما يلحظ في الفاصلة الثنائية المقطع أن أصوات المقطع الثاني أكثر وضوحاً من أصوات المقطع الأول وربما كان ذلك لتوضيح التدرج في الخداع إذ يبدأ هاجساً نفسياً ثم يصبح سلوكاً علنياً ثم الإصرار على هذا السلوك.

(١) البرهان في علوم القرآن ٩٩/١.

(٢) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤٨٠/١، وإرشاد العقل السليم ٣/٣٧٢، والتحرير والتنوير ٢٣٦/١٢.

(٣) لطائف الإشارات ٧٠/٢.

(٤) ينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ٥٣، وعلم اللغة المبرمج ١٢٠.

وإذا انتقلنا إلى الفواصل الثلاثية المقطع، نجدها أكثر شيوعاً من سابقتها، ويمنح طول الفاصلة السياق طاقةً إيحائيةً كبيرةً تكمل المعنى وتوضحه بشكل أكثر دقةً، فجاء المعنى طالباً تلك الفواصل لتكون عنصراً مكملاً له.

وقد أكثر الأسلوب القرآني من استعمال الكلمات الثلاثية المقاطع في آيات الصفات في السور المدنية والمكية سواء كانت أفعالاً أم أسماءً، مجردةً أو مزيّدةً، من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيْنَ ﴾ [البقرة/٦٥]، [الاعراف/١٦٦].

### فهذه الفاصلة ثلاثية المقاطع وكالاتي :

خَاسِيْنَ : خَا / سِ / ثَيْنِ

طويل مفتوح/قصير/مديد

وقد جاءت مقاطع الفاصلة متناسبة مع السياق الذي تعبّر عنه، فأوصاف المعتدين من بني إسرائيل على حدود الله تحتاج إلى وقفة أطول، إذ تبدأ بالمقطع الطويل المفتوح وتنتهي بالمقطع المديد لتوحي بإمكان الصفة فيهم بما يُلقى في نفس المتلقي ما يدل على جدية الموقف الحاسم، تدل مادة (خَسَأَ) على الطرد والإبعاد والتصغير والاحتقار، ويُقال : خَسَأَ الكلبُ أو الخنزيرُ خَسَأً وخُسُوءاً إذا زَجَرْتَهُ وطرَدْتَهُ<sup>(١)</sup>. وقد وردت في القرآن الكريم أربع مراتٍ جاء اثْنانٍ منها في حق المتجاوزين من بني إسرائيل<sup>(٢)</sup>.

ذكر بعض المفسرين أن (خاسيين) تعني الصاغرين المبعدين عن الخير الأذلاء<sup>(٣)</sup>.

والملاحظ أن لفظة (خاسيء) فيها من قوة الجرس ما تشمئز منه النفس وتتقبض ومن ثم تبعد عن هذه الصفة الوضيعة التي لا تليق بمن كرمه الله تعالى على سائر

(١) ينظر : في مادة (خَسَأَ) : العين ٢٨٨/٦، والصاح ٤٧/١، ومقاييس اللغة ١٨٢/٢، وأساس البلاغة ٢٢١، ولسان العرب ٦٥/٥، والقاموس المحيط ١٣/١، وبهجة الأريب ١٨٩/١ "وخسأ" ودلالاتها في القرآن الكريم، محمد عبدالمطلب البكاء "بحث" ٦-١١ .

(٢) ينظر : المعجم المفهرس ٢٣١.

(٣) ينظر : الكشف ٢٨٦/١، ومجمع البيان، الطبرسي ١٢٩/١، وأنوار التنزيل ٧٢/١، والفتوحات الإلهية ١٠٠/١.

المخلوقات. جاءت أصوات الفاصلة معبرة عن معناها، فالخاء صوت طبقي مهموس احتكاكي ينطق من أقصى اللسان<sup>(١)</sup>، وقد أعطاه المد وضوحاً أكثر في السمع، ثم السين المهموس الاحتكاكي الذي يوحي بالسكينة والهدوء والضعف والاختفاء<sup>(٢)</sup>، والهمزة صوت حنجري انفجاري مجهور - كما وصفها القدماء - تجري مجرى التهوع، ولذلك تنقل على لسان المتلفظ بها<sup>(٣)</sup>، وهي صوت ذات جرس عال<sup>(٤)</sup>، فالصوت يعلو بها عند النطق بها، ويتبع الهمزة صوت المد (الياء) المتدني إلى الأسفل والمصتدم بغنة النون المجهورة فأوحي بهبوط هؤلاء ونكوصهم إلى مقام أدنى مما كانوا عليه.

ومن الفواصل الثلاثية قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء/٦] فهي

تتكون من ثلاثة مقاطع :

نفيرا : ن / في / را

قصير/طويل مفتوح/طويل مفتوح

يبدأ هذا التشكيل المقطعي بمقطع قصير ثم مقطعين طويلين مفتوحين، وهذا يوحي بسرعة الحركة، وقد شاركت أصوات اللفظة دلالتها اللغوية في الإيحاء بالمعنى، جاء في معنى النفير : ((النون والفاء والراء أصل صحيح يدل على تجاف وتباعداً))<sup>(٥)</sup>، والنفر : التفرق، والنفير : أنصار الرجل وعشيرته الذين ينفرون لمعاونته ونصرته<sup>(٦)</sup>، فيكون المعنى : صيرناكم أكثر عدداً وعدة وأنصاراً وأشد فرعاً وإسراعاً إلى الحرب<sup>(٧)</sup>.

وواقع الحال يشهد بذلك : ((إذ تستطيع دولة إسرائيل - الحالية - أن تحشد جيشاً كبيراً وتستنفر العالم من ورائها))<sup>(٨)</sup>، فإذا غضبوا غضبت دول العالم - رأسمالية رأسمالية وشيوعية - لغضبهم، وإن دعوا أجاب الظالمون وتنادوا لنصرتهم.

(١) ينظر : الأصوات اللغوية ٨٨، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ٥٤، ودروس في علم أصوات العربية ٣١.

(٢) ينظر : من صور الإعجاز الصوتي في القرآن ٧٩.

(٣) ينظر العين ٥٢/١، الكتاب ٤٣٢/٤-٤٣٣، والمقتضب ١٩٥/١، وسر صناعة الاعراب ٦٠/١-٦١، والهمزة في العربية صوتاً ورسمًا، ناهدة غازي علوان التميمي (ر/م) ٦ وما بعدها.

(٤) ينظر : الرعاية ١٠٨، والتشكيل الصوتي في اللغة العربية، سلمان العاني ٩٥.

(٥) مقاييس اللغة ٤٥٩/٥.

(٦) ينظر في مادة (نفر) : المفردات ٧٦٣، وأساس البلاغة ٨٦٦، ومختار الصحاح ٦٧٢، ولسان العرب ٣١٨/١٤ والقاموس المحيط ١٤٦/٢.

(٧) ينظر : أنوار التنزيل ٥٦٧/١، والتحرير والتنوير ٣٣/١٥.

(٨) الأساس في التفسير ٣٠٤/٦.

كل هذه المعاني قد أوحى بها جرس الأصوات، فـ (الفاء) الشفوي الأسناني المهموس الاحتكاكي<sup>(١)</sup>، قد ساهم بدرجة كبيرة في تصوير المعنى، فالنون والفاء إذا اجتمعتا في أول بعض الكلمات وأعقبهما صوت ثالث دلاً على غاية البعد والإقصاء والفرع إلى الشيء كما في : (نفي، ونفر، ونفش، ونفد...)، ويرى بعض المحدثين أنهما يدلان على معنى الخروج والانتقال والظهور والبروز<sup>(٢)</sup>. فصوت (الفاء) يُشعرنا بالهواء بالهواء النافث والمتدفق من بين الشفتين والأسنان عند النطق بها، فهي توحى بالتباعد وسرعة الانتشار، وزاد هذا التصوير دلالة مجيء (الياء) المدية المجهورة الرخوة بعدها فزاد النفس فيها خروجاً، واستطالة بما يحاكي البعد، ثم الراء المكرر المتبوع بالألف الممدود وهما صوتان مجهوران منحا اللفظة وضوحاً وقوة في التعبير عن المعنى، إذ أن المد في الألف زاد في إظهار الصوت لتجسيد سرعة الفرع وكثرة العدد، ولا يخفى الأثر الموسيقي الذي أحدثه المد في الفاصلة.

وقد تأتي الفاصلة الثلاثية في المواضع التي عدل فيها الأسلوب القرآني عن الأصول مراعاةً للتوافق الموسيقي مع بقية الفواصل ومقتضيات المعنى، وهذا مما اصطاح عليه بـ (إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل)، وقد حصرها "الزركشي" باثني عشر موضعاً<sup>(٣)</sup>.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿.. ففريقاً كذَّبْتُمْ وفريقاً تقتلون﴾ \* [البقرة/٨٧]

جاءت الفاصلة ثلاثية المقاطع وكالاتي :

تقتلون : تَقَّ / ت / لون

طويل مغلق/قصير/مديد

سياق الآية يدل على أن هذا الخطاب موجه إلى أسلاف بني إسرائيل الذين كذبوا بعض الأنبياء وقتلوا البعض الآخر، ويجوز أن يكون الخطاب عائداً على أخلافهم في

(١) ينظر : علم اللغة، السعران ١٩٠، وعلم اللغة المبرمج ١١٣.

(٢) ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية ٨٧، ١٠٤.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٩١/١-٩٨.

\* ينظر : البقرة/٦١، وآل عمران/١١٢، والمائدة/٧٠-٧١.

زمن النبي محمد ﷺ لأنهم راضون بفعلهم وفيه إشارة إلى أنهم يحومون حول قتل النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

كان مقتضى الظاهر أن يُقال : (كذبتهم.. قتلتم) توحد الإخبار بالفعل الماضي<sup>(٢)</sup>، إلا أن الخطاب القرآني يتلون من الناحية الزمنية من الماضي إلى المضارع لفائدة أسلوبية في استحضار صورة القتل في ذهن حتى يخال للمتلقي أنها واقعة في الحاضر ابتغاء تقبيح صورة القتل والتنفير منها<sup>(٣)</sup>، والفعل المضارع قد ساعد على تجسيد القيمة الحضورية وتمائلها في النفس حتى نتعاش مع الحدث وكأننا نرجع بفكرنا إلى اللحظة التي بدأت فيها تفاصيل الحدث بانسيابية فهو أكثر تعبيراً، وأبلغ وصفاً، وفضلاً عما أحدثه عدول الأسلوب القرآني من معانٍ نجد أصوات الفاصلة قد ساهمت في تجسيد المعنى، (فالقاف) صوت مهموس انفجاري - عند المحدثين<sup>(٤)</sup>. قد دل على معنى الاصطدام والانفصال مقترن بحدوث صوت انفجاري تصوّره (القاف) في شدتها<sup>(٥)</sup>، جاءت أصوات الفاصلة معبرة عن معناها، إذ تبدأ بصوت (التاء) المهموس مشيراً به إلى المبالغة في فعلهم، ثم يليها (القاف) وهو صوت غالباً ما يرد في البيان القرآني في مواقف الشدة والتهديد، فضلاً عن موازنة بقية الأصوات التي تشكل مجموعها أشبه مايكون باللحن الموسيقي، وهذا كله حاكي دلالة فعل القتل، فالقتل لغة : ((أصل صحيح يدل على إذلال وإماتة))<sup>(٦)</sup>، يُقال : قتله، إذا أماته بضرب أو حجر أو سم أو علة<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر : الكشف ٢٩٥/١، والبحر المحيط ٤٨٣/١، وأنوار التنزيل ٧٩/١، وإرشاد العقل السليم ١٦٢/١، والتحرير والتنوير ٥٩٨/١.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٩٨/١، ومعتزك الأقران في إعجاز القرآن ٣٥/١.

(٣) ينظر : إرشاد العقل السليم ١٦٢/١، والمعاني في ضوء أسلوب القرآن ٢٥٧-٢٥٨، ومعاني النحو، فاضل السامرائي ٣١٩/٣.

(٤) ينظر : علم اللغة العام "الأصوات" ١٠٩، والتطور النحوي للغة العربية برجستر أسر ١٦-١٧، وعلم اللغة المبرمج ١٢٢، وأصوات العربية بين التحول والثبات ٢٥.

(٥) ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية ١٠٤.

(٦) مقاييس اللغة ٥٦/٥.

(٧) ينظر في مادة (قتل) : لسان العرب ٢٢/١٢، المصباح المنير ٤٩٠/٢، والقاموس المحيط ٣٥/٤.

وأمثلة الفواصل الثلاثية في آيات الصفات كثيرة جداً، إذ شاعت فيها لتمثيل صفات الجماعة، وقد منحت السياق طاقةً إيحائيةً كبيرةً، فجاءت أصواتها مكملةً لمعناها وهادفةً إلى إيضاحه.

وتجدر الإشارة إلى ((أنّ النظم القرآني لم يخرج عن مقتضى الظاهر في التركيب اللغوي مراعاةً للفاصلة، ولكنّ المعنى فرضَ الخروج عن هذا "المقتضى" وكانت الفاصلة نتيجةً من نتائج الوفاء بالمعنى، فالأمر كله سياقٌ عامٌ يؤدي معنىً معيناً يتطلب تركيباً معيناً، فالعلماء هنا يصفون مدى ارتباط الشكل بالمضمون، وموسيقاً الفاصلة جزءً من الشكل وجزءً من المضمون))<sup>(١)</sup>.

أمّا الفواصل الرباعية فكان لها نصيبٌ وفيرٌ في آيات الصفات، فاللفظة فيها تمارس فاعليتها بحريةً أوسعَ في التعبير عن المعنى المراد رسمه على أفضل صورة، مثل قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾\* [الأنعام/١٤٧]، جاء هذا التهديد في سياق الحديث عن التشديد الذي لحق اليهود بسبب بغيتهم، فكان يتّقلّ عليهم أن يكون بعض شرعهم عقاباً لهم فاحتجوا أن الشرع رحمةٌ من الله فأجابهم سبحانه بأن رحمته واسعةٌ حقاً ولكنّ ذلك لا يمنع عقابه عن المذنبين المكذّبين. ولفظ المجرمين يعمهم وغيرهم فظاهر الخطاب انه ذو عقوبة شديدة، وإنما قال ذلك نفيّاً للاغترار بسعة رحمته سبحانه في الاجترار على معصيته وذلك أبلغ في التهديد والمعنى لا تغتروا بسعة رحمة الله ﷻ في الاجترار على معصيته فإنه مع ذلك لا يردّ عذابه عنكم<sup>(٣)</sup>.

والجرم في اللغة : التعدي، والذنب، والمجرم : المذنب<sup>(٤)</sup>، جسدت هذه اللفظة

المعنى بقوة كبيرة فهي مكونة من أربعة مقاطع :

المُجْرِمِينَ : أَلْ / مُجْ / رِ / مِينَ

طويل مغلق/طويل مغلق/قصير/مديد

(١) البديع تأصيل وتجديد . ٥٠.

\* ينظر : القصص/٧٨.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن ١/١٢١، والتحرير والتنوير ٨/١٤٥.

(٤) ينظر في مادة (جرم) : أساس البلاغة ١٢٥، ولسان العرب ٣/١٢٩-١٣٠، المصباح المنير

١/٩٧، والقاموس المحيط ٤/٨٨.

وهذا التشكيل يتناسب مع تمكن صفة الإجماع فيهم، أما اتساق أصوات الفاصلة فيكاد ينبئ عن المعنى فيزداد رسوخاً في الذهن ووضوحاً، فـصوت (الجيم) وهو صوت مجهور- على ما هو عليه الآن- يجمع بين الشدة والرخاوة، فالهواء معه يبدأ انفجارياً ثم يصبح احتكاكياً، فهو ذو طبيعة مركبة أو مزدوجة<sup>(١)</sup>، وهذا التكرار في صوت (الراء) يشير إلى استمرارهم في ارتكاب الذنوب وتكرارها، فضلاً عما في صوت (الميم) المكرر من خصائص مميزة أضفت القوة على اللفظة مشيرة إلى دلالة القطع والاستئصال<sup>(٢)</sup>، ولا ينكر ما لجهر (الياء) و (النون) من فاعلية عالية منحا اللفظة وضوحاً وتناسقاً موسيقياً. ويلحظ تآزر أصوات الفاصلة مع صيغة (اسم الفاعل) المجموع جمع سالم ليدل على ثبات صفة الإجماع واستقرارها.

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾\*\* [البقرة/٩٩].

والفاصلة تتكون مع أربعة مقاطع :

الْفَاسِقُونَ : أَلْ / فَ / سِ / قُونَ

طويل مغلق / طويل مفتوح / قصير / مديد

وهذا التشكيل يتناسب مع صفة الفسق وهي : العصيان وترك أمر الله والخروج عن طريق الحق، والعرب تقول إذا خرجت الرطوبة من قشرتها؛ قد فسقت، والفويسقة : الفأرة كأنها سُميت بذلك لخروجها من حجرها على الناس للإفساد<sup>(٣)</sup>، ومنه سُمي الخروج من طاعة الله بكبيرة فسقاً وهو ليس كالفجور إذ هو الانبعاث في المعاصي والتوسع فيها<sup>(٤)</sup> ويكون الخروج إلى المكروه مرة "اعتقاداً وفعلاً" كفسوق

(١) ينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ٥١، ومناهج البحث في اللغة ١٣١، وفي صوت الجيم خلاف بين القدماء والمحدثين ينظر : العين ٥٨/١، والكتاب ٤٣٣/٤-٤٣٤، والمقتضب ١٩٤/١، وأسباب حدوث الحروف ٧٥-٧٦ والتطور النحوي للغة العربية ١٧، وأصوات العربية بين التحول والثبات ٦٢-٦٨، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٢٨١.

(٢) ينظر : العلاقة بين الصوت والمدلول، عبدالكريم مجاهد "بحث" ٨٦-٨٩.

وينظر : آل عمران / ١١٠، والمائدة / ٥٩، ٤٧، ٢٦، ٢٥.

(٣) ينظر في مادة (فسق) : الصحاح ٢٤٢/٢ ومقاييس اللغة ٥٠٢/٤، وأساس البلاغة ٦٣٧، ولسان العرب ١٨١/١١، والقاموس المحيط ٢٧٦/٣، والكلديات ٢٢٧، وتاج العروس ٤٨/٧.

(٤) ينظر : الفروق اللغوية، ٢٢٥.

إبليس عن أمر ربّه، ومرة يكون فعلاً كفّسّق المؤمن ومعصيته عن أمرها، وهو خروج من طاعة إلى معصية ومن الإيمان إلى الكفر<sup>(١)</sup>.

كشف "القرآن الكريم" عن علة كفر اليهود بتلك الآيات البيّنات التي أنزلها سبحانه، إنه الفسوق، واستعمل في هذه الآية بدلاً عن الكفر ليدلّ عن أعظم الكبائر<sup>(٢)</sup>. والمتدبر لاستعمال (الفسق) في آيات الصفات يجد أن اللفظة توحى بإيحاءات أخرى مضافة إلى المعنى اللغوي فهي توحى بخروج مطلق عن الوضع السليم والعقيدة الحقّة، واقتران كيانهما الاجتماعي والخلقي بنوع من المخلوقات المحنّقة كالفأرة.

جاءت الفاصلة معبرة بأصواتها عن المعنى بدقة، فاجتماع صوت (الفاء) المهموس الاحتكاكي والذي يوحي بدلالة التباعد والخروج، متبوع بالألف الممدود بعدها زاد في تصوير معنى الخروج والتمرد والعصيان، ثم مجيء صوت (السين) المهموس الصفيري خير ما يحاكي المعنى فكأنّ الفاسق يبدأ بالتمرد في داخله بهيئة وسواس خبيث يحثّه على العصيان حتى يتمكن منه ويسيطر عليه، ومجيء صوت (القاف) المهموس الانفجاري الذي يدلّ على الانفصال. ثم الواو والنون المجهوران وقد زادت اللفظة علواً ووضوحاً. ومجيء المقطع الأخير مديداً ليدلّ على المبالغة في الفسوق.

إن اجتماع هذه الأصوات بمختلف صفاتها يوحي بازدواجية العمل والتفكير عند الأكثرية من بني إسرائيل وعدم ثباتهم على المبدأ، الصحيح قيل : ((الفاسق من شهد ولم يعمل واعتقد))<sup>(٣)</sup>.

ومن الفواصل الرباعية قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [الحشر/١٣] وقوله : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر/٤١].

والتشكيل المقطعي لهاتين الفاصلتين على النحو الآتي :

لَا / يَفْ / قَ / هُونْ

طويل مفتوح / طويل مغلق / قصير / مديد

لَا / يَعْ / قَ / لُونْ

طويل مفتوح / طويل مغلق / قصير / مديد

(١) ينظر : مجاز القرآن ٤٠٦/١ والكلبيات ٢٧٧.

(٢) التعريفات ١٣٥.

(٣) ينظر : الكشف ٣٠٠/١، ومجمع البيان ١٦٨/١.

فالفصلتان متفقتان في البناء المقطعي، فقد أدخل معهما حرف النفي (لا)؛ لأنه يشكل معهما لفظاً واحداً يعني انتفاء الفقه والعقل عنهما، لذا نجد تكافؤاً صوتياً بتوازن تام تفترق فيه دلالة الفاصلة الأولى عن الثانية وتلتقيان عند محور إيحائي واحد وهو كونهما صفتان من صفات بني إسرائيل.

ودقة الاستعمال القرآني جعلت كل فاصلة مستقرة في موضعها ((فتكون المفردة تنوياً لما يسبقها، بحيث تناسب فحوى المعنى الوارد))<sup>(١)</sup>.

وفي معنى الفقه قال "ابن فارس": ((الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به))<sup>(٢)</sup>. إن الله تعالى - لما أخبر عن اليهود والمنافقين بسوء أحوالهم، وأن الرعب قد سكن قلوبهم حتى كأن خوفهم من المؤمنين أشد من خوفهم من الله، فناسب هذا المعنى نفي الفهم والفتنة عنهم، وأتبع ذلك بيان شدة بأسهم بينهم وشتات أحوالهم بقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر/١٤]. فناسب هذا مجيء فاصلة تدل على عدم الثبوت على شيء والرجوع إلى قانون يقفون عنده فهم مضطربو الشخصية فقال عز من قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

والعقل: التثبت في الأمور، ورجل عاقل: جامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه. وسمي عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه - وهو ما يميز الإنسان من سائر المخلوقات<sup>(٤)</sup>.

جاءت أصوات هاتين الفاصلتين متناسبة مع السياق لتجسيد المعنى المقصود، ففي الفاصلة الأولى (لايفقهون) فقد تتابع فيها أصوات الهمس (الفاء، والهاء، والقاف)، ومع ذلك فإن جهر بقية الأصوات قد منح الفاصلة فاعلية أعلى لتوضيح المعنى. أما الفاصلة الثانية (لايعقلون)، فإن اجتماع صوت العين كما وصفه القدماء صوت حلقي

(١) جماليات المفردة القرآنية ٣١٧.

(٢) مقاييس اللغة ٤/٤٤٢، وينظر أيضاً في مادة (فقه): لسان العرب ١١/٢١٠، والمصباح المنير ٢/٤٧٩، والقاموس المحيط ٤/٢٨٩.

(٣) ينظر: درة التنزيل و غرة التأويل، الخطيب الإسكافي ٤٧٥-٤٧٦، وملاك التأويل، ابن الزبير ٢/١٠٧٧.

(٤) ينظر في مادة (عقل): مقاييس اللغة ٤/٦٩، ولسان العرب ١٠/٢٣٢-٢٣٣، والمصباح المنير ٢/٤٢٢-٤٢٣، والقاموس المحيط ٤/١٨، وتاج العروس ٨/٣٥.

مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة<sup>(١)</sup>. وكما وصفه المحدثون فإنه صوت مجهور احتكاكي<sup>(٢)</sup>. فللعين طبيعة نغمية خاصة فهي أطلق الحروف وأنصعها جرساً، وتكون في أكثر سياقاتها تعبر عن تصوير جسامة الحدث وقوة الفعل وشدته<sup>(٣)</sup>، متجانساً مع صوت القاف المهموس الانفجاري، فادى ذلك دوراً واضحاً في تناسق اللفظة موسيقياً، فما دخلا في بناء إلا حسن ذلك البناء لنصاعتهما وقوة جرسهما، وهذا يوحي بأن فقدان العقل أو جموده بالجهل والغفلة أمرٌ عظيم؛ لأنه مناط التكليف فإذا عطل عن عمله مسخت بشرية الآدمي فيهبط إلى دون الدواب العجم.

يلحظ على فواصل آيات الصفات أنها تخلو من الفواصل الأحادية المقطع، ربما، لأن سياقها لا يتناسب والمقاطع القصيرة جداً، فهذه الفواصل لا تفي ببيان دلالة الصفة. وكذلك لم توجد فواصل خماسية المقاطع، ربما كان السبب في ذلك هو أن الخطاب القرآني يميل إلى ضغط واختزال بُنى الفواصل في مواقف التعبير عن صفات بني إسرائيل.

وهكذا، تعدّ الفاصلة صورةً من صور البناء الفني للغة القرآن، ومن أهم وسائل التعبير الدقيق حتى صارت عنصراً جوهرياً في البناء اللغوي لآيات الصفات، ولها قيمتها في إتمام المعنى وتوضيح الصورة.

إن تردد فواصل بعينها هو قمة التوافق اللفظي، لتطمئن الأفتدة وترتاح الاسماع لذلك فلا تمل من طول سماعه كما تبين أن الفواصل التي أوتي بها تكون مشحونة بالمعنى فلا يحتاج إلى ما يوضحها أو يصفها فهي في العبارة القرآنية دقيقة مُنقنة تقتزن بنهاية الجملة القرآنية ليتم المعنى المقصود..

(١) ينظر : العين ٥٨/١، والكتاب ٤٣٣/٤-٤٣٥.

(٢) ينظر : الأصوات اللغوية ٨٨، ومناهج البحث في اللغة ١٠٢، ودراسة الصوت اللغوي ٢٧٢، وعلم اللغة المبرمج ١٢٢.

(٣) ينظر : العين ٥٣/١، ومن صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ٧٩.

## المبحث الثالث الوحدات غير المقطعية

وتسمى أيضاً فونيمات مافوق التركيب، وهي ملامح صوتية غير تركيبية تصاحب الكلام، وتمتد عبر أطوال متنوعة<sup>(١)</sup>، ولكنها لا تكون جزءاً من تركيب الكلمة، وإنما تظهر وتلاحظ فقط حين تضم كلمة إلى أخرى أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة<sup>(٢)</sup>.

وقد أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة ضرورة دراسة هذه الوحدات جنباً إلى جنب مع الوحدات المقطعية (الصوامت والصوائت وأنصاف الصوائت)، ليكمل وصف لغة من اللغات، فعدت هذه الوحدات ضرورية لكل ملفوظ منطوق<sup>(٣)</sup>.

وأهم هذه الوحدات : النبر، والتنغيم، والسكت (الوقفة أو المفصل الصوتي)، والطول (طبقة الصوت). علماً أن هذه الوحدات لا تظهر إلا من خلال النطق، وستقف الدراسة عند النبر، والتنغيم، بوصفها أهم مظهرين من مظاهر الصوتيات غير المقطعية، ولأهميتهما في سياق آيات الصفات وتأثيرهما المتميز فيه.

### أولاً: النبر

لغة : استخدم علماء العرب القدماء مصطلح النبر للدلالة على الهمز وارتفاع الصوت في الكلام، ف قيل : نبرت الشيء أنبره نبراً : رفعته، ومنه سمي المنبر، وكل شيء رفع شيئاً، فقد نبّره، ونبرة المغني : رفع صوته عن خفض.

والنبر : مصدر نبر الحرف ينبره نبراً همزه، والنبر همز الحرف، ولم تكن قریش تنبر في كلامها.

والنبر عند العرب : ارتفاع الصوت، يقال : نبر الرجل نبرة، إذا تكلم بكلمة فيها

علو<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر : دراسة الصوت اللغوي ١٨٦، وعلم اللغة المبرمج ١٣٨، وعلم الأصوات العام ٩٩-١٠٠.

(٢) ينظر : علم اللغة العام "الأصوات" ٢١٠، في علم اللغة العام ١١٠.

(٣) ينظر : الوحدات غير المقطعية في اللغة العربية، ندى صالح (ر/م) ٦١.

وحده "المؤدب" (ت بعد ٣٨٨هـ) بقوله : ((وسمي نبراً لنبرك إياه إلى حنك الأعلى، والنبر : الرفع))<sup>(٢)</sup>.

**أصطلاحاً :** من المعروف أنَّ الكلمات مؤلفة من أصوات متتابعة مترابطة يقود أحدهما إلى الآخر، وهذه الأصوات تتفاوت فيما بينها قوة وضعفاً في نطقها بحسب موقعها من الكلمة، فالذي يحدث أنَّ المتكلم ينطق أحياناً أو مقطعاً بصورة أقوى من الأصوات أو المقاطع التي تجاوره، وحينئذ يسمى ذلك الصوت صوتاً منبوراً، أو مقطعاً منبوراً.

يذهب بعض الدارسين إلى أنه من الصعوبة تعريف النبر، إلا أنَّ تعريفات علماء الصوت تتفق على أنَّ النبر يقتضي طاقةً أو مجهوداً أشدَّ من أعضاء النطق الإنساني؛ فالمقطع المنبور بقوة ينطقه المتكلم بجهدٍ أعظم من المقاطع المجاورة له في الكلمة أو الجملة، فالنبر نشاط ذاتي يحدثه المتكلم، ينتج عنه نوع من البروز، لأحد من الأصوات أو المقاطع لما يحيط به، أما الأثر السمعي، أي ما يتحسسه السامع بالنبر، إنما يتحسسه بالعلو، ودرجات النبر<sup>(٣)</sup>.

ويمكن القول أنَّ النبر في الاصطلاح الصوتي : ((موقعية تشكيلية ترتبط بالموقع في الكلمة وفي المجموعة الكلامية، وحده أنه وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام))<sup>(٤)</sup>، أو هو ((الضغط على أحد المقاطع وإبرازه بالنسبة للمقاطع الأخرى المجاورة له، التي يكون معها، ويتم ذلك بتغير في قوة المقطع المعني))<sup>(٥)</sup>، ولهذا يمكننا القول أنَّ النبر طاقة إضافية لانتاج المقطع، ليكون بارزاً أو واضحاً قياساً بما يجاوره من المقاطع وهذه الطاقة المضافة ليست هي الطاقة اللازمة لإنتاجه؛ لأنَّ الكلام عموماً يحتاج إلى طاقة، وإنما هي طاقة إضافية على طاقة

(١) ينظر في مادة (نبر) : مختار الصحاح ٦٤٣، ولسان العرب ١٧٥/٤، والقاموس المحيط ١٣٧/٢.

(٢) دقائق التصريف، ابن سعيد المؤدب ٤١٧، وينظر : إصلاح المنطق، ابن السكيت ١٦.

(٣) ينظر : علم اللغة العام "الأصوات" ٢١٠-٢١١، دراسة الصوت اللغوي ١٨٧-١٨٨.

(٤) مناهج البحث في اللغة ١٦٠.

(٥) علم الأصوات العام، بسام بركة ١٠١.

إنتاجه تجعله أكثر بروزاً ووضوحاً، وتتجلى وظيفة النبر في أنه يبين الكلمة الأكثر أهمية في السياق، وهي التي يكون نبرها أعلى<sup>(١)</sup>.

والضغط هو أهم عوامل وجود النبر، لذا صار النبر يُعرف أول ما يعرف بدرجة الضغط على الصوت، فالضغط من الناحية العملية : ((مجهود يخرج له الهواء من الرئتين، وكل دفعة منه يصحبها إحساس عضلي))<sup>(٢)</sup>، وهذا من شأنه أن يؤثر في الصوت لإنتاج أثر، وهو العلو، ويتوقف على مدى الموجات المتذبذبة التي تؤكد الإحساس بالصوت المنبور.

لم يختلف التصور الحديث لفكرة النبر كثيراً عن تصور العلماء المسلمين، فقد عرفوه وبيّنوا أهميته في الحدث الكلامي، ودرسوه بمسميات عديدة منها : الإرتكاز، والتضعيف، والتوتر والهمز والضغط ومطل الحركات<sup>(٣)</sup>.

اختلف الدارسون المحدثون حول وجود النبر في اللغة العربية؛ إذ ينفي فريق منهم وجوده ويعده من اصطلاح الدرس الصوتي الحديث<sup>(٤)</sup>، وفريق يؤيد وجوده فيها، فيقرر نبرية اللغة العربية في توليد معان جديدة للألفاظ<sup>(٥)</sup>، في حين أن كثيراً من اللغات الأوروبية ومنها الإنجليزية هي لغات نبرية؛ لأن كلماتها عند النبر تؤدي معاني جديدة<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر : دراسات في علم أصوات العربية، داود عبده ١٠٤، والوحدات غير المقطعية في اللغة العربية ٩٠.

(٢) مناهج البحث في اللغة ١٦٠.

(٣) ينظر : الخصائص ٣/١٢٩، ١٢٣، وكتاب الموسيقى الكبير ١٠٨٤، ١١٧٣، واللغة العربية معناها ومبناها ٣٠٤-٣٠٨، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم ١٣٥.

(٤) ينظر : البحث اللغوي عند العرب ٩٠، والتصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ٧٨، ومن الغربيين : برجستر آسر في كتابة التطور النحوي للغة العربية ٧١-٧٢، وهنري فليش في كتابه العربية الفصحى ٤٩.

(٥) ينظر : الأصوات اللغوية ١٧١، والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبدالنواب ٨٧، ومن الغربيين بروكلمان في كتابه فقه اللغات السامية ٤٥، وجان كانتيني في كتابه دروس في علم أصوات العربية ١٩٤-١٩٥.

(٦) ينظر : علم اللغة العام "الأصوات" ٢١١-٢١٢، ودراسة الصوت اللغوي ١٨٨-١٨٩.

إنَّ عمليةَ تكوينِ النبرِ عمليةٌ صعبةٌ ومعقّدةٌ لعدم وجود آلية مفردة يُعزى إليها توليد النبر كما أنه لم يتمكن -إلى حدّ الآن- قياسُ مقدار الجهد<sup>(١)</sup>، فضلاً عن اختلاف النبر من لهجةٍ إلى أخرى ومن لغةٍ إلى أخرى<sup>(٢)</sup>.

أشارَ علماء الأصوات إلى درجاتِ النبرِ وفقاً للوضوح السمعي، فكلما نُطِقَ المقطع بقوة أكبر كان أكثر وضوحاً، والاختلاف في درجات العلو جعل هناك درجات للنبر هي: <sup>(٣)</sup>

١- النبر الأولي أو الرئيس.

٢- النبر الثانوي.

٣- النبر الضعيف.

وبما أنَّ النبرَ خاصّة من خواص المقطع<sup>(٤)</sup>، فإنَّ النبر الأولي يقع<sup>(٥)</sup>:

(أ) على المقطع الأخير في الكلمة.

(ب) على المقطع ما قبل الأخير في الكلمة.

(ج) وعلى المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير، إذا كان واقعاً مع ما قبله.

أمّا النبر الثانوي : فيكون في الكلمة أضيق منه في الجملة والسياق، ويوجد في الكلمات المتكونة من مقطعين فأكثر، فالمقطع المنبور نبراً ثانوياً يمكن إيجاده في السياق على مسافات محدودة مكن النبر الأولي وله قوانينه الخاصة به أيضاً<sup>(٦)</sup>.

تختلف اللغات في مواضع النبر، وفي العربية الفصحى لا يمكننا تحديد مواضع النبر إلا من خلال المقاطع الصوتية وترتيبها، وحدد الكثير من علمائنا الأجلاء النبر طبقاً لأشكال المقاطع العربية<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر : الوحدات غير المقطعية في العربية ٩٤.

(٢) ينظر : الأصوات اللغوية ١٧٠، ودراسات في علم أصوات العربية ٩٩.

(٣) ينظر : مناهج البحث في اللغة ١٦١-١٦٣، ودراسة الصوت اللغوي ١٨٩-١٩٠، والتشكيل الصوتي ١٣٤.

(٤) ينظر : النبر وبعض مظاهره في القراءات القرآنية ولأء صادق محسن "بحث" ٧٢-٧٦.

(٥) ينظر : مناهج البحث في اللغة ١٦١-١٦٢.

(٦) ينظر : مناهج البحث في اللغة ١٦٢-١٦٣.

(٧) ينظر : الأصوات اللغوية ١٧١-١٧٣، ومناهج البحث في اللغة ١٦١ وما بعدها، والتشكيل الصوتي ١٣٤. وعلم اللغة المبرمج ١٤٥.

وقد قام الدكتور "داود عبدة" بقراءة بعض تلك القواعد وموازنتها ببعضها ببعض فتوصل إلى أن قوانين الدكتور "إبراهيم أنيس" هي أكثر دقة مما سواها<sup>(١)</sup>، وكذلك ما رأيته الباحثة، لذلك ستعتمد الدراسة على هذه القوانين التي تكشف عن المعنى في آيات الصفات، كما أنها وسيلة اتخذها البحث لمعرفة علاقة النبر بالمعنى وارتباطه به من خلال خلق إيقاع معين يناسب السياق الذي يتحدث عنه، وسيكون الابتداء بما اتفق عليه المحدثون، وهو وقوع النبر على المقطع الأخير سواء أكان مديداً أم مزيداً في حالة الوقف. وسنحدد النبر الأولي فقط؛ لأنه هو الأهم علماً أن الدراسة ستقف عند الألفاظ الدالة على "صفات بني إسرائيل" في فواصلها في آيات متفرقة منها.

فمن أمثلة الفواصل الثلاثية المقاطع قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف/١٦]، نجد أن النبر فيها كالاتي :

يَبْكُونَ : يَبْ / كُونَ

طويل مغلق/ مديد

فالنبر على المقطع الأخير (كُونَ) ، أما إذا لم يكن ثانيهما مديداً، فالنبر يقع على المقطع الأول وهو قليل جداً في آيات الصفات كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه/٨١]، فالفاصلة تتكون من مقطعين :

هَوَى : هَـ / وَى

قصير/طويل مفتوح

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ [طه/٩٢].

ضَلُّوا : ظَلْ / لُوا

طويل مغلق/طويل مفتوح

فالنبر في الفاصلتين (هَوَى، وضلوا) يقع على المقطع الأول /هَـ/، و /ضَلْ/. ومن الفواصل الثلاثية المقاطع كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف/١٥٩] وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة/٦٠]، وقوله: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف/١٦٣]، وقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف/١٠٢]. فنلاحظ أن جميع هذه الفواصل الثلاثية المقاطع تنتهي بمقطع مديد، ويكون النبر عليه كالاتي :

(١) ينظر : دراسات في علم أصوات العربية ١١٣.

يَعْدِلُونَ : يَعْ / دِ / لُون  
مُفْسِدِينَ : مُفْ / سِ / دِينَ  
يَفْسُقُونَ : يَفْ / سِ / قُون  
يَمْكُرُونَ : يَمْ / كِ / رُون

النبر على المقطع الأخير

أما الفواصل الرباعية المقاطع فالنبر أيضاً يكون على المقطع الأخير كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة/٦٤] وقوله : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنفال/٥٥] وقوله : ﴿ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال/٦٥].

نجد أن هذه الفواصل تحمل مقطعاً نبرياً على النحو الآتي :

المُفْسِدِينَ : أَلْ / مُفْ / سِ / دِينَ  
لَا يُؤْمِنُونَ : لَا / يُوْ / مِ / نُون  
لَا يَتَّقُونَ : لَا / يِتْ / تَ / قُون

النبر على المقطع الرابع

وفي لفظة (لا يؤمنون) نلاحظ أن النبر الأولي يكون على المقطع الأخير (نون)، والنبر الثانوي على المقطع المهموز (يُوْ).

وهكذا نجد أن الفواصل السابقة كلها نبرية بفعل انتهائها بمقطع مديد، وكان النبر فيها وسيلة لتأكيد المعنى عن طريق التلاوة أو القراءة، ومما لاحظناه أن هذه الفواصل هي الغالبة في سياق آيات الصفات.

أما إذا كانت الفواصل غير منتهية بمقطع مديد، فإن النبر سيكون على ما قبل الأخير شرط ألا يكون قصيراً، وما قبله قصير أيضاً كما في الآيات الآتية :

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾ [الاسراء/٦] وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً ﴾ [الاسراء/١٠٧].

نَفِيراً : نَ / فِـ / رَ لَ ⇒ النبر على المقطع /في/

قصير/طويل/ طويل مفتوح

سُجَّداً : سَجْ / جَ / دَا ⇒ النبر على المقطع /ج/

طويل مغلق/قصير/ طويل مفتوح

في الآيات السابقة جاء النبر لتأكيد المعنى وتقويته، وهكذا نجد أن الفواصل التي تنتهي بمقطع مديد في سياق آيات الصفات كلها نبرية، وهي تشكل الكثرة الغالبة، أما بقية الفواصل فلكل منها مقطع يحمل النبر على وفق قانون معين.

أما أهم مظاهر النبر في سياق آيات الصفات فهي :

#### ١ - الهمز

إذا تدبرنا معنى الهمز عند القدماء، نجده ((مثل الغمز والضغط، ومنه الهمز في الكلام؛ لأنه يضغط، وقد همزت الحرف فانهمز))<sup>(١)</sup>، وبهذا يكون النبر والهمز عندهم بمعنى واحد، فارتفاع الصوت وعلوه هو النبر، وهو الهمز، ولكن ارتبط الهمز بتحقيق الهمزة عند النطق.

وتعد الهمزة من أشد الأصوات الصامتة في اللغة العربية، وعملية النطق بها وهي محققة تقتضي من أعضاء النطق بذل جهد استثنائياً غير اعتيادي لكي يجعل الصوت واضحاً في السمع، ومجرى الهمزة من أقصى الحلق ولها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد تجري مجرى التهوع<sup>(٢)</sup>، ولذلك تثقل على لسان المتلفظ بها تحدث ((بانباس تيار الهواء خلف الأوتار الصوتية، ثم انفراج هذه الأوتار فجأة، وهذه عملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير))<sup>(٣)</sup>، حيث يصاحب إنتاج هذا الصوت إغلاق فتحة المزمار، ثم فتحها فتحاً مفاجئاً ليظهر على صورة انفجار، فصوت الهمزة من الناحية العضوية صوت انفجاري<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب ٩١/١٥، وينظر : في مادة (همز) تاج العروس ٩٤/٤، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ٢٣٤.

(٢) ينظر : الكتاب ١٠٢/٤، وأسباب حدوث الحروف ١١، والأصوات اللغوية ٩٠، وأبو عمرو بن العلاء "جهوده في القراءة والنحو" ، زهير غازي زاهد ٥٩ وما بعدها، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣٠٥.

(٣) التطور اللغوي "مظاهر وعمله وقوانينه" ٤٨، وينظر : التطور النحوي للغة العربية ٤٠، ولهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطليبي ٨٢-٨٤ وفي الأصوات اللغوية ١٧٩-١٨٢.

(٤) ينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ٥٦، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبدالصبور شاهين ٢٤.

والهمزة صوتٌ أساسيٌّ في عدد من لغات العالم، وقد شاعت في اللغات السامية أكثر من غيرها، وعلى وجه الخصوص في اللغة العربية، إذ احتقت العربية بهذا الصوت، وبدا من معاملة القدماء له رسماً وإثباتاً وحذفاً وإبدالاً وقلباً إحساسهم بأهميته الخاصة في بناء الكلمة العربية، وتباين موقف القبائل العربية في نطق الهمزة فمن العرب من يحققها، ومنهم من يسهلها، وبإجماع الروايات أن تحقيق الهمزة من خصائص لهجة تميم ومن جاورها في حين أن تسهيلها من خصائص لهجة أهل الحجاز ومن جاورهم<sup>(١)</sup>، فورث تراثنا اللغوي عن أسلافنا ظاهرتي : الهمز والتسهيل.

والهمزة عند القدماء صوت مجهور<sup>(٢)</sup>، أما المحدثون فنفوا عنها صفة الجهر، فذهب فريق إلى أنها مهموسة، وتأتي صفة الهمس من ناحية أن الأوتار الصوتية معه تغلق تماماً، فلا يحدث فيها ذلك الاهتزاز اللازم لصفة الجهر<sup>(٣)</sup>، في حين ذهب الفريق الآخر إلى أنها صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس؛ لأن وضع الوترين الصوتيين حال النطق بها مغلقان، فلا يمكن أن يقال فيها جهرٌ أو همس<sup>(٤)</sup>.

ويمكن أن نقول أن بين الهمزة والنبر من الناحية المنطقية عموماً وخصوصاً، فالهمزة نبرٌ، ولكن النبر ليس بالضرورة أن يكون همزاً، وهذا ما ذهب إليه الدكتور "عبدالصبور شاهين" إذ عدّ صوت الهمزة نوعاً من النبر أطلق عليه (نبر التوتر)،

(١) ينظر : في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس ٧٦-٧٧، ولهجة تميم وأثرها في العربية ٨٢-٨٤، وفقه اللغة العربية ٢١٠ وما بعدها، ولهجة قريش وأثرها في العربية، علي جميل السامرائي (ر/م)، ١٠٠-١٠٩، والحق أنه قد نجد بعض الظواهر اللهجية في الهمز يناقض هذا التقسيم، فهذا الأمر ليس مطلقاً، وإنما الحكم دائماً على الأغلب الأعم، ينظر : المزهري في علوم العربية وأنواعها ٤٦٣/١، وأبو عمرو بن العلاء "جهود في القراءة والنحو" ٦٠.

(٢) ينظر الكتاب ٤٣٢/٤-٤٣٤، سر صناعة الاعراب ٦٠/١-٦١، وشرح المفصل ١٢٩/١٠. والنشر ١٩٩/١-٢٠٢.

(٣) ينظر : دروس في علم أصوات العربية ١٢٣، ومناهج البحث في اللغة ١٢٥، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ٥٦-٥٧.

(٤) ينظر : الأصوات اللغوية ٩٠. وعلم اللغة العام "الأصوات" ١١٢، ودراسة الصوت اللغوي ٢٧٧، وعلم اللغة المبرمج ١٢٢-١٢٣، واللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي ٩٥/١.

وواضح أن هذا مستمد من تعريف اللغويين القدماء للنبر، والظاهر أنهم أحسوا بالضغط المتولد عن إنتاج الهمزة<sup>(١)</sup>.

وترى باحثة معاصرة أن الهمزة لا تعني النبر بالمصطلح الحديث ولا هي نوع من أنواعه، إذ أن عملية النطق بها تقتضي جهداً زائداً ولولا هذا الضغط أو الحبس الحنجري لما تولد صوت الهمزة، فضلاً عن أننا لو جعلناها هي النبر، لفقدت العربية صوتاً جهده العلماء في وصفه وتحديد مخرجه<sup>(٢)</sup>.

كان لظاهرة الهمز في آيات الصفات حضورٌ متميز، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة/١٤٠].

فقد وردت لفظة (أظلم) وهي مهموزة، لتدل على صفة الظلم، ولو رفع الهمز منها في غير القرآن لانتفى معنى المفاضلة ولما حمل درجة نبرية عالية؛ لذا فإن للهمزة هنا وظيفة دلالية يؤدي رفعها إلى تغير المعنى فيصبح (ظلم).

كذلك قوله تعالى: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة/٦٤]. إذ جاءت ألفاظ مهموزة كـ (القيناء، والبغضاء، وإلى، وأوقدوا، وأطفاها) مما جعل الآية ذات درجة نبرية عالية كما أن الهمز أضفى على الآية إيقاعاً خاصاً يتناسب مع السياق، فيشعر المتلقي بأن صعوبة نطق الهمزة توحى بصعوبة إلقاء العداوة والبغضاء وإلى عظمتها وكأنهما أجسام ثقيلة وتشير إلى شدة إشعالهم نيران الحرب وعظمة الله في إطفائها.

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف/١٦٥]، وقوله ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي: شديد، والبأس الشديد: عذاب الآخرة، ويحتمل أن يندرج فيه ما يلحقهم من عذاب الدنيا<sup>(٣)</sup>.

وقد قرئ (بئيس) بغير همز (بيس) و (بئيس) وأنكر "الفراء": أن يوجد هذا في كلام العرب؛ لأنّ الياء والواو أثقل من ترك الهمزة، فلم يكونوا ليخرجوا من ثقل إلى

(١) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٢٤.

(٢) ينظر: الوحدات غير المقطعية في اللغة العربية ٩٢.

(٣) ينظر: مجاز القرآن ٢٣١/١، وجامع البيان ٦٤/٩، والبحر المحيط ٩٩/٦.

ما هو أثقل منه<sup>(١)</sup>. ولا يبعد عن ذهننا أن صيغة (فعليل) تحت الدلالة على التباطؤ ليكون عذاب الآخرة أو الدنيا شديداً بطيئاً وهو غير مفض إلى الهلاك دفعة واحدة.

لنتأمل الآيتين الكريمتين ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ بَاطِلٌ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٥] وقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ [النساء/ ٥١]. وقوله : ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء/ ١٦٢].

نجد حضوراً متميزاً لصوت الهمزة في سياق الآيات البيِّنات مما منح السياق درجة نبرية عالية تناسب دلالة هذه الآيات والصفات التي امتدحهم بها سبحانه أو ذمهم فيها، كذلك فإن صوت الهمزة أعطى إحياء يمكن أن يستمد من صفته، فكان له أثر في الأسماع يستوقف المخاطب للتفكير فيه، وفي الآية الأولى قراءة بتسهيل الهمزة في "تيمنه" وبتسهيلها وحذفها في "يوده" بواو ساكنة<sup>(٢)</sup>.

يلحظ في آيات الصفات كثرة ورود همزة الاستفهام الدالة على الإنكار والتوبيخ، ويبدو أن ما تمتاز به الهمزة من خصائص صوتية تجعلها أكثر الأصوات قدرة على التعبير عن الإنكار، فالإنكار حين يؤدي بصوت شديد يحتاج إلى جهد عضلي في النطق يكون أبلغ وأوقع في النفس، فالمخاطب يجد في هذه النبرة وازعاً للاستماع إلى ما بعدها والتفكير فيه، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُسْطِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة/ ٧٦] وقوله : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة/ ٤٤]. تكرر صوت الهمزة في الآيتين الكريمتين فاتخذ أداة للتعبير عن شدة الإنكار.

(١) ينظر : معاني القرآن، الفراء ١٣٠/٢، ونسبت قراءة (بيس) إلى نافع، و (بييس) بالهمزة على وزن (فعليل) إلى ابن كثير وأبو عمرو والكسائي : ينظر : السبعة في القراءات ٢٩٦، والتبصرة في القراءات ٢٠٨، والكشف ٤٨١.

(٢) ينظر : السبعة في القراءات ٢٠٨-٢١٢، والتبصرة ٨٥، والبحر المحيط ٢٢١/٣، والمهذب في القراءات العشر وتوجيهها ١٠٠/١.

ومن شواذ القراءات ما رواه "عيسى بن ميمون" عن "الحسن" أنه قرأ : ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف/١٦] بغير همزة ((قال : عَشَوًا من البكاء.. قال أبو الفتح -أي ابن جني- : طريق ذلك أنه أراد جمعَ عَاشٍ، وكان قياسه عِشَاءً كماشٍ ومُشَاءً، إلا أنه حذف الهاء تخفيفاً وهو يُريدها.. وفيه بعد هذا ضعف، لأن قَدَرَ ما بكَوَا في ذلك اليوم لا يعيشو منه الإنسان، ويجوز أن يكون جمع عِشْوَةٍ : أي ظلاماً، وجمعه لتفرق أجزاءه كقولهم : ... أَصِيلَال، ونحو ذلك))<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد أن للهمزة تأثيراً نبرياً كبيراً في سياق آيات الصفات جعلته بدرجة نبرية عالية، فجاءت لغرض التفريق بين معنى وآخر، ولتوكيد المعنى وتقويته.

## ٢ - التضعيف (التشديد)

دلت الدراسات الحديثة أن شدة الأصوات وخفتها من الطبائع البشرية الملازمة، تتفاوت نسبتها بحسب البيئات والظروف من شخص لآخر ومن بيئة لأخرى، وقد عرفت القبائل التي تغلب عليها صفة البداوة بميلها إلى الأصوات الشديدة في نطقها، في حين عرفت القبائل التي تغلب عليها صفة التمدن والاستقرار بميلها إلى التأنى في النطق والسهولة في الأداء بما يتلاءم وطبيعتها وهو ما ذهب إليه بعض الدارسين<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا فقد عزا علماء اللغة التضعيف إلى القبائل التي تنصف بالبداوة في حين عزوا التخفيف أي التخلص من التشديد إلى القبائل الحجازية<sup>(٣)</sup>.

ومن الثابت أن في التضعيف وظيفة معنوية متأنية من زيادة المبنى لفظاً لا تحتملها الصيغ المخففة، فزيادة المبنى غالباً ما تؤدي إلى زيادة المعنى حسب ما ورد عن علمائنا القدماء<sup>(٤)</sup>، وهذا المعنى المزداد قد يفيد معاني عدة منها : التكثير، والمبالغة، وتكرار الحدث وتوكيده، وكأن ذلك أبلغ في تثبيت المعنى في النفس، وغالباً ما يكون التثقيل أو التشديد في عين الفعل دون الفاء واللام، يقول "ابن جني" في ذلك : ((العين أقوى من الفاء واللام وذلك؛ لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما فصارا كأنهما سياق لها ومبدولان للعوارض دونها...))<sup>(٥)</sup> فتكرارها دليل على تكرار الحدث.

(١) المحتسب ٣٣٥/١.

(٢) ينظر : في اللهجات العربية ١٠٠، واللهجات العربية في التراث ٦٥٧/٢.

(٣) ينظر : معاني القرآن، الفراء ١٧٨/١، والمزهر ٢٧٧/٢، واللهجات العربية في التراث ٦٦٤/٢، ولهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ٢٠٩-٢١١، ولهجة قريش وأثرها في العربية الموحدة ١٧٥.

(٤) ينظر : الكتاب ٦٤/٤، والمقتضب ٢٥٧/١، والخصائص ١٥٧/٢، ٢٦٦/٣.

(٥) الخصائص ١٥٧/٢، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٢٨٤.

وفي هذه الدراسة ليس الهدف استقصاء ما جاء من تشديد العين في الفعلين (فعل)، و (تفعل)، ضمن سياق آيات الصفات، وإنما الهدف إبراز أثر التضعيف، الذي عدّه بعضهم من مظاهر النبر وأطلق عليه نبر الشدة<sup>(١)</sup> في سياق آيات الصفات، من ذلك قوله تعالى : ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْخَضٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة/٩٦] فقد جاء الفعل (يعمر) مضعفاً مرتين، والتعмир ((هو تمادي العمر كأنه تكرر، والعمرُ أمدٌ مابين بدو الشيء وانقطاعه))<sup>(٢)</sup>، إن التضعيف في (يعمر) جعل النبر يقع عليه وقد صور تهالك اليهود على البقاء في الحياة الدنيا على أية حالة كانت، وهذا التعلق بالشيء الزائل نتيجة الغفلة عن الله ﷻ، ولا يخفى الإيحاء الصوتي الذي تؤديه لفظة (يعمر) بصيغتها المشددة وجرسها الخاص، وإيقاعها المشبع بجشع النفس المحيية للبقاء ممّا يزيد من معنى التوبيخ والاحتقار الذي تحمله الآية، ليكون أبلغ وأشدّ وقعاً على النفس.

ومنه قوله تعالى : ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء/١٦٠]، ولفظة (حرم) ترد مشددة دائماً لتدلّ على المنع والرفض، قال "ابن فارس" : ((الحاء والراء والميم أصل واحد وهو المنع والتشديد، فالحرام ضد الحلال))<sup>(٣)</sup>.

جاء التضعيف ليحمل وظيفة دلالية تخرج إلى تقرير حكم (تشريع) معبراً عن المبالغة في تشديد التحريم فإذا رفع التضعيف تغير المعنى ليصبح (حرم) وهناك فرق بينهما والتعبير بـ (حرمنا) يوضح أنّ فعل التحريم صادر عن قصد وإرادة إلهية جزاء لهم عن ظلمهم، وكما يقال: ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات<sup>(٤)</sup>.

وكذلك قوله تعالى : ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [البقرة/١٠٢]. جاء الفعل (يتعلمون) مضعفاً ومكرراً ليحمل درجة نبرية عالية تناسب وشناعة ما تعلموه وهو علم السحر الذي تابعوا فيه الشياطين، يلحظ أنّ هناك تناسباً بين البناء

(١) ينظر : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٣٦.

(٢) نظم الدرر ٦٣-٦٢/٢.

(٣) مقاييس اللغة ٤٥/٢ وينظر في مادة (حرم) : لسان العرب ١٠٥/٤، والمصباح المنير ١٣١/١، والقاموس المحيط ٩٤/٤.

(٤) ينظر : لطائف الإشارات ٢٤٠.

والمعنى إلى حدٍ كبير، فصيغة (يتفعل) يؤتى بها للدلالة على التكلف وبذل الجهد في الفعل، وإنَّ طول مدة النطق بالفعل تلائم طول الحدث والتمهل فيه وتحدده<sup>(١)</sup>.

وتتمتع الآية بدرجة نبرية عالية فالتشديد في الفعلين (يتعلم، ويفرق) يفيد المبالغة والتنصيص على كثرة المعنى كماً أو كيفاً، إذ التشديد في الصيغة يزيد في إبلاغة اللفظة، تعبيرها بمضاعفة المعنى بالضغط على المقطع مما يؤدي إلى توليد ضغط على الدلالة؛ ولك -أيها القارئ الكريم- بعدها تصور التفرقة التي يعمل لها اليهود جاهدين بسحرهم بين المرء وزوجه، وبين الله ورسوله والمؤمنين في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ..﴾ [النساء/١٥٠].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر/١٤]. جاءت لفظة (محصنة) مضعفة لتحمل مقطعاً نبرياً عالياً، ومحصنة: أي مُحكمة البناء كالحصون<sup>(٢)</sup>، فالإيحاء الخاص الكامن وراءها يحمل دقةً متناهيةً، في المعنى، فكثرة تحصنهم بالخنادق والجدران توحى بشدة خوفهم وجبنهم عند ملاقاته الخصوم في الحرب، فضلاً عما أوحى به لفظ (جدر) جمع جدار\* الذي لا يوحي بالالتحام والاتصال الروحي والاجتماع القوي كما نعبر عنه لفظة (البنيان) والتي جاءت بحق المؤمنين كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَانٌ مَرصُوصٌ﴾ [الصف/٤].

إنَّ الصوت المشدد ينقسم عند التقطيع الصوتي للكلمة التي تحويه على قسمين أو بمعنى أدق على صوتين؛ لأنه يتألف من صامتين، وليس صامتاً واحداً يكون الصوت الأول تابعاً للمقطع السابق للصوت المشدد، والصوت الثاني يكون قاعدة للمقطع الثاني.

والسؤال الذي يُعرض هو : أَيْكونُ النبرُ على المقطع الذي فيه أول المضعفين وهو الساكن أم يكون على المقطع الذي فيه ثاني المضعفين وهو المتحرك أم أنه ينقسم على المقطعين؟، اختلف بعض الدارسين من أمثال "جان كانتينبو"، ورأوا أنَّ الراجح إلا يكون التشديد هو النبر فيقول : ((...وكذلك يمكن عزو عدد كبير من تضعيف الحروف

(١) ينظر : الخصائص ١٥٤/٢، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي ٤٢.

(٢) ينظر في مادة (حصن) : المفردات ١٧٣، والمصباح المنير ١٣٩/١.

\* ينظر : في مادة (جدر) لسان العرب ٩٤/٣، والمصباح المنير ٩٣/١.

وتطويل الحركات لا إلى النبر بل إلى أسباب صرفية كحاجتهم إلى المحافظة قدر المستطاع على سلامة صيغة نموذجية أو رغبتهم في اجتناب تحوير كلمة أخذوها على اللغة الفصحى القديمة تحويراً مفرطاً<sup>(١)</sup>، أي أنه عدّ تضعيف الصوامت وتطويل المصوتات غير راجع إلى النبرة.

وهذا لا يمنع من أن يبدو النبر واقعاً على المقطع الأول؛ لأن فيه الحرف الساكن، والساكن يحتاج إلى وقفة عند النطق به، وهذه الوقفة تزداد لمجيء مماثل له من مخرجه ولكنه متحرك، فتقل النطق بصوتين متماثلين أولهما ساكن والآخر متحرك هو الذي استدعى إدغامهما بصوت واحد مضعف وهذا الثقل في النطق يحتاج إلى وقفة أطول لإتمامه، والانتقال لما بعده.

وهكذا، قد لاحظنا كثرة الألفاظ المضعفة والمهموزة في سياق آيات الصفات<sup>(٢)</sup>، مما يعني أن لسياق الصفات درجة نبرية عالية، وهذا يناسب دلالة صفات "بني إسرائيل" التي تحتاج إلى تأمل ووقفة، ولاسيما مع الارتباط العميق بين النبر ودلالة الكلمة في اللغة العربية<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً : التنغيم

لغة : من النغم : جرس الكلام، وحسن الصوت عند القراءة ونحوها، والنغم : الكلام الخفي، نقول نغم ينغم نغماً، وسكت فلان فما نغم بحرف، وما نغم بكلمة، وفلان حسن النغمة إذا كان حسن الصوت<sup>(٤)</sup>.

اصطلاحاً : تعددت تعريفات "التنغيم" الاصطلاحية لكنها تصب في مفهوم واحد، فالتنغيم من اصطلاحات الدرس الصوتي الحديث الذي حظي باهتمام الدارسين، ويعد الدكتور إبراهيم أنيس من أبرز الباحثين العرب المحدثين الذين أولوا "التنغيم" اهتمامهم، فهو عنده (موسيقى الكلام)، فقد ثبت لديه بعد دراسة لتجارب حديثة على زمنه ، أن الإنسان

(١) دروس في علم أصوات العربية ١٩٥-١٩٦، والوحدات غير المقطعية في اللغة العربية ١٠٣.

(٢) ينظر مثلاً : البقرة/٥٩، ٧٥، ٨٥، ١٣٩، والنساء/١٥٣، ١٦١، والمائدة/١٨، ٤١، ٤٣، والأعراف/١٦٠، ١٦٢، ١٦٨، يوسف/١١.

(٣) ينظر : في البنية الإيقاعية للشعر العربي، كمال أبو ذيب ٢٩٥.

(٤) ينظر في مادة (نغم) : مختار الصحاح ٦٧٠-٦٧١ ولسان العرب ٣١٢/٤، والقاموس المحيط ١٨٣/٤، وتاج العروس ٨٣/٩، ومتن اللغة ٥٠٦/٥.

حينما ينطق بلغته لا يتبع درجةً صوتيةً واحدةً في النطق بالأصوات جميعاً، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصوت، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها، إذ الاختلاف في درجة الصوت له أهمية كبرى في كثير من اللغات، فتختلف في هذه اللغات معاني الكلمات، ويكون ذلك نتيجةً لاختلاف الصوت حين النطق بها، وتوالي الدرجات الصوتية هذه تشكل نظاماً يسميه "النغمة الموسيقية"<sup>(١)</sup>.

يوصف التنغيم بأنه : ((ارتفاع الصوت، وانخفاضه أثناء الكلام))<sup>(٢)</sup>، أو هو ((تغيرات تنتاب صوت المتكلم من صعود إلى هبوط، ومن هبوط إلى صعود لبيان مشاعر الفرح والغضب والنفي والتعجب والإثبات والتهكم والاستهزاء... الخ))<sup>(٣)</sup>.

ويذهب بعضهم على أنه : ((جرس صوتي للوحدة الصوتية، والمفردة، والسياق وصولاً إلى دلالة معينة، ففي كثير من الأحيان لا يمكن الوصول إلى دلالة السياق إلا من خلال نمطه التنغيمي المتشكل في طول الزمن المستغرق، وشدة الصوت والتنوع التنغيمي))<sup>(٤)</sup>.

يتضح من خلال ذلك أن صلة التنغيم بالنبر وثيقة، فكلاهما يمكن أن يُعدّ ملمحاً تمييزياً للمعاني الدقيقة، أحدهما على مستوى الجملة (السلسلة الكلامية المتصلة)، أو العبارة كلّها فهو "التنغيم"، والآخر على مستوى الكلمة، حينما يكون الضغط على الكلمة المفردة، هذا هو "النبر"، والرابط بينهما يكمن في أن النبر وإن كان ضغطاً على مقطع من مقاطع الكلمة المفردة، فالنبر يتتابع على مستوى نسيج كلامي، وحصيلة هذا الإنبار يشكل التنغيم<sup>(٥)</sup>.

إن لكل لغة طبيعتها الخاصة بها، وبذا اختلفت اللغات، واستعملت التنوعات الموسيقية للكلام بأشكال مختلفة كثيرة، لذا يستطيع المتكلم التعبير عن سائر أنواع حالاته النفسية، والعاطفية، كالرفض، والغضب، والدهشة، والاحتقار، والكرهية... الخ

(١) ينظر : الأصوات اللغوية ١٧٥.

(٢) مناهج البحث في اللغة ١٦٤، وينظر : دراسة الصوت اللغوي ١٩٤، وعلم الأصوات العام، بسام بركة ١٠٠.

(٣) في البحث الصوتي عند العرب ٦٢.

(٤) التنغيم اللغوي في القرآن الكريم ٢٤.

(٥) ينظر : ظاهرة التنغيم في البحث الصوتي بين القديم والحديث، أمّنة بن مالك "بحث" ٣٣.

حسبما يقتضيه المقام، وبحسب طبيعة اللغة موضوع الدرس، فالخبر <sup>١</sup> يستعمل المتكلم معه نغمة هابطة، ويستعمل مع الاستفهام نغمة صاعدة<sup>(١)</sup>.

واللغة العربية من اللغات التي يعمل فيها التنغيم عمله، فهي لغة تنغيمية، أي يعمل فيها التنغيم عمله على مستوى الجملة ليفرق بين أساليبها الكلامية وليس على مستوى الكلمة. وقد يكون التنغيم كذلك في اللهجة العامية في اللغة العربية<sup>(٢)</sup>.

ويعتمد التنغيم في اللغة العربية على أمرين : أحدهما : شكل النغمة المنبورة الأخيرة في النسيج الكلامي، والآخر : هو المدى بين أعلى نغمة، وأخفضها من حيث السعة والضيق فيه، أي أن كمية التتابعات النغمية المنبورة، تدرس من أول كلمة في الجملة إلى آخرها، في أنماطها الثلاثة وهي<sup>(٣)</sup>:

١ - التنغيم الصاعد: وبه يكون ارتفاع درجة الصوت من أسفل إلى أعلى حتى المقطع الأخير، وغالباً ما يرتبط بالاستفهام. ورمزه /٣/.

٢ - التنغيم الهابط : وبه تكون درجة الصوت مستحقة من أعلى إلى أسفل حتى المقطع الأخير، وغالباً ما يستعمل هذا التنغيم في التقرير ، ليدل على نهاية الجملة- ورمزه /١/.

٣ - التنغيم المستوي : وهي النغمة الاعتيادية التي يبدأ بها الكلام، ورمزه /٢/.

٤ - التنغيم العالي : وهي نغمة فوق العالية وترافق حالات التعجب والانفعال ورمزه /٤/.

وعلى الرغم من أن التنغيم من الموضوعات الصوتية الحديثة، لكننا نجد بعض الإشارات لدى لغويينا القدماء تدل على إدراكهم لهذه الظاهرة اللغوية بوصفها إشارات تخدم دلالة النص اللغوي ولاسيماً فيما يخص آيات الذكر الحكيم<sup>(٤)</sup>. فقد ورد مصطلح

(١) ينظر : مناهج البحث في اللغة ١٦٤، واللغة العربية معناها ومبناها ٢٢٠، ودراسة الصوت

اللغوي ١٩٥، وعلم اللغة المبرمج ١٦٨، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم ٢٧.

(٢) ينظر : علم اللغة العام "الأصوات" ١٦٣، ودراسة السمع والكلام ٢٥٩.

(٣) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ٢٢٩، علم اللغة، السعران ٢١١، والتشكيل الصوتي في اللغة العربية ١٤٠.

(٤) ينظر : الكتاب ٥٥/١، ٣٣٩، ٣٣٠، والخصائص ٣٧٠/٢-٣٧١، والمحتسب ١/١٦٥، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم ٣١-٦٢.

التنغيم عند "الفارابي"؛ إذ قال : ((والنغم : الأصوات المختلفة في الحدة، والثقل التي تتخيل أنها ممتدة))<sup>(١)</sup>، فاستعماله مصطلح "النغم" دلالة على أنه متحسس بذلك، ومع تلك الإشارات لم يفرد القدماء للتنغيم باباً في مصنفاتهم حتى جاء علماء اللغة المحدثون فأفردوا له باباً مستقلاً في دراساتهم وجعلوه فرعاً من فروع الدراسة الصوتية، وقد أسعفتهم المخابر الصوتية والأجهزة العلمية المتطورة.

للتنغيم في سياق آيات الصفات فائدة دلالية ونحوية واضحة؛ إذ ساهم في بيان دلالة الصفة، فالخطاب القرآني قد عبّر عن صفات بني إسرائيل بأساليب مختلفة كالخبر والاستفهام والنهي، والأمر والنكير والتهكم.. الخ، فالتنغيم يحدد هوية كل أسلوب عن طريق التلوين في الدرجات التنغيمية، وأغلب تفصيلات هذه الأساليب تدخل في ميدان علم النحو، ولذا فقد أُرْجئت الدراسة الحديث عنها مفصلاً في المستوى النحوي.

إن دراسة التنغيم تحتاج إلى أجهزة دقيقة ومتخصصة كجهاز (الاسبكتروجراف) الذي استخدمه الدكتور "سلمان العاني"<sup>(٢)</sup>، وفي هذه الدراسة سيكون المعيار في ضبط درجات التنغيم اعتماداً على الذوق الشخصي للباحثة لتعذر الحصول على مثل هذه الأجهزة، واعتماداً على ما توافر من رؤى مختلفة قديمة وحديثة ولاسيما تلك التي تتعلق بخروج الأساليب إلى دلالات مجازية أخرى فضلاً عما تمخضت عنه دراسة الدكتور "سلمان العاني".

#### أولاً: الجملة الخبرية

تبدأ الذبذبات الأولية للمقاطع المتتابعة في المستوى الثاني من مستويات درجة الصوت (النغمة المستوية) وتمتد حتى المقطع الأخير حيث ينزل فجأة إلى المستوى الأول عند الوقوف. ويمثل هذا النمط من الكلام بـ (٢-٢-١) ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء/٥١] ، وقوله : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ..﴾ [البقرة/١٢١].

٢ يؤمنون بالجبت والطاغوت / الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته

(١) كتاب الموسيقى الكبير ١٠٩، وينظر : البيان والتبيين ٧٩/١.

(٢) ينظر : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ١٤١-١٤٤.

١

وقد تبدأ من المستوى الثاني ثم ترتفع إلى الثالث؛ لتنزل إلى الأول فيكون على نمط (٢-٣-١)، وقليلًا ما يحدث هذا في الجمل الخبرية، وهو يعتمد على الشد على بعض المقاطع أكثر من غيرها، نحو قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ﴾ [الصف/٨] ، وقوله: ﴿وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران/٢٤].

٤

٣

٢ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم  
وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ كَانُوا يَفْتَرُونَ

١

وقد يخرج الخبر إلى معانٍ مجازية، مما يغير تنعيم الجملة الخبرية، ومثال ذلك الآيات الكريمة الآتية :

السورة	النص	النعمة	رمزها	الدلالة
البقرة ٧٩	﴿قَوِيلَ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾	صاعدة	↗	التهديد
البقرة ٨٣	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	صاعدة	↗	النهي
البقرة ١٤٦	﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	مستوية	←	التقرير
البقرة ٢٤٩	﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾	مستوية	←	اظهار الضعف
آل عمران ٦٩	﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضْلَوْكُمْ﴾	هابطة	↘	تمني
المائدة ٦٤	﴿.. غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾	هابطة	↘	دعاء
المائدة ٦٦	﴿.. وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾	صاعدة	↗	تعجب

ثانيًا : جملة الأمر

ويعتمدُ تحديدُ المستوى الثالث من درجة الصوت أي (النجمة العالية) على الكلمة التي يكونُ الشدُّ الأمرِي عليها، وجملة الأمر بصورة عامة- تأتي على النمط (١-٣-٢)، ويمكن أن يكون موجوداً على النحو (١-٢-٣) كما في قوله : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة/٤٠]، وقوله : ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة/٤١]، وقوله : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة/٢١].

٤	
٣	يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم
٢	وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم
١	
٤	
٣	وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم
٢	أدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم
١	

السورة	آية	النص	النغمة	رمزها	الدلالة
البقرة	٦٥	﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾	مستوية هابطة	↙	السخرية والإهانة
آل عمران	٩٣	﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	مستوية هابطة	↙	التعجيز والتكذيب
النساء	٤٦	﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا﴾	هابطة	↙	دعاء
النساء	٥٠	﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾	صاعدة	↗	تعجب
المائدة	٢٤	﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾	مستوية	←	التخاذل وسوء الأدب
الأنعام	٩١	﴿ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾	صاعدة	↗	وعيد وتهديد
يوسف	٩	﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾	مستوية	←	التسوية

### ثالثاً : جملة النهي

وهو كجملة الأمر في التدرج الصوتي للمستويات؛ لأنّ النهي هو طلبُ الكفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء، أي نفي الأمر، وينزلُ النهي من الأمر منزلةً النفي من الإيجاب، ولهذا فتحدّدُ المستوى يتوقفُّ على الشدِّ على الكلمة المنهي عنها، أو على أداة النهي "لا" لذا يكون بشكل عام من النمط (١-٣-٢)، (١-٢-٣). ومن أمثلته : ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة/٤١]، وقوله : ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة/٦٠] وقوله ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ [النساء/٢٥٤].

٤	ولا تكونوا أول كافر به	٤
٣	ولا تشعروا بآياتي ثمناً قليلاً	٣
٢		٢
١		١
٤	ولا تعثوا في الأرض مفسدين	٤
٣	فإننا لهم لا تعدوا في السبيل	٣
٢		٢
١		١

ويخرج النهي إلى معانٍ مجازية كما في الآيات الآتية :

السورة	آية	النص	النغمة	رمزها	الدلالة
البقرة	٤٢	﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾	مستوية صاعدة	↗	التوبيخ والنفريع والإنكار
المائدة	٢١	﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾	صاعدة	↖	التهيج والإلهاب
الأعراف	١٥٠	﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	مستوية	←	الالتماس
القصص	٧٦	﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾	مستوية	←	النصح والإرشاد
القصص	٧٧	﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾	مستوية	←	النصح والتذكير والإرشاد

#### رابعاً : جملة الاستفهام

يعتمد النمط في الاستفهام على موقع المقطع الأول الذي تكون فيه درجة الصوت عالية، فيكون هذا المقطع أعلى نسبياً من أية قمم أخرى في التعبير، ثم يحدث

نزول تدريجي إلى نهاية التعبير، لذا فإن نمط السؤال أما (١-٢-٣) أو (١-٣-٢) استناداً إلى موقع المقطع ذي درجة الصوت العالية وهو أما كلمة السؤال أو الكلمة التي يشدُّ عليها كثيراً. "والعلي القدير" يستفهم عبادة لأغراض وغايات عدة تُصور المشاعر وتثير الانفعالات النفسية، وقد لا نستطيع في كثير من السور ضبطها في معنى واحد كقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة/٤٤]. فنقول: أن الاستفهام خرج لمعنى الإنكار، والتوبيخ، والتقرير والتقريع والتعجب<sup>(١)</sup>. وفي الحديث عن العجل الذي اتخذه قوم موسى إلهاً في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الاعراف/١٤٨]، حملت الآية مع الاستفهام جملة من الدلالات فهي إنكار عليهم لاتخاذهم مالا يسمع ولا يتكلم ولا ينفع إلهاً وهذا ما يكشف عن مدى حماقتهم ورعونتهم وكيف أن النزوات تسيطر على سلوكياتهم، وتعجب من جهلهم وبعد تصورهم<sup>(٢)</sup> وقد يحمل دلالة التقرير والتعجب والتجهيل من حالهم؛ لأن الذي فعلوه لا يصدر عن ذي عقل وعلم، فهو في غاية الانحطاط والجهل والسفه، فهم مع علمهم بجمادية هذا الشكل يتخذوه إلهاً معبوداً<sup>(٣)</sup> فالقرآن -هنا- يقررهم بالرؤية المذكورة أنه جماد لا نفع فيه ولا حياة. ويمكن للسامع أن يدرك هذه الدلالات، ففي الاستفهام نغمة صاعدة أو عالية، تتدرج إلى الهابطة، وفي الإنكار مع الاستبعاد تبدأ أقل درجة وتنتهي بالهبوط تدريجياً، أما في التعجب فتبدأ بالمستوى الثلاثي ثم تصعد، ثم تنحدر إلى أدنى مستوى من النغم الكلامي. ومن أمثلة الاستفهام قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة/٩١]، وقوله ﴿فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [آل عمران/٦٦] وقوله: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ [طه/٩٢].

٤  
٣  
٢  
١

فلم تقتلون أنبياء الله من قبل  
فلِمَ تحاجون فيما ليس لكم به علم  
قال ياهارون مامنك إذ رأيتهم ضلوا

ومن الأمثلة الآخر :

(١) ينظر : الكشاف ٤٥٠/١، والتفسير الكبير ٤٣/٣، والبحر المحيط ٢٩٥/١، وفتح القدير ٩٦/١

والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، عبدالعظيم إبراهيم المطعني ٥٩/١-٦٠.

(٢) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٥٤٥/٤.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ١١٠/٩، والتفسير البلاغي للاستفهام ٤٠٦/١-٤٠٧.

السورة	آية	النص	النغمة	رمزها	الدلالة
البقرة	٧٥	﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	مستوية صاعدة	↗	الانكار والتعجب
البقرة	١٣٩	﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾	مستوية هابطة	↘	التكيت والانكار
البقرة	٢٤٧	﴿ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾	هابطة	↘	الاستبعاد
النساء	٤٤	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾	مستوية صاعدة	↗	التقرير والتعجب والتوبيخ
المائدة	٥٩	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ ﴾	مستوية	←	المدح بطريقة الذم
المائدة	٤٣	﴿ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾	صاعدة	↗	تعجب واستبعاد
الأعراف	١٦٩	﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾	مستوية	←	تقرير وتوبيخ وتقرير
يوسف	٨٩	﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾	مستوية	←	التذكير
الصف	٧	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾	مستوية	←	نفي الزيادة في الظلم

وخشية الإطالة فقد اختصرنا -هنا- الوقوف على أسلوب الاستفهام، فقد وردت في مواطن كثيرة في سياق آيات الصفات وقد تبين لنا أن خرج إلى معانٍ آخر، إذ أعطى لدلالة الصفة قوة إيحائية تصويرية بوجود "التنغيم".

#### خامساً : النداء

وهو مثل بقية أساليب الطلب من حيث درجة الصوت أي أنه من النمط (٢-٣-١) إلا أن طريقة النطق تظهر الفرق بينهما، إذ أن الأنماط النغمية للنداء أكثر تحديداً من الأنماط الأخرى، وذلك لقصر هذا النمط، إذ يتكون من أداة النداء تتبعها كلمة أو

كلمتان، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة/٥٥]، وقوله : ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف/٩٧]، وقوله : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف/٦].

٤  
٣ ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة  
٢ ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين  
١ يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم

ولم يخرج النداء إلى معانٍ مجازية في سياق آيات الصفات إلا في آية واحدة على لسان قوم موسى عندما رأوا حالة الغنى والرفاهية التي أصبح فيها قارون فخرج النداء "يلتمني" بنغمة هابطة (/) كما في قوله تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص/٧٩].

وخلاصة الأمر أن هذه المستويات نسبية، وليست مطلقة، وتحديد درجة الصوت تعتمد على قوة الصوت وارتفاعه، فإن انفعال المتكلم هو الذي يحدد ارتفاع الصوت إلى أعلى درجة صوت يصل إليها، فقد ترتفع جملة التعجب مثلاً إلى المستوى الرابع، بحسب قوة التعجب أو الدهشة، ولم نجد أسلوب التعجب في سياق آيات الصفات إلا في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة/١٧٥].

وجملة التعجب تبدأ من المستوى الصوتي الثاني الذي يبدأ منه الكلام العادي ثم ترتفع إلى الثالث، لتنزل إلى الأول، وذلك لشدة الموقف وحالية الانفعال والدهشة المصاحبة له، ويكون رمزه (٢-٣-١) وقرأ قوله تعالى : ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ بطريقة التعجب بمعنى ما أجراًهم على عمل أهل النار فتكون (ما) تعجبية، وقيل (ما) استفهامية (مالذي صبرهم على النار)؟ وقيل : ما خبرية (أي شيء أصبرهم على النار)<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر : معاني القرآن، الفراء ١/١٠٣، ومجاز القرآن ١/٦٤، ومعاني القرآن، الأخفش ١/٢٤٧، ٢/١٣٠، وتفسير غريب القرآن ٧٠، والصاحبي ٢٠٤، وشرح المفصل ٧/١٤٨-١٤٩.

نخلص من ذلك أن التنغيم هو الإطار الصوتي للسياق الذي تُقال به الجملة، إذ إنه يتعلّق بالمعاني النحوية للجملة؛ لأنّ الجملة العربية لها صيغ وموازن تنغيمية تقوم على أنساق تنغيمية خاصّة لها أنماط محدّدة، فالجملة الاستفهامية هيكل تنغيمي يختلف عن الهيكل التنغيمي للجملة الخبرية وهكذا، ولهذا يُعدّ التنغيم فونيمًا في اللغة العربية؛ لأنّه يميّز معنى الجملة، ويطبّعها بطابع خاص ويغيّر دلالتها، وهذا ما اتضح لنا من خلال النماذج المختارة في آيات الصفات.

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن التحليل الاعرابي قد لا تفهم أسرارها ولا تحل ألغازه إلا بالتنغيم الموسيقي<sup>(١)</sup>.

ويقوم "التنغيم" في الكلام بوظيفة الترقيم في الكتابة، غير أنّه أوضح منه في الدلالة على المعنى، لأنّ ما يستعمله "التنغيم" من نغمات أكثر ممّا يستعمله الترقيم من علامات كتابية<sup>(٢)</sup>، ولذا حلّ التنغيم كثيرًا من إشكاليات الدلالة اللغوية المتعلقة بالأصوات والسياقات التنظيمية، إذ تحدّد الصور النطقية بموجب التنغيم<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر : ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، أحمد سليمان ياقوت ٤٧.

(٢) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ٢٢٦، والأصوات اللغوية، عبدالقادر عبدالجليل ٢٥٧، والوحدات المقطعية في العربية ٥٠.

(٣) ينظر : التنغيم اللغوي في القرآن الكريم ٢٧.

## المبحث الرابع الدالة الصوتية

للمرموز أهمية في حياة البشر، واللغة أحد هذه الرموز، ذلك أن وسائل الاستدلال في الوجود كثيرة، فقد تكون إشارات أو علامات أو رموز مخطوطة أو صورة مرسومة، وقد تكون تغيرات تطرأ على شكل الإنسان ولونه، فتدل على حالته النفسية والأنفعالية، ولكن كل ذلك لا صلة باللغة، فاللغة أهم هذه الدوال وأكثرها إichاء<sup>(١)</sup>.

وقد من "تعالى القدير" على الإنسان بنعمة القدرة على إنتاج وحدات صوتية دالة وموحية يعبر بها عن أغراضه وحاجاته، فسمًا بهذه القدرة على مخلوقات الكون كافة، فاللغة الإنسانية هي : ((نظام من الإشارات))<sup>(٢)</sup>، أو هي كما عرفها "ابن جني" ((أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم))<sup>(٣)</sup>. ولكن من غير المعروف أو المسلم به هو علاقة هذه الأصوات بالمدلول أو المعنى، فهل هناك علاقة بين اللفظ ومدلوله في أذهاننا؟ وهل هناك صلة بين الصوت في المفردة وما يدل عليه؟.

إن ما ينجم عن الطبيعة من أصوات متنوعة تعمل على جلب انتباه الإنسان، فيدرك بعض ما يميز بعضها من الآخر، وقام بتسمية الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها أو بعبارة أخرى أن تكون الأصوات نتيجة محاكاة مباشرة لأصوات طبيعية صادرة عن الطبيعة المحيطة به<sup>(٤)</sup>، ولكن لابد من التنبيه على أن الحكاية الصوتية هي صوت غير الصوت الطبيعي الذي حكته وإن ذلك الصوت يشكل بنية صوتية تختلف عن البنية الصوتية التي تشكلها حكايته، وأن اللفظة التي تشكلت من الحكاية تشكل بنية صوتية تختلف عن البنيتين السابقتين، فالطبيعة تنادينا بتجلياتها وفيها الأصوات ومن ثم

(١) ينظر : دراسات في اللغة والنحو : عدنان محمد سلمان ١١٦.

(٢) مقالات في الأسلوبية، منذر عياشي ٥٧.

(٣) الخصائص ٣٤/١.

(٤) ينظر : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، علي عبدالواحد وافي ٣٤-٤٠، ومولد اللغة، أحمد رضا

العاملي ٣٦-٤٥، وأبحاث ونصوص في فقه اللغة، رشيد العبيدي ٧١-٧٥، ونظريات نشأة اللغة

عند العرب، محمد حسين آل ياسين "بحث" ٩-٢٢.

نقومُ بمحاكاة تلك التجليات والأصوات للذّة أو لهدفٍ آخر ونستعمل المحاكاة للدلالة على المحكي، ولأنّ المحاكاة تبرز جانباً من بنية المحكي الذي يكون أفراد الجماعة البشرية على علاقة به، فإنّها تثير في أذهانهم صورته، وإذا حاكى فرد آخر الصوت نفسه محاكاة مختلفة جامعاً فيها عناصر بارزة منه فإنّ أبناء قومه يفهمون قصده كذلك لما في المحاكاة من عناصر كافية وتمرّ السنين فيحاكي الأفراد صوت المحاكاة لا صوت الطبيعة ويصلون من ذلك إلى إقرار صوتٍ شاع وذاع للدلالة على المعنى، وهذا الصوت هو اللفظة اللغوية التي لم تصبح كما هي عليه إلا بعد المحاكاة ثم جاء الآخرون فعدّلوا فيه وهكذا يظلّ عرضة للتغير، فليس الصوت دلّ بطبعه على معناه، وإنما الإنسان عبر عن مثل هذه المسموعات بأصواتها، فالمعاني أوحّت بأسمائها من أصواتها.

إنّ المناسبة بين الصوت والمعنى (الدلالة الصوتية) أمرٌ لا يدرك إلا بعد أن يوضع اللفظ للدلالة على معنى معيّن، إذ جاء الدارسون ونظروا في هذه الألفاظ وتدبروها فبحثوا في أسباب تركيبها من تلك الأصوات التي جاءت عليها، وهذه المناسبة سمّاها المحدثون ((محاكاة الأصوات))<sup>(١)</sup>، أو التوليد الصوتي<sup>(٢)</sup>.

**والدلالة الصوتية :** هي نوعٌ من أنواع الدلالة تعتمد على الأصوات في نغمها وجرسها<sup>(٣)</sup>، وتسمى بالقيمة التعبيرية للصوت، أو كما سمّاها "جسبرسن" ((رمزية الألفاظ))<sup>(٤)</sup>، ويعرفها بعض الباحثين المحدثين بأنها : ((الاتجاه بالكلمات إلى أن تحدث أصداً للمعنى عن طريق نطق الصوت الحقيقي لأحرف الكلمة))<sup>(٥)</sup>.

وتعدّ هذه الدلالة وسيلةً تعبيرية لا تكاد تخلو منها لغة، وهي في الوقت نفسه تعدّ جزءاً مهماً من أجزاء مبدأ الانتقاء اللفظي، فالباث (المرسل) بانتقائه لألفاظ يُشير فيها صوت أو مجموعة أصوات إلى الحدث أو المعنى إنما يؤسّس لكلامه وضعاً حسناً دالاً على المعنى.

(١) بحوث ومقالات في اللغة : رمضان عبدالقواب ١٧.

(٢) ينظر : دور الكلمة في اللغة ٨٣.

(٣) ينظر : دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس ٤٦، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ١٨٦-١٨٧.

(٤) ينظر : دلالة الألفاظ ٦٨-٧٠.

(٥) من أسرار الإبداع النقدي في الشعر والمسرح، سامي منير عامر ٢٨.

اختلف علماء اللغة المحدثين في إثبات أو نفي المناسبة الطبيعية بين الصوت والمعنى، يرى "فردينان دي سوسير" : أن ترتيب الأصوات في الكلمة جاء اعتباطياً لا يخضع لنظام، أي بمعنى أن واضع اللغة لم يكن يتحرى في ذلك الوضع المعنى الذي يقصده، وإن كان يقرر -في الوقت نفسه- أن هناك أمثلة قليلة للعلاقة بين الصوت والمعنى<sup>(١)</sup>.

ويرى "لاسيل كرومبي" أن ((المعنى والصوت كلاهما مرتبط بالآخر ارتباطاً لا يقبل التفرقة، ولكن كلا منهما قابل لأن ننظر فيه على حدة))<sup>(٢)</sup>.

ويرى الدكتور "إبراهيم أنيس" أن المناسبة الطبيعية بين الصوت والمعنى ليست عقلية منطقية، وإنما مرجعها ظروف اجتماعية سوّغت استعمال اللفظ لمعناه، واستمسك بها الناس جيلاً بعد جيل<sup>(٣)</sup>. ولكنه يعود ليتخذ موقفاً وسطاً بين النفي المطلق والإثبات المطلق<sup>(٤)</sup>.

وإذا راجعنا صفحات تراثنا العربي لوجدنا أن لهذه الظاهرة اللغوية جذوراً فيه ، فالخليل بن أحمد الفراهيدي "قد صرح بهذه الصلة في شرحه لطائفة من الألفاظ العربية، وهذا متأث من حسه الموسيقي المرهف الذي امتاز به<sup>(٥)</sup>. ويعد "ابن جني" أول من فصل القول في ذلك عند كلامه عن أصل اللغات، فتحدث عن المناسبة الطبيعية بين صوت الحروف وما توحى إليه، ثم توسع في الكشف عن تلك العلاقة وعقد أكثر من فصل في كتابه القيم "الخصائص" لبيان الصلة بين أصوات الألفاظ وما تدل عليه<sup>(٦)</sup>.

ويقدم "ابن سينا" (ت ٤٢٨هـ) ي كتابه "أسباب حدوث الحروف" وصفاً دقيقاً لصوت كل حرف من حروف العربية وما يوحيه عند سماعنا إياه<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر : علم اللغة العام، فردينان دي سوسير ٨٦-٨٨.

(٢) قواعد النقد الأدبي، لاسيل أبر كرومبي ٣٩، وينظر : جرس الألفاظ ودلالاتها ٢٩٢.

(٣) ينظر : من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس ١٣٩-١٤٠، ودلالة الألفاظ ٢٢-٢٣.

(٤) ينظر : من أسرار اللغة ١٤٥.

(٥) ينظر : العين ٥٦/١، والتفكير الصوتي عند الخليل ، حلمي خليل ٩٥-٩٦، والعلاقة بين الصوت والمدلول ٦٥.

(٦) ينظر : الخصائص ١٥٢/٢، ١٥٧، ٩٨/٣-١٠٠.

(٧) ينظر : أسباب حدوث الحروف ١٧-١٨.

إن للصوت في لغتنا العربية ((إيحاء خاصاً فهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى، يدل دلالة اتجاه وإيحاء يثير في النفس جواً يهيء لقبول المعنى ويوجه إليه ويوحى به))<sup>(١)</sup>، فالعلاقة بين الصوت والمعنى في المفردة العربية وثيقة تنبع من شعور يحسه المرسل والمتلقي على حد سواء، فكلاهما متأثر بما يريد أن يصل إليه من دلالات معبر بها عن أدق أفكاره، إن هذه الصلة لا يدركها إلا من منح مقدرة فنية عالية وذوق راق وقدرة على التفكير والروية.

والألفاظ العربية أصوات دالة، ولدلالة الصوت أثر في استدعاء المعنى والإيحاء به، ومن هنا كانت الصفة الموسيقية سمة بارزة من سمات العربية، ويصف الدكتور "إبراهيم أنيس" لغتنا بأنها ((لغة موسيقية وأنها انحدرت إلينا وقد اكتسبت هذه الصفة منذ أقدم عهودها أو أقدم نصوصها))<sup>(٢)</sup>. وقد اكتسبت هذه الصفة سمع العربي قدرة فائقة في الحكم على النصوص والتأثر بالمفردة والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة، فصار مرهف الحس مستريحاً لوقع الكلام الحسن وناظراً من الكلام السيء لنبو جرسه<sup>(٣)</sup>. ويتجلى ذلك بأبهى صورة في الكتاب العزيز لما فيه من إيقاع موسيقي متعدد الأنواع يتناسق مع السياق ويؤدي وظيفة أساسية في البيان، وهذا هو أول شيء أحسسته الأسماع العربية أيام نزول القرآن فنفذ إلى صميم الوجدان ليحركه ويهزه فدهشت منه عقولهم وبهتت<sup>(٤)</sup>.

وإذا أنعمنا النظر في آيات الذكر الحكيم عامة، وآيات الصفات خاصة لوجدنا أن استعمال الألفاظ ذات الدلالة الصوتية هو استعمال مقصود وصفة ملازمة لألفاظه تقوم بتقريب الصورة التي تعرضها الآية، وتدع الخيلة متحركة، سابحة في أبعاد المعاني وأهدافها، فالقارئ بحكم ما أوتي من علم وذوق، وبما تملكه اللفظة من قوة في الآية قادر على أن يغوص في المعنى العميق للآية، وأن يفتح آفاقها ويلج فيما تخفيه من

(١) فقه اللغة وخصائص العربية ٢٦١.

(٢) دلالة الألفاظ ١٩٥، وينظر : دراسات في فقه اللغة صبحي الصالح ١٤١ وما بعدها، والنقد الجمالي وأثره في النقد العربي ١٣٢.

(٣) ينظر : فقه اللغة العربية ١٣٥.

(٤) ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن، عبدالعزيز الزرقاني ٢/٢٠٦، والتصوير الفني في القرآن ٨٦، وجماليات المفردة القرآنية ٧٦.

أسرار ومعانٍ دقيقة. فالقرآن ((يختارُ الكلمةَ قاصداً لفظها ومعناها معاً في موضعها المحدد، أي أن القرآن الكريم يأخذُ المعنى المعجمي ويهتم بالصورة الصوتية للكلمة وهذا الارتباط بين اللفظ - أي الصوت - وبين المعنى في الكلمة القرآنية يشكل وحدة لا سبيلَ إلى الفكك منها))<sup>(١)</sup>.

إن أثر الدلالة الصوتية في سياق آيات الصفات ومدى إحداثها بصفات بني إسرائيل بين يتناوله البحث في مسارين :

### أحدهما : دلالة الصوت المفرد لله الفونيم

اختلف باحثو علم اللغة الحديث في النظر إلى "الفونيم"<sup>(٢)</sup>، لكنهم اتفقوا على أن لكل "فونيم" وظيفة تمييزية داخل البنية الصوتية، فهو يؤدي في الأقل وظيفتين أساسيتين: إحداهما : وظيفة إيجابية، فهو يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه، والأخرى: سلبية، حين يحتفظ الفرق الدلالي بين كلمة وأخرى من حيث ترتيبها في بنية الكلمة ومن حيث تغير مواضعها أيضاً داخل الكلمة من دون تغير الفونيمات نفسها<sup>(٣)</sup>.

للفونيم عدة تعريفات أهمها التعريف القائل : إنه أصغر وحدة صوتية قادرة على التمييز بين كلمتين مختلفتي المعنى، وهو من أوضح التعريفات وأنسبها للغة العربية<sup>(٤)</sup>، وقيل : هو كل صوت قادراً على إيجاد تغير دلالي<sup>(٥)</sup>. فالأصوات التي يؤثر تباينها في دلالات الكلمات في لغة ما تكون وحدة صوتية نسميها فونيماً مثال ذلك : نالَ وجالَ، وزالَ وقالَ، إذ تمثل : ن، ج، ز، ق فونيمات مختلفة؛ لأنها تؤدي إلى تكوين كلمات مختلفة المعنى، وتعرف خاصية الأصوات في تغير معنى الكلمات باسم وظيفة "التمييز السيميائي" للأصوات التي تنص على أن صوت التمايز ليس له معنى في نفسه، وإنما هو قادر على قلب كلمة مفيدة ذات معنى إلى كلمة أخرى مغايرة<sup>(٦)</sup>.

(١) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ٨.

(٢) ينظر : مناهج البحث في اللغة ١٢٦-١٣٠، ودراسة الصوت اللغوي ١٣٩-١٥٢، علم اللغة العام "الأصوات" ١٥٩. أصوات العربية بين التحول والثبات ٨٨ وما بعدها.

(٣) ينظر : التفكير الصوتي عند الخليل ٦٥-٦٨.

(٤) ينظر : مناهج البحث في اللغة ١٣٠.

(٥) ينظر : دراسة الصوت اللغوي ١٥١.

(٦) ينظر : أصوات وإشارات "دراسة في علم اللغة" : أ، كندراتوف ١٧٨.

تنزع اللغة العربية إلى إيجاد أبنية متغيرة تتقابل ليستقل كل بناء بمعنى، ويكون اختلاف المباني دليلاً على اختلاف المعاني<sup>(١)</sup>، وقد امتازت هذه اللغة في طائفة من صيغها بمرونة وقدرة على التنوع في دلالة الصيغة الواحدة على عدة معانٍ، من خلال استبدال أحد فونيماتها.

لاشك في أن اللغة القرآنية تختار الألفاظ التي تمتاز بجرسها الصوتي الذي يساهم في إبراز المعنى المراد، فالصوت يتم اختياره بعناية فائقة، تصاحبه أصوات أخرى قد تكون متقاربة المخارج إن احتاج الموقف ذلك، وقد تكون متباعدة المخارج إن كان التباعد أدل على المعنى وأكثر تصويراً له، فيبعث في نفس المتلقي معانٍ وانفعالات تصل به أبعد من المعنى الظاهري معنىً إضافياً على المعنى المعجمي للكلمة وهذا المعنى لا بد منه لفهم النص وإدراكه.

ولعل في الوقوف على عددٍ من الأصوات التي اختيرت من آيات الصفات ما يوضح الارتباط بين الصوت والدلالة، ولكي يكون المنهج سليماً في تقسيم الأصوات ارتأت الدراسة أن توزع هذه الأصوات حسب مخارجها عند المحدثين من علماء الأصوات بناءً على نتائج التجارب الصوتية في المختبرات الخاصة بعلم الأصوات إلى المجاميع الآتية :

#### ١- الأصوات الشفوية الاسنانية

/ذ/

لنستمع إلى قوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾\* [التوبة/٣٢] ونتأمل دقة التعبير لصوت (الفاء) في قوله ﴿يُطْفِئُوا﴾ .

يتكون صوت (الفاء) من النقاء الشفة السفلى بالأسنان العليا، ولكن بشكل يسمح بمرور الهواء بين نقطة الالتقاء في صوت يشبه الحفيف من الفم، ويرفع الحنك اللين فلا يمر الهواء خلال الأنف. وعند النطق بالفاء لا يتذبذب الوتران الصوتيان، فالفاء صوت

(١) ينظر : معاني النحو ١/١٠.

\* ينظر أيضاً : المائدة/٦٤، والصف/٨.

شفوي أسناني مهموس، منفتح احتكاكي فيه نوع من التقشي<sup>(١)</sup>، كما أنه أحد أحرف الذلاقة الستة التي هي : ((اللام والراء والنون والفاء والباء والميم))<sup>(٢)</sup>، ولأنه من الحروف المنخفضة "حروف الاستفال" وأضاف علماء التجويد إلى صفاته أنه حرف مرقق ، لأن الحروف المستعلية إذا نطق بها فإن الصوت يتضخم فيتجه لارتفاع اللسان<sup>(٣)</sup>، وليس (الفاء) نظير مجهور في اللغة العربية<sup>(٤)</sup>.

يحاكي صوت (الفاء) الهواء النافث من الفم وكأنها زفرات الهواء. والقيمة التعبيرية لهذا الصوت قد ساهمت مساهمة واضحة في تصوير المعنى المستعار للإطفاء، إذ (الفاء) في أكثر أحوالها تدل على معنى الوهن والضعف حين تمازج بعض الأصوات<sup>(٥)</sup> ومنها صوت (الطاء).

إن صفات صوت (الفاء)، وهي صفات ضعيفة كلها (الهمس والرخاوة، والاستفال، والانفتاح، والإذلاق)، تشعرنا بضعف هؤلاء وعجزهم في إطفاء نور الإسلام.

إن الصوت بمفرده لا يكون ذا قيمة تعبيرية مالم تصاحبه أصوات تساعد على التعبير عن دلالة معينة غير أن تميز الصوت بصفة معينة تجعله أقدر من غيره على أداء دلالة ما، وهذا نتلمسه فيما أضفاه صوت الطاء من دلالة صوتية.

### ٣- الأصوات الأسنانية

اذ/

ويمكن تلمس دلالة (الثاء) في قوله تعالى : ﴿لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة/٦٠].

يتكون صوت (الثاء) بوضع ذلق اللسان بين الأسنان العليا والأسنان السفلى، بشكل يسمح بخروج الهواء من بين نقطة الالتقاء من الفم، وحين النطق به لا يتحرك

(١) ينظر : الكتاب ٤/٤٣١-٤٣٤ وسر صناعة الاعراب ١/٥٣ وأسباب حدوث الحروف ٨٢، والكشف ١/١٣٧، وعلم اللغة، السعران ١٩٠، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٤٣ ودراسة الصوت اللغوي ٢٦٩، وعلم اللغة المبرمج ١١٣.

(٢) سر صناعة الاعراب ١/٧٤.

(٣) ينظر : الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم، شرف الدين علي الراجحي ٤.

(٤) ينظر : علم اللغة العام (الأصوات) ١١٨.

(٥) ينظر : الخصائص ٢/١٦٦-١٦٧.

الوتران الصوتيان. فالثاء صوت مهموس احتكاكي<sup>(١)</sup>. والهواء عندما يضيق مجراه يتزاحم فيصطدم جزء منه باللثة<sup>(٢)</sup>، إن هذه الصفات قد منحت (الثناء) نوعاً من الانتشار، وهو ضرب من التفشي، وقد عده بعض علماء الصوت والتجويد صوتاً متفشيّاً<sup>(٣)</sup>. ويرى بعض الباحثين المحدثين أن (الثناء) إذا كان ثاني الكلمة دل على الانتشار والتفريق، نحو بثّ، يثق، عثي... الخ<sup>(٤)</sup>.

قال "ابن فارس" : ((العين والثناء والحرف المعتل كلمة تدل على فساد...))<sup>(٥)</sup>، والعثي والعيث : أشد الفساد وقيل الإسراع في الفساد وهما متقاربان، إلا أن العيث أكثر ما يقال فيما يدرك حساً، والعثي فيما يدرك حكماً، يقال : عثي يعثي عثياً وهي لغة القرآن، وعثا يعثو عثوا وعاث يعيث عثياً، وعث يعث، ومنه العثة وهي سوسة تفسد الصوف<sup>(٦)</sup>.

ف (الثناء) بإيحائه الصوتي قد صور سعة هذا الفساد وانتشاره في عموم الأرض، يسانده في ذلك صوت العين، وهو صوت ذو طبيعة نغمية خاصة، إذ تعد أطلق الحروف وأنصعها جرساً<sup>(٧)</sup>، والعين في أكثر سياقاتها تعبر عن تصوير جسامته الحدث وقوة الفعل وشدته، فهي ((ذات قيمة تعبيرية واضحة في تصوير الحركات والأصوات العنيفة))<sup>(٨)</sup>، فكأن هذا الصوت قد عبر عن شدة فسادهم وبيانه للعيان واتخاذهم واتخاذهم إشكالاً متنوعة ومتعددة.

### ٣- الأصوات الذلقية اللثوية (الأسلية)

س/ز/ص/

- (١) ينظر الكتاب ٤/٤٣١-٤٣٥، والأصوات اللغوية ٤٧، واللغة العربية معناها مبناها ٧٩، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ٤٤-٤٥، ودراسة الصوت اللغوي ٢٦٩.
- (٢) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء العربية، عبد الحميد الهادي ٣٨.
- (٣) ينظر: مخارج الحروف وصفاتها، ابن الطجان ٩١، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣١٩.
- (٤) ينظر : دقائق العربية، أمين آل ناصر الدين ١٧.
- (٥) مقاييس اللغة ٤/٢٣٠.
- (٦) ينظر في مادة (عثي) : العين ٨٤/١، ٢٣١/٢، المفردات ٤٨٣، ومختار الصحاح ٤١٢، ولسان العرب ٣٧/١٠، وعمدة الحفاظ ٣/٢٩-٣٠ والدر المصون ١/٢٣٨، واللباب في علوم الكتاب ٢/١١٢.
- (٧) ينظر : العين ١/٥٩.
- (٨) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ٧٩.

وتسمى هذه الأصوات بـ "أصوات الصفيّر"<sup>(١)</sup>، وسميت بهذا الاسم؛ لقوة الاحتكاك معها، ولأنّ صوتها كالصفيّر فهذه الأصوات تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان فتحصر الصوت هناك ويصفر به<sup>(٢)</sup>؛ لأنّ الصفيّر من علامات قوة الحرف<sup>(٣)</sup>. والصفيّر ينشأ من ضيق المجرى عند مخرج الصوت، فعلى قدر ضيق المجرى عند المخرج يكون علو الصفيّر ووضوحه، وأضيق ما يكون مجرى الهواء عند النطق بهذه الأصوات:

#### /س/

صوت مهموس احتكاكي<sup>(٤)</sup>، وهذه صفات تجعل لصوت (السين) طابعاً موسيقياً هادئاً يوحي بالسكون والضعف والاختفاء، ونلاحظ هذه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة/٦١]، فـ (السين) في ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ هو الموجه الدلالي إذ ناسبت دلالاته دلالة مادة (س،ك،ن) الدالة على خلاف الاضطراب، ومنه السكون وهو ضد الحركة، يُقال: سَكَنَ الشيءُ يسكنُ سَكُوناً إذا ذهبَت حركته، وكلٌّ ما هداً فقد سكن، والمسكنة هي الخضوع والهوان، ومنه المسكين الذي أسكنه الفقر<sup>(٥)</sup>.

فالقيمة التعبيرية لصوت السين أوحّت بدلالة المسكنة متلائماً مع الأصوات المجاورة له مع ما يضيفه السياق العام من الدلالة على الخضوع والركون إلى الضعف والاستكانة، وكأنهم يصفرون بهمسٍ من ألم الهوان.

(١) ينظر: الكتاب ٤/٤٣١-٤٣٠، ومخارج الحروف وصفاتها ٤٢، وشرح المفصل ١٠/١٣٠،

والأصوات اللغوية ٢٤، علم اللغة المبرمج ١١٤، وفي البحث الصوتي عند العرب ٥٨.

(٢) ينظر دراسة الصوت اللغوي ٩٨، والأصوات اللغوية ٧٥-٧٦ وعلم الأصوات العام، بسام بركه ١٢٠.

(٣) ينظر: الرعاية ١٠٠.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية ٧٦، وعلم اللغة، السعران ١٩٠-١٩١، وعلم اللغة العام (الأصوات) و

١١-١٢٠ وعلم اللغة المبرمج ١١٥.

(٥) ينظر في مادة (سكن): مقاييس اللغة ٨٨/٣، والمفردات ٣٤٦-٣٤٧، ومختار الصحاح ٣٠٧،

ولسان العرب ٧/٢٢٠-٢٢٣.

### / ذ /

هو النظير المجهور لصوت (السين)، وهو صوتٌ ذَلَقِيٌّ لثويٌّ مجهور احتكاكيٌّ. مرقق<sup>(١)</sup>، ويصف علماء اللغة المتقدمون (الزاي) بأنه يحدث في الموضع الذي يحدث فيه صوت (السين)، وأن اهتزازاً يحدث للسان يصعب النطق به — (الزاي) يشابه الاهتزاز الذي يحدث مع (الراء)، إلا أنه اهتزازٌ خفيٌّ<sup>(٢)</sup>، ولعل هذا الاهتزاز هو أزيز الوترين الصوتيين عند النطق به.

ولا يفترق صوت (الزاي) عن صوت (الصاد) إلا في حركة أعضاء النطق داخل الحنجرة حيث يتحرك معه الوتران الصوتيان، ولا يحدث هذا عند النطق به — (الصاد) ويخالفه كذلك في حركة مؤخرة للسان نحو الحلق والطبق وهو لا يتراجع ولا يرتفع مع (الزاي)<sup>(٣)</sup>.

و (الزاي) موسيقى وإيقاع متأتیان من قيمته الصوتية الصغيرية، نلاحظ ذلك في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة/٣٤-٣٥].

جاء في معنى الكنز : ((الكاف والنون والزاي أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تجمع في شيء))<sup>(٤)</sup>، والكنز : المال المجموع، وما يحرز به المال<sup>(٥)</sup>. يلاحظ أن (الزاي) قد فرض حضوراً إيقاعياً واضحاً توارره أصوات أخرى في محاكاة الحدث، فالزاي يحكي حركة ثم استقراراً فهذه الأموال التي كان لها أن تكون متداولةً وموظفةً بشكل جيد صيرت بفعل هؤلاء الأحرار والرهبان جامدةً مستقرةً في أيدي القلة، فضلاً عن أن التكرار منح السياق دلالةً مهمةً وأوغل في تأكيد حالة الكنز.

### / ص /

(١) ينظر : الأصوات اللغوية ٧٦، ومناهج البحث في اللغة ١٢٧-١٢٨، وعلم اللغة، السعران ١٩٢،

وعلم اللغة العام "الأصوات" ١١٩-١٢٠، وعلم اللغة المبرمج ١١٤.

(٢) ينظر : الكتاب ٤/٤٣٦-٤٣١، وأسباب حدوث الحروف ٧٩.

(٣) ينظر : علم الأصوات العام، بسام بركة ١٢٣، والدراسات الصوتية عند علماء العربية ١٢٧-١٢٨.

(٤) مقاييس اللغة ١٤١/٥.

(٥) ينظر في مادة (كنز) : مختار الصحاح ٥٨٠، ولسان العرب ١١٧/١٣-١١٨، والقاموس المحيط

١٨٩/٢، وتاج العروس ٧٥/٤.

كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران/٩٩].

والصدّ : الاعراض والعدول، نقول : صددت فلاناً عن الأمر، إذا عدلته عنه<sup>(١)</sup>، وفي لفظة ﴿تَصُدُّونَ﴾ دلالة صوتية واضحة مستمرة من صوت الصاد واجتماعه بصوت الدال، فـ(الصاد) صوت مهموس احتكاكي مطبق يحدث عن حبس غير تام للهواء، وذلك بأن يقترب اللسان حتى يكاد ينطبق من ثلثي سطح الحنك والشجر، ويحدث من هذا الاقتراب تضيق مجرى الهواء الذي يتسرب من بين سطح الحنك واللسان، فيخرج الهواء بعد ذلك من فتحات الأسنان، وهذا الانفلات للهواء يحدث دويّاً تتصف له (الصاد)<sup>(٢)</sup>. والصاد لا يختلف عن السين سوى أن مخرج الهواء مع (الصاد) أضيق منه مع (السين)، فضلاً عن كونه صوت مطبق يكون اللسان مقعراً على الحنك الأعلى<sup>(٣)</sup>. وصفة الإطباق قد منحت صوت (الصاد) قوة تفرقه عن (السين).

يرى علماء التجويد ضرورة التحفظ من نزوع الصاد إلى السين عن طريق إظهار الصفيّر في السين وإظهار الإطباق في الصاد<sup>(٤)</sup>، وإن التفريق بين هذين الصوتين يدخل في بيان دلالة كل منهما وهذا يبدو جلياً في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا...﴾ [البقرة/٩٣].

والعصيان : ترك الانقياد، يقال : عصى العبد ربه، إذا خالف أمره وخرج عن طاعته<sup>(٥)</sup>. فالجرس القوي لصوت الصاد حاكي شدة عصيانهم وطول مدة تمردهم، في حين أن السين في ﴿سَمِعْنَا﴾ بهمسها ورخاوتها قد أوحى بضعف ذلك السماع وخفائه، فكان هذين الصوتين قد صوّرا حالة الفتور في قبول الأوامر الإلهية وسرعتهم في

(١) ينظر في مادة (صدّ) : مقاييس اللغة ٢٨٢/٣، ولسان العرب ٢٠٨/٨، والمصباح المنير ٣٣٤-٣٣٥/١ والقاموس المحيط ٣٠٦/١، والكليات ٢٨٠.

(٢) ينظر : الكتاب ٤٣٤-٤٣٥، وأسباب حدوث الحروف ٧٧، ١٢٠، وعلم اللغة السعرا ١٩٢، وعلم اللغة المبرمج ١١٥.

(٣) ينظر : الأصوات اللغوية ٧٧، علم اللغة العام "الأصوات" ١١٩-١٢٠.

(٤) ينظر : الرعاية ٢١٥.

(٥) ينظر في مادة (عصى) : المفردات ٣١٤، ولسان العرب ١٨٠/٩، والمصباح المنير ٤١٤/٢، والتعريفات ١٢٤.

مخالفتها، إنَّ النغمة العالية في الآية قد زادت من قيمة الحدث والاهتمام به، فضلاً عما أضفاه تكرار العين من أثر في تصوير عنف هذه الأفعال وكأنها حركات مرئية.

إنَّ التشاكل النغمي بين الفعلين (سَمِعْنَا، وَعَصَيْنَا) منح السياق انسجاماً موسيقياً واضحاً، وتجدر الإشارة إلى أن لفظتي (سمعنا وعصينا) وردت تارة إخباراً عن موقف بني إسرائيل من نبيهم، "موسى" ﷺ وإخباراً عن موقفهم من خاتم الأنبياء محمد ﷺ تارة أخرى.

إنَّ انتشار أصوات الصفيّر وكثرتها في التعبير القرآني\*، دليل الاهتمام بربط الصوت بالدلالة وهذا ما نجده في أصوات الصفيّر.

## ٢- أصوات ذلّية - لثوية - اسنانية

/ط/

الطاء : صوت شديد مجهور مطبق عند القدماء<sup>(١)</sup>، مهموس عند المحدثين، فعند النطق بالطاء ينحبس الهواء عند المخرج، فإذا انفصل العضوان المكونان للصوت سُمِع ما يشبه الانفجار<sup>(٢)</sup>. وهذه الصفات تمكن هذا الصوت من أن يكون ذا طبيعة إيحائية قادرة على محاكاة المعنى بدقة تسنده الأصوات المجاورة، وهذا ما نلمسه في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة/٦٤]. فالطاء يوحى بشدة هذه الحرب التي يحاول اليهود إشعالها ضد المسلمين. ويلحظ دقة التعبير القرآني في استعمال لفظة ﴿أَطْفَأَهَا﴾، إذا اجتمعت فيها أصوات القوة، (الهمزة) و(الطاء)، وصوت (الطاء) يُعد من أفخم أصوات الاستعلاء وأقواها، وأصوات الضعف : (الفاء) و(الهاء)، الذي يتّصف بالهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح، واتّصافه بالإصمات لا يرفع من قوته<sup>(٣)</sup>، فهذا الانسجام يجعل الأذن تتحسّس بدلالة القوة والضعف في آن واحد، فبعد أن كانت نار الحروب والفتن على أشدها أصبحت بقوة الله ﷻ ضعيفة لا تأثير لها

\* ينظر مثلاً : البقرة/١٤٢، ٩٦، ٨٣، ٨٠، ٦١، وآل عمران/١١١-١٢٠، ١١٢، والنساء/٤٦، ٤٩، ٥٣، ٥٤، والمائدة/٤١، ٤٢، ٦٢، ٦٤، ٧٨، الصف/٥.

(٢) ينظر : الكتاب ٤/٤٣١-٤٣٦، والمقتضب ١/١٩٥، والنشر ١/٢٠٢.

(٣) ينظر : الأصوات اللغوية ٦١-٦٤، وعلم اللغة : السعران ١٦٨، واللغة العربية معناها ومبناها ٧٩، وأصوات العربية بين التحول والثبات ٣٤.

(٤) ينظر : النشر ١/٢٠٢-٢٠٣، والرعاية ٩٣.

ويمكن القول أنَّ أول اللفظ قد أوحى ببداية الحدث في حين أوحى آخره بتمام الحدث ونهايته.

وهكذا فإنَّ القرآن الكريم قد استنفرَ مافي اللفظة من طاقة صوتية ودلالية، فلو استعمل لفظ آخر كـ (أحمد) لما حاكى الحدث صوتياً ودلالياً، نقول : انطفأت النار، ذهبَ لهبها، والنارُ إذا لم يسكنَ لهبها وجمرها بعد فهي خامدة، فإذا سكنَ لهبها وبردَ جمرها فهي هامة وطافية<sup>(١)</sup>. ولا يخفى أثر تكرير لفظ (ناراً) وتوينه من دلالة على التهويل والتعظيم.

## ٥- أصوات وسط الحنك (الأصوات الشجرية)

/ ش /

وهذا الصوتُ عند القدماء يحدثُ في الموضع نفسه الذي يحدث فيه صوت الجيم، في منطقة الشجر كما وصفه "الخليل" أو من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى -كما وصفه سيبويه- وهو من الحروف الرخوة عندهما<sup>(٢)</sup>.

أما علماء الصوتيات المحدثون فيرون أنَّ (الشين) صوت احتكاكي مهموس يحدث عند التقاء طرف اللسان بالحنك الأعلى<sup>(٣)</sup>، ويؤدي الهواء دوراً في تشكيل صوت (الشين) ومنه سُمِّيَ بصوت التفشي في العربية، وقد سمي كذلك ؛ لأنه تفشى في مخرجه عند النطق به، ومعنى التفشي : كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وأنبساطه في الخروج عند النطق بالصوت، حتى يتخيل أن الشين قد انفرشت حتى لحقت بمنشأ الظاء ولولا التفشي لصارت (الشين) (سيناً)<sup>(٤)</sup>.

ويستطيع هذا الصوتُ أن يصوِّرَ تفشي الحدث وانتشاره تصويراً رائعاً، وهذا مانجده في قوله تعالى : ﴿ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ [الحشر/ ١٤].

(١) ينظر : تأويل مشكل القرآن ١٦، وينظر في مادة (طفأ) أساس البلاغة ٥٢٥، ولسان العرب ١٢٤/٩، وتاج العروس ٩١/١.

(٢) ينظر : العين ٥٨/١، والكتاب ٤٣١/٤-٤٣٤.

(٣) ينظر : الأصوات اللغوية ٧٦-٧٨، وعلم اللغة السعرا ١٩٣، وعلم اللغة العام "الأصوات" ٩٠، ودروس في علم أصوات العربية ٣٠، ٣٨، ٨٨.

(٤) ينظر : الرعاية ١٠٩، ومخارج الحروف وصفاتها ٩١.

قال "ابن فارس" : ((الشين والتاء أصل يدل على تفرُّق وتزِيل))<sup>(١)</sup>، فالشتت : الافتراق، نقول : شتَّ شعبهم شتاتاً وشتاً، أي : تفرق جمعهم، وقوم شتَّى : متفرقون مختلفون<sup>(٢)</sup>.

دلَّت القيمة التعبيرية لصوت (الشين) على معنى الانتشار والتفرق بشكل واسع بغير نظام، فيرى بعض الباحثين أنَّ صوت (الشين) إذا جاء في أول الكلمة دلَّ على التقريق<sup>(٣)</sup>، وهكذا عبر صوت (الشين) بكل دقة عن المعنى دون الرجوع إلى المعاجم اللغوية تسانده الفاء المهموسة المضعفة، والألف المدية مما منح السياق إيقاعاً خافئاً زاد من دلالاته على التفرقة والانتشار.

يتضح من ذلك أنَّ لصوتية الحروف فاعلية؛ إذ تخضع في بعض الأحيان لانطباعاتٍ مبعثها إحياء الأصوات نفسها، ويشكل الصوت المفرد في النسق اللغوي منطلقاً للوعي والتأثير، فقد يكون هناك صوت بعينه أو مجموعة أصوات تبعث شعوراً معبراً، وعندها يفوق جرس الصوت على منطق اللغة، فيخرج عن كونه صوتاً محضاً إلى دلالة تحرك المعنى وتقويه، لذا تجلَّت قيمة الصوت المفرد في سياق آيات الصفات. وكما للفونيم الصامت دور في توجيه دلالة الألفاظ فإن لفونيم الحركة قيمة تعبيرية خاصة في تعميق المعنى والتعبير عنه، لأنَّ الحركة جزء من صوت الحرف الملفوظ.

والحركات أصوات انطلاقيه تحدث منذبذبة الوترين الصوتيين عند مرور الهواء بها وليس للهم من دور في إنتاجها سوى اتخاذها شكلاً معيناً بوصفه غرفة رنين تُعطي للصوت المار بها طابعاً خاصاً<sup>(٤)</sup>.

وقد استطاع علماءنا اللغويون خاصة أن يدركوا الوظيفة الدلالية للحركات، وأن يبينوا أن هذه الحركات لا تقل أهمية عن الحروف في بيان الفروق الدلالية والتمييز بين

(١) مقاييس اللغة ١٧٧/٣.

(٢) ينظر في مادة (شتت) : المفردات ٣٧٤-٣٧٥، ومختار الصحاح ٣٢٨، ولسان العرب ١٩/٨، والمصباح المنير ٣٠٤-٣٠٥، وتاج العروس ٥٥٦/١.

(٣) ينظر : دقائق العربية ١٧.

(٤) ينظر : علم اللغة العام "الأصوات" ١٩٢، والمنهج الصوتي للبنية العربية ٢٩، ودراسات في اللغة والنحو ٣٥.

الصيغ<sup>(١)</sup>، إذ تتقابل الحركات في مباني الألفاظ فتحدث تغيراً واضحاً في معانيها فنتجت عن ذلك ظاهرة المثنيات والمثلثات.

أطلق القدماء على الحركات تسمية "الأصوات الناقصة"؛ لأنها ((تعلق الحرف الذي تقترب به وتجذب به نحو الحروف التي هي أبعاضها))<sup>(٢)</sup>، وهذا ما يؤيده علماء الصوت المحدثين حين جعلوا الحركات وحروف المد تحت قسم واحد هو الصوائت وقسموها على قسمين : صوائت قصيرة (الحركات)، وصوائت طويلة (حروف المد)<sup>(٣)</sup>، وأن الاختلاف بين الصوائت القصيرة ونظيرتها الطويلة ، ليس اختلافاً في كمية الصوت أو في طول الزمن الذي يستغرق في النطق ولكنه اختلاف نوعي كبير أيضاً<sup>(٤)</sup>.  
والقرآن الكريم قد جاءت حركاته متجانسة مع الحروف على وفق منهج صوتي مرتل تعتمد فيه الحركات على ما قبلها وما بعدها فينسجم الكل ليصب في صوت القرآن وبلاغته وأسلوبه في الأداء والدلالة، فالحركات تمد السياق وتراكيبه بألوان من الأنساق الموسيقية المتناسبة، وتلون الكلمات تلويناً رائعاً<sup>(٥)</sup>. فنجد ألفاظاً تتفق في الحروف والصيغة ولكنها تختلف في بعض حركاتها فيتغير المعنى تبعاً لذلك، فالعرب تفرق بين المعنيين بتغير حركة الحرف في بنية الكلمة، فيختارون صوت الحركة الأقوى للمعنى الأقوى فالفتحة أوضح من الضمة والكسرة وأخفها جرساً، فكثيراً ما عدلوا عن الضمة والكسرة؛ لثقلهما في النطق بهما، إذ يحتاج ذلك إلى جهد عضلي يتناسب وثقلهما<sup>(٦)</sup>.

وفي سياق آيات الصفات تجلّى أثر الحركات بشكل واضح في توجيه المعنى من خلال الاستبدال الفونيمي بين الضمة والكسرة، فنجد مثلاً للكسرة دور مهم في الإيحاء

(١) ينظر : المسائل المشككة "البغداديات" أبي علي الفارسي ٤٨٨-٤٨٩، وأسباب حدوث الحروف ٨٤-٨٥، والمصطلح الصوتي ، الصيغ ١٤٢.

(٢) سر صناعة الاعراب ٢٨/١ وينظر منه ٣٠، وينظر : الخصائص ٣٢٧/٢، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٣٢٥.

(٣) ينظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٣٣٠.

(٤) ينظر : التشكيل الصوتي ٤٠، ودراسة الصوت اللغوي ٢٨٢، وبعض المحدثين يفضل مصطلح الحركة للدلالة على الحركات وحروف المد ، ينظر : دروس في علم أصوات العربية ٢٠.

(٥) ينظر : من وجوه الإعجاز الموسيقي ٣٩.

(٦) ينظر : المثل السائر، ابن الأثير ١٩١/١، وشرح التصريح على التوضيح ٥٨/١-٥٩، والأصوات اللغوية ٨٤.

بالحدث إذ تُضفي على السياق جوًّا من الحزن والإنكسار والحسرة كما في قوله تعالى :  
﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة/٦١].

والذِّل : يدل على الخضوع والاستكانة واللين، يُقال رجل ذليل، أي : بين المذلة،  
أي هان عن قهر، والذل بالكسر ضد الصعوبة، والذل بالضم ضد العز<sup>(١)</sup>.

فلفظة (الذِّل) بالكسر قد أوحى بالانكسار والضعف الذي أحاطه الله بهم، مما  
ظلل الآية بجوٍّ من مشاعر الخضوع والهوان وصغر النفس فكأن التعبير القرآني قرن  
ذل اليهود الذي أحاطه بهم بعد عصيانهم أمر الله بذل الدواب، لذا يمكن عدُّ الكسرة  
المقابل الصوتي لهذه الصفات، فضلاً عما أفاده السياق من معنى زاد من دلالتها.

يشير "ابن جني" إلى دلالة الحركة في لفظة (الذل) فقال : ((الذل في الدابة ضد  
الصعوبة، الذل للإنسان وهو ضد العز، وكأنهم أختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان  
والكسرة للدابة؛ لأن ما يلحق الإنسان أكبرُ قدراً مما يلحق الدابة، واختاروا الضمة  
لقوتها للإنسان والكسرة لضعفها للدابة))<sup>(٢)</sup>، لذا فإننا نجد الفرق بين المعنيين متأت  
من تغير حركة الحرف في بنية الكلمة، وهكذا يجعل "ابن جني" من الضمة والكسرة  
فونيمين يوجه كل منهما المعنى ويخصه، ويمكن القول أن دقة استعمال الحركة  
دلالة على مستوى مستعمليها العقلي.

ومن ذلك لفظ "الرشد" في قوله تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ  
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا  
يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا  
عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف/١٤٦] فجاء الاستبدال الفونيمي -هنا- بين الضمة والفتحة.

والرشد والرشد والرشد : نقيض الغي والضلال، إذ أصاب وجه الأمر ومحجة  
الطريق والهدى، واسترشد طلب منه الرشد<sup>(٣)</sup>، ومنهم من لم يفرق بين الرشد بالفتح

(١) ينظر في مادة (ذَلَّ) : مقاييس اللغة ٣٤٥/٢، والمفردات ٢٦١، ولسان العرب ٤٠/٦-٤١،  
والمزهر ٢١٨/٢.

(٢) المحتسب ١٨/٢، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٢٨٦-٢٨٧، والعلاقة بين الدال  
والمدلول ٧٢.

(٣) ينظر في مادة (رشد) : الصحاح ٤٨٤/١، ومختار الصحاح ٢٤٣-٢٤٤، ولسان العرب ٦/١٥٧  
والكليات ٤٧٦.

والتحريك والرشد بالضم فكلاهما بمعنى واحد؛ وهو نقيض الغي والضلال<sup>(١)</sup>. ومنهم من فرق بين دلالة كل من المصدرين، يقول "الراغب": الرشد والرشد خلاف الغي بمعنى الهداية، والرشد يُقال في الأمور الدنيوية والأخروية، أما الرشد فإنه يقال في الأمور الأخروية لا غير<sup>(٢)</sup>.

ويظهر لنا أن أصحاب المعاجم حققوا اختلافاً في صيغة وفعل كل منهما، وقد ذكروا اختلافاً دلاليّاً أوجبه الخلاف الصرفي، فالرشد: إصابة الواقع ويستعمل في كل خير والمراد به الإيمان وطريق الرشد الهادي للخير<sup>(٣)</sup>، أو هو الصلاح في الدنيا. والرشد: الهداية والصلاح للآخرة، وقوله ﴿تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن/١٤]، أي: توخوه وأموه<sup>(٤)</sup>، ويكون الرشد طلباً وتحرياً من الله قال تعالى: ﴿وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف/١٠]، وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف/٢٤].

يقول "أبو هلال العسكري" الرشد نقيض الغي الذي يمثل القبيح، والرشد خلاف الضلال، وأصله الهلاك<sup>(٥)</sup>. ويمكن هنا تلمس الفارق الدلالي من معرفة الفرق بين الضلال والغي لنتوصل إلى الدلالة الفعلية التي توجب صحة قول "الراغب" -أنف الذكر- إن الغي والضلال لفظان مختلفان دلاليّاً ونقيضهما "الرشد" وهو بمعنى واحد: الهداية، ولكن جاء الخلاف الحركي لتخصيص هذه الدلالة والذي يوجبه أصل المصدرين أن يكون الضلال عن الدين أبلغ من الغي فيه، لذا "خصص الرشد" بالأمور الأخروية دون الرشد الذي نقيضه الغي؛ والغي: الضلال والخيبة أي: المعصية في الدنيا يتبعها ضلال في الآخرة. فعُمِمت دلالة الرشد ليشمل الأمور الأخروية والدنيوية ودلالة الضم أقوى في تحمل الدلالة الأوسع وهي الجمع بين "الدنيا والآخرة" والفتح أقدر على التعبير عن الدلالة الأرحب والأشمل روحياً لما فيه من اتساع عند النطق به.

(١) ينظر: مقاييس اللغة ٣٩٨/٢، والصاحح ٤٨٤/١، والكشف ٢٥٠/١.

(٢) ينظر: المفردات ١٩٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢٤٦/٢.

(٣) ينظر: الفروق اللغوية ٢٠٣-٢٠٦.

(٤) ينظر: تفسير غريب القرآن ٤٩٠.

(٥) ينظر: الفروق اللغوية ٢٠٨.

ومثل ذلك لفظة "الضرر" بالفتح والضم وهما لغتان : ضد النفع، وبالفتح خلاف النفع ويكون حسناً أو قبيحاً، والضرر بالضم البلاء والمصيبة والهزال وسوء الحال فكل ما كان من سوء حال وفقر أو شدة في بدن فهو ضرر بالضم، وما كان ضداً للنفع فهو ضرر بالفتح<sup>(١)</sup>. وفرق "الزمخشري" (ت) بين البناءين لافتراق المعنيين بقوله : ((الضرر في كل شيء، وبالضم في النفس من مرض أو هزال))<sup>(٢)</sup>، ويكرر ذات المعنى الكفوي (ت) في "الكليات" : ((فبالفتح شائع في كل ضرر، وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال أو أحوال نفسية))<sup>(٣)</sup>.

جاءت القراءة بالضم\* في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران/١٢٠]. فالقراءة بضم الراء اتباعاً لضمة الضاد والمشهور في نحو هذا فتح الراء أو فك الإدغام أو الجزم.. والقراءة بضم الضاد والراء تشير إلى ثقل الحالة التي يعانيتها المسلمون واستمرار الأذى والمكروه الذي يصيبهم من اليهود والمنافقين وهذا يحتاج إلى قوة صبر وعزيمة وحذر منهم، والقراءة بالفتح تخفف الأمر وتهونه وذلك لخفة الفتحة، والضمة صوت يحتاج إلى جهد عضلي أكثر من الكسرة والفتحة<sup>(٤)</sup>.

ذكر "أبو هلال العسكري" أن الضرر أبلغ من الضرر، فالضرر يقع على أقل القليل للفعل؛ لأنه مصدر جاء على فعله كالصفة الجارية على الفعل، والضرر بالضم كالصفة المعدولة للمبالغة<sup>(٥)</sup>.

ونضيف فرقاً دلاليّاً يستحق الوقوف عليه، ما بين الضر والضرر؛ يقول "القرطبي": الضر كالمرض والفقر والقحط ولا يمكنهم تبديله أو رفعه إلا هو وحده -

(١) ينظر في مادة (ضرر) : تفسير غريب القرآن ٢٤٣، ومقاييس اللغة ٣٦٠/٣ والفروق اللغوية ١٩٢، ولسان العرب ٣٢/٩-٣٣ وتاج العروس ٦١/٢.

(٢) الكشف ٣٣٥/٢.

(٣) الكليات ٢٣٣.

\* تنظر هذه القراءة في : السبعة في القراءات ٢١٥، والتبصرة ٣٣٢، والنشر ٢٤٢/٢، والبحر المحيط ٤٣/٣.

(٤) ينظر : بلاغة الكلمة ١١٩-١٢١.

(٥) ينظر : الفروق في اللغوية ١٩٢.

الله ﷻ - فمن لا يملك ذلك لا يستحق العبادة، إذ شرط استحقاقها القدرة الكاملة التامة على دفع الضرر وجلب النفع<sup>(١)</sup> فالبالضم ماهو أشد وقوعاً وأفدح ويبقى الإنسان عاجزاً تجاهه، ولذا نقرر من خلال ذلك، الضرر بالفتح ما أخف وطأة، فلا نستبعد بعد ذلك أن يدعو الإنسان ربه لكشف الغم عنه؛ لأنه لا يملك لنفسه ضرراً مهما كان خفيفاً، فلا يستطيع دفعه إلا بإذن الله، ولا نفعا.

ومن الألفاظ المتفقة في الأصل اللغوي والمختلفة في الحركة لفظ "العوج" و "العوج"، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران/٩٩].

"العوج" لغة من عوج يعوج عوجاً وهو الانعطاف فيما كان قائماً فمال، كالرمح والحائط والدين<sup>(٢)</sup>، فنقول: عجت البعير بزمامه، وفلان ما يعوج عن شيء يهم به، أي ما يرجع، والعوج بالفتح: فيما يدرك بالبصر، والعوج بالكسر فيما يدرك بالبصيرة<sup>(٣)</sup>، وقد ساوى بينهما عدد من المفسرين<sup>(٤)</sup>، على حين يفرق بينهما الباقر قال الطوسي (ت) في تفسير اللفظين: ((العوج: العدول عن الطريق الصواب، وهو في الدين عوج بالكسر، وفي العود عوج بالفتح - فرقوا بين ما يرى وما لا يرى، فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب، بالفتح والكسر))<sup>(٥)</sup>، وقال في موضع آخر: ((العرب تقول عوجاً - بكسر العين - في كل اعوجاج في دين أو فيما لا يرى شخصه قائماً، ولا يدرك عياناً منتصباً كالعوج في الدين؛ ولذلك كسرت العين في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾\*، وكذلك العوج في الطريق؛

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٩٨/١٣-٩٩.

(٢) ينظر في مادة (عوج): مقاييس اللغة ١٧٩/٤-١٨٠، ومختار الصحاح ٤٦٠، ولسان العرب ٣٣١/٢-٣٣٢، والمصباح المنير ٤٣٥/٢.

(٣) ينظر: إصلاح المنطق ١٦٤.

(٤) ينظر: الكشف ٤٧١/٢.

(٥) التبيان في تفسير القرآن ٤٦٣/٥، وينظر: مجاز القرآن ٩٨/١.

\* الكهف.

لأنه ليس بالشخص المنتصب، فأما ما كان في الأشخاص المنتصبة، فإن عينها تفتح في الفتاة والخشبة ونحوها<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك لفظ (الخلف) في قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا .. ﴾ [الأعراف/١٦٩] يلحظ أن التعبير القرآني قد أثر لفظ (خلف) بسكون اللام على (خلف) بفتحها؛ لأن (خلف) بالسكون جاء أكثر استعماله في معنى التابع السيء غير الصالح، أما (الخلف) بالفتح، فلا يكون إلا في التابع الصالح<sup>(٢)</sup>، ومما يؤكد هنا المعنى قوله تعالى في سورة مريم : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ .. ﴾ [مريم/٥٩] أي رفضوا الإيمان والطاعة، واستحلوا الحرمات وانهكوا في المعاصي وغير ذلك فهم خلف سوء، فسبحانه يذم هذا الخلف؛ لأنهم مع معرفتهم بوحى الله إلى رسله -عليهم السلام- فعلوا ما فعلوا من القبائح ومما يلحظ أيضاً مجيء الفاء العاطفة الدالة على التعقيب والترتيب<sup>(٣)</sup>، ونكتة العطف بها دون (الواو) أو (ثم) لبيان أن انتكاسة هؤلاء (الخلف) جاءت بعد انتكاسة سلفهم مباشرة وفي ذلك إحياء بأن السلف كانوا قدوة سيئة لمن خلفهم من بعدهم.

### الآخر : دلالة البنية الصوتية للمفردة

إن بعض المفردات مثل بعض الأصوات لا يمكن الاستغناء عنها من حيث تحسُّس جمالية الصورة اللفظية المسموعة، فإن الذي يميز لفظة من لفظة هو النغم أي أن لكل لفظة صورة من الحسن والقبح تعرف عن طريق ذلك النغم.

وقد مر بنا في مبحث سابق\*، أن لهيئة اللفظة أو بنيتها دخلاً في تصوير المعنى، فالمتلقي يقترب في تصويره من دلالة هذه اللفظة عند سماع جرس حروفها، وهي تأتلف في اللفظة عبر بنية ما، واللفظة مؤتلفة منسجمة في السياق.

(١) التبيان ٥/٧، وينظر : فيه ٤/٤٠٩، ٤٦٣.

(٢) ينظر في مادة (خلف) : مجاز القرآن ٢٣٢/١، ولسان العرب ، والمصباح المنير ، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة .

(٣) ينظر الفصل الثالث ص .

\* ينظر : المبحث الأول من هذا الفصل صفحة.

وقيمة الألفاظ الحقيقية لا تنحصر فيما تولده من متعة حسية كامنة في جرس حروفها أو توالي أصواتها فحسب، بل فيما يكمن خلف الألفاظ من معانٍ بعيدة وأبعادٍ لا محدودة وإيحاءات خفية تتبع من أغوار النفس البشرية، لتقوم هذه الألفاظ بأداء وظيفتها المزدوجة، بمعنى أنه لا جرس من دون معنى كما أن المعنى دون الجمال الصوتي للألفاظ باهت لا قيمة له، فكلا الأمرين مطلوب<sup>(١)</sup>.

لقد أهتم "القرآن الكريم" اهتماماً بالغاً باختيار ألفاظه سواء أكان هذا الاختيار مختصاً بالجانب الشكلي للفظ، ونعني به كل ما يلحق الكلمة من قيم صوتية وموسيقية وجمالية، أم بالجانب المضموني والذي يعني كل ما تمتلكه اللفظة من دلالات أصلية أو إضافية.

ولا يخفى على المتأمل في التعبير القرآني أن ألفاظ القرآن تثير المشاعر أولاً لتجد طريقها إلى الفكر ثانياً فهي تخاطب القلب والعقل في آن واحد وتحمل قوة تصويرية في ذاتها قادرة على أداء المعنى وإيصاله للمتلقي. والعربي عند سماعه ألفاظ القرآن لم يكن مبلّغ وعيه أنه فهم المعنى المراد بها، وإنما كان يستشعر بكل الإيحاءات التي توحى؛ لأنه يعرف هذه الألفاظ واشتقاقاتها واستعمالاتها لا عن دراسة وإنما عن ذوق ودربة وإحساس فهي ألفاظ لغته التي اعتاد عليها وتعامل معها.

وفي سياق آيات الصفات نجد كثيراً من الألفاظ التي استعملها النظم القرآني تدلّ بنيتها الصوتية على المعنى، ومن الممكن أن تقع مكانها مفردات تساويها في المعنى ولكنها لا تحمل القيمة التعبيرية لأصواتها ذاتها، فالمفردة القرآنية توحى للنفس بمعانٍ ثم الإحساس بهذه المعاني واستشعارها وكأنها صور تتمثل في مخيلة المتلقي فتثير في ذهنه دلالاتها، ونجد مصداق ذلك في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ...﴾ [آل عمران/٢٠]، فإن حاجوك، أي : فإن جادلوك في الدين وخاصموك<sup>(٢)</sup>.

ومحاجة أهل الكتاب كانت في دين الله وهي محاجة باطلة؛ لأنهم لا يطلبون الحق في محاجتهم بل الخصام والمكابرة، وأكثر ما استعمل الفعل (حاج) في معنى

(١) ينظر : عضوية الموسيقى في النص الشعري، عبدالفتاح صالح نافع ٦٦.

(٢) ينظر : الكشف ٤١٩/١، واللباب في علوم الكتاب ١٠٩/٥.

المخاصمة بالباطل وهذا ما يوجب الذم والزر<sup>(١)</sup>. يقال حاجبت فلاناً أحاجه حاجباً ومُحاجةً حتى حَجَبَتْهُ أي : غَلَبَتْهُ بالحُجْب التي أدلّيت بها<sup>(٢)</sup>، والحجاج لا يكون إلا بين طرفين مختلفين في الدعوى<sup>(٣)</sup>.

إنّ البنية الصوتية لـ (حاجوك) توحى بعنف الإيقاع الموسيقي وشِدَّتْه، وهذا ما لا نجده في مرادفات اللفظة "جادلوك ، وخاصموك"، وقوة اللفظة مستمدة من قوة أصواتها ودلالة بنيتها الصوتية، فصوت الجيم المجهور المشدّد، صوت قوي مهْدَلْه وأبرز قوته سَبْقَه بالمدّ الطويل الذي يُعرف عند علماء التجويد والأصوات بـ (مدّ لازم مثقل مشدّد)<sup>(٤)</sup>. فهذا العنف المبتوث في المفردة يكمن في وجود هذا المد الطويل الذي لا غنى عنه، وغالباً ما يرد في البيان القرآني في مواقف الشدة والتهديد والتقريع. وفي تعليل المد قبل الصوت المشدّد يقول "ابن جني" : ((..فحينئذ ينهضون بالألف بقوة الاعتماد إليها، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضاً مما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها، إذا لم يمدوا عليه تطرقاً ولا بالاستراحة إليه تعلقاً وذلك نحو : شابه ودابه..))<sup>(٥)</sup>، فإن حركة الفتح وألف المدّ المتفرعة منها أوضح كل الحركات في السمع<sup>(٦)</sup>. إن قوة النطق بـ (حاجوك) يوحي بشدة جدالهم وخصومتهم ي هذا الدين وطول مدته. وهذا ما يمكننا تلمسه أيضاً في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر/٤].

(١) ينظر جامع البيان ٢١٤/٣ مجمع البيان ٤٢٢/٢، والتحرير والتنوير ٢٠٠/٣.

(٢) ينظر : في مادة (حج) : مقاييس اللغة ٢٩٩-٣٠٠، والمفردات ١٥٥، وأساس البلاغة ١٥٥، ومختار الصحاح ١٢٢-١٢٣، ولسان العرب ٣٧-٣٨.

(٣) ينظر المحاجة في القرآن الكريم : أسيل متعب الجنابي (ط/د) ٧-١٠.

(٤) ينظر : الكشف ٦١/١، والأصوات اللغوية ١٥٩، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٧-٥٣٠.

(٥) الخصائص ١٢٦/٣، وينظر : الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي/١٨٠-١٨٤.

(٦) ينظر : موسيقى الشعر ٢٦٥.

والشقاق في اللغة : الخلاف والعداوة بين فريقين، وسمي شقاقاً؛ لأن كل فريق من فرقتي العداوة قصد شقاً أي ناحية غير شق صاحبه، يقال : فلان شق العصا، إذا فارق الجماعة<sup>(١)</sup>.

والشقاق في اصطلاح المفسرين وأهل الغريب : العداوة، والمخالفة، والمقاطعة، والمناوذة والمجانبة<sup>(٢)</sup>.

والبنية الصوتية لـ(شاقوا) وجرسها داخل الآية وتكرار أصواتها، فالجرس الذي يتردد في صوت (الشين) المتقشي وتشديد (القاف) المستعلي بعد ألف المد يوحى بتقشي العداوة داخل النفوس المريضة واستعلائها فالنفس تحس بالمعنى وتترك قوته، وهذا التطاول في المد وهذه الشدة في الأصوات الأخرى قد حاكى تفرق القوم ، كذلك فإن ثقل اللفظة على اللسان يوحى بثقل مصير الذين يحادون الله ورسوله ويسلكون غير سبيل الهداية.

لقد تم هذا الإيقاع في بعض جوانبه بحسن التوزيع بين الأصوات، فبناء اللفظة قد عبر عن اللفظة بكل دقة مستغفراً كل طاقاتها.

كثيراً ما نستشف المعنى عن طريق تلك الوشائج القائمة بين الدلالة اللغوية للفظ والصورة السمعية، بمعنى أننا نعرف الدلالة الصوتية للفظ والإحساس بالمعنى مسترشدين بدليل المعنى اللغوي لها، وهذا مانجده في قوله تعالى : ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا \* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنا إِنْ كَان وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولًا \* وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء ١٠٧-١٠٩].

جاء في معنى ﴿ يَخِرُّون ﴾، الخرور : سقوط الشيء سقوطاً يسمع منه خرير، فهو اضطراب وسقوط مع صوت، والخرير يُقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو، فإن استعمال الخرور في قوله تعالى ينبه على اجتماع أمرين : السقوط على الأرض للسجود، وحصول الصوت معهم بالتسبيح<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر في (شقق) : مقاييس اللغة ١٧١/٣، ولسان العرب ١١١/٨-١١٢، والقاموس المحيط ٢٥٠/٣.

(٢) ينظر : تفسير غريب القرآن ٦٤، والمفردات ٣٨٧، والمحرم الوجيز ٢٤٢/٦.

(٣) ينظر في مادة (خر) : مقاييس اللغة ١٤٩/٢، والمفردات ٢٠٨، ولسان العرب ٤٢/٥، والمصباح المنير ١٦٦/١.

إن مشاعر السكينة والخشوع والإذعان للخالق تسود هذه الآيات، فجاء التعبير بـ **﴿يَخْرُونَ﴾** للدلالة على حالة التجدد والاستمرار مستحضراً أماننا تلك الحركات الحياتية المنتظمة التي تتردد مع تردد الإيقاع الموسيقي للآيات، ولهذا الأسلوب قدرة على التأثير، فيوقظ السامع وينبه العاقل، فاللفظة بجرسها الخاص ونغمها المميز قد رسمت في أذهاننا صورة للمعنى بكل دقة. فضلاً عما أضفاه تكرار **﴿يَخْرُونَ﴾** من جمال صوتي في الإيقاع الداخلي فضلاً عن الفائدة الدلالية وهي اختلاف الحالين : حالة خروجهم للسجود، وحالة كونهم باكين عند استماع القرآن<sup>(١)</sup>.

إن في إيثار "اللام" في "للأذقان" على لفظة "على" إشارة إلى دقه الاستعمال، فالمرء يحتاج إلى التريث والتدبر ليدرك السر في إيثار كلمة على كلمة أخرى في التعبير القرآني ولكنه لا يلبث أن يجد سمو هذا التعبير ودقته.

لنتدبر قوله تعالى فنذكر هذا السمو في التعبير : **﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** [المائدة/٦٢] وقوله : **﴿...وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾** [آل عمران ١١٤].

والسرعة : نقيض البطء، وقيل : أسرع بمعنى طلب ذلك من نفسه وتكلفه ، أما سرع فكأنها عزيزة، وسارع إلى الأمر كأسرع، والمسارة إلى الشيء : المبادرة إليه والمشروع فيه<sup>(٢)</sup>. فهؤلاء اليهود يجدون في إسراعهم وتهالكهم في الوقوع في الإثم غاية الإسراع فعل من يسابق خصماً، فإسراعهم في الإثم إظهار لآثاره عند أقرب فرصة، وهذا يشير إلى رغبتهم فيه؛ لأن من رغب في شيء أسرع إليه<sup>(٣)</sup>.

والمسارة مستعارة للاستكثار من الفعل والمبادرة إليه تمثيلاً بحال السائر الراغب البلوغ إلى قصده يسرع في سيره، فالمسارة في الخير عند مؤمني أهل الكتاب هو كمال الرغبة فيه، فكلما لمحت لهم بارقة في الخير يسارعون إليها مؤثرين الفور على التراخي<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : التفسير الكبير ٥٨/٢١، والدر المصون ٤/٢٧-٤٢٨، وصفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ١٧٥/٢-١٧٩.

(٢) ينظر في مادة (سرع) : المفردات ٣٣٧، ولسان العرب ١٧١/٧، والمصباح المنير ٢٧٤/١.

(٣) ينظر : الكشف ٤٥٦/١، ٦٢٧، ونظم الدرر ٣١٦/٦، ١٣٨/٩، وإرشاد العقل السليم ٢٩٣/٢.

(٤) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢١/٢، والتحرير والتنوير ٥٨/٣.

يلحظ دقة التعبير القرآني باستعمال السرعة بدلاً من العجلة وذلك لتحقيق فائدتين: إحداهما دلالية، وإن كانت السرعة والعجلة يلتقيان في تقليل الزمن بالنسبة للحدث، ولكن السرعة ممدوحة ومقابلها "الإبطاء" مذموم، والعجلة مذمومة ومقابلها "التأني" محمود؛ لأن السرعة هي التقدم فيما ينبغي التقدم فيه، والعجلة مخصوصة بالتقدم فيما لا ينبغي فيه التقدم<sup>(١)</sup>. قال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه/٨٣].

والأخرى: صوتية وهي متأتية من تناسق أصواتها مع بنيتها فصيغة (المفاعلة) في (يسارعون) هي مثير صوتي أفاد معنى المبالغة في فعلهم ذلك وكأنهم في حلبة سباق، إن لفظة (يسارعون) رسمت بدقة حركة المسرعين المتجددة المستمرة فأضفى ذلك على التعبير حركة وحياء.

وتعديه يسارعون بـ (في) بدلاً من (إلى) للدلالة على الظرفية، فجعل الإثم والعدوان مثلاً - بمنزلة الظرف، وانهم مستقرون فيه لا يبرحونه، وإنما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه وأحكامه إلى البعض الآخر، فكأن تخطب الكفار منهم فيه بمنزلة جولان الشيء في الظرف جولاناً بنشاط وسرعة<sup>(٢)</sup>.

فالمسارع إلى الشيء: هو الذي يسرع إليه من خارجه لأجل أن يصل إليه، والمسارع في الشيء: هو الذي يسرع في إعماله وهو داخل به، فهؤلاء لم يكونوا خارجين عن الإثم ليكون عملهم هذا انتقالاً من الصلاح إلى الإثم، بل كانوا داخلين فيه محيطاً بهم، وإنما ينتقلون سراعاً من حيز الإخفاء والكتمان إلى حيز المصارحة والإعلان<sup>(٣)</sup>.

وفي (يسارعون) قراءتان: إحداهما بالفتح والإمالة (يسرعون) والأخرى وهي قراءة القرآن، قال "ابن عطية" (ت) في هذه القراءة: ((وقراءة الجماعة أبلغ؛ لأن الذي يسارع غيره أشد اجتهاداً من الذي يسرع وحده))<sup>(٤)</sup>. إن هذه الزيادة في اللفظ اتبعتها زيادة في المعنى، فالتعبير القرآني يستعمل أبنية تدل على قوة في اللفظ تتبعها

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٤٨٠/٥.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم ٢١/٢، والتحرير والتنوير ١٩٨/٦.

(٣) ينظر: لغة المنافقين في القرآن، عبدالفتاح لاشين ١٤٦/١-١٤٧.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز ١٥٠/١، المذهب في القراءات العشر ١٨٩/١.

قوة في المعنى، ومن أمثلة ذلك صيغة (فعلان) فهذه الزيادة اللاحقة "ان" لأجل تقوية المعنى، وإلا كانت زيادة الحروف لغواً لا فائدة ترتجى وراءها<sup>(١)</sup>، كما في قوله تعالى ﴿وَيُكَفِّرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا..﴾\* [النساء/١٥٦].

**والْبُهْتَانُ** : مصدر بَهَتَ وهو كالدَّهْشِ والحيرة، يقال بهت الرجل يبهت بهتاً وبهتاً وبهتاتاً فهو بهات، أي : قال عليه مالم يفعله، فهو مبهور، وباهته افتري عليه بأمر وقذفه به، وهو منه بريء، لا يعلمه فيبهت منه، والاسم : البهتان وهو الباطل الذي يحير الناظر فيه<sup>(٢)</sup>.

لقد رمى اليهود السيدة "مريم" عليها السلام بالفاحشة إذ أنكروا قدرة الخالق **عَلَيْهِ** على خلق الولد من غير أب. ووصف بهتانهم بـ "عظيماً"؛ لأنه لا بهتان أعظم من هذا الذي بهتت به العذراء النقية<sup>(٣)</sup>.

والمتمأل في صيغة (فعلان) يدرك طول المقطع (ان) في النطق، وإطالة المقطع يتيح استيعاب أكبر للدلالات والمعاني، ولا يخفى أثر تناسق الحركات وانسجامها مع الحروف في (بُهْتَان) فالصوت يُوحى بالمعنى ويرسم الحركة في عملية نطق تحاكي الحدث، فإن الضمة وهي حركة ثقيلة على الباء الشديد الانفجاري تعني انضمام الشفتين على حرف ليس من حروف اللين، واستداره الشفتين يتطلب جهداً، وهذا يُحاكي قوة الحدث، يليها صوتاً (الهاء والمد الطويل) اللذان يوحيان بضعف كذبهم وخيبتهم فيه ومبالغتهم في التمادي بالكذب، فضلاً عن صوت النون ((وهو صوت ذو جرس جهري وترنيم غنية ونغم موسيقي مما يجعله صوتاً إيقاعياً يطرب السمع))<sup>(٤)</sup>.

وهذا الانسجام بين الحركات والبنية نجده أيضاً في قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

(١) الطراز، يحيى العلوي ١٦٣/٢.

\* ينظر : المائدة/٦٤، ٦٨.

(٢) ينظر في مادة (بهت) : جمهرة اللغة ١/١٩٨ مقاييس اللغة ١/٣٠٧، ولسان العرب ٢/١٦٢-١٦٣، وعمدة الحفاظ ١/٢٣٦، والمصباح المنير ١/٦٣.

(٣) ينظر : الكشف ١/٥٧٩، واللباب في علوم الكتاب ٧/١١٠، وتفسير المنار ٦/١٥، والتحرير والتنوير ٦/١٩.

(٤) النون في العربية، مشتاق عباس (ر/م) ٢٥٨.

كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ [الجمعة/٥] يقرن ﴿٥﴾ حملة التوراة الذين أنكروا صفة الرسول التي بشرت بها التوراة بحال الحمار البليد الذي يحمل أثقالاً من الكتب، وهو لا يفقه مافيهها من العلم، ويقاد إلى حيث قدر له ، ليس له إلا الكد والتعب، غايته حمل الأثقال وإشباع البطن. وهذا التعبير الفني يتلاءم والحال التي يريد القرآن الكريم إيصالها للمتلقي ، فهم أشبه بهذا المخلوق<sup>(١)</sup> واختيار "الحمار" من بين سائر الحيوانات ليشبه به اليهود لما ينماز به من صفات فهو أشهر الحيوانات بالبلادة والجهالة حتى ضرب به المثل في ذلك<sup>(٢)</sup>.

فصيغة (حملوا) المبنية للمجهول، المضمومة الحاء متلوة بالميم المكسورة المشددة ونحن ننطقها نحس جرساً شديداً ونغماً ثقيلاً يشعران بانهم قد حملوا التوراة عن ثقل في أرواحهم وأنفسهم. وإن هذا الثقل متأث من أن الكتاب السماوي ينص على أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء، وفي هذا - من وجهة نظرهم - اغتصاب وهدر لمكانتهم الدينية التي ييغون من ورائها تحقيق مآرب شخصية.

إن الآية دقيقة التصوير في أجزائها معبرة بصدق عن الحالة النفسية التي انتابتهم، ومشيرة إلى غباء وحمافة اليهود، وموحية بالسخرية والتوبيخ من عملهم هذا. وهكذا فإن ألفاظ القرآن الكريم جاءت لتعبر خير تعبير عن صفات بني إسرائيل، فتحاكي المعنى بدقة فالقرآن يعنى بهذا الانسجام عناية واضحة لتأثيره الكبير في السمع والنفس.

ونحن في هذه الدراسة لا نهدف إلى المطابقة الكلية بين الصوت والمعنى، أي أننا لا نريد الربط بين طبيعة الأصوات وما تؤديه من دلالة ربطاً قسرياً متكلفاً مما يكون منشؤه الإسقاط الشخصي، وإنما نكتفي بإبراز مناسبة المواقف ومساعدتها على تجلي المعاني وإدراكها.

ولا نريد الإطالة في هذا المبحث؛ لأن كل كلمة تصلح أن تكون نموذجاً حياً وشاهداً على موسيقى هذه اللغة، ودقة التعبير بها من خلال آيات الخالق، ومن هنا يمكن

(١) ينظر : تأويل مشكل القرآن ٣٧٨، والكشاف ٤/٢٤٤، والجمان في تشبيهات القرآن، ابن ناقيبا ٣٤٢-٣٤١.

(٢) ينظر : مجمع الأمثال ١/١٨٩، وحياة الحيوان الكبرى، الدميري ١/٣١٥. والتشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة مجيد الاطرقجي ٨١-٨٤.

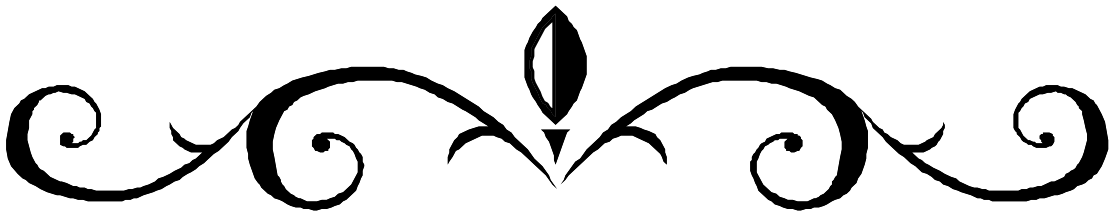
أن نستنتج أنَّ الألفاظ قد تضافرت داخل الآيات لتشكل مرتكزات مهمة من مرتكزات تشكيل النغم داخل السياق القرآني وما سقناه من نماذج في هذا الفصل ما هي إلا محاولات للكشف عن هذا النغم، وإلا فإنَّ كل حرفٍ، وكل حركةٍ، وسكنةٍ هي أسس مهمة من أسس تشكيل النغم لتشكل بأجمعها ما يمكن أن نسميه الموسيقى القرآنية التي ساعدت على تربية الذوق الموسيقي العربي.



# الفصل الثاني

## المستوى الصرفي

المبحث الأول : أبنية الأسماء  
المبحث الثاني : في أبنية الأفعال



## الفصل الثاني المستوى الصرفي

يعدُّ الصرف أحد علوم العربية المهمة التي تطورت بتطور العقلية العربية، وتستوجب أهميته العناية بدراسته وتحليل مسائله والتعمق فيها، وإن كان الصرف ليس غايةً في ذاته، وإنما هو طريقة من طرائق دراسة التركيب أو النص التي لا يمكن تجاهلها أو التغاضي عنها عند دراسة النصوص اللغوية؛ إذ عده اللغويون أحد المستويات التي تتناول دراسة اللغة<sup>(١)</sup>.

يدور المعنى اللغوي لكلمة (صرف) ومشتقاتها حول معاني التحويل والتغيير والتقليب<sup>(٢)</sup>، وأما اصطلاحاً فهو ((علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب))<sup>(٣)</sup> أو هو ((معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب))<sup>(٤)</sup>.

وفي الدراسات اللغوية الحديثة يسمى (علم الصرف) : "المورفولوجي Morphology" ويعرف بأنه : ((البحث في نشأة الكلمات والتغيرات التي تطرأ على مظهرها الخارجي في الجملة))<sup>(٥)</sup>، فهو يدرس ترتيب الأصوات في زمر لفظية، وكل وحدة صوتية ذات معنى أو وظيفة نحوية تسمى (عامل البناء) "مورفيم Morpheme"<sup>(٦)</sup>.

ولا يخفى ما لهذا المستوى من أهمية كبيرة في تحديد دلالات النص ومعانيه لاسيما ما يتعلق منه بالبنية الصرفية، وما في تلك البنية من معانٍ متباينة يسوقها الباحث

(١) ينظر : علم الدلالة والمعجم العربي، عبدالقادر أبو شريفة وآخرون ١١.  
(٢) ينظر : في مادة (صرف) : لسان العرب ٢٢٩/٨، والقاموس المحيط ١٦٢/٣، وتاج العروس ١٦٣/٦.  
(٣) شرح الرضي على الشافية ١/٢-١، وينظر : شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي ١٧، والمهذب في علم التصريف، هاشم طه شلاش ٢٨.  
(٤) المبدع في التصريف، أبي حيان ٤٩، وينظر : المهذب في علم التصريف، هاشم طه شلاش ٢٨، والصرف، حاتم الضامن ١١.  
(٥) التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ١١.  
(٦) ينظر : علم اللغة، السعران ٢٣٧-٢٣٨، وسمى "فندريس" "المورفيمات" بـ(دوال الماهية) ينظر : اللغة ١٠٥.

(المرسل) لتحقيق غايته؛ إذ تتغير الدلالة بتغير البنية الصرفية للكلمة؛ لأنَّ الألفاظ أدلة على المعاني<sup>(١)</sup>.

اعتنى الدارسون قديماً وحديثاً بالتحري عن أواصر العلاقة بين البنية الصرفية وما تعرضه من دلالات معنوية، إذ إن المقاييس الصرفية تعرض شكلاً خارجياً يقتزن به معنى داخلي، ومن ثم إيضاح الصلة بين ظاهر اللفظ ومضمون العبارة. لا يخفى على أحد ما للمفردة القرآنية من أهمية بالغة، فكل لفظة في القرآن الكريم قد وضعت وضعاً فنياً مقصوداً في مكانها المناسب، وهذه المفردات يتشكل منها البيان القرآني<sup>(٢)</sup>.

وفي الخطاب القرآني لبني إسرائيل تتجاوز الصيغ حدود المصطلحات المتعارف عليها اسماً أو فعلاً، فتمتاز بحسن سبكها وتآلفها في المعنى وتناسقها مع الصياغة واحتوائها لظلال من الدلالات الإيحائية الأخرى في وحدة تناسقية لا تتحاكى حتى لنجدها صيغاً انفعالية مؤثرة تساهم في إبراز الدلالة التي أرادها القرآن الكريم من جهة وتحقق دلالات تخدم الدراسة اللغوية فتفسح لها المجال وتهيئ لها مساحة في تناول النص من جهة أخرى.

ينصب البحث في هذا الفصل على بنية الكلمة المفردة الدالة على صفات بني إسرائيل اسماً أو فعلاً، وما يطرأ عليها من تغيير مؤثر في دلالتها وفي دلالة الجملة، ولحظ مدى صدق الضوابط التي وضعها الصرفيون بعد استقراء آيات الصفات، وبيان مدى شيوع أبنية معينة فيها، ومحاولة تفسير ذلك في ضوء ما تمخض عنه الدرس الصرفي العربي قديماً وحديثاً.

والتزاماً بمنهج البحث وطبيعته اقتضى تقسيم المستوى الصرفي على مبحثين :

**المبحث الأول : أبنية الأسماء.**

**المبحث الثاني : أبنية الأفعال.**

آثر البحث تقديم الاسم على الفعل لكثرة مادته ولكونه يحتل مكاناً بارزاً في سياق آيات الصفات؛ ولأنَّ أغلب النحاة ممن يقدم الاسم على الفعل ويصرحون بأن المصدر هو الأصل وهو اسم<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير ٦٠/٢.

(٢) ينظر : بلاغة الكلمة في التقسيم القرآني ٦، والظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ، نذير حمدان ١٨ وجماليات المفردة القرآنية ٢٩ وما بعدها.

## المبحث الأول أبنية الأسماء

### أولاً : أبنية المصادر

**المصدر لغة :** (الصدر)، وهو أعلى مقدّم كل شيءٍ وأوله، ومنه المصدر وهو الموضع الصدور<sup>(١)</sup>.

**واصطلاحاً :** عرفه ابن جني بأنه : ((أسمّ دالّ على حدث وزمان مجهول، وهو فعله من لفظ واحد))<sup>(٢)</sup>، ويبدو من هذا التعريف أن العلاقة بين المصدر وفعله هي علاقة لفظية، أي أن المصدر لابدّ أن يتضمن الأحرف التي يتألف منها فعله فبنية المصدر هي بنية الفعل ذاتها مزاداً عليها لواحق وزوائد لغرض إجراء تغيير دلالي معين.

وعرفه ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) : ((اسم الحدث الجاري على الفعل))<sup>(٣)</sup>. ولا يختلف المحدثون عن تعريف القدماء، فالمصدر عندهم : ما دلّ على الحدث مجرداً من الزمن والشخص والمكان<sup>(٤)</sup>، خارج علاقات السياق أما داخل السياق فتتعدد الدلالات الوظيفية التي يدل عليها ويؤديها.

ومصادر الأفعال منها ماهو قياسي ومنها ماهو سماعي، والقياسي ما يُصاغ على وفق ضوابط معينة وما يخرج عن ذلك فهو السماعي، وعلى ذلك فقد كانت أبنية

(١) ذهب البصريون إلى أن المصدر هو الأصل في الاشتقاق وهو خلاف ماذهب إليه الكوفيين، ينظر في الخلاف البصري الكوفي حول أصالة المصدر أو الفعل : الانصاف في مسائل الخلاف، أبي البركات الأنباري ٢٣٥/١-٢٣٨ المسألة ٢٨، وشرح ابن عقيل ٥٠٧/١، وشرح المفصل ١١٠/١، وشرح المراح في التصريف ، العيني ٢٩-٣٠ ومع الهوامع ١٨٦/١ ، والمهذب في علم التصريف ٢٢٣-٢٢٦ والنحو الوافي ٨١/٣، والبحث النحوي عند الأصوليين، مصطفى جمال الدين ٨٦ وما بعدها.

(٢) ينظر في مادة (صدر) : العين ٩٤/٧، ولسان العرب ٢٠٩/٨، والقاموس المحيط ٦٨/٢.

(٣) اللع في العربية، ابن جني ١١٤.

(٤) الكافية في النحو بشرح الرضي الاسترابادي ١٩١/٢، وينظر : شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام ٨٤.

(٥) ينظر : أبنية الصرف في كتاب سيبويه ٢٠٨، والنحو الوافي ٢٠٤/٢.

المصادر كثيرة جداً، وهذه الكثرة تؤدي إلى التصرف الواسع في اللغة وسبيل معرفتها وخاصة السماعية منها، هو ما حفظته لنا كتب اللغة ومعجماتها<sup>(١)</sup>.

يقسم البحث أبنية المصادر على قسمين :

**أحدهما : أبنية مصادر الأفعال الثلاثية المجردة.**

للفعل الثلاثي مصادر قياسية وسماعية حددها علماؤنا الصرفيون في مؤلفاتهم<sup>(٢)</sup>، والغالب على مصادر الأفعال الثلاثية أنها سماعية لا يحكمها قياس، قال سيوييه : ((وهذه الأشياء لا تضبط بقياس ولا بأمر أحكم من هذا))<sup>(٣)</sup>. لذا فتعددت أبنية المصادر من الأفعال الثلاثية تعدداً عجيبيّاً؛ إذ أحصت الدكتورة خديجة الحمداني (٦٩) بناءً لها في معجم لسان العرب<sup>(٤)</sup>.

وقد ضمت آيات الصفات ألفاظاً على تلك الأبنية المصدرية معبرة عن صفات بني إسرائيل، حاولت فيها أن أرتب هذه الأبنية على وفق شيوعها بدءاً من البناء الأكثر استعمالاً، وانتهاءً بالأقل استعمالاً\* وهي كالآتي :

١- **فَعَلَ (بفتح الفاء وسكون العين) :** من أكثر مصادر الفعل الثلاثي المجرد شيوعاً في العربية؛ لأنه أخف الأبنية وأعدلها، ولذلك فقد جعله الصرفيون أصلاً للمصادر الأخرى<sup>(٥)</sup>. يأتي بناء (فَعَلَ) مصدراً للفعل الثلاثي المتعدي على وزن (فَعَلَ، وفَعَلَ) سواء

(١) ينظر : شرح المراح في التصريف ٣٤ وما بعدها، ومعاني الأبنية ٨-٢١.

(٢) ينظر : الكتاب ٥/٤ وما بعدها، والمقتضب ١٢٤/٢-١٢٥، وشرح الرضي على الشافية ١٥١/١ وما بعدها، وشرح ابن عقيل ١١٥/٢-١١٨، والمزهر ٩٦/٢، فتح الحي القيوم ضمن (رسالتان في علم الصرف) السنباطي ٧٣ وما بعدها، وأبنية الصرف ٢٠٨-٢٤٥.

(٣) الكتاب ١٥/٤.

(٤) ينظر : المصادر والمشتقات في معجم لسان العرب، خديجة زبار الحمداني (ط/د) ٢٨٨.

\* وهذا ما اتبعته في هذا الفصل.

(٥) ينظر المقتضب ١٢٧/٢، والتكملة، أبي علي الفارسي ٥١٢، والمنصف، ابن جني ١٧٩/١، والخصائص ٦٠/١-٦١.

سواء أًصحيحاً كان أم معتلاً قياساً مطرداً على حدّ قول سيبويه : ((... وبعض العرب يقول كُتِباً على القياس))<sup>(١)</sup>.

قال الرضي (ت ٦٨٦هـ) : ((الأغلب الأكثر.. أن يكون المتعدي على فَعَل ، من أيِّ باب كان))<sup>(٢)</sup>، ويستثنى من هذا القياس ما دلّ على حرفة أو ولاية.

وبعد هذا فبإمكاننا إسناد ما جاء في كتب اللغويين من أقوال عن الشيوع والكثرة في المصادر الواردة على بناء (فَعَل) في العربية من الفعل الثلاثي المجرد فيما لو قُورِنَ بأبنية المصادر الأخرى من خلال الشواهد المرصودة في سياق آيات الصفات لهذا البناء (فَعَل)، وعددها (١٣) مصدراً تكرر (٢٨) مرة كما هو مفصّل في الجدول الآتي :

إحصاء المصادر بناء (فَعَل) التي وردت في سياق آيات الصفات \*

التسلسل	المصدر	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها				التسلسل	المصدر	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها			
			مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية
١.	بَغِي	٥	الشورى	١٤	البقرة	٩٠	٨.	نَقَضَ	٢	—	—	النساء	١٥٥
			الجاثية	١٧	آل عمران	١٩				المائدة	١٣		
٢.	لَعْنَة	٣	—	—	البقرة	٨٩، ١٦١	٩.	لَيَّ	١	—	—	النساء	٤٦
			—	—	آل عمران	٨٧							
٣.	قَوْل	٣	—	—	النساء	١٥٥، ١٥٦	١٠.	طَعَنَ	١	—	—	النساء	٤٦
			—	—	المائدة	٦٣							
٤.	أَكَلَ	٣	—	—	النساء	١٦١	١١.	صَدَّ	١	—	—	النساء	١٦٠

(١) الكتاب ٧/٤، وتردّد القول بين النحاة بقياسية (فَعَل) في الفعل المتعدي مع وجود السماع بصيغ أخرى، ينظر : دقائق التصريف ٤٨، ٢٠١ وشرح المفصل ٤٥/٦-٤٦، والمقرب لابن عصفور ٤٨٦-٤٨٨، وشرح الرضي على الشافية ١٥٧/١ وارتشاف الضرب، أبي حيان ٢٢٣/١.

(٢) شرح الرضي على الشافية ١٥٦/١، وشرح المراح في التصريف ٣٥.

\* رُتِبَت المصادر بحسب كثرة تكرارها، فإن تساوي مصدران في عدد تكرارهما قُدِّمَ الأسبق وروداً في ترتيب المصحف وهكذا في كل الجداول اللاحقة في هذا الفصل.

							٦٢،٦٣	المائدة	—	—		
١٦١	النساء	—	—	١	أَخَذَ	١٢.	٤٢،٦٢، ٦٣	المائدة	—	—	٣	٥. السَّحَّتْ (قراءة)
—	—	٩١	الأُنْعَام	١	خَوَّضَ	١٣.	١٢٠	آل عمران	٥	يوسف	٢	٦. كَيْدٌ
							١٨١ ١٥٥	آل عمران النساء	— —	— —	٢	٧. قَتَلَ

والذي يُلاحظ على الأبنية المصدرية بناء (فَعَلَ) أنَّ معاني هذه المصادر قد تعددت واتسعت فلا يمكن حصرها في مجالات دلالية محددة.  
جاء هذا البناء (فَعَلَ) في آيات الصفات ممثلاً بلفظتي (لَيًّا) و (طَعْنًا) في قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ...﴾ [النساء/٤٦].

أي : تحريكاً بألسنتهم بتحريف منهم لمعناه واستخفافاً منهم بحق النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وأصل اللِّي : الفتل، لويتُ الحبل ألويه لياً، فتلته والمعنى يفتلون لسانهم من النطق بالحق إلى النطق بالباطل ويعبر به عن التخرص<sup>(٢)</sup>، وقيل (اللي) هو القول باللسان خلاف مافي القلب، وأصل (اللي) في الأجسام ثم استعير للمعاني<sup>(٣)</sup>.  
حصل تغيير في بنية المصدر (لي) وأصله لوي من لوى يلوي. اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون أيتهما كانت فوجب قلب الواو ياءً وإدغامها<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : جامع البيان ١١٩/٥، والكشاف ٥٣١/١، وأنوار التنزيل ٧٧/٢، والبحر المحيط ٦٦٣/٣، وروح المعاني ٤٨/٥.

(٢) ينظر : في مادة (لوي) : جمهرة اللغة ١٨٨/١، مقاييس اللغة ٢١٨/٥، والمفردات ٤٥٧، وأساس البلاغة ٧٧٤-٧٧٥، ولسان العرب ٢٦٠/١٣، وعمدة الحفاظ ٥٦/٤، ومتن اللغة ٢٣٣/٥.

(٣) ينظر : قطف الأزهار ١١٦/٢، والتحرير والتنوير ١٧٦/٥.

(٤) ينظر : معاني القرآن وأعرابه ٥٩/٢، المذهب في علم التصريف ٣٤٢، والصرف الواضح، عبدالجبار علوان النائلة ٣٣٤.

ويلحظ جمال الاستعارة في (لي الألسن) للدلالة على الميل والإعراض الدنيوي فهو سلوك منهم يخفي الرفض إلا أنه يُبدي حركة لسانية منها تحويل الكلام عن جهته، ومجيء هذه الصفات (اللي والطعن) متتابعة وبصيغة المصدر؛ لأنه أكثر استقراراً وثباتاً من الفعل فالمصدر ذو وظيفة دلالية صرفية — أبلغ من غيره<sup>(١)</sup> وأقدر على إعطاء المعاني والدلالات أبعادها السياقية المطلوبة. وأبلغ كلام هو كلام الله ﷻ فكان من سماته استعمال الأساليب العالية البلاغة.

وقد يأتي اللفظ مصدراً بسبب القراءة كما في قراءة<sup>(٢)</sup> زيد بن علي وخارجة بن مصعب عن نافع للفظ (السَّحَت) بفتح السين وسكون الحاء (السَّحَت)، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة/٦٢]. ولا يختلف المعنى اللغوي لـ (السَّحَت) عن قول المفسرين فالمراد به كل حرام قبيح الذكر، وقيل هو ما خبث من المكاسب، وسمي بذلك؛ لأنه يسحت الطاعات ويستأصلها، وسمي بذلك؛ لأنه يسحت الطاعات ويستأصلها، وقيل سمي المال الحرام سحتاً؛ لأنه يسحت مروءة الإنسان، والقول الأول أولى؛ لأنّ بذهاب الدين تذهب المروءة<sup>(٣)</sup>، وقيل: السحت أمور عدة منها: الرشوة في الحكم<sup>(٤)</sup>.

تكررت لفظة (السَّحَت) في سورة المائدة فقط وهذا ما يناسب غايات السورة وأهدافها في بيان المعاملات والعقود.

وقد تدخل التاء الفارقة على بناء (فَعَل) إذا أريد به وصف المؤنث، وقد لا تكون التاء الداخلة على بناء (فَعَل) للتأنيث فقط، بل تلحق بعض الصفات للمبالغة كما دخلت على بناء (فاعلة)، (فعالة) في رابوية وعلامة جاء في الخصائص: ((أَنَّ الهاء في نحو ذلك لم تلحق لتأنيث الموصوف بما هي فيه، وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية، فجعل تأنيث الصفة أمانة لما أريد من

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ١٨٢، والدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن

جني: عبد الكريم مجاهد "بحث" ٨٤.

(٢) تنظر هذه القراءة في: السبعة في القراءات ٢٤٣ والكشف ٤٠٨/١، والعنوان، ابن خلف ٨٧، والبحر المحيط ٥٠١/٣ وإتحاف فضلاء البشر ٢٣٥/١.

(٣) ينظر في مادة (سحت): أساس البلاغة ٣٨٦، ولسان العرب ١٣٣/٧، والمصباح المنير ٢٦٧/١، والكلبيات ٤٩٤، ٥٢٢.

(٤) ينظر: الكشف ٦١٤/١، والجامع لأحكام القرآن ١١٩/٦، والدر المصون ٥٢٧/١، واللباب في علوم الكتاب ٣٤٠/٧-٣٤٢.

تأنيث الغاية والمبالغة، وسواء كان ذلك الموصوف بتلك الصفة مذكراً أم مؤنثاً<sup>(١)</sup>، فبناء (فَعَلَة) -هنا- لادلة له على المرة.

ذكر الصرفيون أن صيغة المصدر (فَعَلَة) سماعي في جميع ماورد من أبواب الثلاثي المجرد<sup>(٢)</sup>، ومن أمثلة الصيغة (فَعَلَة) لفظة (لعنة) التي وردت بحقهم في قوله تعالى : ﴿... فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/٨٩].

وأصل اللعن : الإبعاد والطرْد، وقيل المَسْخ<sup>(٣)</sup>، أيضاً كما في قوله تعالى : ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ..﴾ [النساء/٤٧]، وإسناد اللعنة إلى لفظ الجلالة (الله) تعظيماً وتفخيماً لشأن هذه العقوبة التي أصابتهم.

٢- فُعْل (بضم الفاء وسكون العين) : بناء سماعي في الأفعال الثلاثية المتعدية واللازمة<sup>(٤)</sup>. كانت التفاتة أكثر النصوص اللغوية إلى هذا البناء يسيرة والأمثلة قليلة، إذ اكتفت هذه النصوص بالإشارة إليه خلافاً للأبنية الأخرى من مصادر الثلاثي المجرد بدءاً من كتاب سيبويه حتى مؤلفات محدثينا<sup>(٥)</sup>.

ويتوضح أمر هذا البناء من خلال الشواهد الواردة في سياق آيات الصفات وعددها (٣) شواهد تكررت (١٤) مرة مفصلة في الجدول الآتي :

التسلسل	المصدر	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	كُفِرَ	١١	—	—	البقرة
			—	—	آل عمران
					النساء
					٨٨، ٩٣
					٥٢
					٤٦، ١٥٥، ١٥٥، ١٥٦

(١) الخصائص ٢/٢٠١، وينظر : المنصف ١/١٧٩.

(٢) ينظر : شرح الرضي على الشافية ١/١٥٢، ١٨١.

(٣) ينظر : تفسير غريب القرآن ٢٦، ولسان العرب ١٣/٢٠٨-٢٠٩، والجامع لاحكام القرآن ٢٥/٢٦-٢٧، والتحرير والتنوير ١/٦٠٣.

(٤) ينظر : دقائق التصريف ٤٩، وأدب الكاتب ٤٢٤، والتكملة ٥١١، ٥١٣، وشرح ابن عقيل ١١٨/٢، وشرح المراح ٣٥، وأبنية الصرف ٢٢٧-٢٢٨، والمصادر والمشتقات ٦٨.

(٥) ينظر : الكتاب ٦/٤، والمنهج الصوتي للبنية العربية ١١٠، ومعاني الأبنية ١٨-٢٠.

٤١،٦١،٦٤،٦٨	المائدة					
١٥٣،١٦٠	النساء	—	—	٢	ظلم	٢.
٣٧	النساء	—	—	١	بُخل	٣.

يلحظ على الجدول السابق اقتصار مجيء المصادر على بناء (فعل) في سياق آيات الصفات على السور المدنية، فقط وفي آيات متتابعة، ويأتي هذا منسجماً مع أهداف وخصائص الخطاب القرآني في السور المدنية. وتبدو الدلالة الصوتية واضحة في بناء (فعل) فتقل فونيم الحركة (الضمة)<sup>(١)</sup> في أول البناء مجانسة مع الفونيم الصامت في المصادر الثلاثة يناسب المعنى في قوته فهذه الدلالات (الكفر، والظلم، والبخل) تحتاج إلى جهد مبذول من الجهاز الصوتي لأداء وإكمال المعنى، وكذا هو حال الأمراض النفسية والقيم السلوكية التي تنتج عن جهد نفسي أو تسبب جهداً يقع على الأعضاء الجسدية. وفي الخطاب القرآني كثر نسبة (الكفر) إلى بني إسرائيل من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة/٨٨]، وقاله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ..﴾ [آل عمران/٥٢].

إنَّ اختلاف لغات العرب سبب مهم من أسباب تعدد مصادر الفعل الثلاثي المجرد، فمصدر الفعل (بخل) اللزوم (بُخل) بضم الباء وهي لغة الحجاز، و (بخل) بفتح الباء لغة تميم و (بخل) بفتحين لغة أسد والحجاز وكلها بمعنى واحد وقد قرئ بها<sup>(٢)</sup>. جاء لفظ القرآن الكريم بالضم (بُخل) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء/٣٧].

يعرف الراغب البخل بأنه: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود. والبخل ضربان: بخل بقنيات نفسه، وبُخل بقنيات غيره، وهو أكثرهما ذمًا<sup>(٣)</sup>. أي انهم يبخلون بذات أيديهم، وبما في أيدي غيرهم، فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتاً للسخاء<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: المحتسب ١٨/٢-١٩، وشرح التصريح على التوضيح ٥٨/١، وبلاغة الكلمة ١١٥.  
(٢) ينظر: إصلاح المنطق ٨٦، وليس في كلام العرب، ابن خالويه ٤٢-٤٣، والكشف ٢٥٠/١، ولسان العرب ٣٠/٢، والدر المصون ٣٦٧/٢ والكليات ٢٤٢، والمهذب في القراءات العشر ١٥٨/١، ومعاني الأبنية ١٨-١٩ ومعجم القراءات ١٦٩/١، ٣٤٦/٩.  
(٣) ينظر: المفردات ٣٨، والتعريفات ٤١.

٣- **فِعْلٌ** (بكسر الفاء وسكون العين) : بناء سماعي في الأفعال الثلاثية المجردة المتعدية واللازمة<sup>(٢)</sup>. ولا يغلب بناء (فِعْلٌ) في وزن أو دلالة<sup>(٣)</sup>.

ورد ما يقابل هذا البناء في آيات الصفات (٣) شواهد تكررت (٧) مرات كما

هو مفصل في الجدول :

التسلسل	المصدر	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	إِثْمٌ	٦	—	—	البقرة النساء المائدة المجادلة
٢.	سِحْرٌ	١	—	—	البقرة
٣.	ذِلَّةٌ	٣	الأعراف	١٥٢	البقرة آل عمران

جاء لفظ (السَّحَرُ)\* دالاً على ما يخفى سببه ويستخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمثويه والخداع، وهذا الاقتدار في الخداع لا يتأتى إلا لمن كان متقدماً في المهارة في استمالة قلوب الناس كما في قوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البقرة/١٠٢].

(١) ينظر : الكشف ٥٢٦/١، والمحزر الوجيز ٥٨/٤، والتحريز والتنوير ٥٣/٥.  
(٢) ينظر : الكتاب ٧-٦/٤، وأدب الكاتب ٢٢٤، وليس في كلام العرب ٣١، والتكملة ٥١٣، ودقائق التصريف ٤٩.

(٣) ينظر : أبنية الصرف ٢٢٩-٢٣٠، والمصادر والمشتقات ٦٨.  
ورد "السحر" في آيات الصفات مرتين في سورة البقرة الآية (١٠٢)، والصف الآية (٦) وفيها يصف بنو إسرائيل القرآن بالسحر المبين.

لا يختلف المعنى اللغوي عن قول المفسرين في معنى (السَّحَر) ، فالسحر : عمل تقرب فيه إلى الشيطان، وبمعونة منه وذلك لا يستتب إلا لمن يناسبه في الشر وخبت النفس، فإن التناسب شرط النظام والتعاون، وقيل : هو الخديعة والشعوذة<sup>(١)</sup>. وقد تدخل التاء الفارقة على بناء (فَعَلَ) إذا أُريد بها وصف المؤنث وللمبالغة، ولا دلالة له على الهيئة. وبناء (فَعَلَة) يدل على الحدث المطلق.

ذكر الصرفيون أن صيغة المصدر (فَعَلَة) سماعي في جميع ما ورد عنه من أبواب الثلاثي المجرد، وإنها كثيرة، ولا ضبط فيها نحو نَشَدَة<sup>(٢)</sup>.

ورد ما يقابل هذا البناء المصدري (فَعَلَة) لفظة (ذَلَّة) ثلاث مرات في سياق آيات الصفات كما في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ أَيَّنَ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ .. ﴾ [آل عمران/١١٢].

وذَلَّ يَذَلُّ ذَلًّا بعد عز، وذلت الدابة بعد شماس وتصعب ذلاً، والذلة بالكسر اللين والخضوع الاستكانة، والذل : ضد العز<sup>(٣)</sup>.

وقد فرق "ابن جني" -كما مر بنا- بين الصيغتين بناءً على ملحظ صوتي يتعلق بالفارق من حيث القوة بين حركتي الضم والكسر.

ويبدو أن المصدر (ذَلَّة) بالكسر تشبيهاً لهم بما يُصيب الحيوانات من ذَلٍّ على سبيل التحقير والاستصغار، ولذا قد أضيفت التاء للمبالغة في استحقارهم.

إن الافتراق الدلالي الذي حققته الكسرة باعتبارها فونيماً دلالياً (محولاً) للدلالات والمعاني أدى دوراً في تغيير الدلالة.

يظهر من استقراء السياقات القرآنية أن الذلَّة ما يظهر على الوجه خصوصاً من الصغار والحقارة في الهيئة والشكل<sup>(٤)</sup> كما في قوله تعالى : ﴿ .. وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ .. ﴾ [يونس/٢٦].

(١) ينظر في مادة (سحر) العين ١٣٥/٣ ، الفروق اللغوية ٢١٣ ، ولسان العرب ١٣٥/٧ ، وعمدة الحفاظ ١٧٧/٢ ، والمصباح المنير ٢٦٧/١-٢٦٨ ونظم الدرر ٧٦/٢-٧٧ ، وإرشاد العقل السليم ١٧٣/١ ، والتحرير والتنوير ٦٣٠/١ .

(٢) ينظر : الكتاب ٤٤/٤ ، والتكملة ٥١١ ، ودقائق التصريف ٢٠٢ ، وشرح الرضي على الشافية ١٨١/١ ، ١٥٢ وأبنية الصرف ٢٣١ ، والمصادر والمشتقات ٦٨ .

(٣) ينظر في مادة (ذل) : مقاييس اللغة ٣٤٥/٢ ، وجمهرة اللغة ٧٩/١ ، ومختار الصحاح ٢٢٣ ، ولسان العرب ٤٠/٦-٤١ ، والكليوبات ٤٦٢ .

(٤) ينظر : الإعجاز القرآني في وصف اليهود ، أحمد الكبيسي "بحث".

٤- **فَعْلَان** (بضم الفاء وسكون العين مزيدة باللاحقة "ان") : بناء سماعي في جميع ما ورد منه، استعملته العرب من الفعل اللازم<sup>(١)</sup>. والذي يلحظ على البناء المصدري تأزر الدلالة الصوتية مع البنية الصرفية في إبراز الدلالة القرآنية للمصدر. وتتميز اللاحقة (ان) بطول مقطعها فيتيح للصيغة استيعاب أكبر للدلالة الصرفية في إبراز الدلالة القرآنية للمصدر وللدلالة على الحركة والاضطراب بأبعادها الحقيقية أو الانفعالية. ورد بناء (فَعْلَان) معبراً به عن صفات بني إسرائيل في السور المدنية فقط وعددها (٣) بناءً مكرراً (٦) مرات كما في الجدول الآتي :

التسلسل	المصدر	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	عُدَّوَان	٣	—	—	البقرة ٨٥
			—	—	المائدة ٦٢
			—	—	المجادلة ٨
٢.	طَغْيَان	٢	—	—	المائدة ٦٤، ٦٨
٣.	بُهْتَان	١	—	—	النساء ٥٦

لنتأمل قوله تعالى : ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ ﴾ [المائدة/٦٤] فنجد أن التعبير القرآني جاء بأروع تعبير عن حسدهم للنبي ﷺ فكما نزلت آية كفروا بها فيزداد بها طغيانهم وعتوهم، كما إن الطعام الصالح للأصحاء يزيد المرضى مرضاً<sup>(٢)</sup> وهذا المد المتناول في الصوت في (طغيان) يوحى بمجاوزتهم الحد وعلوهم في الكفر والمبالغة في تماديهم وجحودهم لآيات الله. ولا يمكن لصيغة أخرى أن تؤدي الدلالة التي أدتها لفظة (طغيان) ، فكل صيغة سياقها الخاص بها فلا يجوز استبدال صيغة مكان أخرى وإلا لاختلقت الدلالة القرآنية.

(١) ينظر : الكتاب ٨/٤، والتكملة ٥١١، وشرح المراح ٣٤، وأبنية الصرف ٢٣٥ ومدخل على دراسة الصرف العربي على ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة مصطفى النحاس ٦٥، والمصادر والمشتقات ٦٨.  
(٢) ينظر : تفسير غريب القرآن ٤١، والكشاف ٦٢٩/١، وإرشاد العقل السليم ٢/٢٩٥، والكلبيات ٥٨٤.

٥- **فَعَالَة** (بفتحتين وتاء مربوطة في الآخر) : ذكر الصرفيون أن صيغة المصدر ((فَعَالَة)) في جميع ماورد عنه من أبواب الثلاثي المجرد<sup>(١)</sup>.

تأتي صيغة (فَعَالَة) في الدلالة على معانٍ متعددة لاحظها اللغويون والنحاة وهي لما دل على الحسن أو القبح نحو : الشجاعة، والعداوة<sup>(٢)</sup>، وإضافة اللاحقة (تاء) لها دلالتها المعنوية، إذ أنها تدل على نهاية ما دخلت عليه والمبالغة فيه ولإرادة تحديد معنى قيمة معينة من جنس عام وإثباتها وجعلها أكثر ديمومة.

ومن استقراء مصادر (فَعَالَة) في القرآن الكريم عامة وآيات الصفات خاصة نجد لها أكثر اختصاصاً وتحديداً من مصادر (فَعَال) التي تمتلك دلالات عامة فمثلاً المصدر (الفساد) يشتمل على خصال وصفات عدة من دون أن تختص بخصلة واحدة فلا يقال "فساده" في حين أن صيغة (فَعَالَة) كـ(عَدَاوَة) تدل على ميزة محدّدة بخصلة واحدة، فالعَدَاوَة خصلة من خصال الفساد فإنّ اختصّ المعنى صار كالمحدود ولزمته تاء التأنيث، لأنها تدلّ على نهاية ما دخلت عليه كالضربة من الضرب، وحذفها يدل على انتفاء النهاية ألا ترى أن الضرب يقع على القليل والكثير إلى غير نهاية وإنما استحقت التاء ذلك؛ لأن مخرجها منتهى الصوت وغايته فصلحت للغايات ولذلك قالوا علامة ونسابة أي غاية في هذا الوصف<sup>(٣)</sup>.

وهكذا جاء فونيم (التاء) في (فَعَالَة) ليؤدي وظيفة تعليق الحدث المصدري بصفات وأنماط سلوكية معينة، فالزيادة في المبنى أدّت إلى زيادة في المعنى فكان المصدر (عَدَاوَة) أصبح أكثر ديمومة وثبات لذا وصف به اليهود بشده العداوة بقوله تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾ [المائدة/٨٢].

جاء هذا البناء (فَعَالَة) في آيات الصفات ممثلاً بلفظتي "ضَلَالَة" و "عداوة" وقد تكرر كلا منهما مرتين كما هو واضح من الجدول الآتي :

التسلسل	المصدر	عدد مرات ورود	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
			رقم الآية		

(١) ينظر : دقائق التصريف ٢٠١، وشرح الرضي على الشافية ١٥٧/١، وأبنية الصرف ٢٣٤.

(٢) ينظر : الكتاب ٢٨/٤، وارتشاف الضرب ٢٢٢/١.

(٣) ينظر : بدائع الفوائد ٥١/٢-٥٢، و

١٧٥	البقرة	—	—	٢	ضَلَالَة	١.
٤٤	النساء					
٨٢-٦٤	المائدة	—	—	٢	عَدَاوَة	٢.

قال تعالى : ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ..﴾ [المائدة/٦٤].

ذكر ابن عطية أنَّ العداوة شيء يرى ويشهد ويكون عنه عمل وحرب، والبغضاء أشياء معنوية فهي مشاعر لا تتجاوز النفوس<sup>(١)</sup>، كما أنَّ العداوة أخصَّ من البغضاء؛ لأنَّ كلَّ عدوٍّ مبغض، وقد يبغض من ليس بعدو<sup>(٢)</sup>.

٦- **فَعِلَ** (بفتح الفاء وكسر العين) : بناء سماعي في المصادر، ويأتي من الثلاثي المجرد على بناء (فَعِلَ) و (فَعِلْ)، ويقال مجيء المصدر على هذه الصيغة لاختصاصها بالوصف<sup>(٣)</sup>. وقد أشارت إلى ذلك أكثر النصوص<sup>(٤)</sup>.

وفي سياق آيات الصفات كان لهذا البناء (فَعِلَ) صدىً إلاَّ أنه لا يتعدى المثاليين تكرر (١١) مرةً كما هو مفصل في الجدول الآتي :

التسلسل	المصدر	عدد مرات ورود	السورة التي ورد فيها				التسلسل	المصدر	عدد مرات ورود	السورة التي ورد فيها			
			مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية
١.	كذب	٩	الانعام	١٢١	آل عمران	٧٥،٧٨،٩٤	٢.	لعب	٢	—	—	المائدة	٥٧،٥٨
			يوسف	١٨	النساء	٥٠							
			—	—	المائدة	٤١،٤٢							
			—	—	الصف	٧							

استعملت العرب مادة (كذب) بدلالة مناقضة للصدق وأصل (الكذب) يكون في القول<sup>(٥)</sup>. كما في قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران/٧٥]. وقد جاءت هذه المادة منسوبة إلى شيء حسيٍّ فالكذب من صفات الأقوال لا من صفات الأجسام، كما في سياق الحديث عن يوسف وإخوته في قوله تعالى :

(١) ينظر : المحرر الوجيز ٥٠٧/٤، والدر المصون ٥٦٨/٢.

(٢) ينظر : البحر المحيط ٥٢٥/٣، واللباب في علوم الكتاب ٤٣٣/٧، وإرشاد العقل السليم ٢٩٦/٢.

(٣) ينظر : ديوان الأدب، أبي إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابي ٢٤٥/١ وما بعدها، ١٤٢/٢.

(٤) ينظر : الكتاب ٦/٤، وأدب الكاتب ٤٢٤، وليس في كلام العرب ٣١، والتكملة ٥١٣، وأبنيّة الصرف ٢٢٧، والمصادر والمشتقات ٦٧.

(٥) ينظر : في مادة (كذب) : مختار الصحاح ٥٦٥، ولسان العرب ٣٧/١٣، المصباح المنير ٥٢٨/٢، والكليات ٥٥٦-٥٥٧، وتاج العروس ٤٤٧/٢.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف/١٨]. يرى "الفراء" أن النعت بالمصدر يكون على التأويل بالمشتق، قال في توجيه إعراب (كذب) في الآية السابقة : ((ومعناه : مَكْذُوبٌ، والعربُ تقول للكذب : مكذوب،.. فيجملون المصادر في كثير من الكلام مفعولاً))<sup>(١)</sup>. ويرى الزجاج (٣١١هـ) أن النعت بالمصدر يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أي : ذي كَذِبٍ ، وهو تأويل البصريين، ويكون على التأويل بالمشتق وهو رأي الكوفيين<sup>(٢)</sup>، وربما قصد البصريون من وراء هذا التوجيه الإيجاز والاختصار.

قال الزمخشري في الآية : ((بدم كذب، ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه، كما يقال للكذاب : هو الكذب بعينه والزور بذاته))<sup>(٣)</sup>، فالغرض من هذا الإخبار هو المبالغة بجمل الدم هو الحدث نفسه فكأن الدم أصبح يوازي دلاليًا الكذب.

ويبدو أن المبالغة متحققة في الاستخدام، فالكلمة الأصلية تتحوّر في بنيتها الخارجية فتتغاير مع بنيتها الداخلية لتنتج دلالات جديدة، وهذا التغاير في الأداء الصرفي للصيغة هو أداة لتحليل المعاني وطرح المداليل، فكأن اسم المفعول أصبح غير معبرٍ دلاليًا عن المراد، فيلجأ السياق القرآني إلى صيغ مصدرية تسدّ وتكمل الأبعاد الدلالية.

ذكر سيبويه أمثلة مسموعة عن العرب تثبت أن هذا الأسلوب صار على هكذا استعمالات تركيبية وأنه من سنن العرب<sup>(٤)</sup>.

(١) معاني القرآن، الفراء ٣٨/٢، ومعاني القرآن، الاخفش ٥٩٠/٢، والمحتسب ٤٦/٢، وفقه اللغة وسر العربية ٣٦٧ وأمالى المرتضى ١٠٥/١.

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ٩٦/٣، وشرح جمل الزجاجي " الشرح الكبير " ابن عصفور ١٩٨/١ ، وشرح ابن عقيل ١٨٦/٢، والتأويل النحوي في القرآن الكريم، عبد الفتاح أحمد الحُموز ٣٩١/١.

(٣) الكشف ٤٥١/٢.

(٤) ينظر : الكتاب ٤٣/٤، وشرح الرضي على الشافية ١٦٧/١-١٦٨، وارتشاف الضرب ٢١٩-٢٢٢/١.

والتفت أهل العربية قديماً إلى دلالة الوصف بالمصدر وما يتركه من أثرٍ قويٍّ في نفس سامعيه، والتمسوا مبرراً لغوياً منطقياً لهذا الوصف. يقول ابن جني : ((إذا وُصفَ بالمصدر صارَ الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل، وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه))<sup>(١)</sup>. وهو ما يراه بعض المحدثين بأن هذا الأسلوب القرآني ضرب آخر من الكلام وافتتان فيه بقصد المبالغة<sup>(٢)</sup>.

٧- **فَعْلَاءَ** (بفتح الفاء وسكون العين) : وردت هذه الصيغة في سياق آيات الصفات مرتين فقط ممثلةً بلفظة (بَغَضَاءَ) كما هو واضح في الجدول الآتي :

الترتيب	المصدر	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	بَغَضَاءَ	٢	—	—	آل عمران ١١٨
			—	—	المائدة ٦٤

وأمثلة هذه الصيغة قليلة في القرآن الكريم\* . والهمزة في هذه الصيغة (فَعْلَاءَ) للتأنيث ولكنها ليست مؤنث (أفعل) في موضوع الصفة المشبهة؛ إذ ليس تذكير (البغضاء) ، (أبغض) وهو مثل البأساء، والضراء، كما في قوله تعالى : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران/١١٨].

جاء في معنى الآية : أن مشاعر البغض وهو ضد الحب والعداوة والكذب ظهرت لكم من أفواههم فهي بيئة في حد ذاتها مع اجتهادهم في إخفائها؛ لأن الإنسان إذا امتلأ من شيء غلبه<sup>(٣)</sup>.

(١) الخصائص ٢٥٩/٣، وينظر : تفسير غريب القرآن ٢١٣، والمصادر والمشتقات ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) ينظر : معاني النحو ٢١٢/١، والنيابة النحوية من خلال القرآن الكريم ، هادي نهر ٢٦.

\* وأمثلة (فَعْلَاءَ) في القرآن الكريم هي : البأساء ، والضراء، والبغضاء، والفحشاء، والنعماء، والسراء.

(٣) ينظر : الكشف ٤٥٨/١، والجامع لأحكام القرآن ١١٦/٤، ونظم الدرر ٣٨/٥، والتفسير الكبير ٢٠٩/٨.

٨- **فعل (بضمّتين)** : تبلغ أمثلة الصيغة في سياق آيات الصفات مصدراً واحداً مكرراً مرتين كما في الجدول الآتي :

الترسل	المصدر	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	هزواً	٢	—	—	المائدة
					٥٧،٥٨

ومن الملاحظ أن أمثلة هذه الصيغة قليلة نسبةً إلى أمثلة الصيغة (فعل)، وربما يعود ذلك إلى أن صيغة (فعل) بالتحفيف هي الأصل. وقراءة الثقيل (فعل)؛ إما يعود على قضية صوتية<sup>(١)</sup> أو أنها ترجع إلى أمر بيئي أي أنهما لغتان، قال الأخفش : ((أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، فمن العرب من يثقله، ومنهم من يخفّفه نحو اليسر والعسر والرحم...))<sup>(٢)</sup> أو أن ذلك يعود لإحدى القراءات.

وقد جاءت قراءة التنقيط (هزواً) في سياق آيات الصفات لغايات دلالية كالمبالغة، ففي صيغة التنقيط قوة ترفد المعنى وتبلغ به غايته ومنتهاه كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءاً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءاً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة/٥٧-٥٨].

ورسم المصحف بضمّتين مع الواو بلا همز وصلّاً ووقفاً وهي قراءة حفص عن عاصم، كأنه أبدل الهمزة واواً تخفيفاً مطّرد في كل همزة مفتوحة مضموم ما قبلها<sup>(٣)</sup>. ويتفق المعنى اللغوي مع تأويل المفسرين، فمادة (هزأ) تدلّ على الاستهانة. والسخرية<sup>(٤)</sup>.

٩- **فَعَال (بفتحتين)** : يرتبط اشتقاق هذا البناء بالفعل الثلاثي المجرد المتعدي واللازم، وهو كثير في العربية، ويأتي المصدر على هذا البناء إذا دلّ الفعل على انتهاء الغاية<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر : الكتاب ٤/١١٤.

(٢) معاني القرآن، الأخفش ١/١٠٣.

(٣) تنظر هذه القراءة : السبعة في القراءات ١٥٨-١٦٠، الكشف ١/٢٤٧، والعنوان ٦٩، وإتحاف فضلاء البشر، ٣٩٧/١، والمهذب في القراءات ١/١٩٠ ومعجم القراءات القرآنية ١/١٢٠-١٢١.

(٤) ينظر في مادة (هزأ) : مقاييس اللغة ٦/٥٢، والمفردات ٧٩٠، ومختار الصحاح ٦٩٥ ولسان العرب ٥٨/١٥، وتاج العروس ١/١٣٨.

وهو بناء سماعي في ماعدا ذلك<sup>(٢)</sup>. وحين نلحظ المصادر على بناء (فَعَل) في سياق آيات الصفات نجدها مصدراً واحداً تكرر مرتين كما في الجدول :

التسلسل	المصدر	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	فَسَاد	٢	القصص	٧٧	المائدة
				٦٤	

جاء هذا البناء مُمثلاً في لفظة (فَسَاد) في قوله تعالى : ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة/٦٤] أي يجتهدون في الكيد<sup>(٣)</sup>، أي : أنهم بلغوا - وسيبلغون - منتهى غايتهم في الفساد ليتخذ فسادهم صوراً شتى وأنماط مختلفة، فجاءت هذه الدلالة بصيغة المصدر؛ لأنه حادث لا محالة منهم.

١٠- **فَعَل (بفتحتين)** : بناء سماعي لكل فعل لازم على وزن (فَعَل) وجاء مسموعاً في الفعل على وزن (فَعَل) لازماً ومتعدياً، وهو ما قال به سيبويه إن دل المصدر على معانٍ فصلها في كتابه<sup>(٤)</sup>، وهو ما ذهب إليه أكثر اللغويين<sup>(٥)</sup>، وقد أيد صحة ذلك استقراء المصادر في معجم لسان العرب<sup>(٦)</sup>.

جاء هذا البناء المصدري (فَعَل) في سياق آيات الصفات مرة واحدة ممثلاً بلفظ (حَسَدَ) وفعله متعدٍ من باب (حَسَدَ يحسد) بضم الوسط وبعضهم يقول : (بحسد). كما في الجدول الآتي :

التسلسل	المصدر	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
				رقم الآية	

(١) ينظر : الكتاب ١٢/٤، وأدب الكاتب ٢٢٤، ودقائق التصريف ٤٧، وشرح الرضي على الشافية ١٦٣/١.

(٢) ينظر : المصادر والمشتقات ٤٥، ٦٧.

(٣) ينظر : الكشف ٦٢٩/١، وأنوار التنزيل ٢٧٧/١.

(٤) ينظر : الكتاب ١٧/٤-٢١، وشرح ابن عقيل ١١٥/٢.

(٥) ينظر : أدب الكاتب ٤٢٤، والتكملة ٥١١، ودقائق التصريف ٤٩، والمقرب ٤٨٦، وشرح الرضي على الشافية ١٥٨/١.

(٦) ينظر : المصادر والمشتقات ٧١.

١٠٩	البقرة	—	—	١	حَسَدَ	١.
-----	--------	---	---	---	--------	----

قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۚ ﴾ [البقرة/١٠٩].

والحسد معروف، وهو أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له<sup>(١)</sup>. وقيل : هو قلق النفس من رؤية النعمة على الغير، فعبر سبحانه عن غاية ذلك بقوله : ﴿ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴾ أي أنه راسخ في طبائعهم بالغاً أقصى مراقبة، فلا تطمعوا في صرفه بشيء، فقد استمروا على الضلال بعد الدعوة، وقد ودوا ذلك من أجل تشهيههم وحظوظ أنفسهم لا من قبيل التدين والميل مع الحق<sup>(٢)</sup>.

١١- فاعلة : وهو من الأبنية السماعية لمصادر الأفعال الثلاثية، وعد من المصادر القليلة في العربية، إذ لم نجد منه في مظاننا اللغوية إلا أحرف يسيرة<sup>(٣)</sup>.

يرى الزجاج ( ت ) أن ( فاعلة ) في أسماء المصادر كثيرة، ومثل على ذلك<sup>(٤)</sup>، ويلحظ على الألفاظ التي جاءت على بناء ( فاعلة ) وحملت دلالتها على المصدر أنها في عمومها من ألفاظ القرآن الكريم فالمتتبع للسياق والتركيب القرآني يحصل على صيغ اسم الفاعل وقد حلت محل صيغ المصدر في التركيب، فيعدل بها عن أصلها في الحدوث والجريان مجرى الفعل إلى الثبوت ليدل بها على مطلق الحدث. ومما جاء في سياق آيات الصفات لفظة (خائنة) كما في الجدول الآتي :

التسلسل	المصدر	عدد مرات ورود	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	خائنة	١	—	—	المائدة
				رقم الآية	١٣

(١) ينظر في مادة (حَسَدَ) : مختار الصحاح ١٣٥، ولسان العرب ١١٥/٤، والمصباح المنير ١٣٥/١، والقاموس المحيط ٢٨٨/١.

(٢) ينظر : أنوار التنزيل ٧٩/٢، نظم الدرر ١٠٤-١٠٥.

(٣) ينظر : ليس في كلام العرب ٤٢، وشرح الرضي على الشافية ١٧٥-١٧٦، والمصادر والمشتقات ٨٥-٨٦.

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١٦٠/٢.

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۖ ﴾ [المائدة/١٣]

وفي هذا الموضع ذكر علماء اللغة والمفسرون للفظ (خائنة) وجوهاً عدة<sup>(١)</sup> هي:

**الأول :** أن الخائنة من أبنية المصادر وبهذا لا يكون محولاً لصيغة أخرى، ونظيره كثير كالكاذبة، والكافية بدليل قراءة "الأعمش" و "ابن محيضر" : "على خيانة منهم".

**الثاني :** أن اسم الفاعل (خائنة) على أصله، وهو في تقدير صفة لموصوف محذوف، فخائنة صفة و(التاء) للتأنيث على معنى : تطلع على طائفة أو فرقة أو نفس أو فعلة خائنة.

**والثالث :** انها اسم فاعل و (الهاء) للمبالغة كعلامة ونسابة أي على شخص خائن.

وأصل (خائنة) خاونة، والواو في الأجوف المعتل إذا وقعت بعد ألف فاعل هُزمت<sup>(٢)</sup>، وقد أشار "أبو عبيدة معمر بن المثنى" (ت ٢١٠هـ) إلى أن مجيء المصدر على (فاعلة) هو مما استعملته العرب<sup>(٣)</sup>، ومن المعلوم أن الألفاظ محكومة بالسياق، فهو يوجه دلالتها إلى اسم الفاعل أو غيره، ولذا نجد أن دلالة هذه الألفاظ على المصدر ليست بدلالة حتمية وإنما تذكر هذه الدلالة وجهاً من الوجوه التي يذكرها المفسرون في دلالة هذه الألفاظ<sup>(٤)</sup>، فصيغة (فاعلة) دلت على ثبوت الخيانة منهم. والذي يبدو أن استعمال

(١) ينظر : إعراب القرآن، النحاس ٢/٢١٣ وليس في كلام العرب ٤٢ ودقائق التصريف ٥٣، ٥٨، والمحتسب ٢٨٧/١، والمفردات ٢٣٠، والمفصل ٢٢٠، والكشاف ١/٦٠٠، البيان في إعراب غريب القرآن، أبي البركات الأنباري ١/٢٨٦، والتبيان في إعراب القرآن ١/٤٢٧، والتفسير الكبير ١١/١٤٨، والبحر المحيط ٤/٢٠٦، والدر المصون ٢/٥٠١-٥٠٢، واللباب في علوم الكتاب ٧/٢٥٤، وإرشاد العقل السليم ٢/٤٩، وظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، محمد سليمان ياقوت ٥٤.

(٢) ينظر : شرح الملوكي، ابن يعيش ٤٧٤، ٤٩١-٤٩٢، وشرح الرضي على الشافعية ٣/١٢٧، والصرف الواضح، ٣٢٥-٣٢٦.

(٣) ينظر : مجاز القرآن ١/١٥٩، ولسان العرب ١٣/١٤٥.

(٤) ينظر : الأبنية الدالة على اسم الفاعل، أفراح عبد علي كريم الخياط (ط/د) ١٠٧.

العرب لهذه الأساليب متأثرون من رغبتهم في كسر طوق الرتابة وتكثيفاً للمعاني وتأكيداً من باب التجوز والإيجاز والتفنن في القول.

١٢- **فُعُول (بضممتين)** : بناء قياسي في مصادر الأفعال الثلاثية زنة (فعل) اللازم إذا لم يدل على معانٍ محدّدة ذكرهما العلماء في تأليفهم<sup>(١)</sup>. ومن ناحية الاشتقاق فإن أصل الصيغة هو (فُعُول) بفتح الفاء ثم أبدلت فتحة الصامت الأول (ضمّة)، وبحسب قانون التوافق الحركي مع ضمة الصامت الثاني<sup>(٢)</sup>.

ويلاحظ تآزر البناء الصرفي مع الدلالة الصوتية في هذه الصيغة، فتتابع ضمتين أدى إلى تقوية المعنى، لأن الضمة حركة قوية تناسب بقوتها قوة الحدث، كما أن صوت اللين الطويل (الواو) يأتي لإطالة المقطع الثاني، ومطل الحركة يفيد الاستغراق الصوتي يتبع ذلك استغراق الحدث المعبر عنه بالمصدر.

وهذا البناء المصدري على قياسيته لم يرد في سياق آيات الصفات إلا مرة واحدة متمثلاً بلفظ (عُلُو) كما في الجدول الآتي :

التسلسل	الترتيب	عدد مرات ورود	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١	عُلُو	١	الإسراء "سورة بني إسرائيل"	٤	—

قال تعالى : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء/٤].

(١) ينظر : الكتاب ٩/٤-١٠، والمقتضب ١٢٥/٢، وأدب الكاتب ٤٢٤-٤٢٥، والتكملة ٥٧٣، وشرح المفصل ٤٥/٦، وارتشاف الضرب ٢٢١/١-٢٢٢، وشرح الرضي على الشافية ١٥٦/١، وشرح المراح في التصريف ٣٥، وجمع الهوامع ١٦٧/٢، ومعاني الأبنية ٢٢.

(٢) ينظر : أبنية المصادر في اللغتين العربية والعبرية، صلاح الدين حسنين (ط/د) ٢١٠-٢١١.

**والْعُلُوُّ** : العظمة والتجبر، يُقال : **عَلَا** ملك في الأرض أي : طغى وتعظم وهذا يتوافق مع قول المفسرين في معنى **الْعُلُوِّ**. فهو يعني التكبر على الله والتطاول على أحكامه والبغي في الأرض والفساد فيها ظلماً وعدواناً<sup>(١)</sup>.

### والآخر : أَيْبِيَّةُ مَصَادِرِ الْأَفْعَالِ الثَّلَاثِيَّةِ الْمَزِيدَةِ

مصادر الأفعال الثلاثية المزيدة قياسية، ومن أمثلة ماورد في سياق آيات الصفات معبراً عن صفة من صفات بني إسرائيل وهي :

**(افْتَعَلَ)** : بناء مقيس في الفعل الثلاثي المزيد بحرفين زنة **(افْتَعَلَ)**<sup>(٢)</sup>، وقد استعمل الخطاب القرآني هذا البناء في ذم بني إسرائيل على صفة الوثنية (عبادة العجل الذهبي)، والإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه.

ورد ما يقابل هذا البناء في سياق آيات الصفات ممثلاً بالمصدر المسند إلى ضمير الجماعة **(اتَّخَذَكُمْ)** في قوله تعالى : **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ..﴾** [البقرة/٥٤].

والزيادة في الفعل أفادت زيادة في المعنى، فالإتخاذ مشعر بأنه مصطنع مفتعل وذلك من تمام التعريض بالمخاطبين وسخافة عقولهم عندما جعلوا العبادة في غير موضعها، وصيغة **(الافتعال)** دالة على هذا التكلف والمبالغة في تحصيل الفعل<sup>(٣)</sup>. فتم اختيار اللفظ في مقام يقتضي الذم والتقريع.

وإضافة القوم إلى نفسه إضافة اختلاط وامتزاج، فكأنه منهم وهم منه فصارا كالجسد الواحد، إشارة إلى استمالة قلوبهم إلى قبول دعواه وطاعته عما نهاهم عنه. اختلف العلماء في الأصل الثلاثي لـ **(اتَّخَذَ)** وذهبوا فيه مذهبين نوجزهما فيما يأتي :

**أحدهما** : يرى أصحابه أنها من **(تَخَذَ يَتَخَذُ)** وحجتهم إلى هذا القول بذلك أمران<sup>(٤)</sup>:

(١) ينظر : جامع البيان ٢٠/١٥، والمفردات ٥١٥-٥١٦، ومختار الصحاح ٤٥٢، والجامع لأحكام

القرآن ٢١٤/١٥، وتفسير القرآن العظيم ٢٥/٣، ولسان العرب ٢٦٨/١٠، والكيلات ٦٢٨.

(٢) ينظر : شرح الرضي على الشافية ١٦٣/١.

(٣) ينظر : اللباب في علوم الكتاب ٧٠/٢-٧١، والتحرير والتنوير ٥٠٢/١-٥٠٣.

(٤) ينظر : الكتاب ٣٣٤/٤، ولسان العرب ٦٣/١-٦٥.

**الأول :** الإدغام في صيغة (افْتَعَلَ)، إذ أنَّ المستعمل في كلام العرب وفي القرآن الكريم هو (اتَّخَذَ) فذهبوا إلى أن أصلها : (تَخَذَ) وليس (أَخَذَ)؛ لأنَّ (افْتَعَلَ) من الثاني هو (اتَّخَذَ) والهمزة لا تدغم في التاء<sup>(١)</sup>. وهي قراءة<sup>(٢)</sup>.

**الثاني :** أنه سُمِعَ عن العرب قولهم (اسْتَخَذَ فلان) وكأنهم حَذَفُوا إحدى التاءين لنقل اجتماع المثلين إذ الأصل (اسْتَخَذَ)<sup>(٣)</sup>، ولما كان (اسْتَفْعَلَ) لا يؤخذ إلا من الثلاثي قالوا بأصالة التاء<sup>(٤)</sup>.

**والآخر :** يرى أصحابه أن أصل (اتَّخَذَ) هو (اتَّخَذَ) من الفعل (أَخَذَ)، اجتمع همزتان : الأولى همزة وصل والثانية فاء الكلمة وهي ساكنة، فأدغم على غير قياس، فأصبح (اتَّخَذَ) على أنهم اختلفوا في إدغام الهمز، "قالجوهري" (ت ٣٩٣هـ) يرى أنها أدغمت في (تاء) الافتعال بعد تليينها (قلبها ياءً) وإبدال (التاء)، ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال يوهّموا أن (التاء) أصلية فبنوا منه فَعَلَ يفعل<sup>(٥)</sup>. أمّا "العيني" (ت ) فيرى أن الهمز هو الذي أدغم في (تاء) الافتعال<sup>(٦)</sup>.

## ثانياً : أبنية المشتقات

### ١ - اسم الفاعل

يأخذ اسم الفاعل مرتبة الصدارة بين أنواع المشتقات، وذلك لسعة استعماله في الكلام التي أدّت إلى إطراده، إذ لم يقتصر اشتقاقه على باب معين من أبواب الفعل أو بنوع من الأفعال، ويمكن القول بأنَّ معظم الأفعال في العربية نستطيع اشتقاق الفاعل منها<sup>(٧)</sup>.

واسم الفاعل عند القدماء هو ((ما اشتق من فعل لمن قام به بمعنى الحدث))<sup>(٨)</sup>، ولا يختلف تعريف اللغويين المحدثين لاسم الفاعل عن تعريف القدماء فهو فهو

(١) ينظر : نفسه.

(٢) قراها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ينظر : معجم القراءات القرآنية ٨٨/٣.

(٣) يقول سيبويه : ((اسْتَخَذَ.. اسْتَفْعَلَ فحذف التاء التضعيف من اسْتَخَذَ) ينظر : الكتاب.

(٤) ينظر : أوزان الفعل ومعانيها، هاشم طه شلاش ١٧٧-١٧٨.

(٥) ينظر : الصحاح ٥٥٩/٢.

(٦) ينظر : شرح المراح في التصريف ١٥٢.

(٧) ينظر : الكتاب ٥/٤ وما بعدها، والمقتضب ١١٣، والأصول في النحو ابن السراج ١٥/٣ وما بعدها، والمنصف ٢٨١/١.

(٨) الكافية في النحو بشرح الرضي ١٩٨/٢، وشرح الحدود النحوية، الفاكهي ٩٠، ورسالة في الصرف "ضمن رسالتان في الصرف" المرصفي ٢٠١.

عندهم : اسم مصوغ للدلالة على الحدث والذات ويكون معناه التجدد والحدوث<sup>(١)</sup>، وقد أوردت الكتب اللغوية والصرفية التي تناولت موضوع اسم الفاعل تعريفات أخرى له، لا تخرج عن كونه الوصف الذي يدل على الذات التي توقع المعنى الحادث، أو التي يُنسب إليها ذلك المعنى<sup>(٢)</sup>. وهو يسلك مسلك الفعل مرة، ويسلك مسلك الاسم مرة أخرى وفي إحساس بالمسلك الفعلي لهذه الأسماء على نحو أعمق عدها الكوفيون أفعالاً<sup>(٣)</sup>، وتابع هذا الرأي من المحدثين الدكتور "فاضل السامرائي" فيرى أن اسم الفاعل يقع وسطاً بين (الفعل) و (الصفة المشبهة) من حيث أن الفعل يدل على التجدد والحدوث، واسم الفاعل أدوم وأثبت من (الفعل)، ولكنه لا يرقى إلى ثبوت (الصفة المشبهة)<sup>(٤)</sup>.

ويرى البحث أن الدلالة على الزمان أو التجدد أو الحدث أو الثبوت لا تتحدد إلا في التركيب ومن خلال السياق، فله الأثر في إضفاء دلالة جديدة على بناء اللفظ غير دلالاته المعهودة والتي وضع لها أو عرف بها، فالأولى اعتماد السياق وقرائنه أساساً للكشف عن الزمنية وعدم تقييده بعمله.

#### صياغة اسم الفاعل من الفعل الثلاثي

يأتي اسم الفاعل قياساً مطرداً على وزن (فاعل) من كل فعل ثلاثي باستثناء (فعل، فعل) اللازمين، ويعد بناء (فاعل) أكثر الأبنية الدالة على اسم الفاعل وروداً في سياق آيات الصفات، فقد ورد هذا البناء من (١٣) مادة لغوية ويبلغ مجموع الألفاظ على بناء فاعل بتكرارها (٤٧) لفظاً مفصلاً في الجدول الآتي :

(١) ينظر : تصريف الأسماء، محمد الطنطاوي ٨٤، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه ٢٥٩.

(٢) ينظر : شرح ابن عقيل ٢/٢٦، وشرح المراح ١١٥، وشذا العرف ٧٤، جامع الدروس العربية مصطفى الغلاييني ١/١٧٨، والمهذب في علم التصريف ٢٥٢، والأبنية الدالة على اسم الفاعل ٣٤.

(٣) ينظر : مدرسة الكوفة، مهدي المخزومي ٢٣٩، وفي النحو العربي نقد وتوجيه.

(٤) ينظر : معاني الأبنية ٤٧، وللاستزادة في ذلك ينظر : كتاب اسم الفاعل بين الاسمية والفعلية فاضل مصطفى الساقى.

\* ذكرت أسماء الفاعلين بناء المفرد المذكر توحيداً لها على الرغم من ورود قسم منها ببناء المؤنث أو الجمع.

التسلسل	الاسم	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	كافر	١٤	الإسراء	٨	البقرة
			—	—	النساء
			—	—	المائدة
			—	—	التوبة
			—	—	الصف
٢.	ظالم	١٢	الأنعام	٢١	البقرة
			الأعراف	١٤٨، ١٥٠	آل عمران
			—	—	الصف
			—	—	الجمعة
٣.	فاسق	٩	—	—	البقرة
			—	—	آل عمران
			—	—	المائدة
			—	—	الحديد
			—	—	الحشر
			—	—	الصف
٤.	صالح	٣	الأعراف	١٦٨	آل عمران
			يوسف	٩	—
٥.	خاسئ	٢	الأعراف	١٦٦	البقرة
٦.	قائم	١	—	—	آل عمران
٧.	راسخ	١	—	—	النساء
٨.	قاسي	١	—	—	المائدة
٩.	خائن	١	—	—	المائدة
١٠.	قاعد	١	—	—	المائدة

١١	صاغر	١	—	—	التوبة	٢٩
١٢	خاسر	١	يوسف	١٤	—	—
١٣	خاطئ	١	يوسف	٩٧	—	—

ومن الشواهد الواردة على وزن (فاعل) لفظة (قائمة) مفرد مؤنث في قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتُلوْنَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران/١١٣]، يلحظ دقة التعبير القرآني في اختيار (قائمة) ليشير إلى قوة في المعنى المراد، فالقائم على الشيء هو الرقيب عليه، فيشمل الحفظ والإبقاء ونحو ذلك مما يقتضي الدوام والثبات<sup>(١)</sup>، فوصفت الأمة بالاستقامة وصفاً ثابتاً لا يتغير.

حدث تغيير في بناء (قائمة) إذ قياسه (قاومة)، قلبت فيه الواو همزةً لوقوعها عيناً في اسم فاعل فعل أعلت فيه، قال سيبويه: ((أعلم أن فاعلاً منها مهموز العين، وذلك أنهم يكرهون أن يجيء على اصل مجيء مالا يعتل فعل منه، ولم يصلوا إلى الإسكان مع الألف، وكرهوا الإسكان والحذف فيه فيلتبس بغيره، فهمزوا هذه الواو والياء إذا كانتا معتلتين وكانتا بعد الألفات...))<sup>(٢)</sup>.

أما في الرؤية الصوتية المعاصرة، فإن (الواو) قد سقطت كراهة توالي ثلاث حركات (الألف) و (الواو) و (الكسرة)، وأحلت (الهمزة) فاصلاً بين الحركات المتعاقبة<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك لفظة (قاسية) مفرد مؤنث في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ..﴾ [المائدة/١٣].

وقلوبهم قاسية أي: غليظة قد نزعت منها الرحمة والرأفة، وأصبحت لا تؤثر فيها الآيات والنذر ولا تتفعل بها، فهي غير قابلة للنصيحة<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر في مادة (قَوَمَ): لسان العرب ١٢/٢٢٣-٢٢٤، والبحر المحيط ٣/٣٠٨، ومن أسرار التعبير في القرآن "صفاء الكلمة" عبدالفتاح لاشين ٧.

(٢) الكتاب ٤/٣٤٨، والممتع في التصريف، ابن عصفور ١/٤٠٤، وشرح الرضي على الشافية ٣/١٢٧.

(٣) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية ١١٤-١١٥.

قرأ "حمزة" و "الكسائي" (قَسِيَّة) بحذف الألف التي بعد القاف وتشديد الياء، وأصلها (قَسِيَّة) ثم أذغمت (الياء) في (الياء) للتماثل ، فهي إما مبالغة في وصف قلوب اليهود بالشدة والقسوة؛ لأنَّ في صيغة (فعل) معنى التكرار والمبالغة، وأما بمعنى رديئة من قولهم : (درهم قَسِيّ) إذا كان مغشوشاً فاسداً، لأن قلوبهم وصفت بالطبع عليها، مثل درهم القسي، أي : المغشوش، وهو الذي يخالطه فضة أو نحاس أو رصاص أو نحو ذلك. فالمغشوش يكون فيه ييس وصلابة، وقرئ أيضاً بكسر القاف اتباعاً للسين<sup>(٢)</sup>.

### صياغة اسم الفاعل من الفعل غير الثلاثي

يأتي (اسم الفاعل) من الفعل غير الثلاثي بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر<sup>(٣)</sup>. وفي ما يأتي أبنية (أسماء الفاعلين) التي وردت في السورة من أفعال ثلاثية مزيدة.

١- **مُفْعِل** : يحصل إعلال بالحذف عند صياغة المضارع من (أفعل)، فقياسه أن يكون (يُفْعِل)، تحذف همزته للتخفيف، فيصبح يُفْعِل<sup>(٤)</sup>، ويتبع اسم الفاعل الفعل المضارع في الإعلال ، فيصبح على (مُفْعِل) ، ويُعدّ هذا البناء أكثر الأبنية الدالة على اسم الفاعل من غير الثلاثي وروداً في سياق آيات الصفات، فقد وردت على هذا البناء (٩) مادة لغوية، ويبلغ مجموع الألفاظ على بناء (مُفْعِل) بتكرارها (١٧) مرة ، كما هو مفصل في الجدول الآتي :

التسلسل	الآية	عدد مرات ورود	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	مُفْسِد	٤	الأعراف القصص	١٤٢ ٧٧	البقرة —
٢.	مُؤْمِن	٤	— —	— —	آل عمران النساء
					١١٠ ١٦٢، ١٦٢

(١) ينظر : المفردات ٤٠٤، والكشاف ٦٠٠/١، والجامع لأحكام القرآن ٧٦/٦، ونظم الدرر ٥٧/٦.

(٢) ينظر : الكشف ٤٠٧/١، والمهذب في القراءات العشر ١٨٢/١، والقراءات وأثرها في علوم العربية ٥٦٩/١-٥٧٠.

(٣) ينظر : الكتاب ٢٨٢/٤، وارتشاف الضرب ٢٣٣/١، والمهذب في علم التصريف ٢٥٦-٢٦١.

(٤) ينظر : الكتاب ٢٧٩/٤، والمنصف ١٩٢/١.

٤٣	المائدة	—	—			
٨٣	البقرة	—	—	٢	مُعْرَض	٣.
٢٣	آل عمران	—	—			
٣٣	التوبة	—	—	٢	مُشْرِك	٤.
٩	الصف	—	—			
١٦٢	النساء	—	—	١	مُؤْتِي	٥.
١٦٢	النساء	—	—	١	مُقِيم	٦.
٣٢	المائدة	—	—	١	مُسْرِف	٧.
—	—	١٧٠	الأعراف	١	مُصْلِح	٨.
—	—	١٤٧	الأنعام	١	مُجْرِم	٩.

ورد ما يقابل بناء (مفعول) في سياق آيات الصفات لفظ (مقيم) جمعاً للمذكر في قوله تعالى : ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/١٦٢].

يُلاحظ في الآية الكريمة تتابع (أسماء الفاعلين) وعطف إحداها على الأخرى، وقد أُفرد أحد هذه المعطوفات المتوالية بحركة إعرابية مغايرة لنظرائه، فيحصل بهذا قطع سببه المدح<sup>(١)</sup>.

٢- مُفْتَعِل : ويكون اسم الفاعل من (أَفْتَعَلَ - يَفْتَعِلُ)، وفي سياق آيات الصفات وردت عليه ثلاثة أسماء مكررة (٣) مرة كما هو مفصل في الجدول الآتي :

(١) ينظر : تأويل مشكل القرآن ٥٣، والبيان في إعراب غريب القرآن، الانباري ٢٧٥/١-٢٧٦، وشرح جمل الزجاجي ٢٠٧/١، والدر المصون ٤٦١/٢، واللباب في علوم الكتاب ١٢٢/٧، والتراكم الدلالي في القرآن الكريم ٥٩-٦١.

التسلسل	الاسم	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	مُتَّقِي	١	—	—	آل عمران ١١٥
٢.	مُقْتَصِد	١	—	—	المائدة ٦٦
٣.	مُفْتَرِي	١	الأعراف	١٥٢	

ومن أمثلة بناء مُفْتَعَل في سياق آيات الصفات لفظ (مُتَّقِي) جمعاً للمذكر في قوله تعالى : ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران/١١٥].  
حَصَلَ تغيير بالإبدال في بنية الاسم (مُتَّقِي)، فقياسه أَنْ يكون (مُوتَّقِي)، أبدلت الواو (تاءً) إبدالاً مطرداً في الفعل المثال عند صياغة (افتعل) وما يشق منه، ويعلل هذا الإبدال بتقارب المخارج<sup>(١)</sup>.

أما في الرؤية الصوتية المعاصرة، فإن (الواو) قد استتقلت في هذا الموقع فأُسْقِطت وعوض منها (تاءً)<sup>(٢)</sup>.

يُلاحظ على (أسماء الفاعلين) في سياق آيات الصفات بمختلف أبنيتها، تفاوت دلالاتها على الثبوت، أو الحدوث، أو التجدد تارةً بحسب أفعالها، وتارةً بحسب سياقاتها، فاسم الفاعل مثلاً (الراسخون) وصف ثابت بحسب دلالاته وبحسب سياقه في قوله تعالى : ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ ..﴾ [النساء/١٦٢]، والرُّسُوخ : الثبوت والاستقرار ثبوتاً متمكناً فهو أخص من مطلق الثبوت، فالراسخون، هم الآخِذون باليقين دون التقليد<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر : شرح الرضي على الشافية ٨٠/٢-٨١، وفتح الحي القيوم ١٤٢-١٤٣، والصرف الواضح ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية ٢١١.

(٣) ينظر في مادة (رَسَخَ) : مقاييس اللغة ٣٩٥/٢، ولسان العرب ١٤٩/٦، والمصباح المنير ٢٢٦/١ والدر المصون ١٧٥/٢، والقاموس المحيط ٢٦٠/١.

لكن أسماء الفاعلين (كافر وصالح وفاسق..) صفات غير ثابتة، فقد ينفك موصوفها عن الاتصاف بها فيؤمن الكافر ويستقيم الفاسق.. وهذا يدعونا إلى عدم القطع بدلالة البنية الصرفية على مستوى معين من الثبوت أو الحدوث، وإنما تترك هذه الدلالة للمفردة نفسها ولسياقها.

## ٢ - اسم التفضيل

وهو وصف يُصاغ على وزن (أفعل) للدلالة على أن شيئين اشتركا في صيغة واحدة، وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة<sup>(١)</sup>.

ولصياغته شروط اهتمت بها كتب الصرف أخذاً عن سيبويه الذي بحث هذا المشتق مع فعلي التعجب، وربما فعل سيبويه ذلك لاشتراك بناء (أفعل)، في هذين الموضوعين وبالشروط نفسها التي يجب توافرها.

وردت في سياق آيات الصفات (٧) أسماء تفضيل كما هو مفصل في الجدول

الآتي :

التسلسل	الاسم	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	أظلم	٤	الأنعام	٢١	البقرة
			—	—	الصف
٢.	أشد	٢	—	—	البقرة
			—	—	المائدة
٣.	شر	٢	—	—	المائدة
٤.	أول	١	—	—	البقرة
٥.	أحرص	١	—	—	البقرة
٦.	أضل	١	—	—	المائدة
٧.	أكثر	١	الإسراء	٦	—

(١) ينظر : شرح قطر الندى ١٠٤، والتعريفات ٢٨ وشرح الحدود النحوية ٩٣، ورسالة في الصرف

٢٠٧ وجامع الدروس العربية ١/٩٤ والمهذب في علم التصريف ٢٨٤.

ومما جاء من أمثلة اسم التفضيل لفظ (أول) كما في قوله تعالى مخاطباً بني إسرائيل : ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ﴾ [البقرة/٤١]، بمعنى أنه كان ينبغي أن يكونوا أول من آمن بما أنزل على نبينا محمد ﷺ، فلا يبادروا إلى الكفر به والجحود له مع جدارتهم بالسبق إليه؛ لانهم كانوا أهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه في التوراة والمستفتحين به والمبشرين بزمانه، وهذا الاستعمال معروف في الكلام البليغ لهذا المعنى، فلا يقصد بالأولية فيه حقيقتها، وإنما المراد به التعريض، فقد سبقهم مشركو العرب في الكفر والخطاب لليهود في كل عصر وزمان فليس المقصود بالأولية أن يكون قد أبيع لهم ثانياً وآخراً، وإنما ذكرت الأولية، لأنها افحش لما فيها من الابتداء بالكفر<sup>(١)</sup>.

يقول القرطبي : ((أن المقصود من الكلام النهي عن الكفر أولاً وآخراً، وخص الأول بالذكر؛ لأنَّ التقديم فيه أغلظ، فكان حكم المذكور والمسكوت عنه واحداً))<sup>(٢)</sup>. وفي إفراد كلمة "كافر" مع كون الخطاب موجهاً للجماعة آراء ذكرها علماء العربية<sup>(٣)</sup>.  
اختلف علماء العربية في وزن اسم التفضيل (أول) وأصله، ف قيل في وزنه : (أفعل، وفوعل، وفعل، وأعفل، وعفول).  
وقيل في أصله : (وؤل) مؤنثه وؤلى، و (وؤل، يوؤل) وهو فعل مهجور، و (آل يوؤل) إذا رجع، و (وأل يوأل)، إذا نجا<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١٢٢/١-١٢٣، والنهر المار ٦٧/١، أنوار التنزيل ٦٢/١-٦٣، والفتوحات الإلهية ٧٤-٧٥، وتفسير المنار ٢٤٠/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٨٨/١.

(٣) ينظر : معاني القرآن، الفراء ٣٢/١-٣٣ وإعراب القرآن، النحاس ٢١٨/١، والمفردات ٣٨-٣٩ ومشكل إعراب القرآن، مكي القيسي ٩١/١، واللباب في علوم الكتاب ١٤-١٦.

(٤) ينظر : المسائل المشككة "البغداديات" أبي علي الفارسي ٨٧-٨٨، والمنصف ٢٠١/٢، والتبيان في إعراب القرآن ٥٧-٥٨، والممتع في التصريف ٣٣٢/١، ولسان العرب ١٩٣-١٩٤ والصرف الواضح ٣٢٧-٣٢٨، والخلاف الصرفي في ألفاظ القرآن الكريم، كاطع جار الله سطم الدراجي (ط/د) ١٧١.

### ٣- أبنية المبالغة

هناك صيغ تشترك مع صيغة اسم الفاعل تدل على الوصف بإيقاع الحدث، ولكنها تفيد المبالغة في تصوير الحدث وكثرته، وتسمى (أبنية المبالغة)، وهي الأبنية التي تفيد التنصيص على التكثير في حدث اسم الفاعل كما وكيفاً؛ لأن اسم الفاعل محتمل للقلة والكثرة<sup>(١)</sup>.

لم يضع القدماء لهذه الأبنية تعريفاً محدداً لكنهم أشاروا إلى دلالتها على التكثير والمبالغة وإلى أشهر أبنيتها من دون الإشارة إلى كونها قياسية أم سماعية، قال سيبويه : ((وأجروا اسم الفاعل، إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر، مجراه إذا كان على بناء فاعل؛ لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلا أنه يريد أن يحدث عن المبالغة، فما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى : فَعُول، وفَعَّال، ومِفْعَال وفَعِل وقد جاء : فَعِيل...))<sup>(٢)</sup>.

يبدو أن صيغ المبالغة ليست محدودة العدد، وقد أشارت الدكتورة خديجة الحمداني إلى أن أبنيتها سماعية تزيد على الثمانين بناءً<sup>(٣)</sup>. ويلاحظ أنه ليس لأبنية المبالغة معنى واحد، وإنما تتعدد المعاني بتعدد الأبنية، فهي تفتقر بعضها عن بعض في معانيها وإن اتفقت في دلالتها على المبالغة؛ لأنه لا يجتمع لفظان مختلفان على معنى واحد وإلى ذلك أشار اللغويون<sup>(٤)</sup>. إن صيغ المبالغة ترجع عند التحقيق إلى معنى الصفة المشبهة؛ لأن الأكثر من الفعل يجعله كالصفة الراسخة في النفس<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : المقرّب، ابن عصفور ١٤١، وتصريف الأسماء ٨٧، والمنهج الصوتي للبنية العربية

١١٥، وعمدة الصرف ٨٤ والصرف حاتم الضامن ١٥٩.

(٢) الكتاب ١١٠/١ والمقرّب ١٢٨/١، وشرح قطر الندى ٩٨-٩٩، وشرح ابن عقيل ١٠٥/٢، والمزهر ٢٤٣/٢ وأبنية الصرف ٢٦٩.

(٣) ينظر : المصادر والمشتقات ١٣٦.

(٤) ينظر : الفروق في اللغوية ١٢-١٣، وشرح الرضي على الشافية ١٣٦/٢، ومعاني الأبنية ١٠٥-١٠٦.

(٥) ينظر : جامع الدروس العربية ١٩٣/١.

ومع كثرة هذه الصيغ وتعددّها جاء المستعمل القرآني بالقليل منها، وغلب على دلالتها الزمنية الاستقبال والاستمرار والثبات، جاء في سياق آيات الصفات أبنية ثلاثة للمبالغة هي : **فَعَالٌ**، **فَعُولٌ**، و**فَعِلٌ**، وسيعرض البحث هذه الأبنية في ترتيبٍ يعتمدُ على كثرة ورودها في سياق آيات الصفات وهي كالآتي :

أ- **فَعَالٌ** (بفتح الفاء وتشديد العين): وتصاغ من مصدر الفعل الثلاثي المجرد اللازم والمتعدي، وصرّح كثير من علمائنا بأن (فَعَالٌ) كما تكون لتكثير الفعل والمبالغة فيه تكون للنسب وللدلالة على الحرف والصنائع لدلالاتها على المزاولة وتجديد الفعل مرة بعد أخرى<sup>(١)</sup>، يفهم من ذلك أن صيغة (فَعَالٌ) تستعمل لمن دام منه الشيء أو جرى على عادة فيه فلا يُقال لمن فعل الشيء مرة أو مرتين.

جاء لفظان على بناء (فَعَالٌ) من الفعل الثلاثي المتعدي تكرر (٤) مرات كما

هو مفصل في الجدول الآتي :

التسلسل	اللفظة	عدد مرات ورود	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	سَمَاعٌ	٣	—	—	المائدة ٤١، ٤٢
٢.	أَكَالٌ	١	—	—	المائدة ٤٢

قال تعالى : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتَوْكَ..\*سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْسُّخْتِ.. ﴾ [المائدة ٤١-٤٢]، فهو لاء اليهود كثيرو الاستماع لما يقوله الرسول ﷺ والمؤمنون لأجل أن يجدوا مجالاً للكذب ينفرون الناس من الإسلام، فكانهم عيون للتجسس بين المسلمين فيبلغون أعداء الإسلام أخبارهم. وكذلك فإن أخبارهم يبالغون في قبول ما يسمعون منه من أكاذيب<sup>(٢)</sup>. ومن اعتاد الكذب فقد فشأ فيه أكل الحرام؛ لأنه يحيا بالمحابة ومآلة الدناءة، وقُرئ (سماعين) بالياء نصباً على الذم<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر : المقتضب ١٦١/٣، وأدب الكاتب ٢٢٢، والصاحبي ٢٢٤، وشرح الرضي على الشافية ٨٨/٢، وجمع الهوامع ٩٦-٩٧، وأبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم خميس فزاع (ط/د) ٢٢-٢١.

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١١٥-١١٩، واللباب في علوم الكتاب ٣٣٥/٧، وتفسير المنار ٣٢٥/٦.

(٣) وهذه قراءة "النحاس، والضحاك" : ينظر المحرر الوجيز ٤٤٥/٤، والبحر المحيط ٢٦١/٤، وقطف الأزهار ٨٠٨/٢.

وصيغة **فَعَّال** في (سَمَاع و كَال) بما توصيه من دلالة على التكرار والاستمرار<sup>(١)</sup> لا يمكن أن يودّي معناها اسم الفاعل (سامع و آكل)، فكلُّ بناء قد أفادَ دلالة بعينها وإن كان هناك معنى عامٌّ يشترك فيه اسم الفاعل وما ألحقَ به من صيغ المبالغة وهو وصف حدوث الفعل والقائم به، ومعنى خاص تنفرد به صيغ المبالغة لأحداث صورة أوسع وأكثر حضوراً واستمراراً منه.

ب- **فَعُول** (بفتح الفاء وضم العين) : ويرتبط اشتقاقه بالفعل المجرد غالباً<sup>(٢)</sup>، ويدلُّ بناء (فَعُول) في المبالغة على دوام الفعل في موصوفه، فقد ذكر "الفارابي" أن فَعُولاً لَمَنْ دام منه الفعل<sup>(٣)</sup>، كما أنه يدل على التكرير وتكرير الفعل<sup>(٤)</sup>.

ورد هذا البناء في سياق آيات الصفات من مادة لغوية واحدة وهي (عَدُوٌّ) مكررة (٤) مرات كما هو واضح في الجدول الآتي :

التسلسل	اللفظة	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	عَدُوٌّ	٢	—	—	البقرة
			—	—	الأنفال
				٩٧، ٩٨	
				٦٠، ٦٠	

قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ\* مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/٩٧، ٩٨].

وصيغة (فَعُول) تدل على تمكن الفعل في الموصوف وقد يكون هذا هو ما أراده اللغويون بقولهم : أن صيغة (فَعُول) تأتي لَمَنْ كَانَ قَوِيًّا على الفعل<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : معاني الأبنية ١١٠.

(٢) ينظر : شرح الرضي على الشافية ١٤٨/١-١٤٩.

(٣) ينظر : ديوان الأدب ٨٥/١.

(٤) ينظر : همع الهوامع ٩٧/٢، ومعاني الأبنية ١١٤.

(٥) ينظر : الفروق اللغوية ١٢-١٣ ومعاني الأبنية ١١٥، والأبنية الدالة على اسم الفاعل ١٣٢-١٣٣.

ج- **فَعِلْ** (بفتح الفاء وكسر العين): جاء هذا البناء في المبالغة في الصفات، ويلاحظ أن هذا البناء بناء مشترك بين بابين من أبواب المشتقات وهما باب المبالغة وباب الصفة المشبهة.

ذهب الدكتور "فاضل السامرائي" إلى أن بناء **(فَعِلْ)** في أبنية المبالغة منقول من **(فَعِلْ)** الذي هو صفة مشبهة مستنداً في ذلك إلى ما ذكره "ابن طلحة" (ت ) في دلالة **(فَعِلْ)** في المبالغة، فيما ينقله عنه السيوطي (ت ٩١١هـ) : ((قال ابن طلحة : هو لمن صار له كالعادة))<sup>(١)</sup>، أي : أنه بناء مقيس من أبنية الصفة المشبهة يدل على الأعراض والهيج والخفة نحو **فَرِحَ** وأشهر وأسف مستعار إلى المبالغة منه<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا تكون الدلالة التي جاء بها بناء **(فَعِلْ)** في المبالغة مقاربة لدلالة **(فَعِلْ)** في الصفة المشبهة، وإن كان هناك فرق أساس بين **(فَعِلْ)** في المبالغة و **(فَعِلْ)** في الصفة المشبهة فقولنا : (هو حذر في التعامل مع الآخرين) كان المعنى أنه كثر منه الحذر كثرة لا ترقى إلى درجة الثبوت والديمومة التي يدل عليها **(فَعِلْ)** في الصفة المشبهة، فقد تتفكك الصفة في بناء المبالغة عن صاحبها ولا تلازمه بخلاف الصفة المشبهة التي تدل على أن الوصف متمكن في الموصوف وثابت فيه<sup>(٣)</sup>.

ورد الوصف على بناء **(فَعِلْ)** في سياق آيات الصفات من مادة لغوية واحدة جاءت مرة واحدة وهي **(فَرِحَ)** كما في الجدول الآتي :

التسلسل	اللفظة	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	فَرِحَ	١	القصص	٧٦	—

كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص/٧٦].

(١) ينظر : همع الهوامع ٩٧/٢.

(٢) ينظر : معاني الأبنية ١١٧.

(٣) ينظر : دلالة أبنية المبالغة في القرآن الكريم ٢٨، والأبنية الدالة على اسم الفاعل ١٣٩-١٤٠.

والفرح : شديدُ الفرح، وشدةُ الفرح : تجاوز الحد وهو البطر والأشر وهذه لذة القلب بنيل ما يشتهي، وهذا الضربُ من الفرح مذموم<sup>(١)</sup>. وعليه حُمِلَ قوله تعالى في قصة قارون الذي أفرط في الفرح والتباهي بما آتاه الله من فضله، وتعلّق بمتاع الدنيا وملذاتها وانكبّ عليها وفي هذا إماتة للقلب وانصراف عن الأعمال الصالحة، فحذف المتعلق بالصيغة (فرحين) لدلالة المقام عليه، فيكون المعنى : لا تفرح بلذات مُعرضاً عن الدين والعمل للآخرة<sup>(٢)</sup>، كما أفصح عن ذلك فيما بعد قوله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القصاص/٧٧]، وللسياق الأثر الواضح في توجيه دلالة اللفظ نحو المدح أو الذم.

وقارون وُصِفَ بأنه (فرح)، ولا يوصف بهذا الوصف إلا من كثر منه هذا الفعل، ودام عليه حتى ثبت فيه وصار له كالسجية والطبيعة، ومن هنا عدّ بعضهم (فرح) من أمثلة المبالغة<sup>(٣)</sup>.

والذي يبدو أن المتعلق بفعل (الفرح) هو الذي يميز كون (فرح) صفة مشبهة أو بناء مبالغة، فإذا لم يتعلّق به شيء دلّ على أنه صار سجية ثابتة للموصوف<sup>(٤)</sup>، فهو صفة مشبهة نقول هو رجل فرح، وأما إذا تعلّق به شيء دلّ على شدة الفرح أي المبالغة نقول : هو فرح بماله.

يرى الفراء أن (فرح) في الآية الكريمة الآنف الذكر صفة مشبهة جاءت للدلالة على الحال الذي هو فيه فيقول : ((ولو قيل : الفارحين كان صواباً، كان الفارحين، الذين يفرحون فيما يستقبلون، والفرحين الذين هم فيه الساعة، مثل الطامع والطمع، والمائت والميت...))<sup>(٥)</sup>.

#### ٤ - المصدر الميمي

(١) ينظر : في مادة (فرح) : مقاييس اللغة ٤/٤٩٩، ولسان العرب ١١/١٤٧، والمصباح والمنير ٢/٤٦٦، والقاموس المحيط ١/٢٣٩.

(٢) ينظر : الكشاف ٣/٤٣٠، والجامع لأحكام القرآن ١٣/٣١٤، والبحر المحيط ٧/٤٤٠، والتحرير والتنوير ١٢/١٤، ٢٠/١٧٨.

(٣) ينظر : والكليات ٥٠٨، والأبنية الدالة على اسم الفاعل ١٧١.

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٢٠/١٧٨، والأبنية الدالة على اسم الفاعل ١٧١-١٧٢.

(٥) معاني القرآن، الفراء ٢/٣١١.

نظر علماء العربية القدماء إلى المصدر الميمي نظرتهم إلى المصدر عامة فلم يضعوا له تعريفاً دقيقاً، فتناول "سيبويه" هذا المصدر فتكلم عليه في أكثر من موضع من كتابه<sup>(١)</sup>، وجاء كلام "المبرد" (ت ٢٨٥هـ) على صياغة هذا المصدر ضمن ما أطلق عليه المصادر التي في أوائلها الميم<sup>(٢)</sup>.

وأشار "ابن الحاجب" إلى بنائه من الثلاثي وغيره فقال : ((ويجيء المصدر من الثلاثي المجرد على مَفْعَلٍ قياساً مطّرداً، كَمَقْتَلٍ ومَضْرَبٍ.. ومن غير اللازم المفعول كَمُخْرَجٍ ومُسْتَخْرَجٍ وكذا الباقي))<sup>(٣)</sup>.

وجاءت تسمية هذا المصدر بالمصدر الميمي واضحة في كلام "ابن هشام" (ت ٧٦١هـ)<sup>(٤)</sup>، وعرفه المحدثون بأنه : ((مادلٌ على الحدث وبدئٌ بميمٍ زائدةٌ على غير بناءٍ مُفاعلة))<sup>(٥)</sup>، للدلالة على الاتصاف بالخصائص الموجودة في الأسماء التي تصاغ منه، ويصاغ المصدر الميمي على بناء (مَفْعَل) من الأفعال الثلاثية المجردة فإن كان الفعل مثلاً، صحيح الآخر، محذوف الفاء في المضارع، صيغ منه على بناء (مَفْعَل)، ومن غير الثلاثي على زنة مَفْعُول<sup>(٦)</sup>، وعلى ذلك فالمصدر الميمي متداخل بصيغته مع اسم المفعول من غير الثلاثي، والسياق الذي تنتظم فيه اللفظة يحدّد الفصل بينهما.

ذهب الدكتور "فاضل السامرائي" إلى أن المصدر الميمي لا يطابق المصدر الآخر في المعنى تماماً لاختلاف صيغته، وأنه يحمل معه عنصر الذات بخلاف المصدر غير الميمي فإنه حدث مجرد من كل شيء<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر : الكتاب ٨٧/٤ وما بعدها.

(٢) ينظر : المقتضب ٧٤/١.

(٣) شرح الرضي على الشافية ١٩٨/١.

(٤) ينظر : شرح شذور الذهب، ابن هشام ٤١.

(٥) تصريف الأسماء ٧٢، وشذا العرف ٧٣، وأبنية الصرف ٢٢١.

(٦) ينظر : الكتاب ٨٧/٤، ٩٢ وأبنية الصرف ٢٤١-٢٤٣.

(٧) ينظر : معاني الأبنية ٣٤-٣٥.

وفي سياق آيات الصفات ورد المصدر الميمي من بناءين تكرر (٣) مرات كما هو مبين في الجدول الآتي :

التسلسل	المصدر	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	مَسْكَنَةٌ	٢	—	—	البقرة
			—	—	آل عمران
٢.	مَعْصِيَةٍ	١	—	—	المجادلة
			—	—	المجادلة

من مراجعة سياق الآيات التي ورد فيها المصدران الميميان يتضح لنا أن الحدث مع المصدر الميمي واجب الحدوث والوقوع حتماً، (فالمَسْكَنَةُ) مصدر ميمي من (سَكَنَ) على وزن (مَفْعَل) مع إضافة (تاء) آخرًا لإرادة المبالغة في تصغير الشيء وتحقيره، والمَسْكَنَةُ عقوبة من الله سبحانه على كفار اليهود متداخلة مع الخوف والفقر، على العكس من (السَكِينَةُ) التي وصِفَ بها المؤمنون وتوحي بالاطمئنان والأمان<sup>(١)</sup> كقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح/٤].

ومن ذلك لفظة (مَعْصِيَةٍ) معتلٌ بالياء، وجاء شاذاً على وزن (مَفْعِلَةٌ) وقياسه (مَفْعَل)<sup>(٢)</sup>، كما في قوله تعالى : ﴿.. وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْأَلَمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة/٨].

يُلاحظ أن (معصيت) كُتِبَ بالتاء المبسوطة على وفق الرسم القرآني في كتابه بعض الألفاظ؛ وهي قراءة الجماعة ومعصية بالتاء المبسوطة لغة قريش وبالتاء المبسوطة لغة طيء لأنها معصية محسوسة ظاهرة وإن حاولوا إخفاءها، ولتجسيم المعاني وللفت الأنظار واستعظاماً لهذه المعصية<sup>(٣)</sup>. والدلالة الصوتية واضحة في هذين

(١) ينظر : الفروق اللغوية ١٩٦، والتحرير والتتوير ٥٦/٣.

(٢) ينظر : الكتاب ٩٢/٤، وأبنية الصرف ٢٤٢، والصرف ١٣٨.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٤٩٢/١-٤٩٤ كلام على الإملاء العربي، ومبحث مفصل في رسم القلم القرآني، الشيخ هلال الحنفي ٣١، ومعجم القراءات ٣٦٩/٩-٣٧٠، وينظر : التاء في العربية، سهاد ياس (ر/م) ٨٣-٨٦.

اللفظين فصول الميم بما يحققه من ضغط يشد عضلات الفم عند النطق به يمدّ الدلالة بالقوة والحدة لحصول الحدث، فضلاً عن تناسق الأصوات الأخرى التي تُوحي بخفاء الحدث وطول ومدته في الوقت نفسه.

#### ٥- اسم المفعول

عرفه "ابن الحاجب" بأنه : ((ما اشتقَّ من فعلٍ لمن وقع عليه))<sup>(١)</sup>، فهو يتضمن الحدث ويدل على من وقع عليه منمازاً من اسم الفاعل الدال على من وقع عليه الحدث. ويعرفه اللغويون المحدثون تعريفاً مماثلاً لتعريف القدماء، فهو عندهم : اسم مصوغ من الفعل المبني للمجهول للدلالة على من وقع عليه الفعل<sup>(٢)</sup>.

قال الدكتور "فاضل السامرائي" في دلالاته على الحدوث والثبوت ما قاله في اسم الفاعل : ((فهو يدل على الثبوت إذا ما قيس بالفعل، وعلى الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة))<sup>(٣)</sup>.

ويصاغ اسم المفعول من الفعل الثلاثي على بناء (مفعول)، وما زاد على الثلاثي بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر<sup>(٤)</sup>.

وفي سياق آيات الصفات لم يرد من بناء اسم المفعول إلا من الثلاثي فقط في موضعين كما في الجدول الآتي :

التسلسل	اسم	عدد مرات ورود	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	مغضوب	١	الفاتحة	٧	—
٢.	ملعون	١	—	—	الأحزاب

(١) الكافية في النحو بشرح الرضي ٢/٢٠٣، والتعريفات ٢٩، وشرح الحدود النحوية ٩٢ ورسالة في الصرف ٢٠٣.

(٢) ينظر : تصريف الأسماء ٨٨، وشذا العرف ٧٥، وعمدة الصرف ٨٥، وأبنية الصرف ٢٨٠، والمنهج الصوتي ١١٦، والمهذب في علم التصريف ٢٦٦.

(٣) معاني الأبنية ٥٩.

(٤) ينظر : المقتضب ١/١٤٨، وارتشاف الضرب ١/٢٣٣، وشذا العرف ٧٥.

ومن الشواهد على بناء مَفْعُول لفظ (مَغْضُوب) كما في قوله تعالى : ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة/٦-٧].

وفي بناء فعل الغضب للمفعول (مَغْضُوب) قال "أبو حيان" ((بناءه للمفعول؛ لأن من طلب منه الهداية ونُسِبَ الانعام إليه يناسبه نسبة الغضب إليه؛ لأنه مقام تلطف وترفق وتذلل لطلب الإحسان يناسب مواجهته بوصف الانتقام وليكون المغضوب عليهم توطئة لختم السورة بالضالين لعطف موصول على موصول مثله لتوافق آخر الآي))<sup>(١)</sup>، فضلاً عن أن ذلك إشعار بإهانة المغضوب عليه وتحقيره وتصغير شأنه ما ليس في ذكر فاعل النعمة من إكرام المنعم عليه ورفع شأنه، وأنَّ العدول عن إسناد فعل الغضب إليه تعالى جرى على منهاج الآداب في نسبة النعم والخير إليه سبحانه دون أضرادها، وللدلالة على عموم الغضب عليهم: غَضِبُ اللهُ وَغَضِبُ الغاضبين لله، فلا يختص بغاضب معين<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً : أبنية الجموع

الجمع لغةً : تأليف المتفرق، وهم ضمُّ الشيء بتقريب بعضه من بعض<sup>(٣)</sup>، واصطلاحاً : هو الاسم الذي يدل على أكثر من اثنين<sup>(٤)</sup>.

والجمع مظهر من مظاهر الإيجاز في العربية، إذ يصعب، وقد يتعذر ((إحصاء جميع آحاد ذلك الجمع، وعطف أحدهما على الآخر))<sup>(٥)</sup>.

ومبحث الجموع في العربية من المباحث الواسعة والمهمة لكثرة أنواعه وتشعبها وهذه الفروع الكثيرة يمكن عزوها إلى سعة اللغة وثرائها الضخم على مستوى المفردات

(١) البحر المحيط ٥٠/١، وينظر : أنوار التنزيل ١٧/١، وإرشاد العقل السليم ٢٩/١.

(٢) ينظر : التفسير القيم، ابن قيم الجوزية ١٢-١٣، ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي ٥٠-٥٤.

(٣) ينظر : في مادة (جَمَعَ) : مقاييس اللغة ٤٧٩/١، ولسان العرب ١٩٦/٣، والقاموس المحيط ١٤/٣.

(٤) ينظر : التعريفات ٦٨، وشرح الحدود النحوية ٥٧، وأبنية الصرف ٢٩٢، وجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية، عبدالمنعم سيد عبدالعال ٧.

(٥) شرح المفصل ٢/٥.

والتراكيب والأساليب اللغوية، فكانت أنواع الجموع وتفرعاتها خير معبر عن دلالات مقصودة في الكلام العربي.

وفي سياق آيات الصفات تقسم أبنية الجموع على أساس سلامة بناء المفرد على قسمين :

#### أحدهما : جمع المذكر السالم

ويسمى الجمع الصحيح وهو ما دل على أكثر من اثنين وسمي سالماً؛ لأن لفظ الواحد صحّ وسلم فيه من التغيير ثم يزداد عليه زيادة تدل على الجمع. ويسمى أيضاً بـ (الجمع على هجائين)؛ لأنه يكون بالواو تارة ويكون بالياء تارة أخرى<sup>(١)</sup>.

والأكثر في ما يجمع هذا الجمع الصفات؛ لأن الصفة تجري مجرى الفعل في دلالتها، فالقياس أن لا يجمع، كما أن الأفعال لا تجمع، وإنما تجري (الواو والنون) مجرى علامة الجمع من الفعل<sup>(٢)</sup>.

ذكر سيبويه أن هذا الجمع يدل على القلة<sup>(٣)</sup>، ويرى قسم من المحدثين صلاحية هذا الجمع للقلة والكثرة، ما لم توجد قرينة تعين إحداهما<sup>(٤)</sup>.

يقول الدكتور "فاضل السامرائي" : ((.. فإن هذا الجمع يدل على القلة في الجوامد وأما في الصفات فإن دلالاته على القلة ليست مطردة بل نستطيع أن نقول أن الأصل فيه عدم دلالاته على القلة وإنما الأصل فيه أن يدل على الحدث، فجمع الصفات جمعاً سالماً يقربها من الفعلية وتكسيها يبعدها من الفعلية إلى الأسمية))<sup>(٥)</sup>.

يرى البحث أن استقراء الشواهد القرآنية بالاستعانة بكتب التفسير وصولاً إلى حكم قاطع في دلالة هذا الجمع هو السبيل القويم للقول في هذه المسألة.

(١) ينظر : اللمع ٧١-٧٢، وشرح المفصل ٢/٥، وشرح جمل الزجاجي ١/١٤٦، والصرف الوافي ١٥٢.

(٢) ينظر : شرح المفصل ٢٤/٥، وشرح الرضي على الشافية ١١٦/٢، والفيصل في ألوان الجموع، عباس أبو السعود ١١.

(٣) ينظر : الكتاب ٤٩١/٣، وأرتشاف الضرب ١٩٤/١ والفيصل في ألوان الجموع ٣١.

(٤) ينظر : النحو الوافي ١٣٧-١٣٨ وجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية ٨-٩.

(٥) معاني النحو ١٤٤.

ومن الألفاظ المفردة التي جُمِعَتْ على هذا الجمع في سياق آيات الصفات ماهو مفصل في الجدول الآتي :

عدد مرات ورودها	التفرد	عدد مرات ورودها	التسلسل	عدد مرات ورودها	التفرد	عدد مرات ورودها	التسلسل	عدد مرات ورودها	التفرد	عدد مرات ورودها	التسلسل
١	مصلح	١٩	١	راسخ	١٣	٣	سماع	١٣	٠.٧	١٣	٠.١
١	صاغر	٢٠	١	مؤتي	١٤	٢	خاسئ	١٢	٠.٨	١٢	٠.٢
١	خائن	٢١	١	قاعد	١٥	٢	معرض	٩	٠.٩	٩	٠.٣
١	خاسر	٢٢	١	مُسرف	١٦	٢	مُجرم	٤	١.٠	٤	٠.٤
١	خاطيء	٢٣	١	أكال	١٧	٢	مُشرك	٤	١.١	٤	٠.٥
١	فرح	٢٤	١	مفتري	١٨	١	مُنقي	٣	١.٢	٣	٠.٦
١	ملعون	٢٥									

يلحظ على الجدول وسياقات ورود هذا الجمع ما يأتي :

— تكرر هذا الجمع (٧٠) مرةً ممثلاً بجمع الصفات وكان عدد مفرداته (٢٥) مفردة، منها (٢١) مفردة على بناء اسم الفاعل، ومفردة واحدة على بناء اسم المفعول، وثلاث مفردات على بناء المبالغة.

— حصل تغيير في بنية المفردة في ثلاثة جموع : (متقي، ومؤتي، ومفتري) وهي أسماء منقوصة حذفت لام المفرد (الياء) عند الجمع، وزيدت علامة الجمع.

— إن دلالة هذا الجمع على القلة ليست مطردة — كما ذكرنا — إذ تبين أن دلالة هذا الجمع كانت الكثرة في كثير من الألفاظ كما في قوله تعالى : ﴿.. ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة/٣٢]. لا يختلف معنى الإسراف في اللغة عنه في الاصطلاح الشرعي فهو يعني مجاوزة القصد من غير اعتدال سواء أكان في إنفاق المال أم في غيره، فهو الجهل بمقادير الحقوق<sup>(١)</sup>. فهو لاء قد أسرفوا في قتل الأنبياء الرسل ولم يبالوا بشناعة هذا الجرم، فضلاً عن الإكثار من الذنوب

(١) ينظر في مادة (سرف) : مقاييس اللغة ١٥٣/٣، ومختار الصحاح ١٢٥، ولسان العرب ١٧٢/٧-١٧٣، والمصباح المنير ٢٧٤/١، والقاموس المحيط ١٥١/٣.

والخطايا. وفي ذكر ذلك تسليّة للرسول ﷺ؛ لأنهم عزموا على الفتك به وبأصحابه<sup>(١)</sup>.

وقد تحتلّ سياقاتُ بعضِ الجموع الدلالة على القلة والكثرة كما في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران/٢٣].

— لا بدّ أن يكون هناك سبب لتخصيص الآية بالجمع الذي وردت عليه دون الآخر؛ لأنّ التعبير القرآني لا يستعمل صيغة جمع في أي مكان اعتباطاً وإنما يراعي في ذلك دقة المعاني المعبرة، فالأوزان المختلفة لها معانٍ مختلفة<sup>(٢)</sup>، ويتأتى هذا من عناية القرآن الكريم في اختيار ألفاظه لإيصال المعنى المقصود، فقد يكون للأسم الواحد عدة جموع، فالتعبير القرآني يستعمل في كل موضع ما يناسبه من هذه الجموع لاختلاف دلالتها، ومما جاء من ذلك في آيات الصفات قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة/٢٤]. فهو لاء تركوا آداب الخطاب مع أنبيائهم فصرّحوا بالجمود علانية<sup>(٣)</sup>.

استعمل التعبير القرآني جمع السلامة (قاعدون) بدلاً من جمع التكسير (قعود) فاللفظ الأول قد عبر به عن القعود عن الجهاد والتقايس عن مقاتلة الأعداء، وقد وردت بهذا المعنى في ستة مواطن في القرآن الكريم\* نظراً لأهمية شأن الجهاد وقتال العدو في إعلاء راية الحق. ودلّ اللفظ الثاني على القعود الحقيقي كما في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ..﴾ [آل عمران/١٩١]، وقوله : ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ\* إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ [البروج/٥-٦]، وهكذا فرّق التعبير القرآني بين (القعود) و (القاعدون) وهذه الدقة في المعنى نابعة من الدقة في الوضع والاختيار، فلغة القرآن إعجاز متناهٍ، وقف أهل الفصاحة والبلاغة والبيان أمام إعجازه مندهشين ومنقادين له.

#### الآخر : جمع التكسير

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٤٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٤٧/٦، والبحر المحيط ٢٣٩/٤.

(٢) ينظر : معاني الأبنية ١٣٠.

(٣) ينظر : لطائف الإشارات ٢٦٠/١.

\* ينظر : المعجم المفهرس ٥٤٨ الآية..

هو مادل على ثلاثة فأكثر مع تغيير ضروري يطرأ على مفردة عند الجمع، وسمي (جمع تكسير) على التشبيه بتكسير الآنية؛ لأن تكسيرها إنما هو إزالة التثام أجزائها<sup>(١)</sup>.

تعددت أبنية هذا الجمع في العربية تعدداً كبيراً، يفسر هذا التعدد بالآتي<sup>(٢)</sup> :  
الأول : اختلاف لغات العرب؛ إذ تجمعهم قبيلة عربية على وزن، وتجمعه أخرى على وزن.

الثاني : إثراء اللغة بمزيد من الألفاظ لتلبية حاجة الشعر والسجع، فالعربي قد يضطره ذلك إلى أن يستعمل أكثر من جمع لمعنى واحد أو أن يأتي بلفظ على غير قياس..  
الثالث : اختلاف المعنى باختلاف أبنية الجمع.  
الرابع : القلة والكثرة.

#### يقسم جمع التكسير على قسمين :

أحدهما : جمع القلة : أجمع علماء اللغة على أن هذه الجموع تدل في أصل وضعها على عدد بين الثلاثة والعشرة<sup>(٣)</sup>، ومن أبنية القلة في سياق آيات الصفات بناء (أفعال) و (أفعلة).

أ- أفعال : يطرّد هذا البناء في جمع الأسماء الثلاثية غير بناء (فعل)، صحيح الفاء والعين غير مضعّف، ويطرّد في كل اسم معتل العين بالواو أو بالياء أو بالألف<sup>(٤)</sup>. ومما جاء على هذا البناء (أفعال) لفظ (أعداء) تكرر مرتين كما في الجدول الآتي :

التسلسل	المصدر	عدد مرات ورود	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	أعداء	٢	الأعراف	١٥٠	النساء
				رقم الآية	٤٥

(١) ينظر : أسرار العربية ٦٣، والتكملة ٣٩٨، واللمع ٧٦، وشرح المفصل ٦/٥، وشرح جمل الزجاجي ١٤٧/٢ وما بعدها وشرح التصريح على التوضيح ٥١٩/٢، وهمع الهوامع ١٧٤/٢، وشرح الحدود النحوية ٥٨، والفيصل في ألوان الجموع ٢٩ وجمع التكسير في لسان العرب قحطان عبدالستار عارف (ط/د) ١١.

(٢) ينظر : معاني الأبنية ١٣٠-١٣٣.  
(٣) ينظر : الكتاب ٤٩٠-٤٩١، والتكملة ٣٩٩، وارتشاف الضرب ١٩٤/١، والفيصل في ألوان الجموع ٣٠.

(٤) ينظر : التكملة ٣٩٩، والفيصل في ألوان الجموع ٣٦، وجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية ٤١.

و (أعداء) جمع على غير القياس؛ لأن مفردة رباعي (عدو) زنة (فَعُول)، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء/٤٥].  
نزلت هذه الآية في اليهود، وقيل في حبر من أحبار اليهود<sup>(١)</sup>، ﷺ هو أعلم بما في قلوبهم من حقدٍ وضغينة وبما يدور في أذهانهم وفي نفوسهم من عداوة وبغضاء للمسلمين من أي مخلوق هذا العلم الدائم الباقي ليحذر منهم المسلمون<sup>(٢)</sup>.  
حصل تغيير في بناء الجمع (أعداء) : فقياسه (أعداو) جمع عدو، قلبت (الواو) همزة، لتطرفها بعد ألف زائدة<sup>(٣)</sup>.

أما في الرؤية الصوتية المعاصرة، فإن (الواو) حركة، و (الألف) حركة، ولا يمكن أن تجتمع حركتان، ولا تقف العربية على حركة، فسقطت (الواو) وحلت الهمزة محلها<sup>(٤)</sup>.

تبيّن من مراجعة سياق الآيتين، وبالأستعانة بكتب التفسير أن الجمع (أعداء) يدل على الكثرة؛ إذ لا يعقل أن يكون أعداء المسلمين من اليهود وغيرهم بين الثلاثة والعشرة، وهذا يدعونا إلى التساؤل من الذي يُقرّ الدلالة : أهو البناء الصرفي أم الاستعمال القرآني؟، وإن أشارت بعض كتب أسباب النزول إلى أن الآية الأنفة الذكر قد نزلت في (رفاعة بن زيد بن التابوت) من عظماء اليهود كان يطعن كثيراً في الإسلام ويعيبه أمام أتباعه<sup>(٥)</sup>.

والذي يبدو أن دلالة بناء الجمع على القلة أو الكثرة في النص، لا يمكن تحديدها من البناء الصرفي للجمع وحده، وإنما لابد من دراسة السياق القرآني وما يتضمنه من قرائن وما يقتضيه من دلالة.

(١) ذكره الفخر الرازي عن ابن عباس، ينظر : التفسير الكبير ٩٣/١٠.

(٢) ينظر : الكشف ٥٣٠/١، واللباب في علوم الكتاب ٤٠٣/٦-٤٠٤، والتحرير والتنوير ٧٢/٤-٧٣.

(٣) ينظر : الكتاب ٣٤٨/٤، والممتع في التصريف ٣٢٦/١، وشرح الرضي على الشافية ١٧٣/٣-١٧٤، والمهذب في علم التصريف ٣٢٠-٣٢١.

(٤) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية ١٧٧.

(٥) ينظر : لباب النقول في أسباب النزول ٨٧، والدر المنثور في التفسير المأثور ١٦٨/٢.

ب- أَفْعَلَه : يطرد هذا البناء في الاسم الرباعيّ المذكور، الذي قبل آخره مد<sup>(١)</sup>. ويقلّ في الوصف الرباعي<sup>(٢)</sup>. ورد على هذا البناء جمع واحد هو (أئمة) جمع قياسي مفردة اسم رباعي (إمام)، كما هو في الجدول الآتي :

الترتيب	المصدر	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١	أئمة	٢	القصص	٥	—
			السجدة	٢٤	—

و (أئمة) جمع إمام وهو كل من أئمت به قوم من رئيس وغيره فتقدمهم وصار لهم إماماً، وهو الهادي الذي يقتدى به في الدين<sup>(٣)</sup>. سواء أكانوا على الصراط المستقيم، كما في قوله تعالى في بني إسرائيل : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة/٢٤]. أي : جعلنا منهم قادة وقادة يقتدى بهم في الدين فيدعون الخلق لطاعتنا، ثم توسعوا في استعماله حتى شمل كل من صار قدوة في فن من فنون العلم أم لم يكونوا على صراط مستقيم<sup>(٤)</sup> كما في قوله تعالى : ﴿فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة/١٢].

ذهب "الزجاج" إلى أن (أئمة) أصله (أئمة) على (أفعلة) مثل إناء وآنية، ومثال وأئمة، ولكن الميمين لما اجتمعتا أدغمت الأولى في الثانية، وألقيت حركة الميم الأولى على الهمزة فحركات بالكسر فصار (أئمة) وبها قرئ، ويلحظ اجتماع همزتين فأبدل النحويون من الهمزة ياء؛ لأنها في موضع كسر وما قبلها مفتوح فالوجه إبدال الآخرة منهما بأحد أمر المد واللين<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية ٤٠، والصرف الواضح ٢٥٢.  
(٢) ينظر : شرح الرضي على الشافية ١٢٥/٢، وشرح التصريح على التوضيح ٥٢٦/٢، والفصل في ألوان الجموع ٤٢.  
(٣) ينظر في مادة (أمم) : مختار الصحاح ٢٥، ولسان العرب ١٥٧/١، والمصباح المنير ٢٣/١-٢٤، والتعريفات ٣٥، والقاموس المحيط ٧٦-٧٥/٤.  
(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٧٣-٧٢/١٤، و  
(٥) ينظر : معاني القرآن، الفراء ٤٢/١، ٣٢٨/٢، معاني القرآن وإعرابه ٤٣٤-٤٣٥، والبيان في إعراب غريب القرآن ٢٩٤-٢٩٥.

ومثله قال النحاس (ت ٣٣٨)<sup>(١)</sup> والعكبري (ت ٦١٦)<sup>(٢)</sup>.

ويتضح أن الميمين قد أدغمتا بعد إسكان الميم المتحركة الأولى أي أن الإدغام قد حصل بين حرفين مثلين متفقين في الصفة والمخرج، الأول ساكن والثاني متحرك، وفي إدغامهما أصبح النطق بهما أيسر على اللسان من عدم إدغامهما.

**الآخر : جمع الكثرة :** اختلف في تحديد مبدأ دلالة هذه الجموع، ففيه قولان، هما :  
**الأول :** أن دلالتها على ثلاثة فأكثر<sup>(٣)</sup>.

**الثاني :** أن دلالتها على ما زاد على العشرة<sup>(٤)</sup>.

ذكرت الدكتورة "خديجة الحديثي" أن أبنية الكثرة التي ذكرها سيبويه كثيرة يغلب عليها القياس<sup>(٥)</sup>.

في حين أشارت الدكتورة "باكزة رفيق حلمي" نقلاً عن "الاشموني" (ت ٩٢٩هـ) إلى أن أبنية جموع الكثرة يغلب فيها السماع ومنها ماهو قياسي مطرد<sup>(٦)</sup>.

**حفلت آيات الصفات بطائفة من الشواهد القرآنية على وفق الأبنية الآتية :**

أ- **فُعِلَ (بضم الفاء وتشديد العين) :** بناءً مطرد في وصف صحيح اللام على فاعل أو فاعلة سواء صحَّت عينهما أم اعتلت<sup>(٧)</sup>.

قال "ابن خالويه" (ت ٣٧٦هـ) : ((ليس في كلام العرب فُعِلَ إلا جمع مثل قوم رُكِعَ وسُجِدَ في جمع راعٍ وساجد...))<sup>(٨)</sup>، وذكر "ابن جني" أن (فُعِلَ) من أبنية المبالغة أيضاً غير أنه كثر في الجمع<sup>(٩)</sup>.

ورد في سياق آيات الصفات على بناء (فُعِلَ) لفظان :

(١) ينظر : إعراب القرآن، النحاس ٧١٢، والتبصرة في القراءات ٧١، والعنوان ١٠٢.

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ٤٠١/١.

(٣) ينظر : جموع التصحيح والتكسير ٢٧، والمهذب في علم التصريف ١٨١-١٨٢.

(٤) ينظر : الكتاب ٥٦٧/٣، والأصول في النحو ٤٣٠/٢.

(٥) ينظر : أبنية الصرف ٢٩٨-٣١٥، ٣١٩-٣٢٨، وجموع التصحيح والتكسير ٤٤.

(٦) ينظر : الجموع في العربية، باكزة رفيق حلمي ١٣٣.

(٧) ينظر : شرح التصريح على التوضيح ٣٠٧/٢، والفصل في ألوان الجموع ٥٩، ومعاني الأبنية

١٥٢، وجمع التكسير في لسان العرب ٦٢.

(٨) ليس في كلام العرب ١٢٩.

(٩) ينظر : المنصف ٤٩/٣.

أحدهما : قياسيٌّ وهو (سَجَدَ) جمعُ (ساجِدٍ).  
والآخر : سماعيٌّ وهو (بُكِيَ) جمعُ (باكٍ)، كما مفصل في الجدول الآتي :

التسلسل	اللفظ	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	سَجَدَ	٢	الإسراء	١٠٧	—
			مريم	٥٨	—
٢.	بُكِيَ	١	مريم	٥٨	—

اجتمع هذان اللفطان في قوله تعالى : ﴿ إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سَجْدًا وَبُكِيًا ﴾ [مريم/٥٨] وصف سبحانه مؤمنو بني إسرائيل وغيرهم بالمبالغة في الخشوع لله والتواضع له متأثرين بآيات الرحمن<sup>(١)</sup>.

فـ (بُكِيَ) جمعُ (باكٍ) وقيل فيه : أنه مصدر منصوب وليس بجمع، كـ (جُلوس) مصدر (جَلَسَ) فيكون مصدر وقع موقع الحال. وهو خلاف الظاهر، والأصل على كلا القولين (بُكُوي)، اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن، فقلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء، وحُرِّكت عين الكلمة (الكاف) بالكسر لمناسبة الياء وجمعه المقيس (بُكَاة) على وزن (فَعَلَه) كقاضي وقضاة، إلا أنه لم يُسمع فيه هذا الأصل، ومنهم مَنْ يكسر الباء (بُكِيَ) إتباعاً لكسرة الكاف؛ لأنه أخف على اللسان من الخروج من ضم إلى كسر<sup>(٢)</sup>.

يلحظ دقة التعبير القرآني في اختيار صيغتي جمع التكسير (سَجَدَ، وَبُكِيَ) دون جمع السلامة (ساجدين، وباكين) لما يؤديه وزن (فَعَلَ) من دلالة على الحركة الظاهرة السريعة والمبالغة في تكرار القيام بالفعل<sup>(٣)</sup>، وقد رسم صورة تكرار الانحناء وشدته تضرعاً لله عز وجل، وفي هذا التصوير إغراءٌ للسامع باتباع نهجهم، وفي دقة الوصف

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٨١/١١، وإرشاد العقل السليم ٣٥٦/٣.

(٢) ينظر : البيان في إعراب غريب القرآن ١٢٨/٢، والتفسير الكبير ٢٣٤/٢١، واللباب في علوم

الكتاب ٨٥/١٣-٨٦، وروح المعاني ٦٠٨/١٦، والتحرير والتنوير ١٣٣/١٦.

(٣) ينظر : معاني الأبنية ١٥٢.

تقريب المعاني القرآنية إلى مداركنا البشرية القاصرة بالأوصاف الحسية وكأنَّ ذلَّ العبودية مشاهد مرئيٍّ وفي ذلك تعبير عن صفة التضحية في عبادة الخالق. ولا تخفى الدلالة الصوتية في بيان المعنى ووضوحه في صيغة (فُعِلَ)، فالضم في أول البناء والتشديد في وسطه دلالة على قوة الحدث والمبالغة فيه.

ب- فُعِلَ (بضم الفاء وسكون العين) : يُعَدُّ هذا الوزن أخفَّ أوزان الكثرة لكونه ثلاثياً مجرداً ساكن الوسط<sup>(١)</sup>، ويكون هذا البناء قياسياً وسماعياً<sup>(٢)</sup>.

وردَ من القياس في سياق آيات الصفات على لسان اليهود مرتين لفظ (عُلفَ)\*

كما هو مبين في الجدول الآتي :

التسلسل	اللفظ	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	عُلفَ	٢	—	—	البقرة
			—	—	النساء
				٨٨	
				١٥٥	

قال تعالى : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة/٨٨] وفي (عُلفَ) وجهين<sup>(٣)</sup>:

أحدهما : (عُلفَ) بسكون اللام جمع (أغلفَ) وهي قراءة الجمهور، وقلب أغلف كأنما أغشى غِلافاً فهو لا يعني شيئاً، والمعنى أن قلوبهم مغطاة بأغشية مجبولة ومخلوقة عليها تمنع من وصول أثر دعوة محمد ﷺ إليها، فهي مستورة عن الفهم والتمييز فلا تفقه شيئاً مما يُقال، وفي هذا استعارة من الأغلف الذي لم يُختتن.

(١) ينظر : شرح التصريح على التوضيح ٣٠٤/٢، والفيصل في ألوان الجموع ٤٥، والجموع في اللغة العربية ١٣٤.

(٢) ينظر : شرح الرضي على الشافية ١٥٧/٢، وأبنية الصرف ٣٠٢-٣٢٣ وجمع التكسير في لسان العرب.

\* ينظر في مادة (عُلفَ) : مقاييس اللغة ٣٩٠/٤، والمفردات ٥٤٦ ومختار الصحاح ٤٧٨، ولسان العرب ٧٢/١١، وتاج العروس ٢١٤/٦.

(٣) ينظر : المُحرَّر الوجيز ١٧٧/١، والكشاف ٢٩٥/١، والبحر المحيط ٤٦٩/١، والدُر المصون ٩٦/١ واللباب ٣٦٩/٢، ١٠٨/٧-١٠٩.

الآخر : (غُلف) بضم اللام، قراءة التشغيل جمع غِلاف وهي قراءة ابن عباس والأعرج وابن مُحَيِّصن، أي قلوبنا أوعية للعلم والمعارف فلا حاجة بنا إلى علم سوى ما عندنا ، فقلوب هؤلاء اليهود ممتلئة علماً لا تحتاج إلى علم محمد ﷺ فما بالها لا تعي كلمة وقد وعت علماً كثيراً.

إن هذا التحليل لكلمة (غُلف) دقيق، فهذه اللفظة قد احتوت كل معاني التعنت والحدق الأحق، فهذه الصيغة تستوقف المتأمل بما توحيه من دلالة خاصة فوق دلالة السياق فتعبت في النفس إحياء فوق المعنى اللغوي للسياق، لا يمكن أن تؤديه لفظة أخرى بالمعنى نفسه كـ (غير واعية، أو لا تفقه أو نحو ذلك). ولكن شيئاً من ذلك لا يبلغ من النفس هذا التصوير. فهذه اللفظة تجعل المعنى كله صورةً مجسدةً ماثلةً أمامنا. فتبدو المناسبة واضحة بين الصوت وما يدل عليه ، إذ يرى بعض المحدثين أن اللفظة التي أولها صوت (الغين) تدل على الاستتار والظلمة والخفاء<sup>(١)</sup>.

ج- فعلاء (بضم أوله وفتح ثانيه) : ويطرد هذا البناء جمعاً لـ (فَعِيل) وصف مذكر عاقل بمعنى (فاعل) أو (مُفَعِّل) أو (مُفَاعِل) وما دلَّ على سجية مدح أو ذم، قال الرضي: ((وأكثر ما يجيء (فعلاء) في هذا الباب - يعني فاعلاً - وغيره ، إذا دلَّ على سجيةٍ مرحٍ أو ذمٍّ))<sup>(٢)</sup>. حال كونه غير مضاعف ولا معتل اللام<sup>(٣)</sup>.

فوزن (فعلاء) يدل على السجاي ما كان منها غريزة أو كالغريزة وذلك، لأنه جمع لـ (فَعِيل)، و (فَعِيل) صيغة تدل على السجاي والطباع. يرى الدكتور "فاضل السامرائي" أن صيغة (فعلاء) تدل على الصفات المعنوية<sup>(٤)</sup>. جاء هذا البناء (فعلاء) في سياق آيات الصفات لفظ (سُفهاء)، كما في الجدول الآتي :

(١) ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية ١٠٣، ودقائق العربية ١٧.

(٢) شرح الرضي على الشافية ١٥٧/٢-١٥٨، وينظر : همع الهوامع ١٧٨/٢.

(٣) ينظر : شرح التصريح ٣١٢/٢، والمهذب في علم التصريف ١٩٦-١٩٧، وجمع التفسير في لسان العرب ٦٢.

(٤) ينظر : معاني الأبنية ١٦٥-١٦٩.



التسلسل	اللفظ	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها		
			مكية	رقم الآية	مدنية
١.	سَفَهَاء	٢	الأعراف	١٥٥	البقرة
				رقم الآية	١٤٢

وأصل السّفه في كلام العرب : الخفّه والطيش، ويُطلق على خفّة العقل، والسّفية: الجاهل خفيف العقل، ضعيف الرأي قليل المعرفة بالمنافع والمضار<sup>(١)</sup>.  
 قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ ﴾ [البقرة/١٤٢]، أي : الذين خفّت أحلامهم، وامتهنوها بالتقليد فقالوا ما قالوا بغير دليل متبعين أهواءهم<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر في مادة (سَفِه) : مقاييس اللغة ٣/٧٩-٨٠، ومختار الصحاح ٣٠١، ولسان العرب

٢٠٣/٧-٢٠٤، والمصباح المنير ١/١٠٦، والقاموس المحيط ٢٨٥.

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢/١٠٠، وأنوار التنزيل ١/٩٦، وتفسير المنار ٢/٣-٤.

## المبحث الثاني في أبنية الأفعال

أوردت كتب اللغة والنحو تعريفات عدة للفعل منها ما جاء في كتاب سيبويه :  
(فأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبُينت لما مضى، ولما يكون ولم  
يقع وما هو كائن لم ينقطع..)(١).

ويعرفه من جاء بعده من العلماء بأنه : كل كلمة دلت على معنى في نفسها  
مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة(٢). وهذا يعني أن الفعل ماهو إلا وسيلة تربط الذات بالحدث،  
أما الزمن فهو قياس لحركة الذات الفاعلة من جهة الحدث(٣).

نال الفعل عناية كبيرة في كتب المحدثين(٤) من حيث بناؤه الصرفي ودلالاته  
المطلقة أو السياقية ووضعت له دلالات، أو اقترنت ببنيته الصرفية، وهي الماضي  
والمضارع والأمر، وتباينت هذه الدلالات بحسب القرائن السياقية.

وفي سياق آيات الصفات كان الفعل دلالة مهمة في خلق سمات مميزة للنص لما  
يقتضيه من دلالة على تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء واستمراره.

اختلف علماء العربية في القول بأصالة الفعل واشتقاق المصدر منه، كما اختلفوا  
في بيان أصالة بناء المبني للمفعول (مالم يسم فاعله)(٥).

يرى البحث أن مثل هذه الخلافات لا أثر لها في الاستعمال ولا جدوى من  
عرضها هنا.

قسم اللغويون الفعل بحسب أصول بنائه إلى : مجرد ومزید، وعلى هذا  
الأساس ستكون دراسة أبنية الأفعال على النحو التالي :

(١) الكتاب ١/١٢.

(٢) ينظر : الإيضاح في علل النحو، الزجاجي ٣٥٢، والمرتل، ابن الخشاب ١٤، وأسرار العربية  
١١، وشرح شذور الذهب ١٤، وشرح جمل الزجاجي ٩٥/١، وشرح الحدود النحوية ٤٨.

(٣) ينظر : دلالة الأساق البنائية في التراكيب القرآنية ١٠٨.

(٤) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه ١٠٠-١٠١، والفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي ١٥-  
٢٣، والدلالة الزمنية في الجملة العربية، علي جابر المنصوري ٤٣-٤٥، ومعجم الجملة القرآنية  
"الدلالة الزمنية للأفعال" طالب الزوبعي ٢/٤-٥.

(٥) ينظر : المرتجل، ابن الخشاب ١١٩، وشرح المراح ١١١ وما بعدها، وقواعد النحو، سناء  
البياتي ٧٧-٧٩.

### أولاً : أبنية الفعل الثلاثي المجرد

الفعل المجرد هو : ما كانت جميع حروفه أصلية لا يسقط حرف منها في تصاريف الكلمة بغير علة<sup>(١)</sup>.

يرى الصرفيون أن الفعل المجرد ثلاثي، ورباعي لا غير<sup>(٢)</sup>. فلم يبين من الفعل خماسي لثقله في النطق بما يلحقه من حروف المضارعة، وضماير الرفع التي هي كالجاء من الكلمة<sup>(٣)</sup>، فأكثر أفعال العربية ثلاثية، قال ابن جني : ((فأكثرها استعمالاً، وأعدلها تركيباً، الثلاثي، وذلك ؛ لأنه حرف يبتدأ به، وحرف يحشى به، وحرف يوقف عليه))<sup>(٤)</sup>، وهذا يعني وجود توازن في الصيغة الثلاثية يكون سبباً في تيسير النطق بها، ويضمن إدراك المخاطب لها بوضوح، وربما في خفة الأفعال وقلة حركاتها ما يفسر السعة في استغلال اللغة لتقاليب الأصول الثلاثية<sup>(٥)</sup>.

قسم أغلب الصرفيين الأفعال الثلاثية المجردة على أساس حركة العين في الماضي والمضارع، فكانت على ستة أبواب ، هي : (فعل - يفعل)، و (فعل - يفعل)، و (فعل - يفعل) و (فعل - يفعل)، و (فعل - يفعل)، و (فعل - يفعل)، وتتفاوت هذه الأبواب في الاستعمال اللغوي فبعضها أكثر استعمالاً من بعض.

وأضاف إلى هذه الأبواب بعض الصرفيين صيغة المبني للمجهول (فعل)<sup>(٦)</sup>، وتتبع باحث معاصر آراء الصرفيين من قدماء ومحدثين فلم يجدهم قد اتفقوا على ترتيب الأبواب<sup>(٧)</sup>. وفي سياق آيات الصفات لم يرد ضمن الشواهد القرآنية الفعل المجرد الرباعي، لذا ارتأى البحث دراسة الأفعال الثلاثية المجردة في آيات الصفات على وفق التسلسل الذي ورد عند القدماء وسار عليه المحدثون<sup>(٨)</sup>، فلا يترتب على الاختلاف في تسلسل الأبواب أثر ذو قيمة علمية.

(١) ينظر : شرح الرضي على الشافية ٦٧/١، وهمع الهوامع ٢١٣/٢، وشذا العرف ٢٩، والصرف ٤٧.  
(٢) ينظر : المنصف ١٨/١، وشرح المفصل ١٥٢/٧، وشرح التسهيل ٢٩٢/٣ وما بعدها وفتح الحى القيوم ٣٣، وشذا العرف ٢٩.  
(٣) ينظر : المنصف ١٨/١.  
(٤) الخصائص ٥٥/١ وينظر : مدخل إلى دراسة الصرف العربي ٤٢.  
(٥) ينظر : المزهري ٧٥/١-٧٦، والصيغ الثلاثية "مجردة" ومزينة ، اشتقاقاً ودلالة، ناصر حسين علي (م/ر) ٨٢.  
(٦) ينظر : شرح ابن عقيل ٤٥٣-٤٥٦، والمزهري ٣٧/٢، وقواعد النحو ٧٧.  
(٧) ينظر : أبواب الفعل الثلاثي "دراسة صرفية - صوتية" ، حيدر كريم السويدي (م/ر) ٣٦.  
(٨) ينظر : أوزان الفعل ومعانيها ٢١، والمهذب في علم التصريف ٥٧.

ضُمَّتِ الشواهد القرآنية أفعالاً جاءت على هذه الأبواب نتناولها بعد الإشارة إلى البناء الذي وردت عليه :

١- **فَعَلَ** : (بفتح الفاء والعين وعين مضارعه مثلثة) أي : (يفعل، ويفعل، ويفعل).  
يرى الصرفيون أن بناء (فَعَلَ) أُسْتُعْمِلَ لمعانٍ كثيرة لا تُحصى وذلك لخفته فلا يوجد هنالك معنى يغلب استخدام هذا البناء في التعبير<sup>(١)</sup> :

أ- (**فَعَلَ - يَفْعُلُ**) : ومن الأفعال الثلاثية المجردة التي وردت في سياق آيات الصفات ما هو مفصّل في الجدول الآتي :

التمثيل	الفعل المجرد	عدد مرات وروده	بناء الماضي	السورة التي ورد فيها				بناء المضارع	السورة التي ورد فيها				بناء الأمر	السورة التي ورد فيها	
				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية		مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية		مكية	رقم الآية
١	قَتَلَ	١٤	٣	—	—	البقرة	٧٢	١٠	الأعراف	٧٥	البقرة	٦١، ٨٥، ٨٧، ٩١	١	يوسف	٩
						آل عمران	١٨٣		يوسف	١٠	آل عمران	٢١، ٢١، ١١٢			
						النساء	١٥٧				المائدة	٧٠			
٢	كَفَرَ	١٤	٤	مريم	٣٧	البقرة	٨٩	١٠	—	—	البقرة	٦١، ٨٥، ٩٠			
				—	—	المائدة	١٢		—	—	—	٩١، ٩٩			
				—	—	الأنفال	٥٥		—	—	آل عمران	١٩، ٢١، ٧٠			
				—	—	—	—		—	—	—	٩٨، ١١٢			
٣	كَتَمَ	٨	—	—	—	—	—	٨	—	—	البقرة	٢، ٧٢، ١٥٩، ١٧٤	—	—	—
				—	—	—	—		—	—	آل عمران	٧١، ١٨٧			
				—	—	—	—		—	—	النساء	٣٧			
				—	—	—	—		—	—	المائدة	٦١			
٤	تَلَا	٤	—	—	—	—	—	٤	—	—	البقرة	٤٤، ١١٣، ١٢١	—	—	—
				—	—	—	—		—	—	آل عمران	١١٣			

(١) ينظر : الكتاب، ٥/٤ وما بعدها، وشرح الرضي على الشافية ٦٧/١، وأوزان الفعل ومعانيها

٢٢-٢٩، وعمدة الصرف ١٦-١٧، وأبنية الأفعال المجردة في القرآن الكريم ومعانيها، أحلام

ماهر محمد (ر/م).

من الشواهد التي وردت في سياق آيات الصفات الفعلُ (عَتَا) مسنداً إلى الجماعة في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قَالُوا لَهُمْ كُفُّوا أَعْيُنَكُمْ عَنْ أَنْ يُرَىٰ إِلَيْكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ﴾ [الأعراف ١٦٦].

الْعُتُوُّ : أصل يدلُّ على استكبار وتجاوز الحد<sup>(١)</sup>، والعُتُوُّ : شدة فيها تمرد<sup>(٢)</sup>. وقد تضمن الفعل معنى الاعراض، لذا عُدِّيَ بحرف الجر (عن).

(١) ينظر في مادة (عَوَّ) : العين ٢٦٦/٤، ومقاييس اللغة ٢٢٥/٤، والمفردات ٣٨٢ ومختار الصحاح ٤١٢ ولسان العرب ٣٢/١٠.

(٢) ينظر : النكت في إعجاز القرآن ٥٠.

فهؤلاء اليهود قد تجاوزوا في معصية الله، واستكبروا عن ترك ما نهوا عنه، وأبوا عن امتثال ما أمروا به<sup>(١)</sup>. وقيل : ((إذا انتهت مدة الإمهال فليس بعده إلا حقيقة الاستئصال، وإذا سقط العبد من عين الله لم ينتعش بعده أبداً))<sup>(٢)</sup>.

أضاف اختيار الفعل (عَتَا) وإسناده للجماعة قوة تعبيرية لسياق الآية، لما في اللفظ من جرس قوي ونبرة شديدة يوحي بها تناسق أصواتها، لذا فإن القرآن الكريم لم يستعمل هذه اللفظة إلا لتكون صفة للأقوام الذين بلغوا غاية الاستكبار وأعلى مراحل الكفر.

والملاحظ على الفعل الناقص (عَتَا) ونظائره من وجهة نظر الدرس الصرفي القديم أنه قد أصابه إعلال بالقلب في موضع اللام، فتحوّلت ألفاً، والذي سهل هذا القلب تحرك الواو وانفتاح ما قبلها<sup>(٣)</sup>. هروباً من الثقل إلى الخفة في اجتماع الأمثال من الحركات<sup>(٤)</sup>.

كما هو موضح في المخطط : عَتَا (ونظائرها) ← عَتَا

ومن وجهة نظر علم الأصوات الحديث : أن لام الناقص التي أصابها الاعتلال لم تتقلب (ألفاً) لتحركها وانفتاح ما قبلها، وإنما أسقطت؛ لأنها العنصر الذي سبب الأزواج في المقطع ذي الحركة المزدوجة "و"، "u" الذي لا يألفه النظام المقطعي العربي، إي أن المقطع الأخير سوف يكون غريب عن نسج اللغة، فالواو في الفعل ضمن حركة ثلاثية ثقيلة - كما يظهر من التحليل - وبعد سقوط العنصر المسبب للأزواج الحركي "u" صارت الكلمة تتكون من مقطعين بعد إطالة الحركتين المتتاليتين عوضاً عن العنصر الساقط<sup>(٥)</sup>، ع - ت - و - / ع - ت -

(١) ينظر : الكشف ١٢٧/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٩٦/٢، وأنوار التنزيل ٣٦٦/١، واللباب في علوم الكتاب ٣٦٥/٩.

(٢) لطائف الإشارات ٣٦.

(٣) ينظر : المنصف ٢٧٤/١، وشرح المفصل ٦٨/١٠، وشرح الرضي على الشافية ٩٥/٣، والممتع في التصريف ٢٣٤/٢، وشرح ابن عقيل ٥٢٠/٢.

(٤) ينظر : سر صناعة الاعراب ٢٢/١، وشرح المفصل ١٦/٨، والممتع في التصريف ٤٣٨/٢.

(٥) ينظر : المنهج الصوتي ٨٦-٨٧، ودروس في علم أصوات العربية ١٦٦.

وعند إسناد الفعل (عَتَا) إلى واو الجماعة حصل فيه إعلال بالحذف، فإنَّ لامه تحذف ويسكن الضمير ويفتح ما قبله دليلاً على لام الفعل المحذوفه<sup>(١)</sup>.  
وفسر التحليل الصوتي المعاصر ما أصاب الفعل الماضي الناقص المسند إلى واو الجماعة تفسيراً آخر، فالفعل قبل الإسناد ينتهي بفتحة طويلة — كما ذكرنا — فحين أسند إليه ضمير الجماعة الحركي، وهو أيضاً ضمة طويلة، اجتمعت حركتان طويلتان تكررهما العربية في نسيجها المقطعي (عَتَاوا) فتعمل على اختصار أولاهما ثم يتم الإنزلاق بين الحركة المختصرة وضمير الجماعة الحركي، فالفتحة التي قبل الضمير ليست دليلاً على اللام المحذوفة، كما يرى القدماء، وإنما هي حركة (عين الفعل) طالت بعد أن سقط العنصر الثاني من المزدوج فهي نصف ألف<sup>(٢)</sup>.

عَتَا + وا ← عَتَاوا ← عَتَوْا

ب- (فَعَلَ - يَفْعَلُ) : ومن الأفعال التي ضمتها آيات الصفات ما هو مفصل في الجدول الآتي :

التسلسل	الفعل المجرد	عدد مرات وروده	بناء الماضي	السورة التي ورد فيها				بناء المضارع	السورة التي ورد فيها			
				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية		مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية
١.	ظَلَمَ	٧	٤	الأعراف	١٦٥	البقرة	٥٤، ٥٩، ٥٩٤	٣	الأعراف	١٦٠، ١٦٢	البقرة	٥٧
٢.	عَصَى	٥	٥			البقرة	٦١، ٩٣					
						آل عمران	١١٢					
						النساء	٤٦					
						المائدة	٧٨					

(١) ينظر : المنصف ١٢٥/٢-١٢٦، وشذا العرف ٦٦.

(٢) ينظر : المنهج الصوتي ٨٨-٨٩.

٣.	ضَلَّ	٤	٤	الأعراف طه	١٤٩ ٩٢	المائدة	١٢،٧٧				
٤.	نَبَذَ	٣	٣			البقرة	١٠٠،١٠١ ١٨٧				
٥.	خَرَّ	٣	١	مريم	٥٨			٢	الإسراء	١٠٧ ١٠٩	
٦.	لَبَسَ	٢	—					٢		البقرة ٤٢ آل عمران ٧١	
٧.	هَدَى	٢	—					٢	الأعراف السجدة	١٥٩ ٢٤	
٨.	بَكَى	٢	—					٢	الإسراء يوسف	١٠٩ ١٦	
٩.	لَوَّى	١	—					١		آل عمران ٧٨	
١٠.	عَدَلَ	١	—					١	الأعراف	١٥٩	
١١.	أَفَّاكَ	١	—					١		التوبة ٣٠	
١٢.	كَنَزَ	١	—					١		التوبة ٣٤	
١٣.	بَغَى	١	١	القصص	٧٦						
١٤.	زَيَّغَ	١	١			الصف	٥				
١٥.	كَيَّدَ	—	—	—	—	—	—	١	يوسف	٥	

ومن الشواهد في سياق آيات الصفات الفعل (لَبَسَ) كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ  
الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران/٧١].  
وقد ضُمِّنَ الفعل (تَلْبِسُونَ) معنى تَخْلُطُونَ وتمزجون، فسبحانه وتعالى أنكر  
عليهم خلطُ الباطل حتى لا يتميز منه، وقرئَ بتشديد الباء المكسورة وضمَّ أوله للمبالغة  
(تَلْبِسُونَ)<sup>(١)</sup>.

(١) هذه قراءة "أبي مجلز"، ينظر الكشف ٣٧٢/١، والبحر المحيط ٢٠٧/٣ والعنوان ٦٩ ومعجم  
القرءات ٥١٧/١.

إنَّ الأصل الثلاثي لـ (ل-ب-س) ورد من بابين وهما : (لَبَسَ يَلْبَسُ)، (لَبِسَ يَلْبَسُ) ويدلُّ على عموم الملابس والمداخلة والمخالطة، لَبَسَ عليه الأمر يَلْبَسُهُ لَبْسًا، إذا خلطه عليه حتى لا يعرف جهته، واللَّبْسُ : خلطُ الأمور واشتباها بعضها ببعض.

و (لَبِسَ يَلْبَسُ) من اللباس، وهو ما ورايت به جسدك من الثياب<sup>(١)</sup>. قال "الراغب": وأصل اللبس : ستر الشيء وتغطيته<sup>(٢)</sup>. وقد قيل هذا في معنى الآية أيضًا<sup>(٣)</sup>، وهذا اللبس هو مبدأ التضليل والإلحاد الذي يمارسه اليهود.

والذي يبدو أنَّ الفعل (لَبَسَ يَلْبَسُ) من الباب الثاني جاء معبراً عن دلالة الخلط والملابس في الأمور المعنوية، وأما مجيؤه من الباب الرابع (لَبِسَ- يَلْبَسُ) للدلالة على الملابس في الأمور المادية.

ج- (فعل-يفعل) : ورد ما يقابل هذا البناء في آيات الصفات ما هو مفصل في الجدول الآتي:

التسلسل	الفعل المجرد	عدد مرات ورود	بناء الماضي	السورة التي ورد فيها				بناء المضارع	السورة التي ورد فيها			
				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية		مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية
١.	لَعَنَ	١١	٧			البقرة	٨٨	٤			البقرة	١٥٩، ١٥٩
						النساء	٤٦، ٤٧				النساء	٤٧، ٥٢
						المائدة	٥٢					
							٥١، ٦٣					
							٦٠،					
٢.	نَهَى	٢						٢	الأعراف	١٦٥	آل عمران	١١٤
٣.	طَغَى	١						١	طه	٨١		

(١) ينظر في مادة (لَبَسَ) : العين ٢٦٢/٧، وإصلاح المنطق ١١، ومقاييس اللغة ٢٣٠/٥ وأساس

البلاغة ٧٤٩-٧٥٠، والمفردات ٦٧٤، ومختار الصحاح ٥٩٠ ولسان العرب ١٦١/١٣-١٦٢

ونزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي ٥٢٨، وتاج العروس ٣٣٨/٤-٣٣٩.

(٢) ينظر : المفردات ٧٣٤-٧٣٥.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٣٢/١-٢٣٣ في تفسير آية البقرة ٤٢.

٢- (فَعِلٌ-يَفْعُلُ) : (بفتح الفاء وكسر العين وعين مضارعه مفتوحة)، لقد حَصَرَ الصرفيون كلاً من الباب الرابع (فَعِلٌ-يَفْعُلُ) والباب الخامس (فَعْلٌ-يَفْعَلُ) بما يدلّان عليه من معانٍ، فتحدّث "سيبويه" عن معاني (فَعِلٌ) ذاكراً كثيراً منها<sup>(١)</sup>، وحصرَ الصرفيون من بعده هذه المعاني، فذكروا أنه يغلب وصفه للعلل والأدواء والأحزان وأضدادهما. والنعوت الملازمة والألوان، وكُبر الأعضاء والحلية (الصفة أو الخَلْقة)<sup>(٢)</sup>.

واستدرك بعض الباحثين كثيراً من معاني (فَعِلٌ) ممّا لم يذكره الصرفيون القدماء<sup>(٣)</sup>.

وفي سياق آيات الصفات جاء من الأفعال ما يقابل هذا البناء كما في الجدول الآتي :

التسلسل	الفعل المجرد	عدد مرات وروده	بناء الماضي	السورة التي ورد فيها				بناء المضارع	السورة التي ورد فيها			
				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية		مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية
١.	وَدَّ	٥	٣	—	—	البقرة	١٠٩	—	—	—	البقرة	٩٦، ١٠٥
٢.	بَخِلَ	٣	١	—	—	آل عمران	١٨٠	٢	—	—	آل عمران النساء	١٨٠ ٣٧
٣.	فَرِحَ	٣	—	—	—	—	—	٣	القصص	٧٦	آل عمران	١٢٠، ١٨٨
٤.	نَسِيَ	٢	٢	الأعراف	١٦٥	البقرة	٤٤	—	—	—	—	—
٥.	عَثَا	١	—	—	—	—	—	١	—	—	البقرة	٦٠
٦.	غَضِبَ	١	١	—	—	المائدة	٦٠	—	—	—	—	—
٧.	لَعِبَ	١	—	—	—	—	—	١	الأنعام	١	—	—
٨.	جَهِلَ	١	—	—	—	—	—	١	الأعراف	١٣٨	—	—

(١) ينظر : الكتاب ٤/١٦-٣٧، وينظر : أبنية الصرف ٣٨٤-٣٨٥.

(٢) ينظر : شرح المفصل ١٥٧/٧، وشرح الرضي على الشافية ٧٢/١، وارتشاف الضرب ٧٦/١-٨١، وشذا العرف ٣١، وعمدة الصرف ١٧-١٩.

(٣) ينظر : أوزان الفعل ومعانيها ٢٨٩-٢٩٣، والأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس ، صباح عباس السالم (ط/د)، ٢٩٧-٢٩٨.

ومما يُقابل هذا البناء الفعل (عَثِيَ - يَعَثِي) في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة/٦٠].

و (لا تعثوا) أي : لا تفسدوا ، يقال عَثِيَ في الأرض فساداً إذا نشر فيها الفساد، وأثار الخبث فهو أخص من مطلق الفساد<sup>(١)</sup>.

إن (عَثِيَ-يعَثِي) هي اللغة العالية التي نزل بها القرآن - وهو ما اتفق عليه القراء، وهناك لغتان أخريان لم يُقرأ بهما، هما : (عَثَا - يَعَثُو)، و (عاث - يعيث)<sup>(٢)</sup>.

وقد فرق الراغب الأصفهاني بين (عَثِيَ - يعَثِي) واللغات الأخرى جاعلاً هذا البناء فيما يُدرك حكماً أي كونه معنوياً<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن هذا البناء هو الأنسب لدلالته على ملازمة صفة الفساد لهم ومداومتهم عليها. يلحظ في قوله تعالى : ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي : عامة الأرض؛ لأن من أفسد في شيء منها فقد أفسد فيها كلها<sup>(٤)</sup>.

أما بالنسبة إلى أفعال الباب الخامس (فَعَلَ - يَفْعُل)، والباب السادس (فَعَلَ - يَفْعِل) فلم يرد منها شيء معبراً عن صفات بني إسرائيل.

### ثانياً : أَيْبَةُ الْأَنْعَالِ الثَّلَاثِيَّةُ الْمَزِيدَةُ

تعني الزيادة في المصطلح الصرفي : إلحاق الكلمة ما ليس فيها<sup>(٥)</sup>، ويكون ذلك بإضافة حرف من الحروف على أصل الكلمة فتؤدي الزيادة في الحروف إلى زيادة في بنائها، ومن ثم إلى زيادة في معناها.

وأما الغرض من الزيادة، فهو : إما معنوي ، فيراد منها الحصول على معانٍ جديدة إذ إن الزيادة في الكلمة تؤدي - غالباً - معنىً جديداً لها لم يكن موجوداً في بنية الفعل المجرد قبل ذلك، فتكون بذلك عاملاً مهماً في نماء اللغة العربية.

وإما لفظي : فيراد منه الإلحاق وهو التوسع في اللغة؛ إذ قد يكون الغرض من الزيادة زيادة حروف الكلمة الثلاثية البناء، وإلحاقها بالبناء الرباعي.

(١) ينظر في مادة (عَثَا) و (عَيْث) : جمهرة اللغة ١/٤٢٨، ٣/٢٥٤، مقاييس اللغة ٤/١٩٠، ٢٣٠ ومختار الصحاح ٤١٢، ٤٦٤، ولسان العرب ٢/٤٧٦، ١٠/٣٧.

(٢) ينظر : مجاز القرآن ١/٤١، والكشاف ١/٢٨٤، الجامع لأحكام القرآن ١/٢٨٦. ومعجم القراءات ١/١١٠.

(٣) ينظر : المفردات ٣٢٢.

(٤) ينظر : نظم الدرر ١/٤١٠.

(٥) ينظر : شرح المفصل ٧/١٥٤، وأوزان الفعل ومعانيها ٥١.

فإن لم تعد الزيادة معنىً جديداً، ولم تكن للإلحاق، كانت لتوكيد المعنى والمبالغة فيه،<sup>(١)</sup> وللزيادة في بنية الفعل طريقان :

**أحدهما** : تضعيف أصل من أصول الكلمة نفسها، كتكرير عين الفعل كـ(حرف..).

**والآخر** : زيادة أحرف معينة، وقد تكون حرفاً أو حرفين، أو ثلاثة.

ارتأى البحث دراسة الأفعال المزيدة في آيات الصفات على أساس عدد أحرف الزيادة، وتمّ على أساس ترتيب أبنيتها في جدول للأفعال التي وردت على كل بناء :

**أ- الأفعال الثلاثية المزيدة بحرف واحد**

**١- أفعل مضارعه يفعل** : يطرد حذف الهمزة في بناء (أفعل) عند صياغة الفعل المضارع منه، وقد نقل "سيبويه" عن "الخليل" أن من القياس ثبوتها، لكن العرب حذفها استتقلاً لاجتماعها مع الهمزة الثانية عند إسناد الفعل المضارع إلى المتكلم<sup>(٢)</sup>، وفي ما يأتي جدول بالأفعال التي وردت على هذا البناء:

التسلسل	الفعل المزيد بحرف	عدد مرات وروده	بناء الماضي	السورة التي ورد فيها				بناء المضارع	السورة التي ورد فيها				بناء الأمر	السورة التي ورد فيها	
				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية		مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية		مكية	رقم الآية
١	آمن	٢٢	١٠	الأعراف	١٠٧	البقرة	٧٦، ١٠٢، ١٠٣، ١٣٦، ١٣٧، ٢٤٩	٩	١١٠، ١١٩	آل عمران	٥٥، ١٥٢	النساء	٣	البقرة	٤١، ٩١، ٧٢
							٤١، ٦٥		٢٥	الأنفال	٢٩	التوبة		١١٣	آل عمران
									١١٢، ٥١، ١٥٠	النساء					

(١) ينظر : شرح المفصل ١٥٤/٧-١٥٦، وشرح الرضي على الشافية ٨٣/١ وأوزان الفعل ومعانيها ٥١، والمهذب في علم التصريف ٨٩، والصرف ٧٤.

(٢) ينظر : الكتاب ٢٧٩/٤.

٢	أقام	٥	٣	الأعراف	١٧٠	المائدة	٦٦،٦٧					٢	البقرة	٤٣،٨٣
٣	أراد	٥	—					٥						
												٤٤	النساء	
												١٥٠،١٥٠	المائدة	
												٣٢	التوبة	
												٨	الصف	
٤	أتى	٣	—					١	الأعراف	١٥٦				٤٣،٨٣
٥	أخفى	٣	—					٣	الأنعام	٩١	آل عمران	١١٨	المائدة	
												١٥		
٦	أضل	٣	١	طه	٨٥			٢				٦٩،٦٩	البقرة	
٧	آذى	٢	١			الأحزاب	٦٩	١						٥
٨	أوفى	١	١			آل عمران	٧٦							
٩	أحب	١						١			آل عمران	١٨٨		
١٠	أفسد	١	—				—	١	الإسراء	٤		—	—	
١	أضاع	١	١	٥٩				—						
٢	أخرب	١	—					١					الحشر	٢

ومن أبرز المعاني التي أفادتها زيادة الهمزة في بناء (أفعل) : التعدية<sup>(١)</sup>، ومما جاء على هذه الدلالة الأفعال (أقام، أضاع، أتى) مسنداً إلى الجماعة كما في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم/٥٩]. وفي الآية تبكيت وتوبيخ لأهل الكتاب ولغيرهم لأنهاكهم في المعاصي المختلفة والشهوات بأنواعها<sup>(٢)</sup>.

وقد تفيد الزيادة معنى التوكيد والكثرة<sup>(٣)</sup> في الأفعال (أحب، أخفى، أراد، أفسد، أوفى)، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران/١٨٨].

(١) ينظر : شرح المفصل ١٥٩/٧، وشرح الرضي على الشافعية ٨٦/١، وجمع الهوامع ١٦١/٢،

أوزان الفعل ومعانيها ٥٦، وأبنية الفعل ودلالاتها وعلاقاتها ، أبو أوس إبراهيم الشمسان ١٩-٢٠.

(٢) ينظر : نظم الدرر ٢٢٤/١٢، وروح المعاني ١٠٩/١٦.

(٣) ينظر : شرح المفصل ١٥٩/٧، وأوزان الفعل ومعانيها ٦١، ٦٥ وأبنية الفعل ودلالاتها وعلاقاتها ٢١.

وربما تفيد الزيادة أكثر من معنى كما في الفعل (آمن) إذ تفيد معنى الصيرورة<sup>(١)</sup>، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران/١١٠].

والإيمان في اللغة بمعنى التصديق وإظهار الخضوع والقبول، مأخوذ من الأمن<sup>(٢)</sup>، كأن المصدق آمن المصدق من التكذيب والمخالفة، وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث أن الوثائق بالشيء صار ذا أمن منه<sup>(٣)</sup>. الزيادة أفادت معنى الصيرورة، فالفاعل صار صاحب الشيء. وذكر في (آمن) معنى ثانٍ، هو مطاوعة فعل<sup>(٤)</sup>، ومعنى ثالث : هو الجعل<sup>(٥)</sup>.

وقد لا يدلُّ الفعلُ (آمن) دلالتَهُ الحقيقة في بعض الآيات كما في قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾\* [آل عمران/٧٢].

وإنما معناه (أظهروا الإيمان باللسان)<sup>(٦)</sup>، وهذا نوع من لبس الحق بالباطل، وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء/٥٠].

وهذه الآية ذمٌ لليهود، لأنهم قد حصل لهم الأمن بما لا يقع به الأمن<sup>(٧)</sup>، وإنما عبّر بـ (يؤمنون) دون يصدقون، لما فيه من زيادة معنى الأمن، ومن تضمن معنى الإقرار والاعتراف فعدي الفعل بالباء<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر : الكتاب ٦٠/٤-٦١، ديوان الأدب ٣٣٧/٢ وشرح التسهيل ٣٠٥/٣ وما بعدها ، وجمع الهوامع ١٦١/٢، وأوزان الفعل ومعانيها ٥٧-٥٨، وأبنية الفعل ودلالاتها وعلاقاتها ٢١.

(٢) ينظر في مادة (آمن) : تهذيب اللغة ٥١٣/١٥-٥١٤، ومقاييس اللغة ١٣٣/١، ومختار الصحاح ٢٦، ولسان العرب ١٦٣/١١-١٦٤ والقاموس المحيط ١٩٩/٤، وقطف الأزهار ١٧٠/١.

(٣) ينظر : البحر المحيط ٦٥/١، أنوار التنزيل ١٧/١، وروح المعاني ١١٠/١.

(٤) ينظر : مجمع البيان ٤١٢/٤، والتفسير الكبير ٢٣٢/٢.

(٥) ينظر : مجمع البيان ٣٦/١، والبحر المحيط ٣٨/١.

ينظر : سورة البقرة/٧٦، وآل عمران ١١٩.

(٧) ينظر : النهر المادّ ٣٤٠/١.

(٨) ينظر : المفردات ٢٦، وقطف الأزهار ١٧٠/١.

(٩) ينظر : التفسير الكبير ٢٢/٢-٢٣، وقطف الأزهار ١٧١/١.

وقد يأتي الفعل (آمن) بما يحمله من قرائن دلالية وسياقية سواء لفظية كانت أم معنوية لإرادة معنى السلب والإزالة<sup>(١)</sup> كما في قوله تعالى : ﴿أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة/١٠٠].

٢- **فَعْلٌ مضارعه يُفَعِّلُ** : والأفعال التي جاءت في سياق آيات الصفات ماهو مفصل في الجدول الآتي :

التسلسل	الفعل المعزى	عدد مرات وروده	بناء الماضي	السورة التي ورد فيها				بناء المضارع	السورة التي ورد فيها			
				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية		مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية
١.	كَذَبَ	٥	٥	الأنعام	١٤٧	البقرة	٨٧	—	الأعراف	١٤٦	آل عمران	١٨٤
						الجمعة	٥					
٢.	حَرَفَ	٣	—					٣			البقرة	٧٥
											النساء	٤٦
											المائدة	١٣،٤١
٣.	حَرَّمَ	٣	٢	الأنعام	١٤٦	النساء	١٥٩	١			التوبة	٢٩
٤.	فَرَّقَ	٣	—					٣			البقرة	١٠٢
											آل عمران	١٠٥
											النساء	١٥٠
٥.	بَدَّلَ	٢	٢	الأعراف	١٦٢	البقرة	٥٩	—				
٦.	عَمَّرَ	٢						٢			البقرة	٩٦،٩٦

(١) ينظر : شرح الرضي على الشافية ٩١/١، وأوزان الفعل ومعانيها ٩١، وأبنية الفعل ودلالاتها وعلاقاتها ٢٤.

٧.	قطع	٢	٢	الأعراف	١٦٠ ١٦٨	—				
٨.	وَلَّى	١				١		آل عمران	١١١	
٩.	زَكَّى	١				١		النساء	٤٩	
١٠.	مَسَّكَ	١				١	الأعراف	١٧٠		

أفادَ تضعيف عين الفعل في سياق آيات الصفات دلالاتٍ معينة وظفها الخطاب القرآني في سياقات نظمه البديع، ومن هذه الدلالات تكثير الفعل والمبالغة فيه<sup>(١)</sup>، وهو أشهر معاني (فعل)، يذهب "ابن جني" إلى أن هناك ارتباطاً بين دلالة الصيغة على التكرار والتكثير فيقول في صيغة (فعل) : ((إِنَّمَا تُخْبِرُ أَنَّ هَذَا فَعْلٌ وَقَعَ مِنْكَ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ عَلَى تَطَاوُلِ الزَّمَانِ))<sup>(٢)</sup>، ومنه يفهم معنى التدرج كما في الأفعال : (حَرَّمَ، حَرَّفَ، قَطَعَ، عَمَّرَ، زَكَّى، مَسَّكَ).

وقد تفيد صيغة (فعل) معنى النسبة، أي : نسبة المفعول إلى أصل الفعل<sup>(٣)</sup>، وأفادت الزيادة هذا المعنى في فعل واحد هو (كذَّبَ) ، أي : نسبه إلى الكذب. جاء في معاني القرآن "للفراء" : العرب تقول : كَذَّبْتُ الرَّجُلَ -بِالتشديد- إذا نُسِبَ الكذبُ إليه، وأكذبتَه ، إذا نسبت الكذبَ إلى ما جاء به دون أن تنسبه إليه<sup>(٤)</sup>. قال تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة/٨٧].

وقد تكون لأحد الأفعال المزيدة بحرف قراءتان، فيكون الفعل في إحداها مزيداً بتضعيف العين (فعل)، ويكون في الأخرى مزيداً بالهمزة في أوله على بناء (أفعل).

(١) ينظر : الكتاب ٦٣/٤-٦٤ وأدب الكاتب ٣٠٠-٣٠١، وفقه اللغة وسر العربية ٤٠٩، وشرح

المفصل ١٥٩/٧، وشرح التسهيل ٣٠٧/٣-٣٠٨ وشرح الرضي على الشافية ٩٢/١-٩٣، وجمع

الهوامع ١٦١/٢، وأبنية الفعل ودلالاتها وعلاقاتها ٢٦.

(٢) المنصف ٩١/١، ورسالة في الصرف ١٨٣، وأوزان الفعل ومعانيها ٧٤.

(٣) ينظر : الكتاب ٥٨/٤-٥٩ وأدب الكاتب ٤٨٩-٤٩٠ والمنصف ٩١/١، وديوان الأدب ٣٨١/٢،

وشذا العرف ٤١، وأوزان الفعل ومعانيها ٧٦، وأبنية الفعل ودلالاتها وعلاقاتها ٣٠.

(٤) ينظر : معاني القرآن، الفراء ٣٣١/١.

أشار "سيبويه" إلى أن هذين البناءين قد يتفقان في المعنى، وقد يختلفان مثل :  
خبرت وأخبرت .. وقد يجيئان مفترقين مثل علّمته وأعلّمته<sup>(١)</sup>.

ومما جاء في سياق آيات الصفات الفعل (مسك) في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ  
يُمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾\* [الأعراف/١٧٠]،  
قرئ : يمسكون" بتخفيف السين أي : أن قراءة التشديد من (مسك) وقراءة التخفيف من  
أمسك وإمساك الشيء التعلق به وحفظه، يقال : مسك بالشيء، وأمسك به وتمسك  
وتماسك واستمسك بمعنى احتبس واعتصم<sup>(٢)</sup>.

والمعنى : أنهم يأخذون بما في كتاب الله العزيز ولم يحرفوه فادى هذا إلى  
الأيمان بالقرآن الكريم<sup>(٤)</sup>. أشار "الفراء" إلى قراءتي التشديد والتخفيف<sup>(٥)</sup>. وذكر "النحاس"  
أن العرب تقول مسكت وأمسكته<sup>(٦)</sup>، يلحظ من أقوال العلماء أن (يُمسكون) من (مسك)  
المضعف العين و (يُمسكون) من (أمسك) المزيد بالهمزة معناها واحد بيد أن السياق  
الذي انتظمت فيه اللفظة يوحي بأن التشديد هو المراد، لما في صيغة (فعل) من إرادة  
المداومة على الفعل وتكثيره والمبالغة فيه، والإيمان بكتاب الله تعالى والحكم بما جاء  
فيه يتطلب مثل هذه المداومة والملازمة له، وعلى ذلك يكون التشديد هو الأنسب؛ لأن  
فيها معنى التكرار والتكثير، فضلاً عن كونه يلائم قراءة المصحف الشريف، يبدو أنه لا  
غربة في صيغة التضعيف من حيث الدلالة، ولكن استعمالها يندرس اليوم على العكس  
من صيغة الخفيف .

وفضلاً عن دلالة الكثرة والمبالغة، قد تفيد الزيادة دلالة التكلف في العمل، كما  
في الفعل (فرّق) بصيغة المضارع في قوله تعالى : ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ  
وَرُسُلِهِ﴾[النساء/١٥٠] للتعبير عن شدة الرغبة والتكلف في التفريق بين الله ﷻ ورسوله

(١) ينظر : الكتاب ٤/٦٢، ٥٥.

\* وينظر أيضاً : الحشر/٢.

(٢) ينظر : في مادة (مسك) : المفردات ٧١١، ومختار الصحاح ٦٢٤، ولسان العرب ١٤/٧٤-٧٥،  
والقاموس المحيط ٣/٣١٩.

(٤) ينظر : التفسير الكبير ١٥/٣٧، والجامع لأحكام القرآن ٧/١٩٩، وتفسير المنار ٩/٣٢٠.

(٥) ينظر : معاني القرآن، الفراء ١/٣٩٩.

(٦) ينظر : إعراب القرآن، النحاس ١/٦٤٩، ومجمع البيان ٤/٤٩٥-٤٩٦.

وَلِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ بِاسْتِعْمَالِ السَّحَرِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة/١٠٢].

٣- فاعل مضارعه يُفَاعِلُ : في ما يأتي الأفعال التي وردت على هذا البناء في الجدول الآتي:

التسلسل	الفعل المزيد	عدد مرات وروده	بناء الماضي	السورة التي ورد فيها				بناء المضارع	السورة التي ورد فيها			
				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية		مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية
١.	حَاجَّ	٥	٢			البقرة	٢٠	٣			البقرة	١٣٩
					٦٦	آل عمران	٦٥، ٦٦				آل عمران	٦٥، ٦٦
٢.	قَاتَلَ	٤	—					٤			البقرة	٢٤٦، ٢٤٦
											آل عمران	١١١
٣.	سَارَعَ	٣	—					٣			آل عمران	١١٤
											المائدة	٤١، ٦٢
٤.	شَاقَّ	٢	١			الحشر	٤	١			الحشر	٤

ومن أشهر المعاني التي أفادتها صيغة الثلاثي المزيد بالألف (فاعِل) المشاركة بين الشئيين البادئ بالفعل وهو الفاعل والمقابل هو المفعول<sup>(١)</sup>، وقد تضاف إليها دلالة المبالغة كما في الفعل (شاقَّ) في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر/٤].

(١) ينظر : الكتاب ٦٨/٤، والمنصف ٩٢/١، وديوان الأدب ٣٩٣/٢، وفقه اللغة وسر العربية ٤١٠، وشرح المفصل ١٥٩/٧، والممتنع في التصريف ١٨٨/١، وهمع الهوامع ١٦١/٢، واوزان الفعل ومعانيها ٨٤.

والشقاق : الخلاف والعداوة بين فريقين<sup>(١)</sup>.

ب- الأفعال الثلاثية المزيدة بحرفين

١- **أَفْتَعَلَ**، (الثلاثي المزيد بهمزة وصل وتاء، مضارعه **يَفْتَعِلُ**)، والأفعال الدالة على

صفات بني إسرائيل ما هو مفصل في الجدول الآتي :

السورة التي ورد فيها	رقم الآية	مدنية	بناء الأمر	السورة التي ورد فيها				بناء المضارع	السورة التي ورد فيها				بناء الماضي	عدد مرات ورود	الفعل المزيد	التسلسل
				رقم الآية	مدنية	رقم الآية	مكية		رقم الآية	مدنية	رقم الآية	مكية				
٤١ ٤٨ ١٢٣	البقرة	٣							١٠٣ ٧٦ ٦٥	البقرة آل عمران المائدة	٧١	الأعراف	٤	١٣	١ اتقى	
				٤١،٧٩،١٧٤ ١٧٧،١٨٧ ٤٤ ٤٤	البقرة آل عمران النساء المائدة			٧	٨٦،٩٠ ١٠٢،٧٥ ١٨٧	البقرة آل عمران			٥	١٢	٢ اشترى	
						١٤٦، ١٤٦	الأعراف	٢	٥١ ٩٢ ١٥٣ ٥٧،٥٨ ٣١	البقرة النساء المائدة التوبة	١٥٢ ١٤٨ ١٤٨	الأعراف	٩	١١	٣ اتخذ	

(١) ينظر في مادة (شق) : المفردات ٣٨٧-٣٨٨ ، ومختار الصحاح ٣٤٣ ، ولسان العرب ١١٢/٨ ،

والمصباح المنير ٣١٩/١ .

٤	اعتدى	٦	١		البقرة	٦٥	٥	لأعراف	١٦٣	البقرة	٦١			
										آل عمران	١١٢			
										النساء	١٥٤			
										المائدة	٧٨			
٥	افتري	٥	٣		آل عمران	٩٤	٢			آل عمران	٢٤			
					النساء	٤٨				النساء	٥			
					الصف	٧								
٦	اختلف	٤	٢	مريم	٣٧	البقرة	١٧٦	١		البقرة	١١٣			
					آل عمران	١٩								
٧	اتبع	٣	٢	مريم	٥٩	البقرة	١٠٢	١	لأعراف	١٥٧				
٨	ارتد	١	—					١		المائدة	٢١			

ومن أشهر المعاني التي جاءت عليها صيغة (أفعل) : الإِثْخَاذُ<sup>(١)</sup> كما في قوله تعالى :  
﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة/٣١].

وكذلك يفيد معنى الآية الاجتهاد في تحصيل الفعل<sup>(٢)</sup> كما في الأفعال : (أشترى،  
أفترى، اتقى، واعتدى، اتبع)، قال تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ  
سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا..﴾ [البقرة/١٠٢] فمعنى (اتبع) اعتمل،  
أي : طلب الاتباع وجد فيه، يقال : تبعه واتبعه إذا قفا أثره ومشى خلفه<sup>(٣)</sup>، وفي هذه  
الآية تبكيت لفريق من اليهود وتقريعهم على نبذهم كتاب الله واتباعهم لكتب السحر  
والشعوذة والعمل بهما<sup>(٤)</sup>.

يستعمل الفعل (اتبع) في الشر كما في الآية الكريمة السالفة الذكر وفي الخير كما  
في قوله ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي  
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ..﴾ [الأعراف/١٥٧]، وهذه الدلالة يحددها السياق وقرائنه.

(١) ينظر : فقه اللغة وسر العربية ٤١١، وجمع الهوامع ١٦٢/٢، ورسالة في الصرف ١٨٨، وشذا  
العرف ٤٢.

(٢) ينظر : الكتاب ٧٤/٤.

(٣) ينظر في مادة (تبع) : المفردات ٩٥، ومختار الصحاح ٧٤-٧٥، ولسان العرب ٢١٠/٢-٢١١.

(٤) ينظر : الكشف ٣٠١/١، والجامع لأحكام القرآن ٣٠/٢، وروح المعاني ٥٣٢/١.

ومن معاني (افْتَعَلَ) الأخرى : المبالغة والتكلف في معنى الفعل<sup>(١)</sup> كما في الفعل (ارْتَدَّ) في قوله تعالى : ﴿.. وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة/٢١]، أي: أنهم قد بالغوا في الردّة والارتداد : الرجوع في الطريق الذي جاء منه، والردّة تختص بالكفر، وأما الارتداد فيستعمل فيه وفي غيره<sup>(٢)</sup>.

٢- تفعل (الثلاثي المزيد بتاء وتضعيف العين)، ومضارعه يتفعّل، والأفعال التي جاءت على هذا البناء ماهو مفصل في الجدول الآتي :

التسلسل	الفعل المزيد	عدد مرات وروده	بناء الماضي	السورة التي ورد فيها				بناء المضارع	السورة التي ورد فيها			
				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية		مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية
١.	تولّى	٩	٦			البقرة	٦٤، ٨٣ ٣٧ ٢٤٦	٣			آل عمران المائدة	٢٣ ٤٣، ٨٠
٢.	تعلم	٢						٢			البقرة	١٠٢، ١٠٢
٣.	تكبر	١	—					١	الأعراف	١٤٦		

ومن المعاني التي أفادها بناء (تفعّل) في آيات الصفات : التكلف<sup>(٣)</sup> وهو معاناة الفاعل حتى يحصل له أصل الفعل بتلك المعاناة واستعمل هذا البناء دالاً على هذا

(١) ينظر : همع الهوامع ١٦٢/٢، وأوزان الفعل ومعانيها ٨٩.

(٢) ينظر في مادة (ردد)، المفردات ٢٨٠-٢٨١، ولسان العرب ٦/ ١٣٢-١٣٣، والقاموس المحيط ٢٩٤/١.

(٣) ينظر : الكتاب ٧١/٤، وفقه اللغة وسر العربية ٤١٠، وشرح التسهيل ٣٠٨/٣، وهمع الهوامع ١٦٢/٢، وأوزان الفعل ومعانيها ٩٤.

المعنى في (تولّى، تكبّر) في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ [الأعراف/١٤٦].

والكبر : الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره وأعظم، والتكبر على الله بالامتناع من قبول الحق<sup>(١)</sup>.  
وقد تفيد هذه الصيغة معنى المطاوعة وهي : التأثير وقبول أثر الفعل سواء كان متعدياً أم لازماً، وإنما قيل لمثله مطاوع؛ لأنه لما قبل الأثر فكأنه طاعه ولم يمتنع عليه، فالمطاوع في الحقيقة هو المفعول به الذي صار فاعلاً<sup>(٢)</sup>، ونجد تلك الدلالة في الفعل (يتعلم) في قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ...﴾ [البقرة/١٠٢].

٣- تفاعل (الثلاثي المزيد بتاء وألف، مضارعه يتفاعل). ولم يأت على هذا البناء دالاً على صفات بني إسرائيل إلا إعلانهما (تتاجى)، (تتاهى) المنفي كما هو موضح في الجدول الآتي :-

التسلسل	الفعل المزيد	عدد مرات وروده	بناء الماضي	السورة التي ورد فيها				بناء المضارع	السورة التي ورد فيها			
				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية		مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية
٠١	تتاهى	١	—					١			المائدة	٧٩
	تتاجى	١	—					١			المجادلة	٨

(١) ينظر : في مادة (كبر) : المفردات ٦٣٧، ولسان العرب ١٣/١١-١٢، والقاموس المحيط ١٢٤/٢، وتاج العروس ٣/٥١٤-٥١٥.

(٢) ينظر : المقتضب ٧٨/١، وشرح الرضي على الشافية ١٠٢/١-١٠٤، وجمع الهوامع ١٦٢/٢، والمطاوعة حقيقتها وأوزانها، هاشم طه شلاش "بحث" ١٤٨.

جاء هذا البناء في كلا اللفظين ليدل على المشاركة في الفعل بين اثنين فصاعداً ومعناه نسبة الفعل إلى فاعله متعلقاً بمن شاركه<sup>(١)</sup>، قال تعالى : ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة ٧٩].

والتناهي : الزجر والكف عن العمل، وتناهوا عن الأمر وعن المنكر : نهى بعضهم بعضاً<sup>(٢)</sup>. يحتمل الفعل (يتناهون) معنيين : أحدهما : وهو الذي عليه الجمهور، أنه (تفاعل) من النهي، أي كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً عن فعل المنكر.

والآخر : أنه بمعنى الانتهاء، يقال : انتهى عن الأمر وتناهى عنه إذا كف عنه<sup>(٣)</sup>، وما تؤديه صيغة (تفاعل) من معنى التشريك بين اثنين فأكثر هو ما بُني عليه هذان المعنيان، وسياق الآية جاء بالذم لهم على المستوى الفردي وعلى مستوى الجماعة، فالأفراد كانوا لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر، بل يُصرون ويدأومون ولا يتوقفون، فالجماعة لا ينهى بعضهم بعضاً، فكان السياق يقول : لا خير فيهم كأفراد ومجاميع .

وفي قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْأَيْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة/٨].

فُرئ (يَتَنَجَّوْنَ) بنون ساكنة بعد الياء وقبل التاء وضم الجيم بلا ألف<sup>(٤)</sup>. وأصله (يَتَنَجَّيُونَ) على وزن (يَفْتَعِلُونَ) نُقِلَتْ ضَمَّةُ الياء لثقلها إلى الجيم ثم حذفت الياء لسكونها مع سكون الواو، وقراءة المصحف (يَتَنَاجَوْنَ) مشتق من النجوى بمعنى السر فتناجوا بمعنى تساروا<sup>(٥)</sup>.

والقراءتان صحيحتان؛ لأنهما سبعيتان، وعلى قراءة المصحف تكون صيغة (تفاعل) دالة على مشاركتهم في النجوى. قال "سيبويه" : ((وَأَمَّا تَفَاعَلْتُ فَلَا يَكُونُ إِلَّا وَأَنْتَ تَرِيدُ فَعَلَ اثْنَيْنِ فَصَاعِداً))<sup>(٦)</sup>، وهذا هو الأصل في استعمال هذه الصيغة، وعليه

(١) ينظر : الكتاب ٦٩/٤، وفقه اللغة وسر العربية ٤١٠، وجمع الهوامع ١٦٢/٢، ورسالة في الصرف ١٨٦، وأوزان الفعل ومعانيها ١٠١.

(٢) ينظر في مادة (نهى) : المفردات ٧٧٣، ومختار الصحاح ٦٨٣، ولسان العرب ٣٧٤/١٤.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦٤/٦، والتفسير الكبير ٥٥/١٢، وأنوار التنزيل ٢٨١/١.

(٤) وهي قراءة حمزة والأعمش ورويس، ينظر : السبعة في القراءات ٦٢٨، والنشر ٣٨٥/٢، وإتحاف فضلاء البشر ٤١٢، ومعجم القراءات ٣٦٩/٩.

(٥) ينظر : المذهب في القراءات العشر وتوجيهها ٤٠١/٢، والقراءات وأثرها في علوم العربية ٢٣/١ ومعجم القراءات ٣٦٩/٩.

(٦) الكتاب ٦٩/٤، وينظر : الصاحبى ١٨٩، وفقه اللغة وسر العربية ٤١١.

جاءت الآية فقد كانت اليهود والمنافقون يتتاجون بينهم بما يؤذي المؤمنين، ويتغامزون بأعينهم إذا رأوهم<sup>(١)</sup>.

فَحَدَّثُ التَّاجِي والمناجاة - هنا - دال على حصول الفعل من الجانبين.

### ج- الأفعال الثلاثية المزيدة بثلاثة أحرف

١- اسْتَفْعَلَ الثلاثي المزيد بهمزة الوصل والسين والتاء في أوله، ومضارعهُ يَسْتَفْعِلُ جاء على هذا البناء من الأفعال ماهو واضح في الجدول الآتي :

التمثيل	الفعل المزيد	عدد مرات وروده	بناء الماضي	السورة التي ورد فيها				بناء المضارع	السورة التي ورد فيها			
				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية		مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية
١.	استبدل	١	—					١			البقرة	٦١
٢.	استكبر	١	١			البقرة	٨٧	—				
٣.	استضعف	١	—					١	القصص	٤		

ورد هذا البناء ليدل على معنى طلب الأمر والتكلف فيه<sup>(٢)</sup>، وهو موافق في هذا الاستخدام لدلالة (تفعل)، فالفاعل فيه يحاول جاهداً أن يحقق الصفة التي يفيدها الفعل نحو (استكبر) كما في قوله تعالى : ﴿.. أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة/٨٧]. التكبر والاستكبار بمعنى واحد هو التعظم، والاستكبار هو أن يظهر الإنسان من نفسه مالميل له، وهذا من الاستكبار المذموم<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر : التبيان في تفسير القرآن، الطوسي ٥٤٨/٩، والكشاف ٧٤/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٨٨.

(٢) ينظر : الكتاب ٧٠-٧١، وفقه اللغة وسر العربية ٤١١، والتمتع في التصريف ٩٥/١، وشرح

التسهيل ٣١٣/٣-٣١٤، وجمع الهوامع ١٦٢/٢، وأوزان الفعل ومعانيها ١٠٧.

(٣) ينظر : قطف الأزهار ٢٢٩/١-٢٣٠.

وقد يدلّ على المصادفة ووجود الفاعل على حالة<sup>(١)</sup> معينة كما في قوله تعالى :  
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ  
أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص/٤]. أي : وجدهم ضعفاء.

### ثالثاً : الفعل المبني للمفعول (المخايرة في الصيغ)

إنّ القول بأصالة بناء المبني للمفعول (مالم يسمّ فاعله) فيه خلاف بين علماء  
العربية وقد فصل "ابن يعيش" (ت ٦٤٣هـ) القول في المسألة، فذكر احتجاج القائلين  
بأصالته، وردّ حجتهم<sup>(٢)</sup>.

يعرّف الفعل للمفعول بأنه : ((ما استغنى عن فاعل فأقيم المفعول مقامه، واسند  
إليه معدولاً عن صيغة فعل إلى فعل))<sup>(٣)</sup>.

يرى البحث أرجحية القول بفرعيته؛ لأنّ وظيفة اللغة في الإبانة تقتضي ذكر الفاعل،  
والبناء للمفعول يعني من الناحية التركيبية حذف الفاعل، وهو أمرٌ يلجأ إليه المتكلم  
لرعاية مقتضيات الموقف، فوظيفة اللغة وواقعها يرجح فرعية هذا البناء، لا أصالته.

تدلّ صيغة البناء للمفعول (فعل) بأبعادها على تغييب الفاعل عن طريق  
التصريح بالفعل أو الحدث منزوياً عن فاعله أو محدثه، وفي الخطاب القرآني لبني  
إسرائيل تأتي صيغة البناء للمجهول بتغيير البنية الداخلية للفعل، بعد أن كانت في  
تركيب آخر لها صيغة الفعل بالبناء للمعلوم، وإذا بالفاعل صرح به حضورياً، وفي هذا  
يقول "ابن جني" : ((قال " أبو علي" : فهذا يدلّك على تمكن المفعول عندهم، وتقدّم  
حاله في أنفسهم، إذ أفردوه بأنّ صاغوا الفعل له صيغة مخالفة لصيغته وهو  
للفاعل))<sup>(٤)</sup>.

ويأتي بناء الفعل للمجهول لتركيز اهتمام المتقبل سامعاً أم قارئاً وشدّ انتباهه  
على الحدث وصرفه عن فاعله، وقد أشارت إلى هذا الدكتورة "عائشة عبدالرحمن"  
قائلة: ((أنّه حيثما استغنى القرآن عن الفاعل، فلنفهم أنّه يريد لنا أن نصرف النظر

(١) ينظر : همع الهوامع ١٦٢/٢.

(٢) ينظر : شرح المفصل ٧١/٧-١٥٢، وأسرار العربية ٨٨، وهمع الهوامع ١٦٤/٢.

(٣) المفصل ٣٤٣.

(٤) الخصائص ٢٢٠/٢.

عنه، وليس لأحدٍ أن يتأوّل فاعلاً لم يتعلق البيان بذكره، وإنما نتدبر سر هذا الاستغناء عن الفاعل ووجه صرف النظر إليه<sup>(١)</sup>.

وهناك أغراض بلاغية وبيانية كثيرة في بناء الفعل المجهول في القرآن الكريم منها إثارة التساؤل، والتعجب، والدعاء والتعظيم، والتحقير وغير ذلك<sup>(٢)</sup>. وردت أفعال مبنية للمجهول في سياق آيات الصفات مفصلة في الجدول الآتي :

اللسل	الفعل المبني للمفعول	عدد مرات وروده	بناء الماضي	السورة التي ورد فيها				بناء المضارع	السورة التي ورد فيها			
				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية		مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية
١.	ضربَ	٣	٣	—	—	البقرة	٦١	—	—	—	—	—
				—	—	آل عمران	١١٢، ١١٢	—	—	—	—	—
٢.	لعنَ	٢	٢	—	—	المائدة	٦٤، ٧٨	—	—	—	—	—
٣.	استضعفَ	٢	١	القصص	٥	—	—	١	الأعراف	١٣٧	—	—
٤.	أشربَ	١	١	—	—	البقرة	٩٣	—	—	—	—	—
٥.	غلَ	١	١	—	—	المائدة	٦٤	—	—	—	—	—
٦.	جعلَ	١	١	النحل	١٢٤	—	—	—	—	—	—	—
٧.	حملَ	١	١	—	—	الجمعة	٥	—	—	—	—	—

ومن الأغراض التي يؤديها البناء للمجهول في سياق آيات الصفات : الدعاء كما في الفعلين (علتَ) و (لعنوا) في قوله تعالى مُخْبِراً عن اليهود في فريتهم عليه -عَظُم

(١) من أسرار العربية، عائشة عبدالرحمن ٥٦.

(٢) ينظر : لغة القرآن الكريم في جزء عم ٣٨٨-٣٩٣، وينظر تفصيل هذه الأغراض في : المبني للمجهول في التعبير القرآني دراسة نحوية دلالية، هاتف بريهي شياع (ر/م) ٣٠ وما بعدها.

شأنه — حين قالوا : ﴿.. يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة/٦٤]، والغل يعني المنع والقبض، يُقال في رقبته غُلٌّ من حديدٍ، وغُلَّ يده إلى عنقه قبضها<sup>(١)</sup>.

والغل — هنا — مكنى به عن البخل<sup>(٢)</sup>. وهو مما لا يليق بالباري عَزَّ وَجَلَّ، فهؤلاء بقولتهم هذه نسبوا البخل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ عن ذلك علواً كبيراً — وقد ردَّ سبحانه على قولتهم بإحقاق هذه الصفة عليهم.

وعطف التعبيرُ دعاءً آخرًا فقال سبحانه : ﴿وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة/٦٤]. أي أبعادوا عن رحمته عَزَّ وَجَلَّ بسبب فریتهم تلك.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل/١٢٤] ويُعَلَّل "الآلوسي" (ت ١٢٧٠هـ) مجيء الفعل على بناء المفعول بقوله : ((وإيراد الفعل مبنياً للمفعول جري على سنن الكبرياء وإيدان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة الإسناد إلى الغير))<sup>(٣)</sup>.

كذلك قوله تعالى : ﴿.. وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة/٩٣]، فقد دلَّ البناء للمفعول على المبالغة وتضخيم الحدث، وهذا التعبير (اشربوا) وردَّ في التنزيل بطريقة فريدة لا مثيل لها في تصوير الحالة النفسية لهؤلاء الذين تمكن حبُّ العجل وعبادته من قلوبهم وكأنما أشربوا ذلك ، ويُلاحظ أنَّ النصَّ الكريم قد نقلَ المعنى المادي إلى المعنى المعنوي.

جاء التعبير القرآني بالشرب من دون الأكل؛ لأنَّ شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها. فصور العجل وهو يُدخَل في القلوب إدخالاً، ويحشر فيها حشراً بصورة يظل الخيال يتمثلها ، حتى ليكاد ينسى المعنى الذهني الذي جاءت الصورة المجسمة لتؤديه<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : في مادة (غَلَّ) : المفردات ٥٤٤، ومختار الصحاح ٤٧٩، ولسان العرب ١٠/٥٠.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٣٢١/٢، والجامع لأحكام القرآن ١٥٥/٦، وروح المعاني ١٨٠-١٨١ وفي ظلال القرآن ٩٢٩/٢.

(٣) روح المعاني ٢٥٢/١٤.

(٤) ينظر : الكشف ٢٩٧/١، والبحر المحيط ٤٩٤/١، وإرشاد العقل السليم ١٥٧/١، وتفسير المنار ٣٨٧-٣٨٨، وفي ظلال القرآن ١٢٠-١٢١.

والذي يبدو أنَّ إسناد الفعل إلى المفعول -زيادة على ما قاله المفسرون الكرام- فيه دلالة على أنَّ العملية مهما تكن فهي طارئة على القلب البشري في فطرته السليمة التي يمثل حبَّ الله والإيمان به أصلاً، أمَّا عند هؤلاء فهي إشراب العجل، وأمَّا إشراكهم العجل فهو إنحراف واضح صريح عن الفطرة السويَّة والنهج المتوازن المستقيم، فلذا عبر عنه بالفعل المبني للمجهول (أشربوا) وفيه نوع من الإهمال والتحقير لدور الشيطان في تزيين تلك العبادة وتمكنها في القلب..



# الفصل الأول في التراكيب

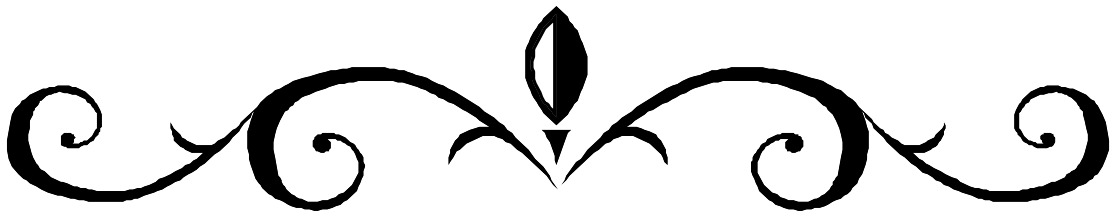
## المستوى النحوي "التركيبي"

المبحث الأول : الجملة العربية

المبحث الثاني : الخبر والإنشاء

المبحث الثالث : دلالة حروف المعاني

المبحث الرابع : تعدد الأوجه الإعرابية



## المقدمة

تمتاز لغتنا العربية بالقدرة على التعبير الدقيق عن المعاني، فهي أفضل اللغات بإجماع العلماء والباحثين على اختلاف اتجاهاتهم وما هذا إلا لكونها ((أوسع اللغات في الألفاظ والمفردات، وفيما تحمل تلك الألفاظ من دلالات، كما أنها أحسن اللغات في دقة العبارة، وقوة الجملة ..))<sup>(١)</sup>.

وهذه القدرة على التعبير، مع هذا الاتساع في الألفاظ والعبارات، ودلالاتها تستلزم قانوناً، أو نظاماً تنتظم فيه، فكان هذا القانون هو (النحو)، وهو قانون تأليف الكلام، والكشف عن طاقات اللغة، وأسرار ترتيب كلام العرب، وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة في السياق حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها<sup>(٢)</sup>.

فالنحو يهتم بالمعنى الذي يفيد التركيب، لا الكلمات المفردة، وأهميته تتأتى له من حيث أن المراد من اللغة هو التعبير عما في ذهن من أفكار ومعانٍ وهذه لا تنتج إلا من ترابط الكلمات وهذا الترابط هو الذي يحفظ اللغة، فالألفاظ تبقى مبهمه ولكن حين تدخل في تركيب تتحدد دلالتها ويتضح معناها<sup>(٣)</sup>.

إن البنية النحوية قائمة على محور المعجم (التركيبي السياقي) بما ينتجه لها من جمل وعبارات وبما يعرضه لها من معانٍ ودلالات، فالأساس في هذه البنية تشكله ((الجملة التي تتحقق بتأليف الكلمات في نظام نحوي يقرن عناصر الجملة في سياق داخلي يتأسس من معنى جديد للكلمات غير معناها الاصطلاحي))<sup>(٤)</sup>.

إن التعبير عن الفكر وظيفية أساسية من وظائف اللغة الإنسانية، وهذا لا يتم إلا من خلال تركيب يؤلف فيه المتكلم بين الألفاظ على وفق المعاني وحسبما تقتضيه الدلالة.

(١) أثر الدلالة النحوية واللغوية في آيات الأحكام التشريعية، عبدالقادر السعدي ٢٤.

(٢) ينظر : البحث النحوي عند الأصوليين، مصطفى جمال الدين ٢٩٨.

(٣) ينظر : دلائل الإعجاز ٩٥ والطرز ١/١٢٦-١٢٧، وخصائص التراكم، محمد أبو موسى ٤٥، والدلالة الوظيفية في بنية الجملة الشعرية ٧٩.

(٤) مكانة الشعر في الثقافة العربية المعاصرة، المحور الرابع : الشعر والكتابة "بحث" من المشاكلة إلى الاختلاف، مشكلة المعنى في النص الأدبي عبدالله محمد الغزالي ٦٥.

وعلى هدي هذا نستنتج أنَّ التركيب يتأصل من تزاوج شبكة من العلاقات الشكلية مع شبكة أخرى من العلاقات داخل النظم، فالمكوّن اللغوي (الجمالي) عنصرٌ شكليٌ خارجيٌ، يتغيرُ داخل التركيب جرياً على مناسبات الكلام ومقتضيات السياق بما ينتج عن ذلك عرضٌ لدلائل جديدة ومعانٍ متنوعة إذ إنّ تنوّع طرائق الأداء يؤدي حتماً إلى تنوّع المعاني والدلالات؛ لأنّ البنية التركيبية بنية نحويّة دلالية في آن واحد. تتضمن الدراسة النحوية لآيات الصفات مباحث أربعة هي :

## المبحث الأول الجملة العربية

### أ- مفهوم الجملة :

تعد (الجملة) اللبنة الأساسية التي يركز إليها علم النحو؛ لذا عني علماءنا القدماء بدراستها دراسةً مستفيضةً.

فيُعدّ "الفرّاء" البداية غير المستقرة لتحول الجملة من الاستعمال اللغوي إلى الاستعمال الاصطلاحي الذي استقر عند المبرد (ت ٢٨٥هـ) بقوله : ((وإنّما كان الفاعل رفعا؛ لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب))<sup>(١)</sup>.

وجاءت الدراسات اللاحقة لتتبني هذا المصطلح<sup>(٢)</sup>، مع بقاء التداخل بين المصطلحين : الكلام والجملة كما هو عند "ابن جني" ومن تابعه إذ يقول : ((أما الكلام

(١) المقتضب ٨/١، ٣٤٨/٤، علماً أنّ سيبويه كان يستعمل الكلام بدلاً عن الجملة. ينظر : الكتاب ٢٥/١.

(٢) ينظر : الأصول في النحو ٤١/١-٤٣، والمسائل العسكرية في النحو العربي، أبي علي الفارسي ٨١-٨٢.

فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو : زيد أخوك، وقام محمد...<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن "ابن هشام" يمثل مرحلة نضج في مصطلح الجملة، فاشتراط في الكلام الإفادة ولم يشترط في الجملة أن تكون مفيدة، وإنما يشترط فيها إسناد سواء أفاد أم لم يفد فهي عنده أعم من الكلام<sup>(٢)</sup>، في حين وضع العلماء للجملة مفهوماً آخر يشير إلى أنها ((مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد كقولك : زيد قام، أم لم يفد كقولك : إن يكرمني. فإنه جملة لا يفيد إلا بعد مجيء جوابه فتكون أعم من الكلام مطلقاً))<sup>(٣)</sup>.

خلافاً لبعض المحدثين، إذ أشار الدكتور "إبراهيم أنيس" إلى شرط الفهم في الجملة وعدّ الكلام أعم منها : ((إن الجملة في أقصر صورها أو أطولها تتركب من ألفاظ هي مواد البناء التي يلجأ إليها المتكلم أو الكاتب أو الشاعر، يرتب بينها وينظم لنا من هذا النظام كلاماً مفهوماً، تطمئن إليه، ولا نرى فيه خروجاً عما ألفناه من تجارب سابقة))<sup>(٤)</sup>.

وجاء موقف كثير من المحدثين متأثراً بالدراسات الغربية في تعريفهم الجملة وفي اشتراط الفائدة فيها<sup>(٥)</sup>.

ويرى البحث أن فيما ذهب إليه الدكتور "فاضل السامرائي" وجاهة فإنه لو اشترط حسن السكوت لما استوعب هذا المصطلح تقسيماته المتعددة فما نقول في جملة المدح والذم : حبذا ولا حبذا؟ وجملة الشرط : إن تدرس؟<sup>(٦)</sup> فاستوجب عدم اشتراط الفائدة في الجملة وعليه تكون الجملة أعم من الكلام.

(١) الخصائص ١٨/١ وينظر : شرح المفصل ١٨/١-٢١، ولغة القرآن في جزء عم ٤٤٩.

(٢) ينظر : مغني اللبيب ابن هشام ٤٩٠/٢، وشرح الحدود النحوية ٣٣-٣٤، والجملة العربية تأليفها وأقسامها فاضل السامرائي ٤.

(٣) التعريفات ٦٩، وأشار عبدالقاهر الجرجاني إلى مثل ذلك في أسرار البلاغة ١٠٤.

(٤) من أسرار اللغة ٢٧٨.

(٥) ينظر : نفسه، ومناهج البحث في اللغة ١٣، وفي التحليل اللغوي ، خليل عمارة ٨٧.

(٦) ينظر : الجملة العربية تأليفها وأقسامها ١٧.

يعرّف الدكتور "مهدي المخزومي" الجملة مشيراً إلى أهمية الإسناد بألفاظ أقرب إلى لغة العصر بأنها : ((الصورة اللفظية للفكرة))<sup>(١)</sup>، ويفصل هذا التعريف بقوله : ((الجملة هي الصورة اللفظية الصغرى في الكلام المفيد في آية لغة من اللغات وهي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع))<sup>(٢)</sup>.

### ب - أقسام الجملة

لم يتفق دارسو النحو على أقسام الجمل في العربية، فيقسمها الأقدمون على فعلية وأسمية وظرفية. زادها الزمخشري<sup>(٣)</sup> (ت ٥٣٨هـ) نوعاً آخر هو الجملة الشرطية<sup>(٤)</sup>، وإن نسب "ابن يعيش" (ت ٦٤٣هـ) هذا التقسيم إلى "أبي علي" (ت ٣٧٧هـ)<sup>(٥)</sup>، جاء "ابن هشام" ليقسم الجملة إلى جملة صغرى وجملة كبرى<sup>(٦)</sup>.

يرى الدكتور "نعمة رحيم العزاوي" أن الجملة الظرفية التي جعلها "ابن هشام" قسماً ثالثاً يمكن أن تكون من مثل الجملة الفعلية إذا كان الظرف معتمداً، وتكون من قبيل الجملة الأسمية إذا لم يكن معتمداً ولا حاجة إلى تكثير الأقسام<sup>(٧)</sup>.

أما علماء البلاغة فقد قسموها إلى جملة خبرية وجملة إنشائية، ناظرين إلى المعنى فزادوا درس النحوي اكتمالاً ووضوحاً؛ إذ أضافوا إليها التوجيه المعنوي الذي أفاد درس النحوي كثيراً<sup>(٨)</sup>.

وجاءت الدراسات الحديثة لتتنظر إلى الجملة على أنها قسمان : توليدية وتحويلية<sup>(٩)</sup>، ومع هذه الأقسام المتعددة نجد أن التمسك بنمطي الجملة الأسمية والفعلية

(١) في النحو العربي " قواعد وتطبيق " مهدي المخزومي ٨٣.

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيه ٣٧، وينظر : قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، سناء البياتي ١٥ وما بعدها .

(٣) ينظر : شرح المفصل ٨٨/١.

(٤) ينظر : نفسه.

(٥) ينظر : مغني اللبيب ٤٩٧/٢، وينظر : المركب الأسمي الاسنادي "أنماطه من خلال القرآن الكريم"، أبو السعود حسنين الشاذلي ١٧.

(٦) ينظر : الجملة العربية في ضوء الدراسات الحديثة، نعمة رحيم العزاوي "بحث" ١٥٤.

(٧) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ١٣ وما بعدها ، والإتقان ٢٠٩/٢.

(٨) ينظر : في التحليل اللغوي ٨٧.

في الدراسات النحوية، وضمّ بقية الأقسام إليها هو الأفضل وذلك لقوة الإسناد فيهما ووضوحه، وهذا ما أقرّه الدرس النحوي الحديث<sup>(١)</sup>، كما أنّ هذين النوعين من الجمل قد شاعا في جميع لغات العالم واشتهرا، فجميع اللغات تتفق في التمييز بينهما<sup>(٢)</sup>.

### جـ- أركان الجملة

إذا كان الخلاف حادثاً بين النحاة في مفهوم الجملة ومدلولها، فإنّه لا خلاف بينهم في أن الأساس الذي تقوم عليه الجملة إنما هو الإسناد الأصلي وطرفاه مسندٌ ومُسندٌ إليه<sup>(٣)</sup>، فبوساطتها يمكن التمييز بين الجملة الفعلية والاسمية، فإذا كان الفعل متقدماً فهي فعلية وإلا فالجملة اسمية.

في حين جاءت وجهة نظر بعض المحدثين مغايرة؛ إذ يرى الدكتور "مهدي المخزومي" أنّ الفعلية ما كان مسندها فعلاً سواءً أتقدم أم تأخر، وإنّ الاسمية ما كان المسند أسماً<sup>(٤)</sup>. وعلى الرغم من وجهة هذا الرأي وابتعاده عن الأساس الشكلي للتقسيم للتقسيم إلا أن صعوبة توجيه عدد من المسائل ولاسيماً وقوع الضمير المتصل في الفعل في قولنا : (الزيدان قاما)، يجعلنا ندرك أن المنهج الشكلي للتقسيم أولى في دراستنا، كما أنّ بتمسكنا باتجاه الأقدمين نصل إلى تحليل لغوي سليم للنصّ القرآني.

### د - بين دلالة الجملة الاسمية والجملة الفعلية

التعبير بالجملة الفعلية أو الاسمية طريقة العرب في تزيين الكلام وتلوينه وفقاً لمقتضيات دلالاته وتشويق المتلقي وإبعاد الملل عنه<sup>(٥)</sup>. فالجملة القرآنية بناءً محكم نسقت كلماته أدقّ تنسيق وفي أسهل تركيب وهي تتّبع المعنى النفسي، فتجسّد بألفاظها، ولكل من الجملة الاسمية دلالاته في الخطاب القرآني؛ لأنّ هناك نسباً متفاوتة في المقاصد والمعاني بين الاستخدامين فكل منهما سياق يقتضيه وصورة من المعنى لا يدلّ عليه غيره<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر : التطور النحوي للغة العربية ١٣٢.

(٢) ينظر : اللغة ١٩٢، وقواعد النحو ٣٤.

(٣) ينظر : مغني اللبيب ٤٩٢/٢، وجمع الهوامع ٣٣/١، والمركب الأسمي ١٨.

(٤) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه ٤٠-٤١، وهو رأي أهل الكوفة.

(٥) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٧٢/٤.

(٦) ينظر : من بلاغة القرآن ١٠٥، وخصائص التراكيب ٢٣.

وفي سياق آيات الصفات عبر القرآن الكريم بوساطة الجملة الاسمية والفعلية عن صفات بني إسرائيل، لذا ستقتصر الدراسة على هذين النوعين نظراً لشيوعهما، ولكونهما النوعين الرئيسيين اللذين اتفق عليهما الدارسون قديماً وحديثاً وعنوا بالتفريق بين دلالتهما<sup>(١)</sup>.

### ١- دلالة الجملة الاسمية

يتفق علماء العربية على أن الجملة الاسمية تدل على الثبوت والدوام في الخبر الذي تخبر به، يقول عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) : ((إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدد شيء بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء))<sup>(٢)</sup>.

إن هذا التفريق لا يصدق على أنماط الجمل الاسمية والفعلية كلها، وإنما يصدق إذا كان المسند فعلاً مضارعاً في الفعلية نحو (ينطلق زيد)، وفي الاسمية إذا كان اسماً نحو (زيد شجاع)<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا يكون فهم دلالة الجملة يوجب النظر إلى ركنيها والقرائن المسوقة معها وصولاً إلى دلالتها.

وقد ضمت آيات الصفات كثيراً من الشواهد على دلالة الجملة الاسمية كما في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران/ ١١٠]، أي : منهم من يؤمن وهم قلة، والأكثر هم العاصون وهذه حقيقة ثابتة يؤكدتها القرآن الكريم والواقع، وهذا إخبارٌ بمغيب سيقع منهم<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ..﴾ [البقرة/ ٧٩]، ففي (ويل) ذكر وجهان بالرفع والنصب، قال الطوسي (ت ) : ((ولو كان في غير القرآن، لجاز بالنصب على معنى جعل الله وِيلاً للذين، والرفع على معنى ثبوت الويل

(١) ينظر : المحتسب ٢/٢٧٤، والطراز ٢/٢٥ وما بعدها ، وأثر المعنى في الدراسات النحوية كريم حسين ناصح الخالدي (ط/د)، ٣١٨.

(٢) دلائل الإعجاز ١٩٣، والتبيان في علم البيان، ابن الزمكاني ٤٩، والكليات ٨٤، ومعاني النحو ١٩٩/١-٢٠٠، ومعاني الأبنية ٩.

(٣) ينظر : دلائل الإعجاز ١٩٣-١٩٥، وفي النحو العربي نقد وتوجيه ٤١-٤٢.

(٤) ينظر : البحر المحيط ٣/٣٠٣.

للذين<sup>(١)</sup>، أيَّ إنَّ الجملة الاسمية المقدرة، هذا ويل، أو هو ويل، دلت على تحقق الويل لهؤلاء المحرّفين وثبوته على وجه الدعاء عليهم بالهلاك، ولم ترد لفظة (ويل) في كتاب الله إلا مرفوعة\*، لذا عدّت قراءة النصب مما لا يجوز في القرآن. (ويل) كلمة عذاب وهلاك وقد تستعمل في الندبة، تقال عند الشتم والتوبيخ حتى صارت تقال للتعجب<sup>(٢)</sup>.

وأثبت علم اللغة الحديث أن "ويل" وغيرها من الأمثلة هي بمثابة تعبيرات انفعالية مما يطلق عليه علماء اللغة المحدثون "الصرخات الانفعالية"<sup>(٣)</sup>.

وكثيراً ما يعدل التعبير القرآني إلى دلالة الجملة الاسمية كما في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/١٠٣].

فالتعبير القرآني أثر الجملة الاسمية في جواب (لو)، (لمثوبة) على الفعلية (لأنبيوا)، لما في ذلك من الدلالة على تأكيد المثوبة واستمرارها وثبوتها، وليعلموا أن شيئاً من ثواب الله - وإن قل - خيرٌ لهم<sup>(٤)</sup>.

قد يدخل على الجملة الاسمية حرف نفي ليدل على بيان دوام انتفاء الشيء، فمراعاة المخاطب هي الأساس في نوع التركيب الموجه إليه فإذا ما لوحظ عليه أن ثمة أحاسيس ساورت ذهنه مما يقتضي السعي لإزالة ذلك بأسلوب مناسب للرفع ما يتردد في ذهنه، يستعمل حينئذٍ النفي، وهو أسلوب نقض وإنكار يفيد عدم ثبوت نسبة المسند للمسند إليه في الجملة الاسمية والفعلية على السواء<sup>(٥)</sup> ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة/٤٣] ، إنكار إيمانهم وانتفاؤه، وكان أصل الكلام " وما يؤمنون " ليطابق الجملة الفعلية التي عطف عليها لكن عدل عنها إلى

(١) التبيان في تفسير القرآن ٣٢١/١، وينظر : التبيان في إعراب القرآن ٨١/١، والدر المصون ٢٧٠/١، واللباب في علوم الكتاب، ٢/٢٠٦-٢٠٨.

\* ينظر مثلاً : إبراهيم /٢٢، ومريم /٣٧، والأنبياء /١٨، والمطففين /١.

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١٣٣/١، وشرح جمل الزجاجي ٤١٣/٢.

(٣) ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعمله ١٧٠، واللغة، فندريس ١٨٢.

(٤) ينظر : الكشف ٣٠٢/١، والدر المصون ٣٣١/١، والبرهان الكاشف ٤٨-٤٩، عن إعجاز

القرآن والتحرير والتنوير ١٢٥/٩، ومعاني النحو ٨٣/١ وما بعدها.

(٥) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٤٦.

الجملة الاسمية تأكيداً ومبالغة في إثبات عدم الإيمان، فضلاً عن أن إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفي الإيمان عنهم.

وقد يعدل التعبير القرآني إلى اسم الفاعل المنفي كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ... ﴾ [البقرة/١٤٥].

حيث عدلت الآية عن التعبير بصيغة الفعل التي عبرت بها في حق أهل الكتاب ﴿ مَا تَبِعُوا ﴾ إلى صيغة الاسم في حق النبي ﷺ فجاء التعبير باسم الفاعل منفيّاً ﴿ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ ﴾؛ لينفي عنه ﷺ أهليته لهذا الأمر من الأصل، ويؤيد ذلك أن اسم الفاعل يأتي للنسبة، ومن ثم كان التعبير باسم الفاعل منفيّاً لأدنى احتمال في انتساب النبي ﷺ متابعة أهل الكتاب، فمحال أن يصدر منه ذلك، وفي هذه الآية حسم لأطماعهم وتئيسهم في اتباعه قبلتهم هذا فضلاً عن أن اختيار التعبير باسم الفاعل أدى إلى تكرار الاسم فيها مما زادها تأكيداً ومبالغة في النفي المؤكد بالباء<sup>(١)</sup>.

والدلالة على التوكيد هي من أبرز الفروق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية وهو ما أشار إليه القدماء وأكدّه المعاصرون يقول الدكتور نجاة الكوفي : ((فقد أفادت الجملة الاسمية معنى التوكيد؛ لأن وجود الذات ثابت والحدث متغير وأن العلاقة بين المبتدأ والخبر قائمة على الإسناد أي على نسبة الخبر إلى المبتدأ))<sup>(٢)</sup>.

ولكن هذه الجملة ليست على نمط واحد وإنما تتخذ أشكالاً مختلفة ولكل شكل منها دلالة خاصة حيث هناك فارق دلالي للمعنى بحكم البنية، وقد خُتمت أغلب الآيات في القرآن الكريم عامة، وآيات الصفات خاصة بها، وذلك أن خاتمة الآية هي بيان وتأكيد لما جاء في سياق الآية ، كما في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة/١٢١].

(١) ينظر : الكشاف ١/١٠١، والتفسير الكبير ٢/٥٠٩، والدر المصون ١/٤٠١، وروح المعاني ١١/٢، وفي ظلال القرآن ١/١٣٥، والإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، عبد الحميد أحمد الهنداوي ١٦٩-١٧٠.

(٢) عيار الجملة بين منطق اللغة والنحو، نجاة الكوفي ١٠.

فالتعبير بالجملة الاسمية **﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** دلالة على تأكيد ثبات الوصف لهم، وبيان قوة اتصافهم بالخسران، ولا يخفى أثر تكرار اسم الإشارة (أولئك) من دلالة على البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته وتفخيم شأنه. أما إذا كان الخبر فعلاً مضارعاً فإنه يفيد استمراراً تجديداً مع ارتباطه بالزمن المطلق ومصطلح الاستمرار يدل بمفهوماً على تكرار حصول الفعل دون انقطاع، في حين جاء التجدد لعبر عن تكرار حصول الفعل مع انقطاعه، ثم حصوله مرة أخرى<sup>(١)</sup>. ويكثر هذا في العبادات كما في قوله تعالى: **﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾** [آل عمران/ ١١٣] جاء قوله **﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾** دالاً على أن عاداتهم مستمرة متجددة لا تتغير<sup>(٢)</sup>.

### ٣- دلالة الجملة الفعلية :

وهي الجملة التي يكون فيها المسند دالاً على التغيير والتجدد، وبعبارة أخرى هي التي يكون فيها المسند فعلاً، لأن الفعل بدلالته على الزمان هو الذي يدل على تجدد الإسناد وتغيره. ومفاد هذه الجملة الإخبار بمطلق العمل مقروناً بالزمن من غير أن يكون مبالغة وتوكيداً<sup>(٣)</sup>. ويؤتى بها لغرض إفادة الحدث والتجدد الذي فيها، أي : حصول حدثها بعد انعدامه ولغرض تصوير الحدث في الماضي أو الحال أو المستقبل<sup>(٤)</sup>، ولكن هذه الدلالات غير ثابتة بل تتغير بتغير سياقات الأفعال وتراكيبها، فنجد -مثلاً- أن الاستعمال القرآني لصيغة المضي متعددة الدلالات شاملة لأبعاد الزمن غير مقيدة بدلالة الصيغة فجاءت دلالاته على المضي والحال والاستقبال والاستمرار والإطلاق.

وفي سبب التعبير بصيغة الفعل الماضي في قوله تعالى : **﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾** [البقرة/ ٨٧]. يقول

(١) ينظر : التبيان في علم البيان ٤٩، والصيغ الزمنية في اللغة العربية، مالك المطلبي ٤٧-٤٩.

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢/٢٠.

(٣) ينظر : الطراز ٣١/٢، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق ٨٦، وفي النحو العربي نقد وتوجيه ٤١، وقواعد النحو ٢٢.

(٤) ينظر : دلائل الإعجاز ١٩٣-١٩٤، والإيضاح في علوم البلاغة ١٦٦-١٦٧، والمعاني في ضوء أساليب القرآن ٢٠٢.

أحد الباحثين المحدثين : ((حيث انشغل المفسرون ببيان سر العدول إلى المضارع **﴿تَقْتُلُونَ﴾**، ولكن لم أجد فيما اطلعت عليه من التفت إلى سر اختيار صيغة الماضي في قوله تعالى: **﴿كَذَّبْتُمْ﴾**، والسر فيه فيما أرى -والله أعلم- أن النبوة قد ختمت "بمُحَمَّدٍ ﷺ" وقد كان تكذيبهم له وقت الخطاب حاصلًا، فالتكذيب حصل قبل الخطاب، ومن ثم فالمضي في التكذيب على حقيقته ولا رسول بعد "مُحَمَّدٍ ﷺ" يكذبونه فلا معنى للمضارع إذاً.

أما فعل القتل فإنه لم يكن قد انتهى منهم بعد، وذلك لشروعهم في قتله ﷺ على تقدير أن الآية قد نزلت قبل فعلهم الخبيثة، أما على تقدير نزولها بعد تلك الفعلة فهي تقدير للحال الحاضر، وخير مايدل على الحقيقة "المضارع" <sup>(١)</sup>.

ومن ذلك مجيء الجملة المصدرية بفعل ماضٍ غير محدد بزمن معين، بل عامة مطلقة وكثير إطلاق الزمن في الآيات الدالة على حكم شرعي مستمر كما في قوله تعالى: **﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ..﴾** [الأنعام/١٤٦].

ومثله قوله تعالى : **﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ..﴾** [آل عمران/١١٩]، فعبر بالماضي للدلالة على ثبوت وقوعه واستمراره فيشمل كل الأزمنة.

وكذلك قوله تعالى : **﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ..﴾** [المائدة/٦٤]. فالفعل الماضي دل على تكرار الحدث وتجدده بحدثٍ يحدث وينتهي ثم يعود ليتجدد باستمرار، ويلحظ أن هذه الدلالة قد قام بجزئها الأكبر الحرف (كلما) الدال على تكرار الحدث في كل وقت فـ (الإيقاد) و (الإطفاء) زمن ماضٍ متصل بالمستقبل تعضدها دلالة (كلما) <sup>(٢)</sup>.

وقد يحتمل الفعل الاستمرار المطلق غير المحدد بزمن معين أو الاستقبال تبعاً لتوجيه النص ففي قوله تعالى : **﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [الأنعام/٢٠] و **﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾**، غبنوها؛ لأنهم عديموا الانتفاع بها، فكانها هلكت وذهبت أصلاً فلم

(١) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ١١٨.

(٢) ينظر : الكتاب ١٠٢/٣، والبحر المحيط ٤٨/١ ومغني اللبيب ٢٠١/١، والبرهان في علوم القرآن ٣٥٠/٤-٣٥١، ودراسات في الأدوات النحوية ١٤٠، ومعجم الجملة القرآنية ٦٧-٧١.

يقدر منها على شيء. وأصل الخسران الهلاك، أو الظلم أو النقصان<sup>(١)</sup>. فجاء قوله "خسروا" محتملاً للإطلاق التام في الخسران الدائم فيكون زمنه مستمراً مطلقاً أما إذا قصد به خسارته يوم القيامة كان زمنه الاستقبال بدلالة الوقوع في الآخرة<sup>(٢)</sup>.

وقد تدل جملة المضارع على المضي بوساطة القرائن كما في قوله تعالى : **﴿فَلَمْ تَقْتُلُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [البقرة/٩١]. أي : لم تقتلتم؟ إذ أفادت القرينة اللفظية — من قبل — على مضي الجملة فدل على تقدم القتل زيادة على القرينة التاريخية، ذلك أن الخطاب موجه لمعاصري الرسول ﷺ واستعمال المضارع يوحي بتكرار محاولتهم القتل واستمرارهم عليه<sup>(٣)</sup>، وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي للإعلام بأن الأمر مستمر ألا ترى أن معاصري محمد ﷺ لما كانوا راضين بفعل أسلافهم بقي لهم من قتل الأنبياء جزء، وفي إضافة (أنبياء) إلى الله، تشريف عظيم لهم وأنه كان يجب لمن جاء من عند الله أن يعظم أجل تعظيم لا أن يقتل<sup>(٤)</sup>.

وقد تدل الجملة المضارعية على تجدد الحدث أنا بعد أن من ذلك قوله : **﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾** [الأفال/٥٦] فقوله **﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ﴾** عطف المستقبل على الماضي؛ لأن الغرض أن من شأنهم نقض العهد مرة بعد أخرى، في مستقبل أوقاتهم بعد العهد إليهم، فدلّت صيغة المضارع على تجدد نقضهم للعهد حالاً ومستقبلاً؛ لأن هذا سلوكهم وخلقهم الذي لا يبدلونه<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك قوله تعالى : **﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ..﴾** [النساء/١٥٣]. يذكر "ابن عاشور" : إن أكثر ما يفتح بهذه الصيغة يدل على تكرار الفعل نفسه وتجده مرة بعد أخرى فيدل على الإلحاح في

(١) ينظر : تفسير غريب القرآن ٣٠، ومقاييس اللغة ١٨٢/٢، والفروق اللغوية ٣٠٢، والكلبيات ١٧٩.

(٢) ينظر : البحر المحيط ٤٦٣/٤.

(٣) ينظر : معاني القرآن ، الفراء ٦٠/١-٦١، وفقه اللغة وسر العربية ٣٦٥، ومجمع البيان ١٦٩-١٧٠ والتفسير الكبير ١٦٩/٣-١٧٠.

(٤) ينظر : المحرر الوجيز ١٨٣/١ والبحر المحيط ٤٩٣/١.

(٥) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ١٤٣/٥، والبحر المحيط ٣٣٩/٥، وروح المعاني ٢٢/١٠، والتحرير والتنوير ٤٨/١٠.

السؤال<sup>(١)</sup>. وقال أيضاً : ((إنَّ شَأْنَ السَّوَالِ يَتَكَرَّرُ فَيَشَاعُ إِيرَادُهُ بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ))<sup>(٢)</sup> فمجيء المضارع هنا : إمَّا لقصد استحضار حالتهم العجيبة في هذا السؤال حتى كأنَّ السامع يراهم، وإمَّا للدلالة على تكرار السؤال وتجددته المرة بعد الأخرى بأن يكون الحوار في هذا السؤال لقصد.

وقد يؤثر التعبير القرآني صيغة الفعل على صيغة الاسم كقوله تعالى : ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف/١٦]. فأثرت صيغة (يكون) على (باكين)؛ لأنَّ السياق في تصوير مكر إخوة "يوسف" وحقدهم عليه، بعد أن احتالوا على أبيهم وأخرجوه معهم ثمَّ رموه في غيابة الجُبِّ، وجاءوا أباهم يصطنعون البكاء ويتظاهرون بالحزن ويكرِّرونه للنعمية والتغطية على كذبهم، فالبكاء حدث متلاحق متكرر<sup>(٣)</sup>.

فالسباق يمدِّنا بتعليل شافٍ لاختيار صيغة المضارع في هذه الآية، فضلاً عن أنَّ الموقف يتسم بالحركة وتتابع الأحداث المثيرة وتحركها بالمؤامرات وأرتجاف قلب سيدنا "يعقوب" <sup>عليه السلام</sup> خوفاً على ولده؛ لذلك حسنَّ التعبير بصيغة الفعل عن هذا الجوِّ القلق المتململ، فانسجم التعبير والسياق أيما انسجام، فالتعبير القرآني لا يكتفي بسرد أحداث القصة وإنما يتغلغل في أعماق الشخصيات فيصورها أبدع تصوير، ويكشف عن أحوالها وطبيعتها.

وقد تدل صيغة الفعل على سرعة وقوع الفعل وسهولة تحققه، من ذلك قوله تعالى : ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة/٦٥]، فلم يأت الأمر على وجه الحقيقة، وإنما هو إخبار عن سرعة فعله - سبحانه - ومسخه للمعتدين في السبوت وعن مدى سهولة تحقق ذلك<sup>(٤)</sup>. فعلى هذا جاءت أوامره <sup>عليه السلام</sup> دالة على الحال؛ لأنها محققة على الفور لا تمهل فيها.

(١) ينظر : التحرير والتنوير ١٣/٦.

(٢) نفسه ٦٤/٦.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٦٧/٤.

(٤) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٢٩٠/١، ١٧/٥، والتفسير الكبير ٤١/٣، والبحر المحيط ٢٤٦/١-٢٤٧، والزمن في القرآن ١٢٧-١٢٨، وقواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم

وقد تدخل (كان) على جملة المضارع للدلالة على الماضي المستمر في غالبية ماورد في آيات الصفات\* . وأشار النحاة إلى أن هذا التركيب (فعل الكينونة وصيغة "يَفْعَل") يستعمل للتعبير عن استمرار الحدث في حقبة من الزمن الماضي<sup>(٢)</sup>، من ذلك قوله تعالى : ﴿.. ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة/٦١]، و [آل عمران/١١٢]، و [المائدة/٧٨]، أي جرّاهم على ذلك سبق المعاصي والاستمرار على الاعتداء فتدرجوا من الصغائر إلى الكبائر ومرتوا عليها<sup>(٣)</sup>.

فالوصف الأول (عَصَوْا) يبين صلتهم بالله فلما كان متعلقاً بعقيدة اليهود وأيمانهم عبر عنه بلفظ الماضي؛ لأن وجود العقيدة في شخص أو انتفاءها عنه شيء ثابت غير قابل للتغيير أو التجديد من حيث استعداد النفس للإيمان أو عدم استعدادها، والوصف الثاني (كانوا يعتدون) يبين نوع صلتهم بالناس، وحصر هذه الصلة في العدوان يوحى بأن اليهود لا تربطهم بالناس أي رابطة إلا العدوان وهذه الصفة لما كانت شيئاً متجدداً ومتكرراً في حدوثه ووقوعه، فقد عبر عنه بالمضارع (يعتدون)، واقتران لفظ (كان) به أضفى عليه صفة القوة والمبالغة والاستمرار منذ الزمن الماضي، وكأن قوله (وكانوا يعتدون) يفيد أن اعتداءهم دائم متجدد ومتنوع وأنه ليس مجرد حوادث سلوكية فردية وإنما هو شيء متمكن من الطبع نابع من استعداد قوي في النفس<sup>(٤)</sup>.

وإذا تصدرت الأداة (لا) النافية الفعل (زال) وصيغة (يفعل) للدلالة على امتداد الحدث من الزمن الماضي إلى المستقبل أي الزمن المستمر الذي يفترض انقطاعه لوقوع حدث آخر يأتي بعده، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ..﴾ [المائدة/١٣].

أي : لا تزال يامحمد تطلع من اليهود الذين يؤذونك بنقض ميثاقهم ، فالخيانة عادة مستمرة لهم ولأسلافهم لا يتركونها<sup>(٥)</sup>.

\* ينظر مثلاً : البقرة/ ٧٢، والمائدة/ ٧٩، ٦٣، ٦٢، ٦١.

(٢) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه ١٥٨، ومعجم الجملة القرآنية ٦٠-٦٣، والزمن في القرآن ١٥١-١٦٥، ١٥٥-١٦٦.

(٣) ينظر : نظم الدرر ٤٢١/١، وتفسير المنار ٥٨/٤.

(٤) ينظر : أسلوب السخرية في القرآن ٢٧٢-٢٧٣.

(٥) ينظر : الكشاف ٦٠٠/١، ومعجم الجملة القرآنية ١٥٤-١٥٩.

وقد يكون للقراءة أثر في أن يحتمل المضارع لأكثر من دلالة فتكون قرينة لهذه الدلالة كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [آل عمران/٢١] . إذ قرئت : يُقَاتِلُونَ من (قاتل) وَيَقْتُلُونَ بالتشديد للكثرة والمبالغة، وقراءة الجماعة : يَقْتُلُونَ فيها دلالتان : إحداهما، أنها للمضي : بمعنى قتل من سلف من الأنبياء كقتل يحيى عليه السلام . والآخر : يَقْتُلُونَ في الحال والاستقبال ؛ لأنهم قاتلوا النبي محمد ﷺ وحاولوا قتله<sup>(١)</sup>.

ومثلما ارتبطت الجملة المضارعية بزمان المضي، أو الحال أو الاستقبال أو ما ينبثق منهم، فإنها جاءت مجردة عنه ولاسيما إذا ما جاءت بهيئة (مثل) أو (حكمة) أو (حكم) فإنها تفقد دلالتها الزمنية؛ لأنه لا يمكن أن تعد الأمثال ذات دلالة زمنية محددة؛ لأنها تصلح لكل زمن، فالحكم والأقوال المأثورة وإن كانت تؤدي بالفعل المضارع إلا أن الزمن فيها غير مقصود لذاته وهي وإن كانت تعبر عن أحداث إلا أن هذه الأحداث أصبحت خاضعة لنظام الجملة ككل لمعناها العام ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ [الحشر/١٤] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة/٥] ، فصيغة المضارع (يحمل) مطلقة الزمن أو مجرد منه، فلم تشر إلى جهة زمنية محددة، فشبه سبحانه حال اليهود الذين أنكروا صفة الرسول ﷺ التي بشرت به التوراة، بحال الحمار ذلك المخلوق البليد الذي يحمل أثقالاً من الكتب من دون الانتفاع بما فيها من علم ليس له إلا التعب، فهذه عادته في كل الأحوال، ففاس من حملة الله سبحانه كتابه، ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب يقرأه بغير تدبر ولا تفهم<sup>(٢)</sup> . وكذلك ما كان طبعاً ثابتاً كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الاعراف/١٣٨] ، فقوله

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١/٣٩٠، معجم القراءات ١/٤٦٦-٤٦٧ .

\* الأسفار : الكتب ٥/١٥٨ .

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن ٣٧٨، الكشف ٤/١٠٣، وأمثال القرآن ، أبن قيم الجوزية ٧٩، والتحرير والتنوير ١٨/٢١٤ .

﴿تَجْهَلُونَ﴾ يدل على أن ذلك منهم كالطبع والغريزة لا ينتقلون عنه من ماضٍ ولا مستقبل<sup>(١)</sup>.

### هـ- عوارض الجملة العربية

تتعرضُ بنيةُ الجملةِ لعوارضٍ تطرأُ عليها فتخرجها عن النسق المألوف، وذلك تبعاً لأغراضٍ بلاغيةٍ معينةٍ مقصودةٍ يحرصُ المخاطبُ على إيصالها إلى المخاطب ليحدث فيه تأثيراً معنوياً، وهذه العوارض يحددها السياق والمقام والظروف المحيطة بالنص.

إنَّ ما تحقَّقه تلك العوارض من أغراض هي في الحقيقة طاقات تعبيرية جديدة تلحق المعاني الظاهرة فتزيدها تدقيقاً وتأكيذاً.

ومن أبرز هذه العوارض التي تعرض للجملة القرآنية التي كانت محطَّ عناية علماء اللغة عامة، وعلماء النحو خاصة فتناولوها بالتحليل والتعليل وسعوا للكشف عن دلالتها المتنوعة، التقديم والتأخير، والحذف، والوصل والفصل، والتعريف والتكثير.. ولكنَّ البحث سيقصر على دراسة النوعين الأولين لما لهما من دورٍ كبيرٍ في بيان دلالة الجملة في سياق آيات الصفات :

#### أ- التقديم والتأخير

من خصائص هذه اللغة الشريفة أنَّها اتَّسعت بالإعراب فصار المتكلم يقدم معتمداً عليه ما شاء له، فقد درجَ الدرس اللغويُّ العربيُّ على تصور ترتيب الجملة العربية تصوراً معيارياً نجمَ عنه مصطلح (الرتبة)، التي هي : ((قرينة لفظية وعلاقة بين جزأين مرتبين من أجزاء السياق يدلُّ موقع كل منهما من الآخر على معناه))<sup>(٢)</sup>، فالمبتدأ يتقدم الخبر، والفعل يتقدم متعلقاته ، وصاحب الحال يتقدم الحال..

وجوهر التقديم والتأخير العدول عن أصول بناء الجملة وتغيُّر نظام سبكها المعروف، وكلُّ ذلك قائم على إحساسٍ داخليٍّ في نفس المرسل بقصد إظهاره في نظام ألفاظه فيكون أكثر تأثيراً وجمالاً؛ لأنه ينقل المعاني إلى المتلقين وفق ترتيبها في ذهنه

(١) ينظر : البحر المحيط ١٥٨/٥، ونظم الدرر ٧٠/١.

(٢) اللغة معناها ومبناها ٢٠٩، وينظر : الجملة العربية تأليفها وأقسامها ٣٥.

تبعاً لدرجة أهميتها عنده، فيكون التعبير صورة صادقة لهدف المرسل ومقصده من الكلام<sup>(١)</sup>.

أهتم النحاة والبلاغيون<sup>(٢)</sup> بظاهرة التقديم والتأخير، واتخذوها وسيلة لكشف الثراء الدلالي للغة العربية عامة، وللغة القرآن خاصة، وأستقصوا حالات العدول عن الترتيب المعياري بما لا يخرج الكلام عن جادة الصواب، وعَنَوْا بتتبع دلالات الترتيب، ففسَّرت سياقات التقديم والتأخير في ضوء تصورات (يعود بعضها إلى المبدع وحركته الذهنية ويعود بعضها إلى المتلقي واحتياجاته الدلالية، ويخلص بعضها الثالث للصياغة ذاتها على معنى أنه من طبيعتها المثالية)<sup>(٣)</sup>.

إن ما يستوقف الدارس في ترتيب الجملة وأثر ذلك في نتائجها الدلالي هو ((طبيعة الاحتمالات القائمة في بنية التراكيب؛ لأن ضياع (الاحتمالات) يشد الصياغة إلى جبرية تناسب وظيفتها اللغوية، لا وظيفتها البلاغية)<sup>(٤)</sup>، وهذا ما اصطلح النحويون على تسميته (التقديم الجائز) و (التأخير الجائز) ، فإذا حلت الكلمة في موقعها بحسب الترتيب المعياري للجملة أو تقدمت وجوباً، أو تأخرت وجوباً لم يكن للتقديم أو التأخير قيمة دلالية؛ إذ لا اختيار فيه للمتكلم، وإنما هي قواعد اللغة، فلا مزية في ذلك، يقول عبدالقاهر الجرجاني : (وإنما تكون المزية، ويجب الفضل، إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء وجهاً آخر، ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه ورأيت للذي جاء عليه حسناً وقبولاً يعدمهما إذا أنت تركته إلى الثاني)<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : من أسرار التعبير في القرآن "صفاء الكلمة" عبد الفتاح لاشين ١٠٩، ١٩٤.

(٢) ينظر : الكتاب ١/٢٥٦، ٣٤، والمقتضب ٣/١١٨-١١٩، ٤/١٦٨-١٧٢، والأصول في النحو ٢/٢٤٧-٢٥٥، والخصائص ٢/٣٨٢-٣٨٩، ودلائل الإعجاز ١٣٧-١٦٦، والطراز ٥٦/٢ وما

بعدها، والتبيان في علم البيان ١٠٥-١٠٦.

(٣) البلاغة العربية "قراءة أخرى"، محمد عبدالمطلب البكاء ٢٣٨.

(٤) نفسه، ٢٣٧.

\* في المطبوع "الذي" ، والصواب ما أثبتته والله أعلم.

(٥) دلائل الإعجاز ٢٨٠.

يعدُّ (التقديم والتأخير) في الدراسات المعاصرة من مباحث الأسلوب المهمة في التركيب، فهو انزياح سياقي عن القاعدة الخاصة بترتيب الكلام<sup>(١)</sup>. وتلوينات أسلوبية ترتقي بالنص من مستوى التعبير المباشر إلى المستوى الفني البعيد عن السطحية، وتساعد على تأكيد ملامح أسلوبية يمكن بواسطتها أن تبين الجوانب الجمالية فيه.

وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن من القول - كما في غيره - الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير، بحيث تستقر في مكانها المناسب<sup>(٢)</sup>، وما يطلق من تقديم أو تأخيراً على ألفاظه، فتلك ملاحظاتنا - نحن البشر - وتقديرانتنا، فيعدُّ اللفظ فيه جزءاً بنائياً، أتسق في الجملة القرآنية وذاب فيها فلم نعد نراه متقدماً ولا متأخراً، اما الذي تقدم أو تأخر إنما هو في المعاني التي تتقدم في النفس أو تتأخر، كما يقول الرازي: من أن ((دلالة الألفاظ على ما ثبت في النفس لا على ما ثبت في الخارج))<sup>(٣)</sup>.

وفي آيات الصفات سنقتصر على اختيار عدد محدد من الآيات تبرز فيها أهمية هذه الظاهرة بحيث يمكن تقسيم التقديم والتأخير على أقسام ثلاثة هي :

أولاً : تقديم المسند إليه

ثانياً : تقديم المسند

ثالثاً : تقديم متعلقات الفعل

**أولاً : تقديم المسند إليه،** نحو قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾\* [آل عمران/٧٥]. والآية جاءت في معرض الرد على اليهود فيما ادّعوه من إباحة خيانة من خالفهم في الدين وأكل أموالهم بالباطل، وهم يعلمون أنهم كاذبون في دعوهم<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : بنية اللغة الشعرية، جان كوهين ١١٠.

(٢) ينظر : التعبير القرآني ٥١.

(٣) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي ١٢٨ وينظر : التبيان في علم البيان ١٤٧.

\* ينظر مثلاً : البقرة/١٠٠، وآل عمران/١١٣، والأعراف/١٧٠، والتوبة/٢٩، ويوسف/١٠٢.

(٥) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة، ٥٩، والطرارز ٢/٢٨، وأنوار التنزيل ١/١٧١، وتفسير المنار ٢٧٩/٣-٢٨٠.

وتقديم المسند إليه -هنا- وهو قوله (وهم) على الخبر الفعلي (يعلمون)، إنما جاء لتقوية الحكم وزيادة تأكيده وإثباته، وهو أبلغ من قولنا (يعلمون) من دون (هم)<sup>(١)</sup>. ومثله قوله تعالى على لسان اليهود : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ [النساء/١٥٧]، فجاء تقديم المسند إليه (إنّا) لإزالة أي شك يمكن أن يعرض في نفس المتلقي، وليس المقصود بالتقديم تقوية لحكم القتل وتأكيده له فحسب بل يفيد تخصيصه بهم وحدهم.

وقد سلك التعبير القرآني سبيل القصر تأكيداً للكلام، ومبالغة في توخي الأحكام وتثبيتها في الأذهان، وقولهم (رسول الله) استهزاء منهم، ويحتمل أن يكون استثناءً منه تعالى بمدحه عليه السلام، أو وصفاً للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح<sup>(٢)</sup>. وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال/٥٥-٥٦].

إن تقديم المسند إليه (هم) على الخبر الفعلي المنفي في قوله : (لا يؤمنون)، و (لا يتقون) لقصد إفادة تقوية نفي الإيمان عنهم، وهذا أبلغ وأقوى في تأكيد الحكم وترسيخه في الذهن من قولنا : (لا يؤمنون) فقط<sup>(٣)</sup>، كأن الاسم ذكر مرتين : مرة ظاهراً في أول الجملة وهو قولنا (هم)، ومرة ضميراً مستتراً تقديره (هم)؛ لأن الفعل في الجملة يحتاج إلى فاعل يعود على المسند إليه، فتقديم ذكر المحدث عنه يفيد تأكيد الخبر وتحقيقه له. يقول عبد القاهر الجرجاني في ذلك : ((أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له؛ لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام، في التأكيد والإحكام، ومن ههنا قالوا : إن الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدم إضمار))<sup>(٤)</sup>.

ويجيء مثل هذا التقديم فيما سبق فيه إنكار من منكر مدع، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا ﴾

(١) ينظر : دلائل الإعجاز ١٥٦-١٦٠، والبلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس ١٦١.

(٢) ينظر : الكشف ٥٧٩/١، وأنوار التنزيل ٢٥٠/١.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٤٧/١٠.

(٤) دلائل الإعجاز ١٥٩-١٦٠.

**يَكْتُمُونَ** [المائدة/٦١]. فقولهم (آمنا) دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا، فالموضع موضع تكذيب، فقدّم المسند إليه (هم) تكذيباً لهم ليؤكد تكذيبهم، ومنعاً للمتلقي من الشك أن يكون غيرهم قد خرج بالكفر، فهو أبلغ من قولنا : (قد خرجوا به) فهو لاء لا أثر للإيمان في قلوبهم<sup>(١)</sup>.

### ثانياً : تقديم المسند

١ - تقديم الخبر على المبتدأ كما في قوله تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾** [الحشر/٢] فقد عمد النصّ القرآني إلى تقديم الخبر (مانعتم) على المبتدأ (حصونهم)؛ لإعطاء فائدة تخصيص حصون اليهود بالعزة والمنعة فالتقديم هنا- أكد لنا حقيقة هذا المنع والتحصين وأضفى فائدة لا سبيل إليها مع التأخير. قال الزمخشري : ((فإن قلت : أي فرق بين قولك : وظنوا أن حصونهم تمنعهم، أو "مانعتم" وبين النظم الذي جاء عليه؟ قلت: في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصوير ضميرهم أسماً لأنّ، وإسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في مغازتهم، وليس ذلك في قولك (وظنوا أن حصونهم تمنعهم))<sup>(٢)</sup>.

ولا يمكن جعل "مانعتم" مبتدأ، مع كونه معرفة، و "حصونهم" خبره؛ ((لأنّ القصد الإخبار عن الحصون، ولأنّ الإضافة غير محضة، فهي نكرة))<sup>(٣)</sup>.  
لقد أسهم هذا التخصيص في رسم شدة اعتقادهم بعدم خروجهم من ديارهم، فجاء نصر الله على الرغم من ظنّ المسلمين وظنّ اليهود، وتمّ إخراجهم من تلك الحصون المنيعة بقوته وحوله.

(١) ينظر : دلائل الإعجاز ١٠٣، وإرشاد العقل السليم ٢/٢٥٠، والبلاغة فنونها وافنانها وأصنافها ١٦٢.

(٢) الكشف ٤/٤٩٩، وينظر : أنوار التنزيل ٢/١٠٥٦-١٠٥٧، والمثل السائر ٢/٢٢١-٢٢٢ والطراز ٢/٦٨-٦٩، ومعاني النحو ١/١٥٢ ومن أسرار التعبير في القرآن "صفاء الكلمة" ١٨٩.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٨/٥٦٤.

أفاد التقديم - المشار إليه، فائدتين : إحداهما معنوية، وهي الاختصاص،  
والأخرى : لفظية، وهي جزء من التعبير وتعني الحفاظ على التنغيم الأخاذ والتوازن  
الصوتي الذي يساهم مساهمة فعالة في الإحساس والشعور<sup>(١)</sup>.

٢ - تقديم خبر كان على اسمها : من ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ  
الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة/٩٤].  
تقدم الجار والمجرور (لكم) وهو خبر (كان) الفعل الناقص، على (الدار الآخرة) الواقعة  
في السياق اسماً لـ (كان) في أحد أوجه إعرابها<sup>(٢)</sup>، وقد ردت هذه الآية على اليهود  
الذين زعموا أن الجنة لهم من دون الآخرين<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً : تقديم متعلقات الفعل

١ - تقديم المفعول به على الفعل، نحو قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ  
الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونْ \* وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ  
مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ  
فَاتَّقُونَ ﴾ [البقرة/٤٠-٤١]. قدم المفعول به (إيأي) ضمير النصب المنفصل على الفعل  
والفاعل (فارهبون) و (فاتقون)، وتشير الدلائل السياقية إلى أن هذا التقديم يتفق مع نظم  
الكلام وسياق الحال، فالخطاب القرآني لبني إسرائيل صور نعم الله وفضله على عباده  
وتخويفهم من عصيانه والكفر به، ويفصح سياق قصة بني إسرائيل عن طبيعة نفوسهم  
المريضة، فهم سرعان ما ينسون تلك النعم ويجحدون آيات الله ﷻ ويكفرون بها، فجاء  
تقديم ضمير النصب العائد على لفظ الجلالة -الله- اهتماماً به وأكد في إفادة تخصيصه  
سبحانه بالخوف والرغبة، فضلاً عما أفاده التقديم من تكرير المفعول<sup>(٤)</sup>، وما أمر مراعاة  
الفاصلة بخاف عنا في هذه الآية.

ويعلل البيضاوي (ت ٧٩١هـ) سبب تقديم الرغبة على التقوى بقوله : ((ولما  
كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية، فصلت بالرغبة

(١) ينظر : خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد أبو موسى ٢٥.

(٢) ينظر :

(٣)

(٤) ينظر : الجامع لاحكام القرآن ٢٢٦/١، وأنوار التنزيل ٦٢/١، واللباب في علوم الكتاب ١٢/٢ -

التي هي مقدمة التقوى؛ ولأنّ الخطاب بها لما عمّ العالم والمقلّد، أمرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك، والخطاب بالثانية لما خصّ أهل العلم، أمرهم بالتقوى التي هي منتهاه<sup>(١)</sup>.

وهذا التقديم من أساليب القصر في العربية، يقول "ابن جني" : ((إنّ أصل وضع المفعول أن يكون فضله، وبعد الفاعل كـ (ضرب زيد عمراً)، فإذا عناه ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا (ضربَ عمراً زيد)، فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل المناسب فقالوا : (عُمرَ ضربَ زيد) فجاءوا به مجيئاً ينافي كونه فضله..))<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾\* [البقرة/٥٧]، إذ قدّم المفعول به (أنفسهم) على عامله (يظلمون) : ((إيذاناً باختصاص الظلم بهم، وأنه لا يتعداهم))<sup>(٣)</sup>، ويشير سياق قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام إلى شدة عنادهم واستكبارهم، إذ قابلوا نعم الله ﷻ عليهم ومعجزاته العظيمة بالكفر والطغيان، فاتخذوا العجل إلهاً فوصفهم سبحانه بالظلم فقال : ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة/٥١].

وقد صرّح لهم "موسى" عليه السلام بأن ظلمهم إنما يقع على أنفسهم ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ..﴾ [البقرة/٥٤].

ولم يقف ظلمهم لأنفسهم عند هذا الحد، بل نسوا توبتهم ونقضوا عهودهم فانكشفت حقيقة إيمانهم الزائف، وضعف اعتقادهم به سبحانه.

وهكذا يصوّر السياق تدرج ظلمهم فيتجلى ظلمهم لأنفسهم في أبشع صورة، فجاء التعبير بتقديم (أنفسهم) على (يظلمون) ليؤكد أنّ الظلم الذي صدر منهم إنما يقع على أنفسهم ولا يصيب غيرهم.

(١) أنوار التنزيل ٦٣/١، وينظر : قطف الأزهار ٢٤٢/١.

(٢) المحتسب ٦٥/١ وينظر منه ٦٦.

\* ينظر مثلاً : البقرة /٨٧، المائدة /٧٠، ٥٠.

(٣) الدر المصون ٣٧١/١.

٢- تقديم الجار والمجرور على الفعل المُسند : كما في قوله تعالى : ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء/١٦٠].

فقدّم الجار والمجرور (بظلم..) على فعل التحريم (حرّمنا) للاختصاص أي : عليهم لا على غيرهم من الأمم، وتقريعاً وتأنيباً لبني إسرائيل بدلالة الآيات التي قبلها في معرض تعداد المظالم التي ارتكبوها<sup>(١)</sup>.

٣- تقديم الجار والمجرور على المفعول به، نحو قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنَ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ [آل عمران/٩٩].

من المعلوم أنّ الفعل (صدّ) يأتي لازماً ومتعدياً بنفسه إلى مفعول واحد، ومتعدياً بنفسه إلى مفعول أول، وبحرف الجر (عن) إلى مفعول آخر كما في الآية الكريمة، فنقدم المتعلق من الجار والمجرور (عن سبيل الله) على المفعول به الاسم الموصول (مَن)، ولهذا التقديم قيمة دلالية وأسلوبية كبيرة، فالاستفهام الإنكاري المأمور به رسول الله ﷺ تركّز على صدّ أهل الكتاب الناس عامة عن سبيل الله<sup>(٢)</sup>.

قال "الزمخشري" : ((وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدّهم عنه، ويمنعون مَن أراد الدخول عنه بجهدهم))<sup>(٤)</sup>، وقوله : (مَن أراد الدخول فيه) لا يشمل المؤمنين؛ لأنهم قد دخلوا فعلاً وهو أيضاً ما يقتضيه العقل، وحقائق التاريخ من محاربة الفئة الضّالة من أهل الكتاب لدين الله على كل صعيدٍ وبكل وسيلة محتالين لذلك بمختلف الحيل. وخصّ التعبير المؤمنين بإفراد اقتضاه المقام للعناية بهم، ولإجلال قدرهم، فلو أُخِرَ فقيل : (لِمَ تصدّون مَن آمن عن سبيل الله)، لاقترصر الإنكار على صدّهم المؤمنين خاصة دون بقية الناس. والله أعلم.

ومثله قوله تعالى : ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابُ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكُمُ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة/٢٣].

(١) تنظر : الدر المصون ٢/٤٦٠، واللباب في علوم الكتاب ٧/١٢٠.

\* ينظر مثلاً : المائدة/١٤، والحشر/٢.

(٢) ينظر : التفسير البلاغي للاستفهام.

(٤) الكشف ١/٤٤٩، وأنوار التنزيل ١/١٧٧.

هذه الآية في سياق أمره سبحانه لبني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة فخافوا وجبنوا معتلين بأن فيها قوماً جبارين، فقال لهم رجالان مؤمنان (أدخلوا عليهم الباب...) أي أدخلوا على القوم الجبارين الباب، فقدّم الجار والمجرور (عليهم) على المفعول به (الباب) ليدل على أن الاهتمام والعناية بهم أكثر من اهتمامه بـ (الباب) فناسب ذلك التقدير؛ لأنّ الكلام عليهم وليس على الباب<sup>(١)</sup>.

#### ب - الحذف

مظهر من مظاهر اختصار التركيب العربي، وإيجازه، ومن ثمّ التخفيف من عبء الحديث، وفي الإيجاز تكمن البلاغة ويسمو الكلام أشدّ وقعا<sup>(٢)</sup>.

يعرّف (الحذف) في الاصطلاح بأنه : إسقاط جزء من الكلام بخلف يقوم مقامه<sup>(٣)</sup>، لدليل، وهذا لا يحدث اعتباطاً؛ لأنّ المحذوف : ((إذا دلت الدلالة عليه كان في حكم المفلوظ به إلا أن يعترض هناك من صناعة اللفظ ما يمنع عنه))<sup>(٤)</sup>.

يعمّد المرسل في كثير من الأحيان إلى حذف بعض الألفاظ ليحقق غرضاً معيناً في نفسه يؤدي إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ولكن نجاح عملية التواصل يقتضي من المخاطب معرفة المحذوف - بما لديه من فطنة - ليتسنى له فهم الرسالة اللغوية، ومن هنا يعتمد المتلقي على قرائن السياق اللغوي والحالي في تقدير المحذوف وملء الفراغ في العبارة ممّا يكسب النصّ الحركة والتفاعل ويقحم المتلقي في خضمّ عملية إنشاء الخطاب وتحليله، وإنّ انتفاء القرينة يوقع المتلقي في لبسٍ تتعطل عنده وظيفة اللغة في الإفهام فينقطع خيط الدلالة الذي يصل المرسل بالمتلقي.

ولا شكّ في أنّ الحذف لا يرقى إلى مرتبة من التأثير والبلاغة إلا حين يطابق سياق الموقف، فضلاً عن وضوح المعنى المراد من خلال الدلائل السياقية، فإذا غابت هذه الدلائل اختل المعنى وذهب جمال العبارة<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : الجملة العربية تأليفها وأقسامها ٤١.

(٢) ينظر ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حموده ٩-٨٧ التراكييب اللغوية في العربية دراسة وصفية تطبيقة، هادي نهر ١٥٢.

(٣) ينظر : الحدود في النحو ضمن (ثلاث رسائل في النحو واللغة) الرماني ٧٠، والبرهان في علوم القرآن ١٠٢/٣.

(٤) الخصائص ٢٨٥/١.

لقد أشارَ الدرسُ اللغويُّ - قديماً وحديثاً - إلى أهمية القرائن السياقية في تسويغ الحذف، وأن يكون في المذكور دلالةٌ على المحذوف، وهذه القرائن تختلف من سياق إلى آخر<sup>(١)</sup>.

تنظرُ المدرسة التوليدية التحويلية إلى الحذف بوصفه عنصراً من عناصر التحويل يطرأ على الجملة التوليدية (النواة) لغرض دلالي، تحتفظ معه الجملة بصفة الإفادة وبسمتها الاسمية أو الفعلية<sup>(٢)</sup>.

وإذا تأملنا التعبير القرآني وجدناه يوظف أسلوب الحذف توظيفاً بديعاً، فقد عمدَ إلى حذف بعض الكلمات أو الجمل لوجود ما يدلُّ عليها؛ ولأنَّ حذفها ينطوي على بعض الأسرار، التي يقتضيها المقام ولا يتمُّ المعنى المقصود إلا بها.

تجدر الإشارة إلى أنَّ الحذف في القرآن الكريم لا يمكن جعله ((إسقاطاً لما زاد من الكلام؛ لأنه لا زيادة في الأصل بالمعنى الذي ذكرته المعجمات، وإنما هو أسلوب تعبيرى، ونسق لغوي يناسب بين المقام والأسلوب، تحقيقاً لمقتضيات بلاغية لا تؤدي بغيره، فيكون بذلك أقرب إلى معاني التزيين والتحسين والتسوية منه إلى معاني القطع والاقتراف والإسقاط))<sup>(٣)</sup>.

ولأجل الإحساس بجمال النصِّ القرآني وتذوق معانيه يكون من الأفضل أن لا نتمتع في المحذوفات أكثر مما نتمتع في النص كما هو، فعذوبته وسرُّ بلاغته تكمن في ذلك، يقول الجرجاني : ((فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجديك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين))<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : خصائص التراكيب ١١١.

(٢) ينظر : الكتاب ١٣٠/٢، والمقتضب ١٣٦/٢-١٣٩، ١٥١-١٥٢، ١٢٩/٤-١٣٠، والخصائص ٣٦٠/٢-٣٦٣، ودلائل الإعجاز ١٤٦، والمثل السائر ٢٧٥/٢، وأثر المعنى في الدراسات النحوية ٣٢٥-٣٢٦ و البلاغة العربية "قراءة أخرى" ٢١٥-٢٢٤.

(٣) ينظر : في نحو اللغة وتراكيبها "منهج وتطبيق" ، خليل أحمد عميرة ١٣٢.

(٤) أسلوب الحذف في القرآن الكريم، احلام موسى حيدر (ط/د) ٢٧.

(٥) دلائل الإعجاز ١٧٠.

ولسنا -هنا- بصدد رصد كل ما يمكن حذفه من أجزاء الجملة في سياق آيات الصفات، ولكننا سنحاول بيان أبرز أنواعه فيه، كما أن الحذف يعدّ وجهاً من الأوجه الاعرابية التي ذكرها العلماء للآية في الغالب.

### أنواع الحذف :

#### أولاً : حذف المفرد

١ - حذف الحرف : ومن ذلك حذف حرف النفي نحو قوله تعالى : ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾\* [يوسف/٨٥].

أي : لا تفتأ تذكر يوسف حتى تفنى<sup>(٢)</sup>. يلحظ على السياق أنه مشحون بالألفاظ الغريبة التي تشيع الوحشة والغرابة وهذا يتناسب مع مقصود إخوة يوسف وطلبهم الغريب بنسيان يوسف، فاستعمل التعبير القرآني أغرب ألفاظ القسم (تالله)، واختار أغرب ألفاظ الهلاك وهي (الحرض) : وهو ما لا يعتد به ولا خير فيه، لذلك يقال لمن أشرف على الهلاك : حرض<sup>(٣)</sup>.

إن حذف الحرف (لا) جاء على خلاف الأصل، ويتناسب مع سياق الحال الغريب، ويرمز إلى رغبتهم في نسيان يوسف عليه السلام وحذفه من قلب أبيهم الذي ضاق بهم ذرعاً<sup>(٤)</sup>. فالحذف لم يأت اعتباطاً وإنما حقق غرضاً سياقياً، والمتلقي لا يجد أي عناء في تقدير المحذوف، فالسياق يدل عليه.

ومنه كذلك حذف حرف العطف (الواو)، تحذف (الواو) لمقاصد بلاغية منها : اتفاق المتعاطفين والتأكيد على كونها جملة واحدة كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةٍ مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ..﴾ [آل عمران/١١٨] تقديره : (ولا يألونكم خبالاً) فحذفت الواو ؛ لأن في إثباتها ما يقتضي تغاير المتعاطفين<sup>(٥)</sup>، فضلاً عما يمتاز به الحذف من انسجام موسيقي له أثره في النفس.

\* ينظر مثلاً : البقرة/٤٠-٤١، ٦٧، ٧٥، ١٠٨، ٩٠ وآل عمران/٩٩.

(٢) ينظر : بديع القرآن ٧٧-٧٨، والإتقان في علوم القرآن ١٧٥/٢، وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ٢٤٥.

(٣) ينظر في مادة (حرض) : المنجد في اللغة ١١٧، وأساس البلاغة ١٦٦، المفردات ١٦٣، ومختار الصحاح ١٣٠، ولسان العرب ١٦٦.

(٤) ينظر : خصائص التراكيب ١١٤-١١٥.

(٥) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٢١٠/٣.

وقد يكون الغرض من الحذف التوسّع في المعنى كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۖ ۞ ﴾ [الأعراف/١٦٩] فالآية تحتل تقدير (في، واللام، وعلى، والباء)، فيكون التقدير (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب في ألا يقولوا)، و (على ألا يقولوا) كما تقول : أخذتُ عليه ميثاقاً على ألا يفعل، ويحتمل (لئلا يقولوا) و (بالأ يقولوا) <sup>(١)</sup>. وهذه المعاني كلها مطلوبة ومرادة ولو أراد التنصيص على معنى معين لذكر حرفاً بعينه <sup>(٢)</sup>.

ويلتحق بهذا الموضوع حذف الحركة الإعرابية، وهو يعكس جانباً من إعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه فإن في حذف الحركة دلالات بيانية لا تختلف في قيمتها عن أنواع الحذف الأخرى، ومن مواضعه المشهورة في آيات الصفات حذف حركة الرفع في لفظة (تأمنّا) كما في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ [يوسف/١١] فقلوه ((لاتأمنّا)) أصله : ((لاتأمنّا)) بنونين مظهرتين، وقد أجمع القراء على عدم إظهار النون الأولى، واختلفوا بعد ذلك في كيفية القراءة فقرأ بعضهم بإدغام نونه بعد إسكانه تبعاً للرسم القرآني. وقرأ بعضهم بالإدغام المحض من غير روم ولا إشماء: وهو ضمّ الشفتين من غير صوت، وهذا يدرّكه البصير دون الضرير، وبعضهم مع الإشماء، وبعضهم مع الروم، دلالة على نفي سكون قلب يعقوب بأمنه عليه منهم على أبلغ وجه مع أنهم أهل لأن يسكن إليهم وذلك في غاية الغرابة، ولو ظهرت ضمة الرفع عند أحد من القراء فإنّ هذا للإيماء إلى هذه النكتة البعيدة <sup>(٣)</sup>.

إنّ اللافت للنظر في هذا النص، إنّ فيه ربطاً من الناحية البلاغية مؤداه أنّ حذف الحركة من الفعل (تأمن) جاء متسقاً مع نفي السكون عن قلوبهما -عليهما السلام- وهذه سمة تعبيرية في غاية الدقة في توخي المعنى المنسق مع السياق الأسلوبية <sup>(٤)</sup>.

## ٢- حذف الاسم :

(١) ينظر : البحر المحيط ٤/٤١٧، وروح المعاني ٦/١٤٢.

(٢) ينظر : الجملة العربية تأليفها وأقسامها ١٢١.

(٣) ينظر : التبصرة في القراءات ١٠٥، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/٣٤، ونظم الدرر

١٢/٢٦، والفتوحات الإلهية والمهذب في القراءات العشر وتوجيهها ١/٤٦.

(٤) ينظر : أسلوب الحذف في القرآن الكريم ١٤٧.

أ- حذف المبتدأ : نحو قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾\* [المائدة/٤١]. فقوله تعالى : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ خبر مرفوع لمبتدأ محذوف أي : هم سَمَّاعُونَ للكَذِبِ<sup>(٢)</sup>، وقد علل "الزمخشري" هذا الحذف لدلالة الكلام عليه<sup>(٣)</sup>. وحذف المبتدأ (هم) أبلغ من ذكره؛ لأنَّ بلاغة السياق ومعناه تكمن في تناسي المحذوف، فكأنَّ الأمر كله حُصِرَ في معنى المبالغة في سماع الكذب وقبوله، فهو الأهم، ولو قيل (هم سماعون للكذب) على الأصل، لذهب المراد ، ثمَّ إنَّ السياق يرفض أيَّ زيادة تقع عليه، فهو قد تمَّ واتسق على أكمل وجه، ولو ردَّ المحذوف لبان الخل واضحا، سواء في اتساق الألفاظ أم في انتظام المعاني، فأَيُّ حذفٍ مهما قلَّ يظهر تأثيره، لذلك يقول الجرجاني : ((ثمَّ إنَّك ترى الكلام، وهيئته تروم منك أن تتسى هذا المبتدأ، أو تباعده عن وهمك وتجتهد ألا يدور في خلدك، ولا يعرضُ لخطرِكَ ، وتراك كأنَّكَ تتوقَّاه توقِّي الشيء يكره مكانه والثقل يخشى هجومه))<sup>(٤)</sup>.

ب- حذف الفاعل : يُحذفُ الفاعلُ، فيُبنى الفعلُ للمفعول، على وفق قواعد محدودة للكلمة أو التركيب، وسبب هذا الحذف تركيز الاهتمام على الحدث، بصرف النظر عن محدثه وماله علاقة بالحدث<sup>(٥)</sup>. نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾\* [آل عمران/١١١] حُذفَ الفاعلُ العائد على اليهود في (لا ينصرون) لعدم تعلق الغرض بذكره، فعناية الآية منصبة على مجازاة هؤلاء بعدم النصر مطلقاً ولدلالة السياق عليه؛ لأنَّ المقام يقتضي هذا الحذف، ولا يخفى مراعاة الفاصلة في هذه الآية.

\* ينظر مثلاً : البقرة ٧٩.

(٢) ينظر : الكشف ٢٨٩/١.

(٣) ينظر : إعراب القرآن، النحاس ٤٩٧/١، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٩٢/١، والتبيان في إعراب القرآن ٤٣٦/١.

(٤) دلائل الإعجاز ١٧٤.

(٥) ينظر : همع الهوامع ١٦١/١، والإعجاز البياني للقرآن، عائشة عبدالرحمن ٢٤٢-٢٤٣ ومن أسرار العربية، للمؤلف نفسها ٦٥٣، وقواعد النحو ٧٨-٨١.

\* ينظر مثلاً : البقرة ٤٨، ٩٣، ١٢٣، والمائدة ٧٨، ٦٤، والأعراف ١٣٧، والقصص ٥، والجمعة ٥/.

ومثله قوله تعالى : ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/١٢٩]. إذ حُذِفَ الفاعلُ العائد على (فرعون)، وجنده لدلالة السياق عليه؛ ولأنَّ المقام يقتضي هذا الحذف، فالخوف من (فرعون) ما يزال في قلوبهم فلا يستطيعون اتهامه بإيذائهم، وفي الحذف تبرُّم به وتعبير عن إنكارهم لفعله، فضلاً عن أنَّ حذفهم إياه من سياق الكلام تعبير عن رغبتهم في حذفه من واقعهم ويؤكد هذا المعنى حالة الصراع بين القوة المتمكنة الطاغية (جبروت فرعون) وبين الفئة الضعيفة التي لا حول لها ولا قوة (قوم موسى)، والله أعلم.

**ج- حذف المفعول به :** الأصل في الجملة الفعلية ذات الفعل المتعدي أن يُذكرَ فيها المفعول به، بوصفه عنصراً من عناصر الدلالة لا تكتمل دلالة الجملة إلا به، ويحذف المفعول به لمسوغات بلاغية تقتضيها الصياغة، أو الموقف اللغوي، وظروف القول، وليس لكونه فضلة، وقد أشار "عبد القاهر الجرجاني" إلى أهمية ذلك الحذف واللطائف التي يشتمل عليها<sup>(١)</sup>.

ومن الآيات التي حُذِفَ فيها المفعول به قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ..﴾ [التوبة/٣٤].

فحذف المفعول في قوله (يصدون عن سبيل الله) والتعميم في قوله (عن سبيل الله) يراد به أنهم قد بلغوا في ذلك الغاية، فهو يصدق على صدهم أتباعهم عن الإسلام، ومنعهم عن اعتناقه، كما يصدق على صدِّ أتباعهم أيضاً عن الدين الحق في كتبهم بتعريفها، وهو يصدق على ما يبذلونه من جهود لصرف المسلمين أنفسهم عن دينهم بما يفترونه من شبهات حول الإسلام وما تقوم به جماعات التبشير ماثلاً للعيان لا يخفى على المسلمين.

ويحذف المفعول به لقصد الإيجاز ولسبق ما يدل عليه، وتمثّل ذلك في قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء/٥٢]، حُذِفَ المفعول في قوله : ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ﴾ والتقدير : (من يلعنه الله).

(١) ينظر : دلائل الإعجاز ١٧٦-١٨٩؛ والإيضاح في علوم البلاغة ١٠٥ وما بعدها، وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ١٩٩.

ذهب "ابن الزمكاني" (ت ) إلى أن المفعول به ((قد يحذف لفظاً، ويراد معنى، وتؤذن به قرينة حال أو مقال))<sup>(١)</sup>. ومن دلالة الكلام على المحذوف قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا..﴾\* [البقرة/٩٣] فالمحذوف هو مفعولي (سمعنا)، و (عصينا)، ويقدره المفسرون: سمعنا قولك وعصينا أمرك<sup>(٢)</sup>، وقد يفيد الحذف الإطلاق فقد أطلق السمع ولم يقيد بمسموع، وأطلق العصيان بأمر معين والمراد بهما كل ما يأمر به الله سبحانه.

وفضلاً عن إفادة الإطلاق فإنه قد يكون الغرض من الحذف هو التركيز على الحدث وإثبات الفعل للفاعل فحسب دون النظر لمفعوله وخير ما يمثل ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الاعراف/١٣٨]. فحذف مفعول الفعل (تجهلون)، وغرضه العناية على إثبات الفعل لفاعله، أي: أي أنه أريد بيان حال الفاعل لا بيان حال المفعول، فلم يُقَيَّدَ الجهل بشيء معين بل أطلقه في كل ما يمكن الجهل به<sup>(٤)</sup>.

إن الاكتفاء بالفاعل يجعله أكثر تفاعلاً لمعرفة المحذوف غير المصرح به، فالذي خفي وبقي في ذهن على حالة من التوقع، هو أشدُّ وقعاً منه إذا ما ظهر وأعلن، فالنفس مجبولة على تهويل كل مجهول، فإن هذا الحذف يزيد من حالة القلق والتوقع وانتظار معرفة ما يجهلون، فضلاً عما أفاده الحذف من تناسق صوتي في مراعاة الفاصلة.

وقد يُحذف المفعول به الثاني للفعل المتعدي لمسوغات بلاغية منها: التركيز على الآخر فيقتصر السياق عليه، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة/٥١]. فقوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ أي: إليها أو معبوداً، فحذف

(١) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ٢٤٣، وينظر: الإتقان في علوم القرآن ١٦٠/٢.

\* ينظر: النساء/٤٦.

(٢) ينظر: الكشف ٧٥/١، وأنوار التنزيل ٨١/١.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز ١٨٢، والكشاف ١١٠/٢، وإرشاد العقل السليم ٢٤/٣.

المفعول الثاني<sup>(١)</sup>. ومثله ﴿بَاتَّخَذَكُمْ الْعَجَلُ﴾ [البقرة/٥٤]، فعُوقِبُوا بذلك فكان لابد من إضمار المفعول الثاني فلا يعاقب <sup>عليه</sup> أحداً باتخاذ صورة العجل فقط.  
ومثله قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ..﴾ [آل عمران/١٨٠]. فحذف المفعول الثاني للفعل (لا يحسبن) بقراءة "الياء" لظهور المعنى ولدلالة الكلام عليه، يقول "سيبويه" : ((كأنه قال : ولا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيراً لهم، ولم يذكر البخل اجتزاءً بعلم المخاطب بأنه البخل لذكره (يبخلون)..<sup>(٢)</sup>) ويدخل ذلك في باب الإيجاز والاختصار لعلم المخاطب به<sup>(٣)</sup>.

د- حذف الموصوف : يُحذف الموصوف وتقام الصفة مقامه، وذلك إذا دلّ على المحذوف دليل، طلباً للتخفيف والاختصار، وأدلة حذف الموصوف كثيرة منها تقدم ذكر الموصوف، أو مصاحبة ما يُعَيِّنُهُ أو قصد العموم أو إجراء الصفة مجرى الأسماء لكثرة الوصف بها أو كونه لزمان أو مكان<sup>(٤)</sup>.

وقد يتسع حذف الموصوف فيؤدي أكثر من معنيين وعلى هذا قوله تعالى : ﴿وَبَصَدَّهُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء/١٦٠]، ((فهنا يحتمل أن يكون المراد بـ (كثير) المصدر، أي : صدّاً كثيراً، ويحتمل أن يراد به الوقت ، أي : وقتاً كثيراً، ويحتمل أن يراد به الخلق، أي خلقاً كثيراً، فجمعت ثلاثة معانٍ في آن واحد، وهو توسع في التعبير (كثير))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٤٥/١ ، ٤١٣/٢ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٨٢/١ والتبيان في إعراب القرآن ٦٣/١ ، وإعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين الدرويش ١٠٥/١ ، ١٠٣.

(٢) الكتاب ٣٩٥/١ ، وينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٧٨/١-٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٩٠/٤ .

(٣) ينظر : شرح الوافية نظم الكافية ، ابن الحاجب ١٦٣-١٦٤ ، والجملة العربية تأليفها وأقسامها ١٠٩ .

(٤) ينظر : المقتضب ١٣٧/٢ ، والخصائص ٣٦٨/٢ ، وشرح المفصل ٦٠/٣ ، وشرح جمل الزجاجة ٢١٩/١ ، والمقرب ٢٤٨ وجمع الهوامع ١٢٠/٢ .

(٥) معاني النحو ١٦٢/٢ ، وينظر الجملة العربية تأليفها وأقسامها ١٠٥ .

وأمثلة قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ [المائدة/٤١]،  
فـ(سماعون) الأولى - في أحد أوجه إعرابها - صفة لموصوف محذوف مرفوع  
بالابتداء وما قبله الخبر، والتقدير : قوم أو فريق سماعون<sup>(١)</sup>.

هـ- **حذف المضاف** : قد يحذف المضاف ويُقام المضاف إليه مقامه، وذلك بتوفر القرينة  
المعنوية، وهذا الحذف كثير في كلام العرب، فذكر سيبويه أن العرب تحذف المضاف  
تخفيفاً<sup>(٢)</sup>، وفي كتاب الله العزيز أكثر من أن يُعدَّ، ومما ورد في سياق آيات الصفات  
قوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلُ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنَّ  
كُنْتُمْ مَوْمِنِينَ ﴾ [البقرة/٩٣].

قدّر بعضهم مضافاً واحداً، أي : أشربوا في قلوبهم حبَّ العجل، فحذف المضاف  
(حب)؛ لأنَّ الذي يشر به القلب هو (المحبة) لا نفس العجل<sup>(٣)</sup>.  
علل "الطوسي" سبب الحذف بقوله : ((ولكن يُترك ذكرُ الحبِّ اكتفاءً بفهم  
السامع لمعنى الكلام، إذ كان معلوماً أنَّ العجل لا يشربه القلب، وإن الذي أشرب منه  
حبه..))<sup>(٤)</sup>.

وقال "الراغب" : ((فإنَّ في ذكر العجل تنبيهاً على أنه لفرط محبتهم صارت  
صورة العجل في قلوبهم لا تمحى))<sup>(٥)</sup>. وفي الآية حذف نائب الفاعل في (أشربوا)  
لغرض المبالغة وتضخيم الحدث.

وذهب القسم الآخر إلى حذف متضايفين والتقدير : (حبَّ عبادة العجل)<sup>(٦)</sup>، ومثل  
ذلك قوله تعالى : ﴿ .. بئسَ مثلُ القومِ الذين كذبوا بآياتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ ﴾\* [الجمعة/٥] والتقدير : بئسَ مثلُ القومِ مثلُ الذين كذبوا، فيكون (الذين) على

(١) ينظر : معاني القرآن، الأخفش ٢٥٨/١، واعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢٨٩/١، ومشكل  
إعراب القرآن ٢٢٦/١.

(٢) ينظر : الكتاب ٢٤٧/٣، والإتقان في علوم القرآن ١٧١/٢.

(٣) ينظر : تأويل مشكل القرآن ١٦٢، المحرر الوجيز ٣٩٧/١، والبيان في غريب اعراب القرآن  
٢٥/١، ١٠٩، وجمع الهوامع ٥١/٢.

(٤) التبيان في تفسير القرآن ٤٥٤/١-٤٥٥.

(٥) المفردات ٢٥٨.

(٦) ينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٤٦/١ والجامع لأحكام القرآن ٢٣/٢، والبحر المحيط  
٤٩٥/١، والدر المصون ٤٢٧/١.

\* ينظر البقرة ٤١ ويوسف ١٨ وآل عمران ١٢٠.

هذا في موضع الرفع لقيامه مقام المضاف (المخصوص بالذم) (مثل)، فحذف اكتفاءً بفهم المتلقي والثقة بعلمه به<sup>(١)</sup>.

و- حذف الصفة : ذكر "الزركشي" أن حذف الصفة ((أكثر ما يرد للتفخيم والتعظيم في النكرات، وكأن التكرير حينئذ علم عليه))<sup>(٢)</sup>، وتحذف الصفة لغرض التنبيه على الموصوف أو التأكيد عليه مدحاً أو ذماً<sup>(٣)</sup>، ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ..﴾ [المائدة/٦٨].

أي : لستم على شيء نافع<sup>(٤)</sup>، والتكرير في (شيء) للتحقير والتصغير، ونفي كونهم شيئاً كناية عن انتفاء اتصافهم بشيء من التدين<sup>(٥)</sup>، حتى يقيموا دين الله، ((والشيء اسم لكل موجود، فهو اسم متوغل في التكرير صادق بالقليل والكثير، يبينه السياق والقارئ، فالمراد هنا شيء من أمور الكتاب، ولما وقع في سياق النفي في هذه الآية استنفيد نفي أن يكون لهم أقل حظاً من الدين والتقوى ماداموا لم يبلغوا الغاية التي ذكرت، وهي أن يقيموا التوراة والإنجيل والقرآن، والمقصود نفي أن يكون لهم حظ معتد عند الله))<sup>(٦)</sup>. ويلحظ في ذلك وضوح السياق في الدلالة على المحذوف، وهو من مقتضيات حذف الصفة، فلا يجوز حذفها إلا بوجود هذه الدلالة سواء كانت لفظية أم حالية<sup>(٧)</sup>.

ي- حذف الضمير العائد على الخبر، كما في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف/١٧٠]. قال الزمخشري : ((والمعنى إنا لا نضيع أجرهم؛ لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون

(١) ينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٦٨/١، ومجمع البيان ٢٨٣/٨، والدر المصون ٣١٦/٦، واللباب في علوم الكتاب ٧٥/١٩، والتأويل النحوي، الحموز ٢٣٧/١.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١٧٨/٣، وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ٢١٧-٢١٨.

(٣) ينظر : أسلوب الحذف في القرآن الكريم ١٠٣.

(٤) ينظر : مغني اللبيب ٨١٩/٢.

(٥) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٩٩/٢.

(٦) التحرير والتتوير ٢٩٥/٦.

(٧) نظر : الخصائص ٣٧٠/٢-٣٧٢.

ب(الكتاب))<sup>(١)</sup>. فلم يقل أجرهم تعليقاً لهذا الحكم بالوصف - وهو كونهم مصلحين، وليس في الضمير ما يدل على الوصف المذكور.

### ٣- حذف الفعل

يحذف الفعل ويدل عليه المفعول به ويراد به التركيز على المفعول به، أو الفاعل، ويحذف لأسباب ومسوغات يفصح عنها المقام، ومن مواضع حذف الفعل في سياق آيات الصفات مواضع القطع للمدح أو للذم، كما في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ [النساء/١٦٢] نصب (المقيمين) على المدح بفعل محذوف تقديره أمدح، وهذا من باب النصب على الاختصاص وهو باب واسع افتتن به العرب وبالنصب قراءة الجمهور<sup>(٢)</sup>.

وأما القطع للذم فمثاله قوله تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا\*مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا﴾ [الأحزاب/٦٠-٦١] فنصب (ملعونين) على الذم أي: أذم ملعونين<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: حذف شبه الجملة

يكثر حذف المتعلق من الجار والمجرور، لإفادة معنى الإطلاق، فالمتعلق قيد، وعندما لا يراد تقييد الدلالة يحذف هذا القيد.

ومما جاء في سياق آيات الصفات قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران/١٩].

قال "الطاهر بن عاشور": ((حذف متعلق الاختلاف في قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، ليشمل كل اختلاف منهم: من مخالفة بعضهم بعضاً في الدين

(١) الكشف ٣٩٦/١، وينظر: بدائع الفوائد ٤٧/٢-٤٨، ومعتزك الأقران ٥٢/١، ومعاني النحو ٢٠١/١، وأسلوب الحذف في القرآن الكريم ٩٦.

(٢) ينظر: الكتاب ٦٣/٢، وإعراب القرآن، النحاس ٤٧٠/١، والكشاف ٥٨٢/١، وشذور الذهب ٥٤، والبرهان في علوم القرآن ٤٦٠/٢، وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ٢٢٥ ومعجم القراءات ١٩٨/٢-١٩٩.

(٣) ينظر: إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٧٤١/٢.

الواحد، ومخالفة أهل كل دين لأهل الدين الآخر، ومخالفة جميعهم للمسلمين في صحة الدين<sup>(١)</sup>.

وحذف المتعلق في الآية أفاد عموماً من وجه شمل كل اختلاف، وسياق الآية أفاد تخصيصاً هو الاختلاف في أمر الدين، فتأزرت دلالة الحذف، ودلالة السياق ليشمل اختلاف أهل الكتاب كل اختلاف في أمر الدين، وفي ذلك مبالغة في ذمهم وليس اختلافهم إلا طلباً للرياسة وحب السلطة وهذا ما تعارفه الناس منهم واشتهروا به إلى اليوم.

### ثالثاً: حذف الجملة

الجملة - كما مر بنا\* - أصغر وحدة في البناء النحوي للنص، فلا يصار إلى القول بحذفها وتقديرها إلا بالاستعانة بدلالة النص، ولحظ العلاقات التركيبية بين أجزائه المختلفة.

وهذا النوع من الحذف يعترى تراكيب الكلام التي تتألف من جملتين أو أكثر، وهو أقل اتساعاً من حذف المفرد، لقلة استخدامه في الكلام، وأقل تفرعاً بالقياس إليه وهذا الأمر جعله الأقرب إلى التعريف الذي يصف الحذف بأنه إيجاز؟ إذ يكسبه قوة ومتانة، ويجنبه الضعف والاستطالة، فضلاً عن أنه يبرز الجانب المقصود من السياق بحذف الجانب الآخر، فيحقق بذلك هدفه الذي سيق من أجله<sup>(٢)</sup>.

وحذف الجملة ((له في البلاغة مدخل عظيم وأكثر ما يرد في كتاب الله تعالى، وما ذاك من أجل رسوخ قدمه، وظهور أثره، واشتهار علمه))<sup>(٣)</sup>.

ومن الأمثلة التي طالعنا في سياق آيات الصفات ما يأتي :-

#### ١ - حذف جملة جواب الشرط

قال ابن هشام : ((حذف جملة جواب الشرط واجب، إن تقدم عليه، أو اكتنفه ما يدل على الجواب نحو : هو ظالم إن فعل، والثاني : هو - إن فعل - ظالم))<sup>(٤)</sup>.

(١) التحرير والتنوير ١٩٨/٣.

\*

(٢) ينظر : أسلوب الحذف في القرآن الكريم ١٤٨.

(٣) الطراز ٩٣/٢.

(٤) مغني اللبيب ٦٤٧/٢.

وحذف الجواب يحقق أغراضاً بلاغية لا يؤديها الذكر، قال "الزركشي" :  
((وحذف الجواب يقع في مواقع التفضيم والتعظيم ويجوز حذفه لعلم المخاطب به وإنما يحذف لقصد المبالغة؛ لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به فلا يكون ذلك الوقع))<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾\* [البقرة/١١١].

جاء التعبير الشرطي ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ على عادة العرب في خطابهم في حذف جواب الشرط لسبق ما دل عليه وهو قوله : ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، فسبحانه قد طالبهم بالدليل وقيام الحجة والبرهان على ما تمنوه فلا برهان لهم<sup>(٢)</sup>.

ونحو ذلك حذف جواب (كلما) الظرفية المتضمنة معنى الشرط في قوله تعالى : ﴿أَوْكَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة/١٠٠].

حيث حذف عامل ﴿كَلِمًا﴾ الذي هو جواب في المعنى دل عليه (نبذة)<sup>(٤)</sup>. وذهب "العكبري" و "أبو حيان" إلى أن ما عدّ دليلاً على الجواب هو الجواب نفسه، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿كَلِمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة/٧٠]، فإن جواب (كلما) على رأيهما هو ﴿كَذَّبُوا﴾ وما عطف عليه<sup>(٥)</sup>. فعلى هذا الرأي ليس ثمة حذف.

ويرى "الزمخشري" : أن الجواب محذوف دل عليه ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ والتقدير : كلما جاءهم رسول منهم بما لا تهوى أنفسهم ناصبوه العداء، وقوله ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾ جواب مستأنف لسؤال قائل كيف فعلوا برسولهم؟<sup>(٦)</sup>، وهذا التقدير هو الغالب لكثرة استعمال الجواب محذوفاً.

(١) البرهان في علوم القرآن ١٨٣/٣، والجملة العربية تأليفها وأقسامها ١١٨.

وينظر أيضاً : البقرة/٩١، ٩٣، ٩٤، آل عمران/٩٣، ١٨٣، والأعراف/٢٣.

(٢) ينظر : الكشف ٣٠٥/١، ومجمع البيان ١٨٦/١، والجامع لأحكام القرآن ٧٥/٢.

(٣) ينظر : مشكل أعراب القرآن ١٠٦/١.

(٤) ينظر التبيان في أعراب القرآن ٤٥٢/١، والبحر المحيط ٥٤١/٣-٥٤٢، والتأويل النحوي

٦٣٩/١، والظروف الزمانية في القرآن الكريم، بشير محمد زقلام ٢٣٤-٢٣٥.

(٥) ينظر : الكشف ٦٣٣/١، وأعراب القرآن وبيانه ١٣٦/١.

وقد تأتي (لو) الشرطية بمعنى (إن)، والفعل بعدها مستقبلاً لفظاً ومعنى أو معنى لا لفظاً<sup>(١)</sup>. كما في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف **﴿لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾** [يوسف/١٧]. فحذف جواب (لو) لسبق ما يدل عليه، وقد عدل التعبير القرآني عن لفظ (مُصَدِّق) إلى (مُؤْمِن)؛ لأنَّ الإيمان هو التصديق مع زيادة دلالة إعطاء الأمان<sup>(٢)</sup>.

وقد تحذف جملة الشرط والجواب معاً نحو قوله تعالى : **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [البقرة/٩١] والفاء في جواب شرط مقدر، وتقدير جملة الشرط : إن كنتم آمنتم بما أنزل عليكم فلم قتلتموهم؟ إنكاراً لقتلهم وتكذيباً لهم لتناقض موقفهم بين الإيمان وقتل أشرف الخلق<sup>(٣)</sup>.

ويلحظ في الآية الكريمة حذف جواب الشرط أيضاً وذلك في قوله : **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** وفيه قولان : أحدهما : أنها شرطية وجوابها محذوف تقديره : إن كنتم مؤمنين فلم فعلتم ذلك، فيكون الشرط وجوابه قد ذكر مرتين، فحذف الشرط من الجملة الأولى، وبقي جوابه وهو **﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾** وحذف الجواب من الثانية وبقي شرطه، فقد حذف من كل واحدة ما أثبت في الأخرى، تأكيد على كل منهما في السياق<sup>(٤)</sup>.

٢- حذف الجملة في سياق العطف : ونحو ذلك قول تعالى : **﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** [البقرة/٥٧].

قال "الزمخشري" : ((يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا، فأختصر الكلام بحذفه، لدلالة **﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾** عليه))<sup>(٥)</sup>.

٣- حذف جملة جواب الشرط والقسم

(١) ينظر : فقه اللغة وسر العربية ٣٩٩-٤٠٠، وشرح جمل الزجاجي ٤٤١/٢، ومغني اللبيب ٤٣٠/١.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٥١٠/٣، ومعتزك الأقران ١٦١/٧.

(٣) ينظر : التبيان في البرهان في علوم القرآن ١٨١/٣، والفتوحات الإلهية.

(٤) ينظر : أسلوب الحذف في القرآن الكريم ١٦٧.

(٥) الكشف ٢٨٣/١، وينظر : تفسير القرآن العظيم ٩٣/١.

إذا اجتمع شرط وقسم يحذف أحدهما اكتفاءً بالآخر، وفي اجتماعهما زيادة في تحقيق الأغراض والمقاصد، وحذف أحدهما تأكيد للآخر، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.. ﴾ [المائدة/١٢].

واللام في قوله ﴿ لَئِنْ أَقَمْتُمْ ﴾ هي المؤذنة بالقسم والموطئة لما بعدها، وبعد أداة الشرط (إن) يكون جواباً للقسم ﴿ أَقَمْتُمْ ﴾ ساد مسد جواب القسم والشرط جميعاً، ويحتمل أن يكون القسم محذوفاً، ويحتمل أن تكون جملة : (لَأُكَفِّرَنَّ) جواب القسم (ولقد اخذ الله..) وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه<sup>(١)</sup>.

وفي كل الأحوال فإن اتباع القسم بالشرط دليل على تعظيم الموقف والتأكيد على تنفيذ الأمر الموعود من الله ﷻ ..

(١) ينظر : الكشف ٦٠٠/١، والبحر المحيط ١٤٤/٣، وأسلوب الحذف في القرآن الكريم ١٧٠.

## المبحث الثاني الخبر والإنشاء

إنَّ التلوينَ في التعبير بين الجملة الخبرية والإنشائية يزيدُ في إبراز معاني النصِّ القرآني وبنوع الوسائل لإفهامه، فكُلما تنوع الكلام وتغير السياق تنوع التأويل انسجاماً مع مراد الفكرة وروح النص، فاتباع طرائق متعدّدة للإفهام يُكسبُ المتلقي نشاطاً ذهنياً يُخرجه من حالة الاستمرارية والرتابة إلى حالة استجابة نشيطة، لاسيما إذا كانت الفكرة من مجموع السياق قد وقعت من نفسه الموقع الحسن ووافقت هواه وفكره، وصار من الممكن أن تستجيب سلامة فطرته إلى صميم فكرة النص.

والخبرُ في اللغة بمعنى، الإعلام، خبرتُ بالأمر أي : علمته، وخبرتُ الأمرَ أخبره، إذا عرفتَه على حقيقته<sup>(١)</sup>.

وفي الاصطلاح : هو : ما جازَ على قائله التصديق والتكذيب<sup>(٢)</sup>، ونعني بالصدق : مطابقة النسبة الكلامية المفهومة من الخبر للنسبة الخارجية الظاهرة في الواقع الحقيقي، أمّا الكذب : فهو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو به<sup>(٣)</sup>.

وبمعنى آخر فإنَّ الخبر : ((نقل حقيقة أو معلومة يقف عليها المتكلم أو المنشئ فيعبر عنها لينقلها لمن يلقى إليه الكلام، وهذا المتلقي يستطيع أن يحقق منها صدقاً وكذباً لو أراد؛ لأنَّ لها وجوداً في خارج كلام المتكلم، وأنَّه هو الذي ينشئه فلا يستطيع المتلقي أن يصل إليه إذا أنشأ المتكلم لينقله إليه))<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر في مادة (خبر) : لسان العرب ١٠/٥ والمصباح المنير ١٦٢/١، والقاموس المحيط ١٧/٢.

(٢) ينظر : الفروق اللغوية ٣٢، والإيضاح في علوم البلاغة ١٣٠، والإتقان في علوم القرآن ٢١٠-٢١١، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس الأوسي، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ٨٨.

(٣) ينظر : الحدود في النحو ، ٧٣، والطراز ٦١/١، ٢٨٠/٣، وعلم المعاني تأصيل وتجديد ٣٨ وما بعدها، والمعاني في ضوء أساليب القرآن ١١٩-١٢٠.

(٤) نحو المعاني : أحمد عبدالستار الجواري ١١٣، وينظر : البلاغة العربية "قراءة أخرى" ٢٠٩ وما بعدها.

أما الإنشاد فهو ((يُقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه))<sup>(١)</sup>؛ لأنه كلام ينشئه المتكلم من ذات نفسه ولا يشترط فيه أن يكون له نسبة خارجية تطابقه أو لا تطابقه، وإنما يوجد حين التلفظ به، وكذا صارت الأساليب الإنشائية مجردة من الزمن ((ولذلك وصفت الجملة الإنشائية بأنها موجودة لمعناها، والخبرية بأنه حاكية عنه))<sup>(٢)</sup>.

وللخصوصيات الدلالية التي ينماز منها كل من هذين الأسلوبين، فإن أحدهما يقع موقع الآخر في إفادة الدلالة، فيخرج الخبر إلى الإنشاء أو العكس، ويُعرف ذلك بمعونة السياق وقرائن الأحوال ومقامات الكلام<sup>(٣)</sup>.

والتبادل بين الدالتين هو وسيلة من وسائل تعدد معاني النص الكريم، فلو : ((تأملت لوجدت الحقيقة المعنوية، والنفسية المعبر عنها، بلفظ الإنشاء غير الحقيقة المعنوية المعبر عنها، بلفظ الإنشاء غير الحقيقة المعنوية المعبر عنها، بلفظ الخبر))<sup>(٤)</sup>.

#### أولاً : الخبر

أولى علماء العربية الأوائل أهمية كبيرة للمخاطب، فربطوا تنوع الخبر بتنوع أحواله، وأشاروا في دراساتهم النحوية والبلاغية إلى أن كثيراً من الأحكام النحوية تكون استجابة لحال المخاطب، وفسروا كثيراً من الاستعمالات اللغوية وطرائق بناء الجملة العربية وحالات الإعراب المختلفة تبعاً لما يكون عليه المخاطب مؤكدين ضرورة مراعاة الأحوال المحيطة به<sup>(٥)</sup>.

كذلك لقي موضوع مراعاة المخاطب في صياغة الكلام عناية لدى الدارسين المحدثين، وفي ذلك يرى الدكتور "مهدي المخزومي" أن فهم الجملة يتوقف على حال المتكلم والمخاطب؛ لأنها : ((خاضعة لمناسبات القول وللعلاقة بين المتكلم والمخاطب

(١) التعريفات ٣٧، وينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ٧٨، والبلاغة والتطبيق ١٢١.

(٢) البحث النحوي عند الأصوليين ٢٦٠، وينظر : والإنشاء غير الطلب، سعاد كريم (ر/م) ١٢-١٣.

(٣) ينظر : الكتاب ٥٠٤/٣، والإيضاح في علوم البلاغة ١٥٦-١٥٧ والطراز ٢٩٣/٣-٢٩٤، والبرهان في علوم ٣٩٩/٣-٤٠٤، وعلم المعاني تأصيل وتجديد ٨٨.

(٤) دلالات التراكمات "دراسة بلاغية" محمد حسنين أبو موسى ٢٨٤.

(٥) ينظر : مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، كريم حسين ناصح "بحث" ١٨.

ولا يتم التفاهم في أي لغة إلا إذا رُوِعت تلك المناسبات، وأخذت العلاقة بين أصحابها بنظر الاعتبار، ولكن لا يكون الكلام مفيداً ولا الخبر مؤدياً غرضه مالم يكن حال المخاطب ملحوظاً ليقع الكلام في نفس المخاطب موقع الاحتفاء والقبول<sup>(١)</sup>.

#### أغراض الخبر ودلالته

للخبر غرضان أصليان<sup>(٢)</sup>، أحدهما : إيصال مضمون الكلام أو معناه إلى المتلقي يكون خالي الذهن منه بغرض إفادته ويسمى (فائدة الخبر).

والآخر : إعلام المتلقي أنه عالم بحكم الكلام أيضاً، وليس جاهلاً به ، فليس الغرض من إلقاء الكلام فائدة المخاطب ويسمى (لازم الخبر).

وكثيراً ما يخرج الخبر عن دلالته الأصلية إلى دلالات أخرى مكتسبة<sup>(٣)</sup> يفرضها السياق، والظروف المحيطة بكل من المتكلم والمخاطب، حيث يعبر المتكلم عن الصورة الذهنية الكامنة في فكره، والمعنى الدلالي الذي يقصده ، وقد حفلت آيات الصفات بالكثير من الدلالات منها :

١- دلالة الخبر على الأمر : وخروج الخبر إلى الأمر من الأساليب التعبيرية التي عرفها علماء العربية وأشاروا إليه<sup>(٤)</sup>. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة/٨٣] فقله : ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ في الآية الكريمة : خبر يراد به الأمر، قال "الزجاج" : ((إنَّ اللفظ في (لاتعبدون) لفظه خبر ومعناه الأمر، وأكد ذلك عطف الأمر عليه في السياق وهو قوله: (وبالوالدين إحساناً وأقيموا الصلاة..))<sup>(٥)</sup>.

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٢٥، وينظر : علم المعاني تأصيل وتجديد ١٢-١٦، ومراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه ١٨-١٩.

(٢) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ١٤٨، وخصائص التراكيب ٤٦، والبلاغة والتطبيق ١٠٦، والبلاغة العربية قراءة أخرى ٢٠٩-٢١٠.

(٣) ينظر في ذلك : الصاحبى ٢٨٩-٢٩١.

(٤) ينظر : الصاحبى ٢٩٠.

(٥) إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٣/٩٦٤-٩٦٥، وينظر : كتاب الإشارة إلى الإيجاز ٤٠، وعلم المعاني تأصيل وتجديد ٨٨.



ويرى آخرون أنه خبرٌ يراد به النهي<sup>(١)</sup>، غير أنهم لم يعللوا هذه الخبرية التي في الآية وإنما اكتفوا بالقول أنه خبر يراد به النهي.

يبدو أن اتباع مثل هذا الأسلوب أبلغ مما لو جرى بأسلوب الأمر والنهي مباشرة، وإلى ذلك ذهب "الزمخشري" وتابعه آخرون<sup>(٢)</sup>، إذ عدّه ((أبلغ من صريح الأمر والنهي))، وعلّله بقوله : ((كأنه سورع إلى الامتثال، والانتهاء، فهو يخبر عنه))، فقال تعالى ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، واحتجّ له بقراءة ابن مسعود وأبي بن كعب (لا تعبدوا) كما احتجّ له بالسياق ، وهو قوله : (وقولوا) بعد (وبالوالدين إحساناً) وبين أنه : ((أما أن يُقدّر : وتحسنون بالوالدين إحساناً، أو أحسنوا)).

والتفاتة الزمخشري تحسب له بقوله : ((كأنه سورع إلى الامتثال) وهو أبلغ من صريح الأمر مشعرة بأن الأمر في الآية كأنه أمّثل ونفّذ على الفور، فضلاً عما نشعر به من أنه لا عبادة إلا لله ﷻ مع النهي كذلك عن عبادة غيره، ولا تخفى دلالة هذا الأسلوب على التوكيد والتوسّع في المعنى، ومثله قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة/٨٤]، فقوله تعالى : ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾، و﴿لَا تُخْرِجُونَ﴾ خبرٌ والمراد به النهي عن سفك الدماء والا يُخرجوا من ديارهم<sup>(٣)</sup>.

٢- دلالة الخبر على الدعاء : لا ريب في أن خروج الخبر عن حقيقته في سياق آيات الصفات إلى الدعاء يخدم أغراضاً ومقاصد يرمز إليها المرسل ويهدف لها، وهو ما اعتنى به البلاغيون والمفسرون بالدرجة الأساس وأجمعوا -وهم على حق- على أن الدعاء بالخبر أبلغ من إخراج الدعاء بصيغته المعهودة، فقولنا : غفر الله لك، ويرحمك الله وغير ذلك إظهار بتيقن الاستجابة والتقاؤل بحصول الغفران والرحمة، فضلاً عن التأكيد والحرص على وقوعها<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ١/١٥٦، والبحر المحيط ١/٤٥٦-٤٥٧، وأنوار التنزيل ١/٧٧-٧٨، والتبيان في إعراب القرآن ١/٨٥، وأساليب المجاز في القرآن الكريم أحمد حمد محسن الجبوري (ط/د) ٥١٤.

(٢) ينظر الكشف ١/٢٩٣، وينظر : تفسير القرآن العظيم ١/١١٤، والإتقان في علوم القرآن ٢/١٠٨، وتفسير المنار ١/٣٦٥، ومعجم القراءات ١/١٣٨.

(٣) ينظر الإشارة إلى الإيجاز ٤٠، والجامع لأحكام القرآن ٢/١٤، والبرهان في علوم القرآن ٢/٢٩١، ٣/٣٤٨.

(٤) ينظر : الكشف ١/٢٧٠، والتبيان في تفسير القرآن ٤/٤٢٤، والإيضاح في علوم البلاغة ١/١٤٥.

وذهب الدكتور "تمام حسان" إلى أن الدعاء بصيغة الخبر دال على الحال والاستقبال<sup>(١)</sup>، والناظر في دلالة الدعاء على الزمن يجده في دلالاته على الاستقبال - خاصة- لربما تنحصر أكثر من دلالاته على الحال.

وبعبارة أخرى فإن الدعاء، وإن دل على الحال في شيء من زمنه فهو على الاستقبال أدل، إذ يصح أن تخبر بالفعل المضارع لدلالاته على الحال كما في قوله تعالى على لسان "يوسف" عليه السلام لأخوته : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف/٩٢]. فالمراد بقوله ﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾، خبر والمراد به الدعاء لهم بالمغفرة، وهو المعنى الذي اتفق عليه أغلب النحاة والمفسرين<sup>(٢)</sup>.

ويُفسر هذا الأسلوب على أنه من باب التفاضل وإدخال السرور على المخاطب، بمعنى أنه قد عدل فيه عن صيغة الأمر إلى المضارع للدلالة على تحقق الوقوع تفاؤلاً<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة/٣٠]. فقوله : ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ خبر جاء بصيغة الفعل الماضي المبني للمفعول، أريد به الدعاء عليهم، مع مافيه من التعجب منهم<sup>(٤)</sup>، والدعاء أظهر - هنا- لأنه مما يناسب المقام بمعنى الاهلاك.

وكذلك قوله : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا .. ﴾ [المائدة/٦٤] فقوله : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ و ﴿ لُعِنُوا ﴾ دعاء عليهم باللعن، بعد قول اليهود افتراء على الله : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ ، قال الزمخشري : ((يجوز أن يكون معناه، الدعاء عليهم بالبخل والنكد،

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٥١.

(٢) المقتضب ١٧٥/٤، والأصول في النحو ١٧٧/٢-١٧٨، والصاحبي ٩١، وجامع البيان ٥٦/٣، والكشاف ٣٤٢/٢، والتبيان في تفسير القرآن ١٩١/٦، والبرهان في علوم القرآن ٣٩٩/٣.

(٣) ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن ١٩٢.

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٧٦/٨، والبرهان في علوم القرآن ٣٣٨/٢. وأساليب المجاز في القرآن الكريم ٥١٣.

ومن ثمَّ كانوا أبخلَ خلقِ الله وأنكرهم، ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة..<sup>(١)</sup>

والدعاء بصيغة الفعل الماضي يجدُّ فيه المرسل والمتلقي لطافةً في التعبير عن الزمن الواسع بكل أوقاته الماضي، والحال، والاستقبال معاً، فاما دلالة الماضي فكأنَّ استجابة الدعاء واقعة من جهة المرسل بشكل من الأشكال بفعل التفاؤل الشديد بها والحرص عليها ، فيكون حين الإخبار بها ماضياً؛ لأنه بحكم الواقع في الزمن الماضي بالنسبة للداعي.

أما من جهة الحال والاستقبال فإن وقوع الاستجابة حتماً يعقبُ الدعاء سواء في ذلك أُستجيب للداعي في حال دعائه أم في قابل زمنه ومستقبله، وبذلك تكون دلالة الماضي والحال والاستقبال ظاهرةً في صيغة الدعاء بالخبر إلا أنها في الاستقبال أكثر وضوحاً، وكل ما جاء من الدعاء بالخبر يصحُّ لنا- إرجاعه إلى الأمر والنهي.

### ٣- دلالة الخبر على التمني

نحو قوله تعالى : ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران/٦٩] - يخبر الله تعالى - في سياق هذه الآية عن رغبة بعض اليهود في إضلال المسلمين، فهو تمنى النفوس المريضة التي تحملُ الحقدَ والشرَ للمسلمين، فهم يوقعون أنفسهم في الضلالة في الوقت الذي يودّون فيه إضلال المسلمين، ولا يشعرون بأنَّ وبالَ هذا عائد عليهم<sup>(٢)</sup>.

والودّ : محبة الشيء وتمني كونه ويكون في الأمنية<sup>(٣)</sup> وقد أخبرنا سبحانه عن أنَّ تمنى الضلالة للمسلمين لا محمل له إلاَّ الحسد في قوله تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ..﴾ [البقرة/١٠٩].

### ٤- دلالة الخبر على الوعيد

(١) الكشف ١/٦٢٧-٦٢٨، والجامع لأحكام القرآن ٦/١٥٥، وروح المعاني ٤/٢٦٥.

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم ١/١١٠.

(٣) ينظر : في مادة (ودد) : مقاييس اللغة ٦/٧٥، والمفردات ٧٨٠، ومختار الصحاح ٧١٤، ولسان العرب ١٥/١٧٧.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة/٧٩]. فالآية الكريمة مجموعة أخبار، لكن المراد بها الوعيد؛ لأن تحريف كتب الله تعالى - والكفر بها، ومحاربة أنبيائه وغير ذلك يستوجب مثل هذا الوعيد فهو إنذار لهم ليرتدعوا عما هم فيه وليتبتصر الآخرون بذلك وهذا يتطلب تكرار الوعيد والإنذار بقوله (ويل لهم)، وقيل أن تكرار الأخبار هو للدعاء عليهم بالهلاك<sup>(١)</sup>.

#### ٥ - دلالة الخبر على إظهار الضعف وسوء الحال

كقوله تعالى على لسان "بنی اسرائیل" لملكهم "طالوت" : ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة/٢٤٩]، فقولهم : ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾ كلام يلوح به أصحابه بالضعف والخور، والطاقه القدرة على الشيء<sup>(٢)</sup>. فهؤلاء أكدوا كلامهم بـ (لا) لنفي الجنس لما فيها من النفي العام فهذا التعبير يشعر بعدم امتلاكهم القدرة على مقاتلة جالوت وجنده.

#### أقسام الخبر

تختلف صور الكلام باختلاف حال المخاطب فالمرسل لابد أن يصوغ كلامه في صورة خاصة تلائم حالة المتلقي النفسية. وأن يكون على علم تام بمدى استعدادهم لتلقي مفاهيم أخباره بالقبول أو الرفض فيلقي الخبر خالياً من التأكيد ويسمى بـ (الخبر الابتدائي) : وهو الخبر الخالي من المؤكّدات، ويكون ((المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمّنه))<sup>(٣)</sup>، فالمتكلم يأتي بالكلام خالياً من أيّ تأكيد إذا كان السامع خالي الذهن لا يعرف عنه إنكار ولا يوجد في نفسه شك كما في قوله تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ..﴾ [البقرة/١٠٩] فلا حاجة إلى التأكيد في هذه الآية؛ لأنه المؤمنون خالو الذهن بما يحول في خاطر اليهود. ومثله قوله تعالى : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة/٦١]. ويحسن بالمتكلم أن يؤكد كلامه بمؤكد واحد إذا وجد عند السامع شكاً أو تردداً في قبوله بما يزيل مافي نفسه من شك ويسمى بـ (الخبر الطلبي)، وهو :

(١) ينظر : أنوار التنزيل ٧٦/١، وأساليب المجاز في القرآن الكريم ٥١٨.  
(٢) ينظر : الفروق اللغوية ٣٠٠، ولسان العرب ١٦٢/٩، والكلبيات ١٤١، ٥٨٦.  
(٣) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ٢٣-٢٤، والبلاغة العربية "قراءة أخرى" ٧٨.

((الخبر الذي يترددُ المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته))<sup>(١)</sup>، كما في قوله تعالى : **﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ..﴾** [الحشر/١٣] وقوله تعالى : **﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ..﴾** [البقرة/٨٠] مؤكدين زعمهم بالنفي والاستثناء.

وقد يُنكر المخاطب الخبر إنكاراً يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد بحسب ما يقتضيه المقام ويسمى بـ (الخبر الإنكاري)<sup>(٢)</sup>، كما في قوله تعالى : **﴿لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا..﴾** [آل عمران/١٨٦]. فقد كان يؤلم المؤمنين حينما تصيبهم مصيبة أو حينما يسمعون من غيرهم من اليهود والمنافقين ما يؤذيهم، فمقتضى هذا الحال أن يؤتى لهم بكلام مؤكد بأكثر من تأكيد واحد، فجاء التأكيد بالقسم والنون المشددة، لتتوطن نفوسهم عليه، وليعرفوا أن هذه سنة الله.

وكذلك قوله تعالى : **﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾** [المائدة/٨٢]. واقتضى الحال أن يؤكد الكلام بأكثر من تأكيد حتى لا يبقى مجال لإنكار شدة عداوة اليهود للمؤمنين<sup>(٣)</sup>.

يعدُّ أسلوب التوكيد من أهم الأساليب في تثبيت المعنى في القلوب، وبثه في النفوس، وحملها على التصديق<sup>(٤)</sup>، وهذا شيء حديث إليه فطرة الإنسان، ولا يخفى ميل العربي إلى توكيد كلامه للتركيز على الموضوع الذي يناط به المعنى لإيصال خوالج نفس الباث إلى ذهن المتلقي طبقاً للحالة التي عليها عند إلقاء الكلام إليه، يهدف من وراء ذلك إلى ((إزالة ما علق في نفسية المخاطب من شكوك وإماطة ما خالجه من شبهات))<sup>(٥)</sup>.

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب ٤٦٨/٢.

(٢) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية ٨١/٢.

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٣٤٢/٢.

(٤) ينظر : شرح المفصل ٤٠/٣، والكليات ٢١٧.

(٥) في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٣٤.

استعمل القرآن الكريم التوكيد وسيلةً لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه وإقراره في أفئدتهم، والناظر فيه يجده لوحةً فنيةً متناسقةً، فكلُّ توكيدٍ قد وُضِعَ في موضعه المناسب<sup>(١)</sup>.

تميزت بنية الخطاب القرآني "البنوي إسرائيل" بوجود طرائق متعددة للتوكيد، ذلك إنَّ الخطاب يجري توصيله إلى مخاطبين ينكرون موضوع التخاطب، ويحاولون المروق منه وتكذيبه، فاستعمل وسيلةً لتغيير ما هم فيه من إنكار، فينقادوا إلى طريق الحق، كما استعمله التعبير القرآني لأسرار بلاغية ولطائف أدبية لا يتم المعنى المقصود إلا بها.

حَقَّلَ سياق آيات الصفات بنماذج كثيرة من طرائق التوكيد سنقتصر على دراسة بعض منها :

١ - التوكيد بـ(إنَّ) المشددة : وهي في الأصل حرف توكيد ناصبة اسمها رافعة خبرها، فائدتها توكيد مضمون الجملة ونفي الشك عنها والإنكار لها<sup>(٢)</sup>. وتختص بالجملة الاسمية ولا تباشر الفعل مطلقاً ولها الصدارة في الكلام؛ لأنها لا تباشر إلا المبتدأ. استدلت النحاة على الدلالة (إنَّ) على التوكيد بإجابة القسم بها<sup>(٣)</sup>. ولها خصائص وفرائد جمّة تحتاج إلى شفافية في إدراكها<sup>(٤)</sup>. وكثر مجيؤها في سياق آيات الصفات لتثبيت المعنى وتقويته في نفوس المتلقين كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ.. ﴾ [آل عمران/١٩] فدلالة (إنَّ) توكيد مضمون الجملة وتقوية حكم كلامه وتقديره مع أنَّ المخاطب، الرسول ﷺ ليس منكرًا له، وإنما بهدف زيادة تقدير المعنى في نفسه ﷺ حتى يبلغ به الآخرين.

(١) ينظر : من بلاغة القرآن ١٤٣-١٤٤، والتعبير القرآني ١١٥.

(٢) ينظر في (إنَّ) : الكتاب ١٣١/٢، والمقتضب ١٠٧/٤، ومعاني القرآن واعرابه ٤٠/١، والأصول في النحو ٢٧٨/١، وشرح المفصل ٥٩/٨، وشرح التصريح ٢١١/١، وجمع الهوامع ١٣٨/١، والنحو الوافي ٦٣١/١، والتراكيب اللغوية في العربية، هادي نهر ١٣٠-١٣١.

(٣) ينظر : جمع الهوامع ١٤٠/١-١٤١، والوجيز في فقه اللغة ٣٤١.

(٤) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها ٩٣-١٠١.

وقد يتكرر مجيء (إن) في سياق واحد يعضدها طرائق التوكيد الأخرى بحسب متطلبات المقام كما في قوله تعالى : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ\* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَأَنَا دَاخِلُونَ\* قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكُمُ عَالِيُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ\* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة/٢١-٢٤].

وتكرار (إن) في هذه الآيات وغيرها، جعل مضمون الآية بعدها على سبيل التحقق، إذ أنها تدخل على الجمل المتحققة الوقوع.

٢- التوكيد بـ (اللام) : نقصد بها (اللام) التي تدخل على أحد جزئي الجملة للدلالة على التوكيد وما يتصل به من دلالات خفية أخرى تفيدها الأداة، وهي لام مفتوحة يسميها النحاة البصريون (لام الابتداء)<sup>(١)</sup> لتصدرها الجملة ودخولها على المبتدأ في الأساس، كقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف/٨] قال "الزمخشري" : ((اللام للابتداء، وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة، أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه))<sup>(٢)</sup>. فاللام دخلت على المبتدأ للإشعار بإثبات الأمر وتحقيقه وطرده الشبهة عنه.

وإذا اجتمعت هذه اللام مع (إن) المشددة في جملة واحدة نقلت إلى الخبر وسميت اللام المرحقة<sup>(٣)</sup>، كما في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة/٣٢]، وتدخل على اسم (إن) المتأخر عن خبرها كقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُوءُونَ آلَسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ..﴾ [آل عمران/٧٨].

وهذه اللام عند "الفراء" ليست (لام الابتداء)، وإنما هي واقعة في جواب قسم مقدر، فسمى (لام اليمين)<sup>(٤)</sup>. وتأتي هذه اللام في جواب القسم وتسمى (موطنة للقسم)

(١) ينظر : الكتاب ٣٧٦/٢ والمقتضب ٣٤٤/٢، وشرح التصريح على التوضيح ٢٢٢/١، وشرح المفصل ٦٢-٦٣، والجنى الداني ١٦٢، وكتاب اللامات، الزجاجي ٦٩-٧١ وجمع الهوامع ١٤٠-١٣٩/١.

(٢) الكشف ٥٢٨/١، والمثل السائر ٥٧٢/٢.

(٣) ينظر : الكافية في النحو بشرح الرضي ٣٩٣/٢، والتراكيب اللغوية في العربية ١٤٢.

(٤) ينظر : معاني القرآن، الفراء ١٦٩/١، والإنصاف في مسائل الخلاف (٥٨) ٢٩٩/١، والكافية

في النحو بشرح الرضي ٣٣٨/٢.

كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ [البقرة/ ١٤٥] .

٣- التوكيد بـ (السين) : والسين في دلالتها اللغوية تدل على الاستقبال<sup>(١)</sup>، إلا إن استعمالها القرآني في خطاب "بني إسرائيل" جعل دلالتها تتجه نحو التوكيد لما سيحصل مستقبلاً، فتكون لتوكيد الفعل الحاصل مستقبلاً. كما في قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ يَأْخُذُوهُ ﴾ [الأعراف/ ١٦٩] .

فالسین تفید وجود المغفرة لا محالة فهي تؤكد الوعد في المستقبل كما تؤكد الوعيد، وهذه الآية سيقّت لزم هذا الخلف؛ لأنهم مع معرفتهم بوحى الله إلى رسله فعلوا ما فعلوا من قبائح وللتشجيع عليهم بتحقيق مطامعهم وانشغالهم بزخارف الحياة الدنيا بأي وجه، لا يتحرون حلالها ولا يتورعون عن حرامها وقولهم : ﴿ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ كناية عن استخافهم بالحرمان، ويلاحظ بناء (سيغفر) للمفعول بعد حذف فاعلة وهو لفظ الجلالة -الله- إشارة إلى أن كما خلت قلوبهم من تعظيم الله خلت ألسنتهم من ذكره، مواطنين بأقوالهم خبايا صدورهم، والتركيب كناية عن استمرار تكالبهم على الدنيا واستمرارهم الحرام من حطامها وأن إخبارهم عن أنفسهم بالغفران خداع وغرور<sup>(٢)</sup>.

وتوسع النص القرآني في استعماله السين ولم يقصرها على دلالة الاستقبال إذ أفادت مع الاستقبال أحياناً دلالات أخرى احتملها السياق نفسه ففي قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ [البقرة/ ١٤٢] . فاللفظ وإن كان للمستقبل في ظاهره لكنه يحتمل الماضي أيضاً؛ لأنه إخبار قبل وقوعه مما يظهر نبوته ﷺ ولتعيين هيئة الفعل باستحضار صورته ليكون السامع كأنه شاهد ذلك وعائنه فضلاً عن دلالاته على استمرارهم في ذلك، وهذا أسلوب بليغ عُرِف به العرب<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر : الجنى الداني ١١٩ والكافية في النحو بشرح الرضي ٢٢٣/٢ وهمع الهوامع ٧٢/٢ ،

والنحو الوافي ٦٠/١، وأساليب التوكيد في العربية، إلياس ديب ٥١ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز والبحر المحيط والمنار .

(٣) ينظر : التفسير الكبير ١٠١/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٠٠/٢-١٠١، والمثل السائر ١٤/٢-

١٥، والزمن في القرآن الكريم ٣١-٣١٧ .

٤- التوكيد بأسلوب القصر : والقصر في اللغة : الحبس<sup>(١)</sup>، وهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص<sup>(٢)</sup>. وهذا التخصيص يفيد التوكيد وتمكين الكلام وتقريره في الذهن<sup>(٣)</sup>، ويكون القصر بطرائق عدة تقتصر منها على ما يأتي:

أ- التوكيد بـ (إنما) : يرى النحاة أنَّ أداة القصر إنما أصلها (إن) بكسر الهمزة وتزاد عليها (ما) حيث تكفيها عن عمل النصب والرفع فتسمى (كافة) وتهيؤها للدخول على الجملة الاسمية والفعلية وفي دخولها على الجملتين تفيد بدرجة أقوى من التوكيد بـ (إن) وحدها<sup>(٤)</sup>.

ويمكن القول أنَّ (ما) تزيد (إن) شحنة توكيدية إضافية وشدة ملازمتها لـ (إن) يجعلهما بمنزلة الكلمة الواحدة فقد نتج عن هذه الملازمة بين جزأها تغير في الوظيفة التي كانت (إن) تؤديها منفردة فوسعت دائرة التوكيد وأنتجت تركيباً جديداً بوظيفة جديدة.

يُعد "عبدالقاهر الجرجاني" خير من تكلم عن أسلوب القصر مفرقاً بين القصر بـ (إنما)، والقصر بالنفي والاستثناء، يقول : ((إنما تأتي إثباتاً للمذكور بعدها ونفياً كما سواه))<sup>(٥)</sup>، ويذكر أنها تدل على أمر لا يجهله المخاطب ولا ينكره<sup>(٦)</sup>.

جاء التوكيد بـ (إنما) في سياق آيات الصفات في قصة "قارون" وهو من قوم موسى فبغى عليهم، وتحكي الآيات الكريمة أنَّ قومه حاولوا نصحه لردّه عن هذا البغي والغرور. فهل استجاب؟ حكى القرآن أجابته في قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي .. ﴾ [القصص/٧٨]. وهذه إجابة تتم عن الطغيان الذي ينسي صاحبه كل شيء

(١) ينظر في مادة (قصر) : لسان العرب ١١٦/١٢-١١٧، والقاموس المحيط ١١٧/٢.

(٢) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ١١٨، والتعريفات ٣٤، وعلم المعاني تأصيل وتجديد ١٥١ وما بعدها.

(٣) ينظر : الخصائص ٣١٩/١، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق ٢١٠.

(٤) ينظر : الكتاب ١٣١/٢، ١٣٨-١٣٩، ٢٢١/٤، والمقتضب ٣٦٣/٢، والجنى الداني ٣٨١، وشرح المفصل ٥٤/٨، ومعاني النحو ٣٢٧/١ وما بعدها.

(٥) دلائل الإعجاز ٣١٤.

(٦) ينظر : نفسه ٣١٥-٣١٦، ومعاني النحو ٢٥٧-٢٥٨، ومن بلاغة القرآن ١٦٠، والمعاني في ضوء أساليب القرآن ٢٩٥ وما بعدها.

سوى ذاته<sup>(١)</sup>، فاستعمل أسلوب القصر بـ (إنما) مؤكداً أن كل ما يملك حصل عليه بقدرته وكفايته، وهذا أسلوب الواثق المتغطرس مصوراً مافي بصيرته من عمى، فجاء بالتعبير بـ (إنما) للإشعار بأن ما يدعيه من كون هذه الأموال والسلطة جاءت به بعلمه وقدرته أمر واضح لا ينبغي إنكاره.

ب- التوكيد بالنفي وأداة الاستثناء (إلا) : وهي طريقة أخرى من طرائق القصر، وتكون على أمر ينكره المخاطب أو يشك فيه وهذا هو الأصل فيها، نحو قولك : ما هو إلا مصيب لمن أنكر صواب القول<sup>(٢)</sup>.

يرى الدكتور "مهدي المخزومي" أن الاستثناء المفرغ نوع من القصر، ونفى دلالاته على الاستثناء أصلاً، إذ عدّ (إلا) أداة قصر؛ لأنها سبقت بنفي، ولذا يفضل تسمية هذا الأسلوب بالقصر بـ (إلا)<sup>(٣)</sup>، وتابعه في ذلك المحدثون، بدليل تطابق الأسلوبين في الدلالة، فهما بمثابة ظاهر الشيء وباطنه<sup>(٤)</sup>.

ومن أمثلة ذلك في سياق آيات الصفات قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ [البقرة/٩٩]، والفاسقون الخارجون عن الطاعة، ويحتمل السياق أن يكون المراد بهم اليهود، ويحتمل جنس الفاسقين، وهم داخلون فيه دخولاً أولياً، فسبحانه يخاطب قوماً يكفرون بآياته، فكان من المناسب. وتلك حالهم. أن يأتي بإحدى طرائق القصر وهي "النفي والاستثناء" ليزيل الشك في نفوس سامعيه فقصر الصفة "الكفر" على الموصوف "الفاسقون".

ج- القصر بـ (الضمير الفصل) : وهو وضع أحد ضمائر الرفع المنفصلة بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله المبتدأ والخبر، وشرط كونه ضمير فصل توسطه بينهما. وتوسط ضمير الفصل في الجملة الأسمية القرآنية يولد زيادة في التوكيد. ويرفع الإبهام ويزيل اللبس عند اختفاء القرينة الدالة.

(١) ينظر : الكشف ٣/١٩٠، وإرشاد العقل السليم ٤/١٦٣.

(٢) ينظر : دلائل الإعجاز ٣١٧-٣١٨، والأصول "دراسة إبستمولوجية" تمام حسان ٣٥١، ومعاني النحو ٢٥٧/٢٥٨.

(٣) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٤٠.

(٤) ينظر : أساليب التوكيد في العربية، ٦٣-٦٤.

ويسمى الكوفيون ضمير الفصل "عماداً أو دعامة" ؛ لأنه يدعم الكلام ويقويه ويؤكد<sup>(١)</sup>. كما في قوله تعالى ﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آل عمران/٩٤]. فالتأكيد بأسمية الجملة وبضمير الفصل (هم) والتعريف بلام الجنس إشارة إلى عظمة جرمهم وشناعتهم، وأنهم هم المتناهون في الظلم.

د- التوكيد بالمصدر : ذكر "سيبويه" أن من المصادر ما يؤدي وظيفة التوكيد بعقده باب ((لَمَّا يَنْتَصِبُ مِنَ الْمَصَادِرِ تَوْكِيدٌ لِمَا قَبْلَهُ))<sup>(٢)</sup>، والمراد بتوكيد لما قبله هو المصدر الذي يؤكد مضمون الفعل بلا زيادة شيء عليه من وصف أو عدد توسعاً في المعنى، فعدلوا عن الجملة الفعلية إلى المفرد اختصاراً.

ذكر الرضي أن ((الذي حصل، هو إعادة معنى الفعل المتحقق في الحدث الذي دل عليه المصدر))<sup>(٣)</sup>. فالتوكيد للحدث لا للفعل، فجئ بالمصدر عوضاً عن تكرار الفعل مرتين<sup>(٤)</sup>. بمعنى أنه نوع من توكيد الفعل لفظياً بذكر مصدره، وهذا ليس بسديد على رأي الدكتور "فاضل السامرائي" فلو كان الأمر كذلك لألغى التوكيد اللفظي، يقول الدكتور فاضل السامرائي أن ((العرب قد تكرر الفعل مرتين إذا أرادت فهذا تعبير وذاك تعبير وكل يؤدي غرضاً ومعنى))<sup>(٥)</sup>.

ومما جاء على ذلك قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف/٥]. فالمصدر (كيداً) تأكيد لوقوع فعل (الكيد) على الحقيقة منهم.

### ثانياً : الإنشاء

تعد الأساليب الإنشائية ركناً مهماً من أركان البنى التركيبية في القرآن الكريم بحث فيه النحاة والبلاغيون وقسموه على قسمين :

(١) ينظر : معاني القرآن، الفراء ٥١/١، وشرح المفصل ١١٠/٣، والنحو الوافي ٢٤٥/١ ومعاني النحو ٤٧/١.

(٢) ينظر : الكتاب ٣٧٨/١، ودقائق التصريف، ابن سعيد المودب ٤٤.

(٣) الكافية في النحو بشرح الرضي ١٢٢/١-١٢٣، ٢٩٦/١.

(٤) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٤٠٧/٢، وجمع الهوامع ١٨٦/٨، والنحو الوافي ٢٠٧/٢-٢٠٨، وأساليب التوكيد في العربية ١٣٦، وقواعد النحو ١٩٩-٢٠٠.

(٥) معاني النحو ١٥١/٤.

### أحدهما : الإنشاء الطلبي

وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وهو محطّ عناية النحاة والبلاغيين أكثر من القسم الآخر، لتنوّع دلالاته وخروجها عن مقتضى الظاهر إلى دلالات بلاغية أخرى يقتضيها السياق والمقام، ولشيوعتها بشكل لافت للانتباه مما يمثل ملمحاً أسلوبياً جديراً بالدراسة والتحليل هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الأساليب الطلبية تتمتع بمرونة كبيرة وهي تتوزع في الجملة العربية.

يشير بعض المحدثين إلى أنّ الجملة الطلبية أقرب إلى روح الشعر الذي يراد به التأثير بالمتلقي من الجملة الخبرية<sup>(١)</sup>؛ لذا قيل : إنّ أساليب الطلب : ((من أمرٍ ونهي واستفهام، ورجاء، وتمني، ونداء، وعرض وتحضيض تستخدم بجانب معانيها الحقيقية في فيض من المعاني البلاغية التي يقتضيها، ويستدعيها التعبير عما تجيش به نفس المتكلم من مشاعر وما يريد أن نراها أكثر ما تكون استخداماً في الأغراض الوثيقة الصلة بالمشاعر النفسية، كما في الدعوة إلى العقائد، من إيمان بالله وبرسوله...))<sup>(٢)</sup>.

### سيقف البحث في دراسته لأساليب الطلب على عددٍ منها :-

١ - أسلوب الاستفهام : هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، أو طلب حصول صورة الشيء في ذهن بوساطة أدواته المعروفة<sup>(٣)</sup>.

يتسم هذا الأسلوب بوفرة المعاني وسعة التصريف ويكثر وروده في مواقف الانفعال والتأثير والحوار والإقناع<sup>(٤)</sup>. ولما كانت المقامات مختلفة ولا يمكن الإحاطة بها، تنوّعت المعاني التي يدلّ عليها الاستفهام في سياق آيات الصفات، وأدّى ذلك إلى ثراء المعنى وامتداد الدلالات وبلاغة التصوير، ويقتضي الوقوف على معاني الاستفهام البلاغية، تأملاً في سياق الكلام، ومعرفة بمقام المتكلم، والمخاطب وطبيعة الموقف، وهي ((في كثير من صورها سوانح ضعيفة أشبه بالأسرار الغامضة تجري في النفس جرياً خفياً، تحسّها ولا تستطيع وصفها فقولنا مثلاً- إن هذا الاستفهام يفيد التقرير قول

(١) ينظر : أساليب الاستفهام في القرآن، عبدالمعطي فودة ٤٨٨.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية، عبدالغني بركة ٣٢٦، وينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ١٥٠.

(٣) ينظر : الحدود في النحو ٧٣، والصاحبي ٢٩٢، والطراز ٢٨/٣، ومغني اللبيب ١٣/١، والتعريفات ٢٥، ومعجم المصطلحات البلاغية ١٨١-١٨٢، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٣٠٧ وما بعدها.

(٤) ينظر : من بلاغة القرآن ١٦٣-١٦٤، ومن إعجاز البيان في القرآن "الاستفهام" محمد شكري الفيومي ٢٦٠، وإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ٢٥٣.

ناقص في كثير من الصور؛ لأن مافي هذا الاستفهام شيء يختلف عن محض التقرير، وإن أفاده، وإلا لكانت وسيلة التقرير هي طريق أدائه<sup>(١)</sup>.

من القضايا المهمة التي أثارها العلماء في الاستفهام القرآني : أياكون الاستفهام في القرآن الكريم حقيقياً أم مجازياً؟ ومما وضعهم أمام هذا التساؤل والاختلاف في الإجابة عليه، كون الاستفهام هو (طلب الفهم)، وهذا من شأن البشر أما العلي القدير فجل عن طلب العلم بشيء أو تحصيله في الذهن، وإنما خروج الاستفهام للتقرير والتوبيخ .. وغير ذلك؛ لأنه سبحانه يستفهم عبادة ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء، فإذا استفهموا أنفسهم عنه يجدونه عندما تخبرهم به<sup>(٢)</sup>.

ومما جاء في القرآن الكريم عامة وآيات الصفات خاصة، إنما هي ((أساليب حكاهما القرآن عن البشر من عباد الله المؤمنين أو من أعدائه الكافرين))<sup>(٣)</sup>، وحين نستحضر المعاني التي خرج إليها نجد أنموذجاً متفرداً في إيصال المعاني إلى ذهن المتلقين فهذا التلون في الانحراف يشكل ركناً من أركان الإعجاز القرآني الذي دانت له علوم اللغة والبلاغة وقوانينها.

#### ومن أبرز المعاني التي أفادها الاستفهام :

\* **الإنكار** : وسمي كذلك؛ لأنه يطلب به إنكار المخاطب، والمعنى تنبيه على أن ما بعد الأداة منفي، وهذا المعنى ورد بكثرة في آيات الصفات، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ..** ﴾ [آل عمران/٨٣]، هذا الاستفهام جاء في أعقاب ما أشير إليه من قبل من محاولات التنصل من الأخذ بحكم الله ﷻ وقد ذكر المفسرون أن هذا الاستفهام أفاد مع الإنكار دلالة التوبيخ والتحذير<sup>(٤)</sup>، وقوله : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ \* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران/٧٠-٧١]. فأهل الكتاب لا يؤمنون بآيات الله وهم شاهدون على صدقها فهم دائماً يخلطون الباطل بالحق ليطمسوا معالم الحق، فجاء

(١) دلالات التراكيب ٢١٧.

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٣٢٧/٢، والإتيان في علوم القرآن ٢١٨/٢، ومعتزك الأقران ٢٧٣-٢٧٤، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٣٠٨.

(٣) من إعجاز البيان في القرآن "الاستفهام" ٥٢.

(٤) ينظر : الكشف ٤٤١/١، وروح المعاني ٢١٣/٣، والتفسير البلاغي للاستفهام ١٧٢/١.

الاستفهام دالاً على انكار سبب الحدث مع دلالات فرعية كالتعجب والتوبيخ<sup>(١)</sup> ويلحظ إثثار المضارع، للاشعار بأن هذه الجرائم دأبهم وعاداتهم يغدون فيها ويروحون. وليست أحداثاً وقعت ثم انقطعت وقد يكون النهي مصاحباً للإنكار في قوله تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ..﴾ [البقرة/٧٥]. بمعنى لا تطمعوا في إسلام هؤلاء لكم؛ لأن لهم سابقة في الكفر<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون مع الإنكار دلالة التعجب والتوبيخ كقوله : ﴿.. فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة/٩١]، وكثيراً ما يتلو الاستفهام الشرط، وذلك على إرادة تقرير المخاطب بقصد التسجيل عليه اعترافه كحقائق ماثلة.

\* **التقرير :** طلب إقرار المخاطب بمضمون الخطاب<sup>(٣)</sup>. وهذا المعنى لا يفهم من الأداة وإنما يفهم من قرائن السياق اللفظية والحالية، ولذلك تختلف الغاية منه باختلاف طبيعة الخطاب والغاية منه. من ذلك قوله تعالى : ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف/٨٩] فيراد بالاستفهام إقرار المخاطب لتذكيره وأخذ الاعتراف بذنبه، وهذا الأسلوب أبلغ وأشد في التوبيخ ، ونلمس الحكمة التي يتمتع بها يوسف في التعامل مع اخوته.

وقد تصاحب دلالة التقرير دلالة التعجب وهذا ما نلاحظه جلياً في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء/٤٤]، فقوله ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ جملة يقصد منها تعجب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير من موالاتهم، والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٢٧٩/٣، والتفسير البلاغي للاستفهام ١٦٨/١.

\* ينظر : البقرة/٨٥، ٦١.

(٢) ينظر : تفسير الجلالين، السيوطي ١٥، والتحرير والتنوير ٥٦٧/٢، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم ٦٩/١-٧٠.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٣٣١-٣٣٢، ومغني اللبيب ١٨/١.

\* ينظر : البقرة/٢٤٧، وآل عمران/٢٣، والنساء/٥١، ٤٩، التوبة/٣٠.

فيما بعد إلى الآخرين، وفيه إشعار بأن شراء اليهود للضلالة ظاهر كل الظهور حتى لا يخفى على ذي بصر وسمع<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ دلالة التبكيت والتفريع في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ .. ﴾ \*\* [المائدة/٦٠] ، فكأنه قيل لهم : إذا كان ديننا شراً لكم فما خبركم بشرٍّ من ذلك تبكيتاً لهم بسوء المصير، وبيان أن الحقيق بالنقم والعيب ما هم عليه من الدين المحرّف وهذا واضح من سياق الآيات<sup>(٢)</sup>.

وقد يخرج الاستفهام إلى الدعاء، كقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ .. ﴾ [الأعراف/١٥٥]. قد يتصور القارئ للوهلة الأولى أن هذا الاستفهام انكاري أو تعجبي، لكن المتأمل في سياق الآية ومقام النبوة ينفي مثل هذا التصور؛ إذ ليس يُعقل أن يظن موسى -لأنّ الكلام على لسانه- أنه سبحانه يهلك قوماً بذنوب غيرهم، وكيف لموسى أن ينكر على الله فعله أو يتعجب من قضائه وهو يعلم أن الله حكيم عليم<sup>(٣)</sup>.

إنّ قرائن السياق تشير إلى أنّ الاستفهام يدلّ على الدعاء والاستعطاف، أي : نستعطفك أن لا تهلكنا بما فعل السفهاء وهم عبدة العجل، وقيل : إنه جاء بصيغة الاستفهام زيادة في طلب استبعاد الهلاك، أي : ربّ إنه لمستبعد على رحمتك أن تهلكنا بما فعل السفهاء منّا<sup>(٤)</sup>. ولا مانع من احتمال الأمرين، فيكون المراد استبعاد وقوع العذاب، واستعطافه **عَلَيْكَ** في طلب الرحمة والنجاة.

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم ١٤١/٢، والتحرير والتنوير ٧١/٥، والتفسير البلاغي للاستفهام ٢٠٦-٢٠٥/١.

\*\* ينظر : المائدة/١٨.

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥١/٦-١٥٢، وإرشاد العقل السليم ٢٩١/٢، وأساليب المجاز في القرآن الكريم ٥٨٦، والتفسير البلاغي للاستفهام ٢٦١/١.

(٣) ينظر : التفسير الكبير ١٨/١٥، ومجمع البيان ٣٥/٣، والتفسير البلاغي للاستفهام ٤١١/١-٤١٢.

(٤) ينظر : البحر المحيط ٤٠٠/٤، تفسير الجلالين ٢١٦، وفي ظلال القرآن ١٣٧٧/٣.

وقد سلك ابن عاشور مسلك الحذر حيث قال : ((والاستفهام في ﴿ أَتَهْلِكُنَا ﴾ مستعمل في التفجع أي أحسن ذلك؛ لأنَّ القوم استحقوا العذاب، ويخشى أن يشمل عذاب الله من كان مع القوم المستحقين وإن لم يشاركهم في سبب العذاب))<sup>(١)</sup>.

٢- أسلوب الأمر : قولُ ينبيء عن استدعاء الفعل من جهة الغير، وعلى جهة الإلزام والاستعلاء، بمعنى أن الأمر أعلى مقاماً من المأمور وهذا هو الأمر الحقيقي<sup>(٢)</sup>. ويأتي على صيغ أربع جاء منها في سياق آيات الصفات ثلاث هي :

أ- صيغة فعل الأمر: وهي الأكثر وروداً كقوله تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ﴾ [البقرة/٩٣] ، وقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ .. ﴾ [البقرة/٩١].

ب- صيغة اسم فعل الأمر : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة/١١١].

ج- صيغة المصدر النائب عن فعل الأمر: مثل قوله : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة/٨٣].

والأمر الحقيقي في آيات الصفات هو الأمر الذي يتعلق بالعبادات وإقامة ما شرَّعه الله إن لم تكن في السياق قرينة تصرفه عن هذا المعنى الظاهر إلى معانٍ مجازية ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي .. ﴾ ، ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ .. ﴾ ، ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ ﴾ [البقرة/٤٠-٤٣].

جاء الخطاب القرآني "لبنی اسرائیل" متدفقاً بسبيل من الأوامر أنصبت في أحكام وأوامر تشريعية لا يمكن تركها أو تنفيذ بعضها وترك بعضها الآخر، فهي أوامر واجبة التنفيذ؛ لأنه أمر جاء من قبل العليّ العزيز فكان يجب تذكيرهم بنعمه سبحانه - بعد نسيانها- وهي كثيرة، وبالوفاء بالعهود التي أخذت عليهم وغير ذلك.. فكان لتكرار الأوامر حكمة وفي التأكيد عليهم استجابة للمشاعر ومن خلال ذلك يوجّه الخطاب للمسلمين.

(١) التحرير والتتوير ١٢٦/٩.

(٢) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ١٤٣، والطراز ٢٨١/٣-٢٨٢، والإتقان في علوم القرآن

٢٢٥/٢ والمعاني في ضوء أساليب القرآن ١٦٦، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٨٣

وما بعدها.

وَيُلْحِظُ عَلَى سِيَاقِ الْآيَاتِ الْإِزْدَوَاجَ بَيْنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ ﴾ \* وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ.. ﴿ [البقرة/٤١-٤٢]. وهذا يدل على تأكيد الدعوة إلى الإيمان بالله وهذا الاقتران بين الصيغتين يوحى وكأنَّ النهي أمرٌ بترك العمل، وكأنَّ السياق أمرٌ بعد أمرٍ.

ويخرج الأمر إلى أغراض مجازية قد تنطبق على الغرض الذي سبق الأمر من أجله، وقد تقترب منه، إذ ليس من فيصلٍ واضحٍ بين التسميات هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى فهذه المعاني ليست دائماً حديةً قطعية الدلالة بل قد يحتمل أحدهما معنى يراه عالمٌ قد يرى عالم آخر غيره تبعاً لما يفهم من سياق النص والأحوال المحيطة به. ومن أشهر هذه الدلالات: التكذيب، وحمل عليه قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَاتَّبِعُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ \* [آل عمران/٩٣]. فالصيغة الأمرية (فاتوا) ليس المقصود منها الأمر بأن يأتوا بالتوراة حقاً، وإنما المراد تكذيب اليهود فيما يدعونه، بدلالة قرينتين لفظيتين متأخرتين : إحداهما : الشرط الذي يراد به التحدي والتعجيز في قوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾، والأخرى : ما جاء بعد هذه الآية قوله : ﴿ فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [آل عمران/٩٤]. فدمغهم سبحانه بالكذب صراحةً ووضعهم بالظلم، وتكذيبهم بهذه الطريقة أقوى وأبلغ وأوجز وأدلى<sup>(٢)</sup>.

ويخرج لغرض (التكوين أو التسخير)، وهو مصطلح يُطلق على صيغة الأمر وفيها كلمة (كن فيكون)، وقد نبه عليها عدد من العلماء، يقول ابن فارس : ((يكون أمراً، والمعنى تكوين))<sup>(٣)</sup>، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ \* [البقرة/٦٥]. فالخطاب القرآني عبر بصيغة الأمر عن نقلهم من حالة البشر إلى حالة حيوانية بعيدة كل البعد عن أي ارتباط بشري؛ لأنهم عتوا عما نهوا عنه، وكانوا قد عذبوا عذاباً شديداً فلم ينزجروا فكان مناسباً أن يُسَخَّرُوا إِذْلالاً

\* ينظر : البقرة/٩٤، ١١١، الجمعة/٦.

(٢) ينظر : الكشف/١/٤٤٦، والجامع لأحكام القرآن ٨٧/٤، وأساليب المجاز في القرآن الكريم ٥٢٩.

(٣) الصاحبي ٣٠٠، وينظر : معترك الأقران ٤٤٢/١.

\*\* ينظر : الأعراف/١٦٦.

لهم فهو أخص من الإهانة<sup>(١)</sup>. ولم يقف الخطاب القرآني عند لفظة (قردة) بل تعدى ذلك إلى وصفهم بـ (خاسئين)، وهذا الأسلوب زاد الخطاب قوة وتأثيراً في نفوس قارئيه.

يرى بعض المفسرين أن صيغة الأمر خرجت -هنا- إلى الخبر<sup>(٢)</sup>.

وقد يخرج الأمر إلى دلالة (التأديب) كقوله تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة/٤٥]، أي استعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتكموني عليه في كتابكم، واتباع أمري وترك ماتهوى نفوسكم من ملذات الدنيا، والخطاب لبني إسرائيل - بدلالة السياق، وأسباب النزول - ويتناول المسلمين على وجه التأديب<sup>(٣)</sup>.

ومن المعاني المجازية للأمر (الدعاء) : من ذلك قول الجماعة المؤمنة من جيش "طالوت"، قال تعالى : ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ \* [البقرة/٢٥٠]. فأفعال الأمر (أفرغ، وثبت، وانصرنا) دالة على الدعاء، ويكون الأمر فيه من الأدنى رتبة إلى الأعلى رتبة والمتأمل في التعبير القرآني يجد أن لفظة (أفرغ) من أبلغ الاستعارات وأكثرها دلالة، حيث استعير الإفراغ الذي هو من لوازم الآنية، لمعنى إلهام الصبر أو إنزاله؛ لأن في معنى الإفراغ من الاتساع والمبالغة في إتمام الشيء، مالا يعبر عنه لفظ آخر كـ (ألهم ، أو أنزل) ونحو ذلك مما في دلالاته<sup>(٤)</sup>. وناسب هذا تنكير (صبراً) للدلالة على الإفراغ الكامل، بمعنى إلهامنا صبراً كاملاً تاماً. ويلحظ التناسق على أصوات الآية مايوحى بالهدوء والاطمئنان لإجابة الدعاء وما يوحى بالقوة والشدة في الثبات والعزم.

ومما حمل على الدعاء قوله تعالى : ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران/١١٩]. يذهب بعض المفسرين إلى أن صيغة الأمر ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ دعاء على منافقي المدينة -اليهود وغيرهم- بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به،

(١) ينظر : معترك الأقران ٣٣٥/١، والمعاني الثانية في الأسلوب القرآني ٣٧٥.

(٢) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ١٧/٥.

(٣) ينظر : أسباب النزول الواحدي ٢٤، وجامع البيان ٥٨/١، والتبيان في تفسير القرآن ٢٠١/١.

\* ينظر : المائدة/ ٢٥.

(٤) ينظر : النكت في إعجاز القرآن ٢٩٠، وتلخيص البيان ٣٨، ومجمع البيان ٣٥٦/١.

والمراد بزيادة الغيظ : ازدياد ما يُوجب لهم ذلك الغيظ من قوة الإسلام وعزة أهله ومالهم من ذلك من الذل والخزي<sup>(١)</sup>.

وقد يُمازج الدعاء معنى آخر هو (الذم)، وهو ما ذكره "الطوسي" بقوله : ((قل : أماتكم الله بغيظكم، وفيه معنى الذم لهم؛ لأنه لا يجوز أن يدعى هذا الدعاء، إلا وقد استحقوه بقبح ما أتوه))<sup>(٢)</sup>، في حين يذهب القسم الآخر إلى حمل صيغة الأمر معنى التلهيف والتحسير، ويبدو أن "ابن فارس" قد ذكر هذا المعنى حين نبه على المعاني التي يحتملها الأمر فذكر منها هذا النوع بقوله : ويكون اللفظ أمراً، والمعنى : تلهيف وتحسير كقول القائل : مُتْ بغيظك ومُتْ بدائك، وفي كتاب الله جل ثناؤه ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعند تأملنا في الآية القرآنية كاملة وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران/١١٩] نجد أن هذا المعنى أليق بدلالة الصيغة الأمرية وهذا يتضح من قرينة متقدمة هي قوله : ﴿ عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ ﴾ وهذا التصوير هو أصدق دليل على التلهيف والتحسير؛ لأنه يدل على مدى حقد هؤلاء على المؤمنين، إذ هم يمتثلون غيظاً ويستثيرون منهم غضباً<sup>(٤)</sup>، فضلاً عن أن الدعوة الإسلامية جاءت رحمةً للعالمين، ورغبةً من المسلمين في استمالة قلوب هؤلاء المنافقين.

وقد يخرج الأمر إلى الالتماس والرجاء<sup>(٥)</sup>، كما في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ [يوسف/٩٧]، في حين خرج الأمر في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ [طه/٩٠]، إلى دلالة النصح والإرشاد<sup>(٦)</sup>، فالفاعلان (اتبعونني، وأطيعوا) صيغتهما الأمر والمراد بهما النصح والإرشاد، بدليل أنهم عصوا هارون

(١) نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز ١٣٣.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٥٧٤/٢، والجامع لأحكام القرآن ١١٧/٤-١١٨، ونظم الدرر ٤٠/٥.

(٣) ينظر : الصاحبى ١٨٦.

(٤) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٢٥١/٢، وأساليب المجاز في القرآن الكريم ٥٤٢.

(٥) ينظر : الكشاف ٤٣٦/١، وأساليب المجاز في القرآن الكريم ٥٤٥.

ينظر أيضاً : البقرة/٦١، ٦٨، ٦٩، وآل عمران/٧١، ويوسف/١٢.

(٦) ينظر : أساليب المجاز في القرآن الكريم ٥٣٣.

الطلب في الآية بعدها قال تعالى : ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ [طه/٩١].

وقد يفيد دلالة التهديد والوعيد<sup>(١)</sup>. كما في قوله تعالى : ﴿ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام/٩١]. والأمر في قوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ﴾ [البقرة/٦٠] قد دل على الإباحة والامتنان<sup>(٢)</sup>.

٣- أسلوب النهي : هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والوجوب<sup>(٣)</sup>، وهو خلاف الأمر، فقد فرق العلماء بين الأمر والنهي كلاً على حدته، وإن كان النهي في ظاهره أمرٌ بعدم الفعل فبين الأسلوبين وشيجة بدون أدنى شك، فالذي ينهى عن شيء فإنما يأمر بتركه، ولكنهما متغايران في الاصطلاح<sup>(٤)</sup>.

قال الاربلي (بعد منتصف القرن الثامن) : ((وتسميتها طلبية أجود لشمولها، وحيث أن الأمر هو طلب إدخال ماهية المأمور في الوجود فلا يستلزم تكراراً ولا فورية، والنهي مع إدخال في الوجود فلا بد فيه من الفورية وعموم الزمان، وإنما عملت؛ لأنها مختصة بالفعل غير صائرة كجزء منه وكان جزماً لأنه الأصل فيما يختص بالأفعال أو محلاً على لام الأمر لكونها تقتضيه أو لكونها للطلب؛ اللام لطلب الفعل و (لا) لطلب الترك فهما نظيران))<sup>(٥)</sup>.

ولأسلوب النهي صيغة واحدة هي الفعل المضارع المسبوق بـ (لا) الناهية فتحول المضارع بواسطتها من الخبر إلى الانشاء وتعمل فيه الجزم وتدخل على الحاضر والغائب، قال المبرد : ((يقع على فعل الشاهد والغائب، وذلك قولك : لا يَقم زيد، ولا تَقم يارجل، ولا تقومي يا امرأة، فالفعل بعدها مجزوم بها))<sup>(٦)</sup>، وهي تجزم

(١) ينظر : جامع البيان ٢٧١/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٦/٧.

(٢) ينظر : الكشف ٦٦/١، ونظم الدرر ٤٠٨/١.

(٣) ينظر : الكتاب ١٢٦/١، ولسان العرب ٣٧٤/١٤، والتعريفات ١٩٥، ٢٦٨، وهمع الهوامع ٥٦/٢.

(٤) ينظر : الأصول في النحو ١٥٧/٢ الصاحبي ١٥٤، ١٥٧ والطراز ٢٨٤-٢٨٥، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٤٦٥.

(٥) جواهر الأدب، الأربلي ١٤٦.

(٦) المقتضب ١٣٤/٢، وينظر : شرح المفصل ١٠٩/٨.

فعلاً: ((فالجازم لفعل واحد، لم، ولمّا، ولام الأمر ولا في النهي))<sup>(١)</sup>. ويطلب بها الترك على رأي الرضي<sup>(٢)</sup>. ويسند إليها الفعل عن طريق المجاز؛ لأنّ الناهي هو المتكلم بواسطتها<sup>(٣)</sup>.

وتفيد (لا) الناهية الجازمة الداخلة على المضارع مطلق النهي في الحاضر والمستقبل فـ(لا) تنفي ما تمادى زمانه، إذ الألفاظ مشاكلة معانيها في القياس، و(لا) التي آخرها ألف الاطلاق يمتدّ بها الصوت مالم يقطعه ضيق النفس فأذن امتداد لفظها بامتداد معناها<sup>(٤)</sup> كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ﴾ [البقرة/٦٠]. فكانت دلالة (لا تعنوا) مفتوحة مطلقة ذات مدى بعيد. يقول البقاعي: (٨٨٥هـ—): ((وفي الآية إشعار بوقوع ذلك منهم؛ لأنّ في كلّ نهى إشعار بمخالفته، إلا ما شاء الله))<sup>(٥)</sup>.

جاء الاستعمال القرآني مستعملاً أسلوب النهي استعمالاً حقيقياً في التحريم وكان نهياً واجباً تنفيذه<sup>(٦)</sup>.

وقد يرد النهي في آيات الصفات لا يراذ به التحريم أو المنع، وإنما يُراد به معان مجازية منها: النصيح والإرشاد<sup>(٧)</sup>. كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ\*وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُمْسِدِينَ﴾ [القصص/٧٦-٧٧].

وقد يخرج إلى دلالة الإلتماس كقوله تعالى على لسان هارون عليه السلام: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الاعراف/٥٠]. ويذهب بعضهم إلى خروج أمر في هذه الآية إلى معنى (الدعاء)<sup>(٨)</sup>.

(١) شرح جمل الزجاجي ١/١٣٢، وينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٤٧٢.

(٢) ينظر: الكافية في النحو بشرح الرضي ٢/٢٥١.

(٣) ينظر التعريفات ١٠٧.

(٤) ينظر: بدائع الفوائد ١/٩٥-٩٦، ومعاني النحو ١/٣٥٥، والتعبير القرآني ١٨٣.

(٥) نظم الدرر ١/٤١٠-٤١١.

(٦) ينظر: الإلتقان في علوم القرآن ٢/٢٢٦.

(٧) ينظر: جامع البيان ٢٠/١١١-١١٣، وإرشاد العقل السليم ٣/٦٥.

(٨) ينظر: نفسه ٩/٦٦-٦٩ وروح المعاني ٣/٢٤٠، أساليب المجاز في القرآن الكريم ٥٤٣.

ومن الدلالات الأخرى (الإنكار والتوبيخ) كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/٤٢].

وكذلك دلالاته على الوعيد<sup>(١)</sup> كما في قوله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران/١٨٨] فضلاً عن دلالة التسلية للرسول ﷺ، وللمؤمنين، وتهذئة لنفوسهم.

٤ - أسلوب التمني : طلب حصول شيء مرغوب فيه على سبيل المحبة ولكن يبعد منا أو يستحيل حصوله فلا يشترط إمكان حصول التمني بخلاف المترجى<sup>(٢)</sup>.  
والتمني في مفهوم النحاة يستعمل ((في الممكن والمحال.. وذلك؛ لأن ماهية التمني محبة حصول الشيء سواء كنت تنتظره وترتقب حصوله أو لا..))<sup>(٣)</sup>.  
والأداة التي يتم بها التمني هي (ليت) وهي الأداة الأساسية التي في اللغة العربية، إذ تعدّ ((المنفذ التعبيري الأصلي للكشف عما يدور في النفوس من آمال بعيدة، ورغائب ظامئة لا تروى ، وهي الوسيلة التي تنقل الشاعر أو الأديب إلى عالم خيالي يعانق فيه مالا سبيل إليه في واقعه المحروم))<sup>(٤)</sup>.

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص/٧٩]. ولا يفهم معنى التمني على الوجه الصحيح إلا بمعرفة السياق الذي قيل فيه، ويشير سياق قصة "بني إسرائيل" إلى أن "قارون" كان من قوم موسى وقد رزقه الله رزقاً وافراً ، فاعرض عنه واغترّ بماله فكان يخرج على قومه متباهياً فخوراً بزِينته فتطير قلوب فريق منهم وتتهاوى لذلك نفوسهم، ويتمنون لأنفسهم مثل ما أُوتي "قارون" ويطمعون به، وهم

(١) ينظر : جامع البيان ٢/٢٠٥-٢٠٩.

(٢) ينظر : الطراز ٣/٢٩١، ومغني اللبيب ١/٣٧٥-٣٧٦، والتعريفات ٥٩، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٣/٣٥٣.

(٣) ينظر : شرح المفصل ٨/٨٦، والكافية في النحو بشرح الرضي ٢/٢٤٦، والجنى الداني ٤٥٨، وجمع الهوامع ٢/١٥٢، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٥٢١.

(٤) البديع تأصيل وتجديد ٨٢.

يعلمون أنه يصعب عليهم أن يصلوا إلى ما وصل إليه ولكنهم يعبرون عما في دخائل نفوسهم وضعف إيمانهم وأنبهارهم بزينة الحياة الدنيا<sup>(١)</sup>.

٥- أسلوب الترجي : هو طلب شيء مرغوب فيه يتوقع حصوله<sup>(٢)</sup>. وبعض البلاغيين يسقطه من بين أقسام الإنشاء الطلبي<sup>(٣)</sup>.

وللترجي أدواته الخاصة وهي على نوعين :

أ- الحرف : وهو (لعل) وهي من الأحرف المشبهة بالفعل التي تدخل على المبتدأ والخبر، فتتصبب الأول أسماً لها وترفع الثاني خبراً لها. وتفيد توقع شيء مرجو أو مخوف<sup>(٤)</sup>، فتكون في الترجي للمرجو المحبوب وممكن الحصول وللإشفاق في المخوف والمكروه<sup>(٥)</sup>، ولها معان عدة:

١- التوقع والترجي، كما في قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران/٧٢]. والمعنى: أن طائفة من اليهود اتبعوا حيلة في تشكيك بعض المسلمين في صحة الإسلام، وهي أن يظهروا التصديق بما ينزل على محمد ﷺ في بعض الأوقات، ثم يظهروا بعد ذلك تكذيبه ليخلطوا الأمر على المسلمين، فيعتقدوا أن هؤلاء اليهود قد استقصوا في البحث عن دلائل النبوة، وهم أهل علم وكتاب، وقد تفكروا في أمره فلاح لهم أنه كذاب حاشا لله-، فيرجعون عن دينهم<sup>(٦)</sup> فهؤلاء اليهود كانوا يتوقعون حصول

(١) ينظر : الكشف/٣/١٩١، وأنوار التنزيل ٧٩٢/٢، وفي ظلال القرآن ٩٠/٦.

(٢) ينظر : الكافية في النحو بشرح الرضي ٣٤٦/٢. وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٥٤٩، وقواعد النحو ٣٤٣-٣٤٤.

(٣) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ١٤٣، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٥٠٠.

(٤) ينظر : الكتاب ١٤٨/٢، والجنى الداني ٥٢٧، والكليات ١٠٦-١٠٧، ومعجم الأدوات النحوية ١٣٥، والزمن في القرآن ١٩٢ وما بعدها.

(٥) ينظر : الكتاب ٢٣٣/٤، والمفصل ٣٠٢-٣٠٣، وشرح ابن عقيل ٣١٨/١، وشرح قطر الندى ٧٣، وشرح التصريح على التوضيح ٣٩٥-٣٩٦، والإتقان في علوم القرآن ٤٦٦/١ ومعاني النحو ٢٦٨/١.

\* ينظر : البقرة/١٦٤.

(٦) ينظر : الكشف ٤٣٦-٤٣٧، والدر المصون ٢٣٤/٢، واللباب في علوم الكتاب ٣١٧/٥-٣١٨.

الرجوع راجين ذلك، وهذا شيء يُسعدهم ويشعرهم بالقوة والعزة. وهذا من أنباء الغيب التي أطلع سبحانه نبيه ﷺ عليها.

٢- التعليل (السببية) : أثبت جماعة من العلماء هذا المعنى لـ (لعل)<sup>(١)</sup>، فقد نقل عن "يونس" (ت) أن (لعل) تفيد التعليل في قولك : انطلق بنا لعلنا نتحدث أي : كي نتحدث<sup>(٢)</sup>، وقال ابن يعيش : ((أنها إذا وردت في التنزيل فأن اللفظ على ما يتعارفه الناس، والمعنى على الإيجاب بمعنى (كي) لاستحالة الشك في إخبار القديم سبحانه))<sup>(٣)</sup>.

و (لعل) بهذه الدلالة وردت كثيراً في سياق آيات الصفات كما في قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة/٦٣] فقوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ : ((علة للأمر ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾)) وذلك فصلت بدون عطف، والرجاء الذي يقتضيه (لعل) مستعمل في معنى تقريب سبب التقوى، يحصنهم على الأخذ بقوة، وتعهد التذكر لما فيه، فذلك التقريب والتبيين شبيه بـ (رجاء الراجي))<sup>(٤)</sup>.

٣- التنبيه : وهو معنى تخرج إليه (لعل) ويفهم من السياق وقرائن الأحوال كقوله تعالى : ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة/٧٣]. قال الطوسي في ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي : ((لتعقلوا، وقد كانوا عفاً قبل ذلك؛ لأن من لا عقل له لا يلزمه الحجة، لكنه أراد تنبيههم، وأن يقبلوا ما يدعون إليه ويطيعوه ويعرفوه حق معرفته))<sup>(٥)</sup>، فليست (لعل) -هنا- للترجي أو للتعليل؛

(١) ينظر : الكافية في النحو بشرح الرضي ٣٤٦/٢، وتهذيب اللغة ١٠٦/١، وفقه اللغة وسر العربية ٤٠١، والكليات ٧٧٨، ٧٩٣، وجواهر الأدب الأربلي ٢٣٥، والجنى الداني ٥٢٧، ومغني اللبيب ٣٧٩/١، والبرهان في علوم القرآن ٣٩٤/٤.

(٢) ينظر : تهذيب اللغة ١٠٦/١.

(٣) شرح المفصل ٨٥/٨-٨٦، وينظر : التراكيب اللغوية في العربية ٦٩-٧٠، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٥٥٦-٥٥٧.

\* ينظر : البقرة/٥٣، ٥٢، والأعراف/١٧١.

(٤) التحرير والتوير ٥٤٢/١.

(٥) التبيان في تفسير القرآن ٣٠٥/١.

للتعليل؛ لأنَّ التعقل موجود أصلاً، ولكنها أفادت التنبيه على ضرورة أخذ هذا الأمر بالعقل والتدبر وهو إحياء الموتى<sup>(١)</sup>.

ب- **الفعل** : وهو (عسى)، ويفيد الترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه<sup>(٢)</sup>، وجمهور النحاة يجمعون على أنَّ (عسى) فعل جامد من أفعال المقاربة يدل على قرب حدوث الفعل<sup>(٣)</sup>، ويرون أنَّ علة جمود (عسى) : ((أنه أشبه الحرف، لأنه لما كان فيه معنى الطمع أشبه (لعل) و (لعل) حرف لا يتصرف فكذلك ما أشبهه))<sup>(٤)</sup>. في حين يرى آخرون غير ذلك<sup>(٥)</sup>.

وذهب الكوفيون إلى أنَّ (عسى) حرف مطلقاً وليس فعلاً، وذلك لما رأوا من عدم تصرفه، وكونه بمعنى (لعل)<sup>(٦)</sup>.

اختلف المفسرون في معنى (عسى) المستعملة في القرآن الكريم من حيث دلالتها على الشك أو الوجوب، يقول أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) هي : إيجاب من الله وهي في القرآن واجبة<sup>(٧)</sup>. والطمع والرجاء لا يصح من الله تعالى، وفي هذا منهم قصور نظر، وذلك؛ لأنه تعالى إذا ذكر ذلك ليكون الإنسان منه راجياً لا لأن يكون هو تعالى يرجو، وهذا هو ما ذكره "الراغب الأصفهاني" في معنى قوله تعالى : ﴿ **عَسَى** رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُنَّا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الاسراء/٨]، فـ (عسى) تعني : طمع وترج بمعنى اطمعوا وارجوا رحمة الله<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر : التفسير الكبير ٥٥٤/٣.

(٢) ينظر : مغني اللبيب ٢٠١/١، وشرح ابن عقيل ٣٩٧/١، والإتقان في علوم القرآن ٤٤٤/١ والنحو الوافي ٦٢١/١-٦٢٢، وأساليب الطلب ٥٦٥، والزمن في القرآن الكريم ١٨٧-١٩١.

(٣) ينظر : المقتضب ٦٨/٣-٦٩، والصاحبي ٢٣٧، والمرتجل ١٢٨، والكافية في النحو بشرح الرضي ٣٠٢/٢ وجمع الهوامع ١٠/١.

(٤) أسرار العربية ١٢٦، والخصائص ٣١١/١-٣١٢، وشرح المفصل ١١٦/٧-١٢٠.

(٥) ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٥٦٦، وقواعد النحو ٣٤٥-٣٤٦.

(٦) ينظر : أسرار العربية ١٢٦، وشرح قطر الندى ٧٣، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٥٦٥.

(٧) ينظر : مجاز القرآن ١٣٤، ٢٢٥، ٢٥٤/١.

(٨) ينظر : المفردات ٣٣٥.

ويفسر الإمام الرازي (ت ٦٠٦هـ) (عسى) بـ (لعل) فيقول في الآية :  
 ((والمعنى : لعل ربكم أن يرحمكم ويعفوا عنكم بعد انتقامه منكم يا بني إسرائيل...))<sup>(١)</sup>.  
 وقد جعل "الزمخشري" الفعل (عسى) مشتركاً بين معنى المقاربة، والتوقع في  
 قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا  
 نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. ﴾ [البقرة ٢٤٦]. قال : ((وخبّر ﴿ عَسَيْتُمْ ﴾، ﴿ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾،  
 والشرط فاصل بينهما، والمعنى : هل قاربتم أن لا تقاتلوا؟ يعني : هل الأمر كما أتوقعه  
 أنكم لا تقاتلون؟ أراد أن يقول : (عسيتم أن لا تقاتلوا)، بمعنى : أتوقع جبنكم عن القتال،  
 فأدخل هل مستفهماً عما هو متوقع عنده ومظنون، وأراد بالاستفهام التقرير، وتثبيت أن  
 المتوقع كائن، وأنه صائب في توقعه))<sup>(٢)</sup>.

والمعنى الواضح فيها هو : هل أشفقتم إن كُتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا. ؟  
 وقد حاول بعض النحاة حل هذه التناقض بقولهم : إن (عسى) تفيذ معنى (الرجاء  
 والطمع في دنو الشيء)<sup>(٣)</sup>.

ويذهب "أبو حيان" إلى أن (عسى) تكون فعلاً خبرياً لا إنشائياً إذا وقعت بعد أداة  
 استفهام، أو إذا وقعت خبراً لـ (إن) كما في الآية الكريمة المتقدمة<sup>(٤)</sup>.

#### الآخر : الإنشاء غير الطلبي

وهو لا يستلزم طلباً يتحقق ولا ينتظر منه الوقوع والحصول، بل هو كلام ينشئه  
 المرسل ويحدثه في نفسه أو نفس متلقيه، ولا يريد به تحقيق مطلوب كما هو الحال في  
 الإنشاء الطلبي<sup>(٥)</sup>.

وأساليب الإنشاء غير الطلبي كلها أساليب خبرية لا يراد بها الإخبار لذاته؛ لأنها  
 لا تحتل الصدق والكذب، وإنما أوردت في المعاني التي أشار إليها العلماء ولا تخرج  
 على هذه المعاني إلى أغراض مجازية يمكن الوقوف عليها، وفي ذلك يقول الدكتور  
 "أحمد مطلوب" : ((وهذه أساليب خبرية لكنها لا يراد بها الإخبار؛ لأنها لا تحتل

(١) التفسير الكبير ١٢٨/٢٠.

(٢) الكشف ٣٧٨/١، وينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٥٦٧.

(٣) ينظر : شرح المفصل ١١٥/٧.

(٤) ينظر : البحر المحيط ٥٧٠/٢-٥٧١، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ٥٧١.

(٥) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ١٣٠-١٣١، والبلاغة والتطبيق ١٢١.

الصدق والكذب، ولذلك لم توضع مع الخبر، ولا يهتم البلاغيون بهذه الأساليب الإنشائية لقلة الأغراض المتعلقة بها، ولأن معظمها أخبار نقلت من معانيها الأصلية، أما الإنشاء الذي يعنون فهو الطلبي لما فيه من تفنن في القول لخروجه عن أغراضه الحقيقية إلى أغراض مجازية تفهم من سياق الكلام<sup>(١)</sup>، فقولنا مثلاً في أسلوب المدح: (نعم الرجل محمد) فإننا قد أنشأنا المدح وأحدثناه عند النطق بلفظة (نعم) وما بعدها، والمدح ليس موجوداً في الخارج في أحد الأزمنة الثلاثة، وليس المقصود منه مطابقة الكلام إياه أو عدم مطابقته، فخرج بذلك عن الخبرية، وليس القصد إنشاء المدح له على صورته الحاصلة خارجاً سواء كان هذا الإنشاء قد اقتصر على المتكلم نفسه أم تعداه إلى إنشاء حكم المدح في نفوس المتلقين<sup>(٢)</sup>.

في هذا المبحث سنقتصر على دراسة أسلوب "المدح أو الذم" و "القسم" لما لهما من أثر في دلالة "صفات بني إسرائيل" ولشيوخ هذين الأسلوبين في سياق آيات الصفات.

١ - أسلوب المدح والذم : أسلوب من أساليب اللغة العربية، والمدح نقيض الهجاء، وهو حسنُ الثناء، أما الذم فهو نقيض المدح<sup>(٣)</sup>. ويتم المدح أو الذم بطريقتين :

إحدهما : الطريقة القياسية : والتعبير بها يكون بوساطة صيغ محددة، وهي صيغ جامدة، ومما جاء من هذه الصيغ في آيات الصفات (نعم، وبئس) استعملت لعموم المدح أو الذم، وفي العموم مبالغة وتوكيد لصفة الممدوح أو المذموم، ومثلها (ساء)<sup>(٤)</sup>.  
اختلف النحاة في هذه الصيغ، إذ جعلها بعضهم أفعالاً وجعلها آخرون أسماء<sup>(٥)</sup>،  
(وهذه الأفعال لها قيمتها في التركيب الأدبي والفني لكونها من مظاهر الإيجاز في الجملة العربية، ولكونها لا يباشر بها الممدوح أو المذموم مدحاً أو قدحاً بالمعنى المراد

(١) البلاغة والتطبيق ١٢٣، وينظر : أساليب المجاز في القرآن الكريم ٥٢٠.

(٢) ينظر : همع الهوامع ٨٤/٢، والإنشاء غير الطلبي ٢٠-٢١.

(٣) ينظر في مادة "ذم" و "مدح" : لسان العرب ١٤/٦، ٣٦/٤٣، والتعريفات ٣٠٣، والقاموس المحيط ٢٤٨/١، ١١٥/٤.

(٤) ينظر : اللمع ٢٣١، المرتجل ١٣٦، وشرح المفصل ١٢٧/٧-١٢٩، وشرح التسهيل ٣٣٨/٢ وما بعدها والنحو الوافي ٣٧٤/٣، ومعاني النحو ٦٧٢/٤، وقواعد النحو ١٤٨.

(٥) ينظر : الأنصاف في مسائل الخلاف مسألة (١٤) ٩٧/١ وما بعدها، وأسرار العربية ٩٦ وما بعدها، وشرح ابن عقيل ١٥٠/٢، وشرح التصريح على التوضيح ٧٥/٢ وما بعدها والأشباه والنظائر في النحو ١٦٥/٢.

إلا على وفق تركيب خاص يُعَدُّ من الألفاظ التي لم تألفها اللغات الأخرى بهذه الصورة<sup>(١)</sup>.

وجملة المدح والذم تتجرّد عن الزمن، إلا إذا وجد ما يدل على زمنيتها؛ لأن هذه الجمل رهينة السياق والقرائن المسوقة معها فزمنها زمن سياقي، فأفعال المدح أو الذم لا يكونان إلا بما قد وجد وثبت في الممدوح والمذموم، فثبت على هذا عدم تغيير دلالة الفعل، فلا يستعمل فيهما المستقبل؛ لأنهما وضعاً أساساً للمدح والذم.

فلا يمكن تصوّر حدود هذه الجملة فالقول : (نعم الرجل زيد) لا يدل على زمن محدد، إذ هي مجرد مدح للممدوح، إلا إذا أريد الدلالة على زمان الحال، كون الممدوح والمذموم موجودين في حال مدحهما وذمهما، لذا لا يمكن حمل المدح والذم على أن أفعالهما مجردة عن الزمن والحدثية، والفعل هو ما أفاد الحدث في زمن<sup>(٢)</sup>.

((ولا يخفى أن ما يوجه إليه المدح أو الذم إنما هو صفات الذوات أو أفعالها ، لا الذوات أنفسها...))<sup>(٣)</sup> فنحن لا نمدح ولا نذم إلا إذا شعرنا بوجود صفات تستحق الثناء والتقبيح فننشئ حينئذ المدح أو الذم، فوجود صفة ما أو مجموعة صفات هو الدافع الذي يُشير فينا انفعالاً لإنشاء المدح أو الذم، لنتأمل قوله تعالى مصوراً المبالغة في الانفعال وشدة الغضب الذي أصاب سيدنا موسى عليه السلام وهو يرى إنحراف قومه عمّا أمرهم به قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ \* وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ \* وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَا حَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف/١٤٨-١٥٠]. ونلمس شدة غضبه عليه السلام في قوله لهم ﴿ بئسما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ والخطاب إما لعبدة العجل وإما لوجوه بني إسرائيل، وفي فعله حين أخذ برأس أخيه يجره إليه، وطرح ألواح التوراة فكسرها من فرط الدهشة وشدة الضجر.

(١) التراكيب اللغوية في العربية ٢٦٣.

(٢) ينظر : الكتاب ١٧٧/١-١٧٨، ومن أسرار اللغة ٢٩٣، وجامع الدروس العربية ٧٤/١.

(٣) التراكيب اللغوية في العربية ٢٦٣.

قال "الزمخشري" : ((فإن قلت : أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم؟ قلت : الفاعل مضمّر يفسره : ما خلفتموني، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: بئس خلافة خلفتمونيها..))<sup>(١)</sup>.

وللمدح والذم دوافع منها : تقرير الحكم الممدوح أو المذموم وتثبيتته في النفوس عن طريق هذا المدح أو الذم، من ذلك قوله تعالى في ذم اليهود لتعلمهم السحر : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/١٠٢]. فقد أكد سبحانه ذلك باللام والقسم ومن جمال التعبير في هذه الآية أنه سبحانه قد أثبت لليهود علماً أولاً بقوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ ونفاه عنهم ثانياً في قوله : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ دلالة على أنهم لم يستفيدوا منه شيئاً فكان حرياً أن ينفي عنهم<sup>(٢)</sup>.

وفعل الذم (بئس) ورد كثيراً في آيات الصفات وذلك؛ لأنه لدقة معناه - يحدد بوضوح مصير الذين قيل في شأنهم، فيلحظ أن في استعمال (بئس) للذم، إرادة الذم للأوصاف المبالغ في تعظيمها؛ لأنها تدل على عموم الذم، وفي العموم مبالغة وتعظيم، كما في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة/٥] وقوله : ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة/٨٠]، والمخصوص بالذم في الآية الكريمة قوله : ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد يأتي الذم بالصيغة القياسية بالفعل (سَاءَ) مفيداً الثبات في الصفات والتعجب لما في ذلك من تعظيم الأمر المذموم. و(سَاءَ) : من السوء، ضد السرور وهو الحزن وساءه الأمر يسوءه سوءاً وسوءاً بمعنى فعل به مكروه أو ما يكره<sup>(٤)</sup>.

و (سَاءَ) أصله سَوّاً بفتح العين، وهو فعل متعدّد بمعنى (قبح) ملحق بـ (بئس) عملاً ومعنى<sup>(١)</sup>. وقد استعمله التعبير القرآني استعمال بئس في إعطائه معنى الذم، إذ

(١) الكشف ٦٥٠/١، وينظر أنوار التنزيل ٣٦٢/١، وفي ظلال القرآن ٧٥/٦-٧٦.

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١٩٩/٢، والإيضاح في علوم البلاغة ٢٢-٢٣.

(٣) ينظر : الكشف ٦٣٧/١، والتبيان في اعراب القرآن ٤٥٤-٤٥٥، وأنوار التنزيل ٢٨١/١.

(٤) ينظر في مادة (سوء). الصحاح ٦٢٥/١، والمفردات ٢٤٧، ولسان العرب ٢٩١/٧-٢٩٢،

والقاموس المحيط ٤٤/٤.

نقل إلى (سوأ) على وزن (فعل) بضم العين، فصار فعلاً لازماً، ثم ((قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها))<sup>(١)</sup>، فصار على (ساء) المعروف لإنشاء الذم. وهذا التحول والنقل في الصيغة من (سوأ) إلى (سوأ) إنما جاء للدلالة على التعبير عن معنى جديد هو الذم العام غير الاعتيادي الزائد على أصل وضعه، مفيداً التعجب وثبوت الصفة مع الموصوف حتى تصبح كالطبائع والغرائز في أصحابها.

ومن أمثله قوله تعالى : **﴿.. مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ﴾** [المائدة/٦٦]. ففي قوله تعالى **﴿سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ﴾** نلمس زيادة على معنى الذم معنى التعجب الذي عظم أمرهم عند السامعين فهم أسوأ الناس أعمالاً لما وُصف من حالهم في النفاق والكذب والاستخباء بالإيمان وكأنه قيل : وكثير منهم ما أسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والإفراط في العداوة<sup>(٢)</sup>.

**الأخرى : الطريقة السماعية :** قد يأتي المدح أو الذم بغير الصيغ القياسية، وإنما بأساليب سماعية منها : المدح أو الذم عن طريق المخالفة في الإعراب وعُرف هذا بأسلوب القطع للمدح أو للذم، والعرب كما ذكر "الفراء" قد ((تنصب بالذم وبالمدح))<sup>(٣)</sup>، كما في قوله تعالى : **﴿.. وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ..﴾** [النساء/١٦٢] فقله : **﴿الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾** منصوب على المدح مبالغة في فضل الصلاة وتعظيماً لشأنها؛ لأنه ليس كل مسلم بقادر على تأديتها وإقامتها على الوجه الأكمل، فهو مقطوع إلى المدح بتقدير الفعل (أمدح)؛ لأنه أبلغ وأوجز<sup>(٤)</sup>، والعرب تنصب على المدح والذم كأنهم ينوون إفراد الممدوح بمدح مجدّد غير متبع لأول الكلام.

(١) ينظر : شرح ابن عقيل ١٥٧/٢، ومعجم الهوامع ٨٧/٢، ومعاني النحو ٢٨٦/٤ وجامع الدروس العربية ٨٥/١-٨٦.

(٢) شرح المفصل ١٢٩/٧، والكافية في النحو بشرح الرضي ٣١٨/٢، ومعترك الأقران ٢٧٥/٣، والإنشاء غير الطلبي في القرآن الكريم ١٣٩-١٤٠.

(٣) ينظر : الكشف ٦٣٠/١، وأنوار التنزيل ٢٧٨/١.

(٤) معاني القرآن، الفراء ١٦/١، وإعراب القرآن، النحاس ٤٧٠/١.

\* ينظر في القطع للذم : الأحزاب /

(٥) ينظر : البيان في إعراب غريب القرآن ٢٧٥-٢٧٦، والتبيان في تيجان البيان، محمد العمري ٢٦٣-٢٦٤، وقرأ جماعة (بالواو) ينظر : المحرر الوجيز ٢٩٠-٢٩١/٤، والبحر المحيط

جاء في الآية الكريمة قول "الزركشي" : ((قال : أبو علي الفارسي : إذا ذُكرت صفات في معرض المدح والذم فالأحسن أن يخالف في إعرابها؛ لأنَّ المقام يقتضي الإطناب فإذا خُولف في الإعراب كان المقصود أكمل؛ لأنَّ المعاني عند الاختلاف تتنوع وتفتنَّ وعند الإيجاز تكون نوعاً واحداً))<sup>(١)</sup>.

ونحو هذا مما جاء من غير الصيغ القياسية قوله تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْئًا بِالسِّنْتِهِمْ﴾ [النساء/٤٦].

فقوله تعالى على لسان يهود المدينة : (غيرُ مُسمع) ذكر فيه المفسرون أنه يكون للذمّ محتملاً وجهين : أي أسمع منّا مدعواً عليك بلا سمعت؛ لأنه لو أُجيبَت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصمّ غير مسمع، وقولهم ذلك اتكالا على أن قولهم -لا سمعت- دعوة مستجابة. أو اسمع غير مُجاب إلى ما تدعو إليه، ومعناه غير مسمع جواباً بيوافقك، فكأنك لم تسمع شيئاً أو لم تسمع كلاماً ترضاه.

وقد يحتمل المدح : أي أسمع غير مسمع مكروهاً<sup>(٢)</sup>، والوجه الأول هو المراد لدلالة القرائن السياقية والحالية على ذلك.

٢- أسلوب القسم : والقسم في اللغة : يمينٌ يُقسم بها الحالف ليؤكد بها شيئاً يخبر عنه من إيجاب أو جحد، وهو جملة يؤكد بها جملة أخرى<sup>(٣)</sup>.

ومن الملاحظ أن الفعل (قسم) قد ورد في القرآن الكريم أكثر من الفعل (حلف) الذي لم يأت إلا في مواضع الحنث باليمين؛ لأن الحلف لا يكون إلا على أمرٍ مختلف عليه<sup>(٤)</sup>.

٤/١٣٤، والدر المصون ٢/٤٦١، واللباب في علوم الكتاب ٧/١٢٢، والإتقان في علوم القرآن ٢/١٩٤.

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/٤٦٠.

(٢) ينظر : الكشاف ١/٥٣١، وأنوار التنزيل ١/٢٢١، ولباب النقول ٨٧.

(٣) ينظر في مادة (قسم) : المخصص، ابن سيده مجلد (٤) سفر (١٣)/١١٠، ولسان العرب ١٢/١٠٣-١٠٤، وشرح الحدود النحوية ١٤٣.

(٤) ينظر : الفروق في اللغوية ٤٢، والتفسير البياني ٢/٥٨، وأساليب القسم في اللغة العربية كاظم فتحي الراوي ٧٣-٧٥.

وفي الاصطلاح : ((هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له، أو تعظيم لشأنه، أو تنويه لقدره، أو ما يكون ذماً لغيره، أو جارياً مجرى الغزل والترقق أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد))<sup>(١)</sup>.

وأسلوب القسم من الأساليب الإنشائية التي أنمازت بها اللغة العربية، وإن عدّه بعضهم ضرباً من الخبر<sup>(٢)</sup>، إذ ينشئ المتكلم قسمه تبعاً لحالة المتلقي النفسية إن كان شاكاً أو متردداً، أو كان في نفسه حكم مغاير لما سيقسم عليه المتكلم لغرض تأكيد ذلك الحكم في نفس المتلقي وتمكينه، ويتفاوت تأكيد المتكلم لما في نفسه من حقائق وأمور بحسب قوة الإنكار وضعفه<sup>(٣)</sup>.

يعدّ القسم أعلى مراحل التوكيد، والظلال التعبيرية التي يُلقيها القسم على الجملة لا تدعُ شكاً أو تردداً في قبول الحقيقة، ولما كان هذا الأسلوب متبعاً في لغة العرب فقد كثر في القرآن استعماله، فيقوم بدور التهيئة النفسية للمخاطب بإثارة فضوله لما سيقسم به، فيتلقاه مستجمعاً حواسه، ذلك أن الإنسان إذا حلف على شيء كان دالاً على أهميته، وإنه مما يجب الاهتمام به والإقبال عليه، فكيف إذا كان المقسم هو (الله جلّ جلاله)؟!.

إن اختيار القرآن لأساليبه في خطاب بني إسرائيل كان بقصدية كاملة وأنسجاماً مع ما يتطلبه السياق وصولاً إلى الدرجة القصوى في التأثير، وهذا ما جعل من دقة الاختيار القرآني وتنوعه وجهاً من وجوه الإعجاز حيث : ((لجأ القرآن الكريم إلى القسم متبعاً المنهج العربي في تأكيد الإخبار به، ولتستقر في النفس، ويتزعزع فيها ما يخالفها، وإذا كان القسم لا ينجح أحياناً في حمل المخاطب على التصديق فإنه كثيراً ما يوهن في النفس الفكرة المخالفة، ويدفع إلى الشك فيها، ويبعث المرء على التفكير القوي فيما ورد القسم من أجله))<sup>(٤)</sup>.

(١) بديع القرآن ١١٢.

(٢) ينظر : اللمع ٢٨٦.

(٣) ينظر الإتيان في علوم القرآن ٣٧٠-٣٧٣، والتعبير الفني في القرآن ٢٤٧-٢٤٨.

(٤) من بلاغة القرآن ١٧٠، وينظر : الإتيان في علوم القرآن ٣٧٠/٢، ومن أسرار العربية في البيان القرآني ٥٧-٥٨.

والقسم القرآني لا يأتي إلا لدافع شعوري أو جب إنشاءه، فنحن لا نرى أن الله ﷻ مطالباً بقسم على مصداقيته أما ما جاء به القرآن فإنه إن كان لأجل المؤمن، فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد<sup>(١)</sup>.

وضعت في العربية أدوات يؤدي بها القسم لغرض إيصال القسم وإضافته إلى المقسم به، وقد اختلف في عددها وتسمى (أحرف القسم) وهي : (الباء، والواو، والتاء)<sup>(٢)</sup>، ومما ورد من هذه الحروف في سياق آيات الصفات : (التاء)، وقد اختلفت عنهما بأنها لا تدخل على كل محلوف به، وإنما اقتصت بالدخول على لفظ الجلالة (الله)، ولا يجوز حذفها نحو : تالله لأفعلن كذا؛<sup>(٣)</sup> لأن القسم به - سبحانه - قد كثر على لسانهم لعظمته، إن دخولها على لفظ الجلالة (الله) قد شرفها وعظمها لشرف اسمه سبحانه : ((وكونه اسماً لذاته - سبحانه - وماعاده يجري مجرى الصفة))<sup>(٤)</sup>. فانمازت من غيرها بذلك فضلاً عن إفادتها معنى التعجب<sup>(٥)</sup>.

اختلف النحاة في أصل (تاء) القسم، فوصفها أكثرهم بالفرعية والضعف؛ لأنها دخلت على (الواو) الداخلة على (الباء)، فهي فرع على فرع، في حين زعم آخرون أنها أصل بنفسها وليست بدلاً عن الواو<sup>(٦)</sup>. وهذا ما أيده بعض الباحثين المحدثين<sup>(٧)</sup>.

ولما كانت (التاء) من أحرف القسم فلا بد لها من جواب، وجوابها قد يكون جملة فعلية مثبتة مصدرية بفعل ماضٍ مقترن باللام وقد، كما في قوله تعالى : ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف/٩١].

وقد تكون الجملة الفعلية منفية بـ (لا) كما في قوله تعالى : ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف/٨٥]. والمعنى لا تزال

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٤٦/٣ ومعتزك الأقران ٢٨٢/١، ولغة القرآن في جزء عم ٢٦٨-٢٧٠.

(٢) ينظر : الكتاب ٤٩٦-٤٩٩، والمقتضب ٣١٨/٢-٣٢٢، وشرح المفصل ٩٨/٩-١٠١، وشرح التسهيل ١١/٣، والجنى الداني ١١٧.

(٣) ينظر : الكتاب ٤٩٨/٣، واللمع ٢٨٧، وفقه اللغة وأسرار العربية ٣٨٧ وأساليب القسم ٦٥-٦٦.

(٤) شرح المفصل ٩٩/٩، وينظر شرح جمل الزجاجي ٥٢٣/١-٥٢٤.

(٥) ينظر : التاء في العربية، ٨٨-٨٩.

(٦) ينظر : أسرار العربية ٢٧٦-٢٧٧، وشرح المفصل ٩٥/٩-٩٩، وشرح جمل الزجاجي ٥٢٥/١، وجمع الهوامع ٣٩/٢-٤٠.

(٧) ينظر : أساليب القسم في اللغة العربية ٦٦.

تذكر يوسف، وقد جاء حذف (لا) من جواب القسم في هذه الآية ((لدلالة الحال عليه؛ لأنه لو كان إيجاباً لم يخل من (إن) أو (اللام))<sup>(١)</sup>، فعدم دخول اللام ونون التوكيد المشددة على جملة الجواب، كان دليلاً على حذف (لا) منه، وهو ((مما يطرد في جواب القسم إذا كان المنفي مضارعاً))<sup>(٢)</sup>، وقد يجاب عنها بـ (إن) للدلالة على المبالغة والتوكيد كما في قوله تعالى : ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف/٩٥]، فالقسم بالله -جل ثناؤه- وقع على قولهم (إنك) أي : في ذهابك القديم عن الصواب بالإفراط في محبة "يوسف" والأمانى الفاسدة<sup>(٣)</sup>.

ويلحظ التوكيد في القسم القرآني كذلك من اقتران جواب القسم باللام والنون المشددة لتوكيد الإثبات إذا كان الفعل مضارعاً<sup>(٤)</sup>، كما في قوله تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ..﴾ [المائدة/٨٢]، فاللام واقعة في جواب قسم محذوف، والنون المشددة دخلت على المضارع للفصل بين الحال والاستقبال<sup>(٥)</sup>، فصيغة (لَتَقَعَنَّ) في القرآن الكريم تفيد الإخبار بوقوع الفعل فعلاً. ومثله قوله تعالى : ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ..﴾ [آل عمران/١٨٦]، بمعنى أنكم سوف تسمعون منهم مستقبلاً حتماً على جهة التأكيد والتكثير في (أذى) ما يؤذيكم ويضركم للتحقير والتقليل من شأنه<sup>(٦)</sup>.

وفي آيات الصفات جاءت ألفاظ تومئ إلى معنى القسم أو تشير إلى ما يتعلق به من حيث الوجوب والإلزام والتوكيد نستشف منها أنها في سياق قسم من ذلك:

١ - لفظة (الميثاق) : من خلال الاستقراء اللغوي للجزر الثلاثي (وثق) يتبين أنه دال على معنى الاستيثاق والثوق والربط بين شيئين، والجمع بين اثنين، نقول استوثقت من

(١) أسرار العربية ٢٧٧، وينظر : البرهان في علوم القرآن ١٢٨/٣، والإتقان في علوم القرآن ١٦٣/٢.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١٧٥/٢، ٣٧٥.

(٣) ينظر : الكشاف ٥٥٦/١، ومجمع البيان ٢٦٣/٥، وأنوار التنزيل ٤٩٨/١.

(٤) ينظر : المفصل ٣٢٦، والإنصاف في مسائل الخلاف مسألة (٥٨) ٣٩٩-٤٠٠، وهمع

الهوامع ٤٢/٢.

(٥) ينظر : إعراب القرآن، النحاس ٥١٤/١، ومجمع البيان ٢٣٣/٣.

(٦)

فلان أي أخذت منه الميثاق، وعهد إليه بالميثاق، أي: أئتمنته، والميثاق هو عهد أو عقد مؤكد بيمين، يبرم بين طرفين أو أكثر بمعنى الاستحلاف، صارت الواو ياءً لأنكسار ما قبلها والجمع الموائيق على الأصل<sup>(١)</sup>.

ونحو ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة/٨٣]، أي : استحللناهم ألا يعبدون إلا الله، فقله : ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ جواب قسم منفي دل عليه لفظ الميثاق؛ لأن أخذ الميثاق يكون بمثابة اليمين والحلف، فأجري قوله : ﴿ أَخَذْنَا مِيثَاقَ ﴾ مجرى القسم كأنه قيل : وإذا أقسمنا عليهم لا تعبدون إلا الله<sup>(٢)</sup>.

٢ - لفظة تَأْذَن : على صيغة (تفعل) من الإذن والإيذان بمعنى "أعلم أوامر" وعبر بها عن العلم؛ لأن الإذن والإيذان مبدأ لكثير من العلم فينا؛ والمؤذن كل من يعلم بشيء نداءً. قال الخليل : ((أذن بهذا الشيء، أي علمت، وأذنتي : أعلمني))<sup>(٣)</sup>. وقد أعطت معنى القسم، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تَأْذَنُ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف/١٦٧]. بمعنى : عزم ربك، من الإيذان وهو الإعلام؛ لأن العازم على الأمر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله، وأجري (تأذن) مجرى فعل القسم<sup>(٤)</sup>.

وصيغة (تفعل) قد منحت المعنى زيادة وقوة لا يمكن الحصول عليها أو ورد الفعل بصيغة أخرى. فهي دالة على المطاوعة، والمطاوعة مستعملة بمعنى قوة حصول الفعل، وهو بيان قوة إعلام الله - سبحانه - لليهود بشدة غضبه عليهم، وأنه سيبعث عليهم

(١) ينظر في مادة (وثق) مقاييس اللغة ٨٥/٦، وأساس البلاغة ٨٩، ومجمع البيان ١٧٠/٣، ولسان العرب ١٥٢-١٥١/١٥ والمصباح المنير ٦٤٧/٢ وبصائر ذوي التمييز ٥٨/٥.

\* ينظر مثلاً : البقرة/٨٤، وآل عمران/١٨٧.

(٢) ينظر : معاني القرآن، الفراء ٥٤/١، ومعاني القرآن، الأخفش ٣٠٧/١، والكشاف ٧٢/١، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢، ومغني اللبيب ٥٢٨/٢، وأنوار التنزيل ٧٨/١.

(٣) العين ٢٠٠/٨، وينظر : مجاز القرآن ٢٣١/١، وتفسير غريب القرآن ١٧٤، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٨٧/٢ ومقاييس اللغة ٧٥-٧٧، المفردات ١٠، ولسان العرب ١٠/١٣.

(٤) ينظر : الكشاف ٣٩٥/١.

إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، فأشعرت هذه الصيغة بأنَّ إعلام (الله) لليهود بما سوف ينالهم إنما هو محقق لا محالة فلا شك في وقوعه وربما أعطت هذه الصيغة معنى المبالغة في الإعلام، إذ إنَّ أذان الله لم يكن إلا إيذاناً بليغاً تنتفي عنده الشكوك، وتزاح عنه الشبهة<sup>(١)</sup>.

٣- لفظة (قَضِينَا) : كما في قوله تعالى : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء/٤].

فقوله تعالى : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بمعنى : أوحينا إليهم وأخبرناهم وأعلمناهم أنهم سيفسدون في الأرض<sup>(٢)</sup>، وقيل معنى (قَضِينَا) : حكمنا، وأصل القضاء الإحكام للشيء، والفراغ منه<sup>(٣)</sup>.

جوز بعضهم أن يجري القضاء المبتوت مجرى القسم في هذه الآية فيكون (قَضِينَا) قسم و (لتفسدن) جواباً له، كأنه قيل : وأقسمنا لتفسدن أو والله لتفسدن في الأرض، فاللام في (لتفسدن) لام القسم<sup>(٤)</sup>. ويكون هذا تأكيداً لتعلق القضاء فيجوز جعله جواب (قضى) بإجراء القضاء والقدر مجرى القسم نحو : قضاء الله لأفعلن كذا<sup>(٥)</sup>. ومجئ لفظ (القضاء) بصيغة القسم اختصت بدخول لام الجواب ونون التوكيد المشددة، التي إن دخلت على الفعل المضارع المستمر فإنه يفيد وقوع الفعل مستقبلاً وجوباً.

إنَّ القضاء في قوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هو قضاء الهي دون شك، وقد أضيفت إلى الضمير (نا) والذي يعود على الله سبحانه من باب التعظيم، فهو إذن ليس قضاءً بشرياً، أي أنهم سيكون منهم الفساد والعلو في الأرض واقعاً حتماً كما أخبرنا بذلك ﷺ عنهم وهذا ما يصدقه الواقع الحالي ..

(١) ينظر : مجمع البيان ٤/٤٩٤، والتفسير الكبير ٢٠/١٢٤، والتحرير والتنوير ٢٨/٢٩-٢٩.

(٢) ينظر : جامع البيان ١٥/٢١، وفقه اللغة وسر العربية ٤١٦، والتفسير الكبير ٩/١٥٥.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٤١، والمصباح المنير ٢/٥٠٧، والإتقان في علوم القرآن ٣٨٥/١.

(٤) ينظر : الكشاف ٢/٦٢٦، والبحر المحيط ٦/٨.

(٥) ينظر : مغني اللبيب ٢/٣٣٩، وروح المعاني ٩/٢٣.

## المبحث الثالث دلالة حروف المعاني

حُطِيت حروف المعاني في لغتنا بعنايةٍ بالغَةٍ من كثير من اللغويين والنحاة، البلاغيين والأصوليين القدماء والمحدثين، ولا عجب فهذه الكلمات الصغيرة المبنى عُدَّة المتكلم وأدواته في تأليف الكلام، بها تأتلف أجزاءه، وتتوثق لحمته في سداه، ودرسها مدخل لدرس الجملة العربية من حيث تركيبها وترتيب أجزائها والمعاني التي تختلف وتتغير مواقع ألفاظها المفردة<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت حروف المعاني أقل أقسام الكلام، فإنها أكثرها دوراناً على اللسان، وأولجها في تأليف الجمل، وأوسعها تكراراً وانتشاراً<sup>(٢)</sup>. وترتب على ذلك أن تداخلت معاني كثير منها، حتى دقت، وربما خفيت على كثير من أرباب الكلام، الأمر الذي حفز كثيراً من علماء اللغة قديماً وحديثاً على العناية بهذه الحروف، والوقوف على أسرارها، وتوجيه معانيها تبعاً للمعاني القرآنية، فألفوا فيها كتباً<sup>(٣)</sup>.

والمأمل في التعبير القرآني يجد دقةً وبلاغةً عاليةً في استعمال هذه الحروف، الأمر الذي جعل "عبدالقاهر الجرجاني" يعدّ مراعاة مواضعها، ومعرفة معانيها، وما ينفرد كل حرف بخصوصيته في ذلك المعنى، ووضع كل حرف في خاص معناه، سبيلاً إلى نظم الكلام وتأليفه<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : نحو المعاني ٣، والنحو الوافي ١/٦٦.

(٢) ينظر : المخصص، المجلد ٤، السفر ١٤/٤٥.

(٣) ينظر مثلاً : تأويل مشكل القرآن ٥١٩-٥٦٣، واللمع ١٠٢، ١٠٨، ١٤٨-١٥٣ وغيرها، وحروف المعاني للزجاجي، والجنى الداني في حروف المعاني، ومغني اللبيب، الجزء الأول، والإتقان في علوم القرآن ١/٣٩٣-٤٨٧، ودراسات في الأدوات النحوية، مصطفى النحاس.

(٤) ينظر : دلائل الإعجاز ٦٤.

**والحرف لغةً :** الطرف والجانب، وحرف كل شيء طرفه وشفيره وحده ومنه : حرف الجبل، وهو أعلاه المحدد، وفلان على حرف من أمره، أي : ناحية منه.

**والحرف :** اللغة، ومنه قوله ﷺ [نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف]\*، أي : سبع لغات من لغات العرب، وهذا وجه من أوجه تفسير الحديث النبوي.

**والحرف :** واحد حروف التهجي الثمانية والعشرين<sup>(١)</sup>.

**والحرف في اصطلاح النحاة :** أطلقه "الخليل" على كل كلمة بُنيت أداة عادية في الكلام لتفرقة المعاني، وإن كان بناؤها بحرفين أو أكثر مثل : هل، بل، لعل.. فانها عنده تسمى حرفاً<sup>(٢)</sup>.

وعند سيبويه : ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل نحو ثم، وسوف ، واو القسم، ولام الإضافة ونحو هذا<sup>(٣)</sup>. وعند غيره من النحاة : مادل على معنى في غيره<sup>(٤)</sup>.

وحرف المعنى مصطلح بصري<sup>٥</sup>، يقابله عند الكوفيين مصطلح (الأداة)<sup>(٥)</sup>، وجمعها أدوات ويعنون بها ما يعنيه البصريون بـ (حروف المعاني)<sup>(٦)</sup>.

يرى "ابن فارس" أن حد "سيبويه" للحرف أقرب الحدود التي أكثر فيها أهل العربية، وفيه يرى "سيبويه" أنه الذي يفيد معنى ليس في اسم ولا فعل نحو قولنا : قام زيد، ثم نقول : هل قام زيد؟ فقد أفادت (هل) مالم يكن في (زيد)، ولا في (قام)<sup>(٧)</sup>.

فمعنى الاستفهام في المثال المتقدم ليس بالفعل الذي هو (قام) ولا الاسم الذي هو (زيد).

\* ينظر مسند أحمد بن حنبل ٢٢٤/١، والإتقان في علوم القرآن ١٣٥/١-١٣٦.

(١) ينظر في مادة (حرف) : مقاييس اللغة ٤٢/٢، ولسان العرب ٩٨/٤، والمصباح المنير ١٣٠/١، والتعريفات ٧٣، وبصائر ذوي التمييز ٨٦/١، ٤٥٢/٢، وتاج العروس ٦٧/٦.

(٢) ينظر : العين ٢١٠-٢١١.

(٣) ينظر : الكتاب ١٢/١ البحث النحوي عند الأصوليين ٢٠٠ وما بعدها.

(٤) ينظر : الإيضاح في علل النحو ٥٤، والمسائل العسكرية في النحو ٧٩، وأسرار العربية ١٢، والمرتل ٢٣، وشرح المفصل ١٥-٢/٨ والجنى الداني ٨٧، وشرح شذور الذهب ١٤.

(٥) ينظر : معاني القرآن، الفراء ٥٢/١، ومدرسة الكوفة ٣١٠-٣١١.

(٦) ينظر : كشاف اصطلاحات الفنون/٣٢٦، ودراسات في الأدوات النحوية ١٠ وما بعدها.

(٧) ينظر : الصاحبى ٩٥.

ومعنى قول النحاة : الحرف يدل على معنى في غيره، أن دلالة الحرف متوقفة على ما يتعلق به من الاسم والفعل، فإن لم يذكر متعلقة فلا دلالة له على شيء، يقول "الرضي" : ((الحرف وحده لا معنى له أصلاً، إذ هو كالعلم المنصوب بجانب شيء ليدل على أن في ذلك الشيء فائدة ما، فإذا أُفرد عن ذلك الشيء بقي غير دال على معنى أصلاً))<sup>(١)</sup>.

وأيد ذلك طائفة من المحدثين إذ يرون أن الحروف لا تمتلك معنى معجمياً، بل لها معنى وظيفي عام هو التعلق، ثم تختص تحت هذا العنوان العام بوظيفة خاصة مثل العطف، والنفي، والشرط ونحو ذلك، ويعدونها كلمات وظيفية تعبر عن العلاقات الداخلية بين أجزاء الجملة، وأن قيمتها تظهر من خلال انتظامها في علاقات سياقية داخل الجملة لا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنها روابط مهمة تؤثر في دلالات الجمل مع ما تحمله هذه الحروف من دلالة<sup>(٢)</sup>.

في حين تميل طائفة من المحدثين إلى القول بدلالة حروف المعاني على معانيها في أنفسها وهي منفردة، آخذين بجد "سبويه" للحرف، إذ إن ربط دلالة الحرف على المعنى بتعلقه بالاسم أو بالفعل مسألة غير دقيقة، فالحرف (إلى) كما يراه النحاة، في نحو : ذهب محمد إلى المدرسة، لا يدل إلا على علاقة بين الحدث الذي عبر عنه بالكلمة (ذهب) والذات التي عبر عنها بالكلمة (المدرسة)، وهي لا تدل على معنى في نفسها، بل في غيرها، أي : في (ذهب) وفي (المدرسة). فالعلاقة التي دلت عليها (إلى) وأصفتها على الحدث والذات هو معنى في نفس الحرف (إلى)، ولو كانت موجودة في كلمتي (ذهب) و (المدرسة) لأدب المعنى من دون حاجة إلى وجود الحرف (إلى)، ولكان من الممكن أن يقال (ذهب محمد المدرسة)<sup>(٣)</sup>.

وهذه الحروف - وإن دلت على معناها في أنفسها فهي مقيدة بالسياق الذي ترد فيه، وليست مطلقة، وإنما وجدت الحروف لتؤدي معاني الألفاظ المتعلقة بها وليس

(١) الكافية في النحو بشرح الرضي ١/١٠، وينظر : بدائع الفوائد ١/٣٠، والنحو الوافي ١/٦٦-٦٨.

(٢) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ١٢٤-١٢٧، والتطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ٧٥.

(٣) ينظر : دراسات نقدية في النحو العربي، عبدالرحمن أيوب ٨.

لتؤدي معناها الذاتي؛ لأنه معنى غير مكتمل، فهي -إذن- وسيلة لفهم اللفظ المتعلق بها، وليس لفهم معناها الخاص.

كذلك اختلف النحاة في معاني هذه الحروف، اختلفت معانيها الأصلية أم أنها تخرج إلى معانٍ أخرى، فكانوا على مذهبين :

**أحدهما :** جواز تنوع معاني الحرف الواحد، وهو رأي الكوفيين ومن تابعهم<sup>(١)</sup>.  
**والآخر :** عدم جواز ذلك، وضرورة إبقاء الحرف على معناه الأصلي، وهو رأي البصريين ومن تابعهم<sup>(٢)</sup>.

والذي يبدو أن الاستعمال اللغوي لهذه الحروف يفرض تداخل معانيها وتشابك علاقاتها، إذ تعدد الدلالة النحوية لبعضها، وظاهرة تعدد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، لها أهميتها في مجال البحث النحوي واللغوي فهي تعكس تشابك العلاقات بين المعطيات الصرفية والنحوية ويتوقف على إدراكها الفهم الكامل لدلالة التعبير في اللغة العربية؛ لأن المبنى الصرفي الواحد صالح لأن يقدم أكثر من دلالة مادام منفرداً من دون ارتباط بنص، أما إذا تحقق المعنى بعلاقة سياقية أصبح نصاً في معنى واحد بعينه تحدده القرائن اللفظية والحالية على السواء<sup>(٣)</sup>.

### وظيفة حرف المعنى

يؤدي (الحرف أو الأداة) وظيفة نحوية، تتلخص في التعبير عن المعاني العامة التي تطرأ على الجمل، ويقتضيها حال المخاطب، ومناسبات القول، نحو : الاستفهام، والنفي، والتوكيد، والشرط، والاستثناء، والعطف.. وغيرها<sup>(٤)</sup>. ومن حيث التركيب : يؤدي الحرف وظيفة الربط والتعليق في الجملة العربية، وتعلق الكلم بعضها ببعض هي معاني النحو وأحكامه<sup>(٥)</sup>، والتعليق بالأداة أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية الفصحى،

(١) ينظر : أدب الكاتب ٢٣٦-٣٥٤، والمخصص مجلد ٤، السفر ١٤/٤٤-٦٩، والجنى الداني مقدمة المحقق ٣٣-٣٤.

(٢) ينظر : الأصول في النحو ٢/٢١٥-٢٢٢، والجنى الداني مقدمة المحقق ٣٣-٣٤.

(٣) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ١٦٣.

(٤) ينظر : في النحو العربي، قواعد وتطبيق ٣٧.

(٥) ينظر : دلائل الإعجاز ٤٣-٤٤.

فإذا استثنينا جملتي الإثبات والأمر بالصيغة...، فأننا سنجد كل جملة في اللغة الفصحى على الإطلاق تتكل في تلخيص العلاقة بين أجزائها على الأداة<sup>(١)</sup>.

ووظيفة أخرى تؤديها هذه الحروف هي أنها تدخل الكلام لضرب من الاختصار، وذلك أن الحرف الواحد منها يغني عن الكلام الكثير المتناهي في الأبعاد والطول، فقد يغني قولنا : (كم مالك)؟ عن القول : عشرة مالك، أم عشرون، أم ثلاثون، أم مائة... فلما قلت : (كم) أغنت هذه اللفظة الواحدة عن تلك الإطالة غير المحاط بآخرها، وكذلك بقية حروف المعاني، وكان هذا من خصائص لغة العرب؛ لأنهم إلى الإيجاز أميل، وعن الإكثار أبعد<sup>(٢)</sup>.

سيقف البحث في هذه الدراسة على طائفة من حروف المعاني وردت في آيات الصفات لبيان دلالتها النحوية وأثرها في دلالة السياق وهي وسيم تصنيفها إلى :

**أولاً : الحروف المفردة وهي :**

#### ١- الباء

حرف جر، يأتي لمعان عدة، جاء منها في آيات الصفات ما يأتي :

- ١- الإلصاق : قيل : إنه معنى لا يفارقها، فلهذا اقتصر عليه "سيبويه"، فقال : ((وباء الجر هي للإلصاق والاختلاط.. فما اتسع من هذا الكلام فهذا أصله))<sup>(٣)</sup>، من ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ..﴾\* [البقرة/٤٢]. فهذه (الباء) للإلصاق فهي كقولك : خلطت الماء باللبن فكأنهم نهوا عن أن يخلطوا الحق بالباطل فلا يمتاز منه<sup>(٤)</sup>.
- ٢- المجاوزة : تأتي الباء بمعنى (عن) التي تفيد المجاوزة والابتعاد، جاء في المخصص : ((فمهما رأيت الباء بعدما سألت أو ساءلت أو ما تصرف منهما فاعلم

(١) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ١٢٣.

(٢) ينظر : الخصائص ٨١/١-٨٢، ٢٧٣/٢، والإتقان في علوم القرآن ١٧٤/٢.

(٣) الكتاب ٢١٧/٤، وينظر حروف المعاني للزجاجي ٤٧، وفقه اللغة وسر العربية ٣٨٥، وشرح جمل الزجاجي ٤٩٥-٤٩٦، وشرح التسهيل ١٩/٣-٢٠، والجنى الداني ١٠٢، وجواهر الأدب ١٧، والإتقان في علوم القرآن ٤٢٨/١.

\* ينظر : آل عمران ٧١.

(٤) ينظر : البحر المحيط ٣٣٤/١.

أنها موضوعة موضع "عن" <sup>(١)</sup> . كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ .. ﴾ [المائدة/٦٠] ، أي : (عن شرٍّ من ذلك) فقد جاءت بعد (أنبيء) وهو بمعنى الجواب عن السؤال .

٣- الاستعلاء : فتكون موافقة لدلالة (على) كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ .. ﴾ [آل عمران/٧٥] أي : على قنطار <sup>(٢)</sup> ، بدليل قوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ .. ﴾ [يوسف/٦٤] .

وقد فرق الدكتور "فاضل السامرائي" بين المعنيين فذكر أن المعنى فيهما مختلف، فقولك : (أمنته به) يختلف عن قولك (أمنته عليه) فقولك : لا آمنه عليك، معناه لا آمنه أن يحيف عليك أو يتعدى عليك، ففيه معنى الاستعلاء والتسليط والعدوان، وأما قولك (لا آمنه بدرهم) فمعناه لا آمنه من أن يتصرف به، أو يبعث به، لأن (على) تفيد (الاستعلاء) والباء تفيد (الالصاق)، والمعنى أنه لا يلصق آمنه بدرهم، بل ستفارقه أمانته ويتصرف به. ولذلك - والله أعلم - استعمل القرآن الكريم (أمنه عليه) مع الأشخاص، و (أمنه به) مع الأموال. وإن كان يجوز أن يقال (لا آمنه على هذا المال) بمعنى التسليط عليه والاستحواذ <sup>(٣)</sup> .

٤- المصاحبة <sup>(٤)</sup> : كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ .. ﴾ [المائدة/٦١] .

٥- السببية : وهي التي تدخل على سبب الفعل ويعبر عنها أيضاً بـ (التعليل)، وذلك نحو قولك : لقيتُ بزيد الأسد، أي : بسبب لقائي إياه <sup>(٥)</sup> . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ

(١) المخصص المجلد ٤، السفر ١٤/٦٥، وجواهر الأدب ١٩٤، والجنى الداني ١٠٥، ومغني اللبيب ١٤١/١، والنحو الوافي ٤٩٣/٢ .

(٢) ينظر : شرح التسهيل ٢١/٣-٢٢، والجنى الداني ١٠٦، ومغني اللبيب ١٤٢/١، والنحو الوافي ٤٩٣/٢ .

(٣) ينظر : معاني النحو ٢٤-٢٥، ويراجع التفسير الكبير ١٠٠/٨، والبحر المحيط ٢٢٢/٣ .

(٤) ينظر : الجنى الداني ١٠٤، وهمع الهوامع ٢١/٢، ومعاني النحو ٢٠/٣ .

(٥) ينظر : فقه اللغة وسر العربية ٣٨٥، والجنى الداني ١٠٤، ومغني اللبيب ١٣٩/١، وشرح ابن عقيل ٢٣/٢، وهمع الهوامع ٢١/٢، والإتقان في علوم القرآن ٤٢٩/١ .

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ .. ﴿٥٤﴾ [البقرة/٥٤] أي : بسبب اتخاذكم العجل إليها<sup>(١)</sup>.

يذكر ابن مالك أنّ (الباء) غالباً تصلح أن تكون في موضع (اللام) للتعليل، ومثّل له بقوله : ﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾، وأحترز بقوله (غالباً) من قول العرب : غضبت لفلان؛ إذا غضبت من أجله وهو حي، وغضبت به، إذا غضبت من أجله وهو ميت<sup>(٢)</sup>. ومن ذلك قوله : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الاعراف/١٣٧]، فقوله : ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ : أي جزاء لصبرهم على الشدائد والباء سببية، وهو تعليل على موقع المفعول لأجله، إذ تدخل الباء على المفعول لأجله<sup>(٣)</sup>، وهو المصدر المؤول (ما صبروا)، والسياق دالّ على المعنى، فقد جعل من "بني إسرائيل" أئمة يهدون في ذلك الحين وهو حين صبرهم على أذى "فرعون"<sup>(٤)</sup>.

٦- البديل : وعلامتها أن يحسن موضعها لفظة (بذل)، كقول بعضهم : ما يسرني أني شهدت بديراً بالعقبة أي : بدلها<sup>(٥)</sup>. من ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة/٤١]. أي : لا تستبدلوا بآياتي العظيمة أشياء صغيرة من عرض الدنيا<sup>(٦)</sup>.  
٧- الاستعانة : وهي الداخلة على آلة الفعل كباء البسمة<sup>(٧)</sup>، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ..﴾ [آل عمران/٧٠].

\* ينظر أيضاً : البقرة/٥٩، ٨٨، وآل عمران/٢٤، والنساء/١٦٠، والمائدة/٦٤، ٥٨.

(١) ينظر : البحر المحيط ٣٦٥/١، وإعراب القرآن وبيانه ١٠٥/١.

(٢) ينظر : شرح التسهيل ٢٠/٣، وجواهر الأدب ١٨، والجنى الداني ١٠٤.

(٣) ينظر : ارتشاف الضرب ١٢٢/٣، وشرح ابن عقيل ١٨٦/٢، والتراكيب اللغوية في العربية ٦٥-٦٦.

(٤) ينظر : الكشف ٣٨٤/١، وأنوار التنزيل ٣٥٨/١.

(٥) ينظر : الجنى الداني ١٠٤-١٠٥، ومغني اللبيب ١٤١/١، وهمع الهوامع ٢١/٢، ومعاني النحو ٢١/٣.

\* ينظر أيضاً : البقرة/٦١، ٧٩، ٨٦، ٩٠، آل عمران/١٨٧، والنساء/٤٤.

(٦) ينظر : البحر المحيط ٣٣٣/١.

(٧) ينظر : مغني اللبيب ١٣٩، والجنى الداني ١٠٣.

٨- التوكيد : وذلك حين تكون الباء زائدة<sup>(١)</sup>. كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ .. ﴾ [البقرة/٩٦].

### ٣- الفاء

حرفٌ من حروف التهجي، أحادي، يكون أصلاً وبدلاً في الكلام<sup>(٢)</sup>. تقع الفاء في سياق آيات الصفات على عدة أضرب ندرس منها :

أ- ضربٌ يقع فيه للعطف والاتباع.

ب- ضربٌ تكون فيه للاتباع مجرداً من العطف، فتقع في جواب الشرط وجواب الطلب، وهي في هذا الضرب كثيرة جداً.

ويلحظ أن معنى (الاتباع) يكون ملازماً لها ملازمة الواو للدلالة على الاجتماع، وأن الاتباع أعمّ فيها من العطف، وأن كل معنى فيها يعود إلى معنى (الاتباع)<sup>(٣)</sup>.

والفاء العاطفة توافق (الواو) في أنها تضمّ الشيء إلى الشيء، فتغير الاشتراك بين المتعاطفين في اللفظ، أي الإعراب، وفي المعنى، أي الحكم<sup>(٤)</sup>. وفي سياق آيات الصفات تدلّ (الفاء) العاطفة على المعاني الآتية :

\* ينظر أيضاً : البقرة / ٧٩ ، ٤٢٥ .

(١) ينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٦٧١/٢ ، ومغني اللبيب ١٤٤/١ .

(٢) ينظر : العين ٤٨/١ ، والكتاب ٤٣١/٤ ، وسر صناعة الإعراب ٢٤٩/١ ، والجنى الداني ١٢١ ، تاج العروس ٤٣٩/١ .

(٣) ينظر : سر صناعة الإعراب ٢٥٢/١ ، والخصائص ١٩٦/٢ ، يرجع محققو كتاب "سر صناعة الإعراب" أن المراد من (الاتباع) هنا هو معنى : التعقيب والربط هامش (١) ، ٢٥٢/١ .

(٤) ينظر : الكتاب ٣٠٤/٢ ، ٢١٨/١ ، والمقتضب ١٠/١-١٤ ، والمخصص المجلد ٤ ، السفر ٤٨/١٤ ، والبرهان في علوم القرآن ٣١٩/٤ ، ومعجم الأدوات النحوية ١٠٠-١٠١ .

#### ١ - الترتيب :

وتفيد في عطفها ترتيب المتعاطفين في أداء الفعل<sup>(١)</sup>، ((فيكون مابعد الفاء مؤخراً في المعنى، فإذا قلت : ضربت زيدا فعمراً فكأنك تريد أن تعلم بالفاء أن الآخر مر به بعد الأول))<sup>(٢)</sup>.

يرى "الرضي" أن معنى الترتيب لا يفارقها سواء كانت عاطفة أم لا، ((فإن عطف مفرداً على مفرد، ففائدتها أن ملابسة المعطوف لمعنى الفعل المنسوب إليه وإلى المعطوف عليه بعد ملابسة المعطوف عليه بلا مهلة، فمعنى قولك : قام زيد فعمرو، أي: حصل قيام عمرو عقيب قيام زيد، بلا فصل،.. وإن عطف الفاء جملة على جملة أفادت كون مضمون الجملة التي بعدها عقيب مضمون التي قبلها بلا فصل، نحو : قام زيد فقعد عمرو))<sup>(٣)</sup>.

#### ويقسم النحاة الترتيب الذي تفيد (الفاء) على قسمين :

أ- الترتيب المعنوي : هو أن يكون زمن تحقق المعنى في المعطوف متأخراً عن زمن تحققه في المعطوف عليه، نحو قام زيد فعمرو فقيام عمرو واقع بعد قيام زيد<sup>(٤)</sup>. من ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة/٥٨-٥٩]، وكذلك قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران/١٨٧] فكان نبذهم الميثاق وإعراضهم عنه بعد أخذه عليهم.

ب- الترتيب الذكري : ((والمراد به أن يكون وقوع المعطوف بها بعد المعطوف عليه بحسب الذكر لفظاً، لا أن معنى الثاني وقع بعد زمان وقوع الأول))<sup>(٥)</sup> ومن ذلك عطف

(١) ينظر : الكتاب ٢١٨/١، ٢، ٤٢٤/٣٠٤، والمقتضب ١٠/١، والصاحبي ١٠٩، وشرح المفصل

٩٥/٨، ومغني اللبيب ٢١٣/١، وجمع الهوامع ١٣٠/٢-١٣١.

(٢) الكتاب ٤٢٤/١، وينظر شرح قطر الندى ١٢٦.

(٣) الكافية في النحو بشرح الرضي ٣٦٥/٢، وينظر : شرح جمل الزجالي ٢٣٠/١.

(٤) ينظر : الجنى الداني ١٢٢، ومغني اللبيب ٢١٣، وشرح التصريح على التوضيح ١٣٨/٢.

(٥) شرح التصريح على التوضيح ١٣٨/٢، وينظر : مغني اللبيب ٢١٣، والنحو الوافي ٤٦٣/٣.

مفصل على مجمل كما في قوله تعالى : ﴿ .. فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً .. ﴾ [النساء/١٥٣].

## ٢- التعقيب :

ويرادُ به أن يكون المعطوف بالفاء متصلاً بها بلا مهلة، وبعبارة أخرى : بيان أن رتبة المتأخر قريبة من رتبة المتقدم، غير متراخية عنها كثيراً، كقولنا : مررتُ بزيد فعمرو، أي : مررتُ بزيد وعلى عقبه بعمرو<sup>(١)</sup>، وقد سماها الثعالبي بـ (فاء التعقيب) دلالة على أصالة هذا المعنى فيها<sup>(٢)</sup>. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة/٥٥]. وقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة/٦٥].

وَيُلاحظ على هاتين الآيتين وغيرهما أن مابعد (الفاء) يقع عقيب ما قبلها لذا جاز أن يقع ما قبلها علةً وسبباً لما بعدها، وإنما أُختيرت (الفاء) لهذا المعنى من بين حروف العطف؛ ((لأنَّ المعطول ينبغي أن يقع ثاني العلة بلا مهلة))<sup>(٣)</sup>. كما سنأتي عليه.

## ٣- السببية :

أي أن ما قبلها يقع سبباً لما بعدها، ومعنى السببية لا يلزمها كما يلزمها المعنيان الأوليان، فقد تكون سببية وهي مع ذلك عاطفة وقد تكون مجرد سببية مثال ذلك قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة/٥٤].

قال الزمخشري : ((فإن قلت : ما الفرق بين الفاءات؟ قلت : الأولى للتسبيب لا غير، الظلم سبب التوبة..))<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : اللع ١٧٤، والجنى الداني ١٢١، وشرح قطر الندى ١٥٦، وشرح التصريح على التوضيح ١٣٨/٢، وجمع الهوامع ١٣١/٢.

(٢) ينظر : فقه اللغة وسر العربية ٣٣٨.

(٣) سر صناعة الإعراب ٢٥٣/١، وينظر : شرح المفصل ٩٥/٨، والكافية في النحو بشرح الرضي

٢٦٥/٢، والجنى الداني ١٢٣-١٢٤، وسر قطر الندى ١٥٧.

(٤) الكشف ٢٨١/١.

ومن الأسباب التي تخلع فيها (الفاء) دلالة العطف وتتجرد للسببية والربط، دخولها في سياق الشرط، والشرط لا يكون إلا فعلاً، والأصل في جوابه أن يكون فعلاً أيضاً، وعلى الأصل تربط الأداة الجواب بالشرط، فإن جاء الجواب خلاف الأصل، أمتنع جعل الجواب شرطاً وما عادت الأداة قادرة على ربطه بالشرط، فلا بد من ربطه بـ (الفاء)، إذ بدونها لا رابط بين الجواب والشرط لعدم صلاحية الجواب لمباشرة الأداة، ولئلا يتوهم أنه مستأنف وليس جزءاً لما قبله<sup>(١)</sup> يقول "ابن جني" في سبب اختيار (الفاء) لهذا المعنى : ((أدخلوا هناك حرفاً يدل على أن ما بعده مسبب عما قبله، لا معنى للعطف فيه، فلم يجدوا هذا المعنى إلا في (الفاء) وحدها، فلذلك اختصوها من بين حرف العطف))<sup>(٢)</sup>. ولم تقع (ثم) موقع الفاء في جواب الشرط؛ لأن من حق الجواب أن يلحق بالشرط سريعاً.

كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة/١٣٧].

ومن الأساليب التي تدخلها (الفاء) وفيها معنى الشرط وتفيد معنى السببية : دخولها في أجوبة الطلب، وهي التي تسمى بـ (فاء السببية) التي ينتصب المضارع بعدها نحو قوله تعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي.. ﴾ [طه/٨١].

و(الفاء) في هذه الآية تشبه (الفاء) الواقعة في جواب الشرط، وإنما سُمِّيَ ما بعدهما جواباً؛ لأن ما قبلها من الطلب يشبه الشرط في أن كلا منهما غير ثابت

(١) ينظر : الكافية في النحو بشرح الرضي ٢/٢٦٥، والجنى الداني ١٢٤-١٢٥، وشرح التصريح على التوضيح ٢/٢٤٩، وهمع الهوامع ١/٢٠٦، ٢/٦٠، والنحو الوافي ١/٥٣٥-٥٣٦، ٤/٣٧٩-٣٨٠، والتراكيب اللغوية في العربية ٢٠٦.

(٢) سر صناعة الاعراب ١/٢٥٤-٢٥٥ وهناك آراء أخر قيلت في تفسير وقوع الفاء في جواب الشرط ينظر : الخصائص ٢/١٩٦، ودلائل الإعجاز ٢٢٥، وفي النحو العربي "نقد وتوجيه" ٢٨٧.

المضمون، يتسبب عنه مابعدھا كتسبب الجواب عن الشرط؛ لأنّ المعنى في نحو : لا تنقطع عنا فنجفوك : إنّ تنقطع عنا نجفك<sup>(١)</sup>.

أما الفاء الواقعة في جواب شرط مقدر، فقد سماها "الزمخشري" (فاء فصيحة)، وأنها لا تقع إلا في كلام بليغ، يقول في الفاء الثالثة في قوله تعالى : ﴿.. فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة/٥٤] : (و الثالثة متعلّقة بمحذوف.. كأنه قال : فإن فعلتم فقد تاب عليكم)<sup>(٢)</sup>.

### ٣- الواو

حرف من حروف المعجم أحادي ، يكون أصلاً وبدلاً وزائداً<sup>(٣)</sup>. وللواو عدة

دلالات :

١- العطف : وهي أصل حروف العطف، وأمّ الباب لكثرة استعمالها ودورها فيه<sup>(٤)</sup>، ((والدليل على ذلك أنها لا توجب إلا الاشتراك بين شيئين فقط في حكم واحد، وسائر حروف العطف توجب زيادة حكم على ما توجبه الواو، ألا ترى أنّ الفاء توجب الترتيب، و (أو) للشك وغيره، و (بل) للإضراب، فلما كانت هذه الحروف فيها زيادة معنى على حكم الواو صارت الواو بمنزلة الشيء المفرد وباقي حروف العطف بمنزلة المركب مع المفرد، فلهذا صارت الواو أصل حروف العطف))<sup>(٥)</sup>. وقد بدأ "سيبويه" باب العطف بـ (الواو)؛ لأنها أقوى حروفه من حيث عطف بها في الإيجاب والجد، وفي كل ضرب من الفعل<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر : ارتشاف الضرب ٤٠٧/٢، والجنى الداني ١٢٩، وهمع الهوامع ١٠/٢-١١، والناصب للمضارع بعد هذه الفاء حديث أفاضت به كتب النحو واختلفت فيه مذاهب النحاة ينظر : الكتاب ٤١٨/١ والانصاف مسألة (٧٢)، ٥٥٧/٢، وشرح المفصل ٢١/٧. والبرهان في علوم القرآن ٣٤٢/٤.

(٢) الكشف ٢٨١/١.

(٣) ينظر : العين ٥٧/١، والكتاب ٤٣١/٤، وسر صناعة الإعراب ٥٠/١، ولسان العرب ١٣٣/١٥.

(٤) ينظر : المقتضب ٤٦/٢، وشرح جمل الزجاجي ١٥٧/٢ وشرح التسهيل ٢٠٢/٣، والجنى الداني ١٨٨، وشرح ابن عقيل ٢١٨/٢، والإتقان في علوم القرآن ٤٨٥/١.

(٥) شرح المفصل ٩٠/٨، وينظر : همع الهوامع ١٤٠/٢، ونحو المعاني ٩٢.

(٦) ينظر : الكتاب ٢٩٩/١، ٤٣٨، ٢١٦/٤، والجنى الداني ١٨٨، وهمع الهوامع ١٣٨/٢.

وتعدّ (الواو) من أكثر الحروف استعمالاً في اللغة العربية<sup>(١)</sup>. وربما هذا يعود إلى أنّ (الواو) هي التي يحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم، حيث لا تفيد سوى الربط بين المتعاطفين وتشريك مابعدهما في الحكم لما قبلها، ولهذا السبب أيضاً قصر بعض البلاغيين بحثهم على العطف بـ (الواو) دون حروف العطف الأخر<sup>(٢)</sup>. وأسسوا علماً دونه كل علوم البلاغة في الدقة والغموض والصعوبة، وهو معرفة الفصل والوصل، الذي يعدّ أهم مافي نظم الكلام وترتيب أجزائه؛ لأنه ترتيب للأفكار ونظم لأجزائها<sup>(٣)</sup>.

ومذهب جمهور النحاة أنّ (الواو) تشرك بين المفردات في اللفظ والمعنى، وذلك ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة/٦١]، وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ..﴾ [النساء/٥١]، وقوله: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً..﴾ [المائدة/٥٧]، وقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ..﴾ [المائدة/٦٤].

ويؤكد "الزركشي" في عطف المفردات على تحقيق المشاكلة بين المتعاطفين، فيرى أنّ فائدة عطف المفرد تنحصر في تحصيل مشاركة الثاني للأول في الإعراب ((ليعلم أنه مثل الأول في فاعليته أو مفعوليته، ليتصل الكلام بعضه ببعضه..))<sup>(٤)</sup>.

ومذهب الجمهور أنّ الواو لا تفيد الجمع في الجمل بدليل جواز: هذان قائم وقاعد، دون هذان يقوم ويقعد، في حين ذهب بعضهم إلى أنّ الواو تجمع بين الجمل<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: المقتضب ١٠/١-٢، ٢٥/١١، والمزهر ١٩٥/١.

(٢) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم ٣١١.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز ٢٣٠-٢٥٠، والطراز ٣/٣٠٤-٣١٠، ونحو المعاني ٩٤.

(٤) البرهان في علوم القرآن ١٢٠/٤.

(٥) ينظر: مغني اللبيب ٤٦٥/١، والبرهان في علوم القرآن ١٢٠/٤.

ويرى "عبدالقاهر الجرجاني" أن معنى الجمع في الواو يزداد قوة وظهوراً إذا كان المخبر به في الجملتين واحداً كقولنا : هو يضر<sup>١</sup> وينفع<sup>٢</sup>، فإن الواو أوجبت للمخبر عنه الفعلين جميعاً، وجعلته يفعلهما معاً، وبخلاف قولنا : هو يضر<sup>٣</sup> ينفع<sup>٤</sup>، من غير واو، فقد يجوز أن يكون قولنا (ينفع) رجوعاً عن قولنا (يضر) وإبطالاً له<sup>(١)</sup>.

وإفادة (الواو) مطلق الجمع في الجمل لا يعني أنها تجمع بين المتعاطفين بلا مناسبة بينهما ولا رابط، والأمثلة على ذلك كثيرة في سياق آيات الصفات \*.

ومما يلحظ على واو العطف أنها تؤذن بالمغايرة، إذ لا يعطف الشيء على نفسه، وجعل النحاة هذه المغايرة شرطاً للعطف بالواو، وتتضح هذه المغايرة أكثر ما تتضح عندما تقع عاطفاً بين الصفات، فتتوسط الواو بينها إذا ذكرت في مقام التعداد لتغايرها في نفسها وللايذان بأن المراد ذكر كل صفة بمفردها وإن كانت لموصوف واحد<sup>(٢)</sup>. ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿لَكِنَّ الرَّاٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِيْنَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيْمًا﴾ [النساء/١٦٢]، وهذه الأوصاف المعطوفة هي لموصوف واحد وهم مؤمنو أهل الكتاب وعُطِفَتْ بالواو لتباين دلالة كل صفة عن الأخرى، وقد أشار بعض المفسرين إلى أن الواو قد تأتي للدلالة على الكمال في الصفة، فكأن الأولى صفة تامة ثم عُطِفَتْ عليها صفة تامة أخرى<sup>(٣)</sup>.

ويرى "ابن قيم الجوزية" (ت ) أن هذه الواو جاءت تحقيقاً وتقريباً للوصف المتقدم فتجعله متضمناً لنوع من التأكيد يدفع به توهم الإنكار عن المخاطب<sup>(٤)</sup>. وهذا التغاير بين الصفات سماه "العكبري" (ت ) الدلالة على التفخيم ؛ لأنه يؤذن بأن كل صفة مستقلة بالمدح<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر : دلائل الإعجاز ٢٣٣، والطراز ٣/٣١٥.

\* ينظر مثلاً : البقرة/٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٥٨، ٦١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٩٣، ١٠٢ وآل عمران ٧٨، ١١٢، ١١٤، ١٨٦، ١٨٧، والنساء/١٥٧، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٠، ٣٧، والمائدة/٦١، ٦٠.

(٢) ينظر : البحر المحيط ٥/٤٠١، ٦/١١٤-١١٥، والإيضاح في علوم البلاغة ١٤٧-١٤٨، ومعاني النحو ٣/٢١٩.

(٣) ينظر : الكشف ١/٤١٧، والبحر المحيط ٤/١٣٤.

(٤) ينظر : بدائع الفوائد ١/١٩١.

٢- المصاحبة (واو المعية) : يُعدل بـ (الواو) عن العطف إلى معنى آخر هو (المعية والمصاحبة) فينتق المعنيان في الدلالة على الجمع ويفترقان في الدلالة على العطف، فبعد أن كانت (الواو) في العطف تؤدي وظيفة نقل الحكم الاسنادي القائم فيما قبلها إلى ما بعدها. مما يترتب عليه مشاركته في العلامة الإعرابية، أصبحت في المعنى الجديد (المعية) مصاحبةً له فقط<sup>(٢)</sup>، وإنما أقاموا (الواو) مقام (مع) توسعاً في الكلام، وطلباً للتخفيف، وإنما كانت أولى من غيرها من الحروف؛ لأنَّ معنى (مع) و (الواو) متقاربان، فمعنى (مع) الاجتماع والانضمام، والواو تجمع ما قبلها مع ما بعدها؛ لأنَّ (الواو) أخفُّ في اللفظ وأخصر؛ ولأنَّ أصل هذه الواو هو واو العطف) الذي فيها معنى الجمع<sup>(٣)</sup>.

يشكل عامل النصب في الفعل المضارع بعد (واو المعية) إحدى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين نحو قولهم : لا تأكل السمكة وتشرب اللبن<sup>(٤)</sup>.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/٤٢].

٣- واو الحال : وهي واو داخلية على الجملة الحالية، يرى النحاة فيها أنها واو العطف تؤدي مهمة الربط بين الجملتين المتغايرتين، وحالها حال (الواو) في مثل : زيدٌ منطلق وعمره ذاهب وأنَّ تسميتها (بواو الحال) لا يخرجها عن معنى العطف، وبتعبير "الجرجاني" : لا يخرجها عن أنَّ تكون مجتلفةً لضم جملة إلى جملة، ونظيرها في هذا (الفاء) في جواب الشرط نحو : إن تأتِ فأنت مكرم، فإنها وإن كانت عاطفةً ، فإنَّ ذلك لا يخرجها من أنَّ تكون بمنزلة العاطفة في أنها جاءت لتربط جملة ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ١/١٢٨.

(٢) ينظر : الخصائص ٢/١٩٦، والمخصص، المجلد ٤، والسفر ١٤/٤٧.

(٣) ينظر : أسرار العربية ١٨٤-١٨٥، والكافية في النحو بشرح الرضي ١/١٩٥.

(٤) ينظر : إعراب القرآن ، النحاس ١/٢١٩ ، وفقه اللغة وسر العربية ٣٩٤، والإنصاف في مسائل

الخلاف مسألة (٣٠)، ١/٢٤٨ وما بعدها ومغني اللبيب ١/٤٧٢.

\* كما سنأتي عليه في المبحث اللاحق.

(٥) ينظر : دلائل الإعجاز ١/١٥١، والتطور النحوي ١٩٣.

والأمثلة كثيرة على ذلك منها قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة/٤٤] وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [البقرة/٥١]. وتدخل الواو على بعض الجمل الحالية المؤكدة أو مبيّنة للتي قبلها حتى كأنها هي من غير فضل<sup>(١)</sup>. والجمل الحالية المؤكدة لعاملها وهي التي لو لم تذكر لفهم معناها من عاملها، لأنها بمنزلة تكرار ما قبلها فمعناها مستفاد من الكلام السابق لها<sup>(٢)</sup>.

من ذلك قوله : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [البقرة/٨٣] فجملة ﴿ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾، حالية مؤكدة؛ لأن ما في (توليتهم) من المعنى يُعني عنها<sup>(٣)</sup>. لذا حملت هذه الواو على الزيادة، فكان حالها كحال الحروف العاطفة الداخلة على الجمل المؤكدة المكررة بلفظها، فذهب "الزمخشري" إلى أن الواو الداخلة على الجملة الحالية المؤكدة جاءت زائدة للصوف الحال بصاحبها<sup>(٤)</sup>..

### ثانياً : الحروف الثنائية

#### ١- أم

حرف مخفف من الحروف الثنائية المحضة<sup>(٥)</sup>، موضوعة للاستفهام وفيها معنى العطف<sup>(٦)</sup>، ولا خلاف بين النحاة في ذلك، إلا ما ذهب إليه ابن كيسان (ت )، فأصل (أم) عنده (أو) أبدلت واوها ميماً فتحوّلت إلى معنى يزيد على معنى (أو)<sup>(٧)</sup>، وهذا الرأي الرأي يذهب إليه بعض المحدثين فالميم والواو يتبادلان صوتياً<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر : التبيان في علم البيان، ١٤٠.

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ٦٧/١ ، وشرح التسهيل ٢٧٠/٢-٢٧٣، وشرح شذور الذهب ٢٤٦، وشرح التصريح على التوضيح ٣٩٢/١، والنحو الوافي ٣٩١/٢-٣٩٢.

(٣) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ٨٥/١ و

(٤) ينظر الكشف ٣٨٥/٢، ٣١٠ والبرهان في علوم القرآن ٤٢٩/٢، والإتقان في علوم القرآن ٤٨٦/١.

(٥) ينظر في مادة (أم) : جواهر الأدب ١٠٣، والقاموس المحيط ٧٧/٤، وتاج العروس ١٩٤/٨.

(٦) ينظر : شرح المفصل ١٥٢/٨، وشرح جمل الزجاجي ٢٣٦-٢٣٨، والبرهان في علوم القرآن ٢٠٣/٤.

(٧) ينظر : الصاحبي ١٦٦، والجنى الداني ٢٢٥، وجمع الهوامع ١٣٢/٢.

(٨) ينظر : الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة، علي مزهر الياسري ١٨٠.

يرى " أبو حيان " : بأن ذلك دعوى بلا دليل، وذكر السيوطي (ت ٩١١) نقلاً عنه قوله : ((ولو كانت كذلك لاتفقت أحكامهما، وهما مختلفان من أوجه...))<sup>(١)</sup>، وعدّ القرطبي (الميم) فيها زائدة، والأصل فيها الهمزة<sup>(٢)</sup>، والراجح أنها بـ (الميم) في أصل وضعها؛ فالقلب والنقل خلاف الأصل مما يُجوج إلى دليل<sup>(٣)</sup>.

يحصِرُ جمهور النحاة واللغويين (أم) في موضعين<sup>(٤)</sup>:

أحدهما : المتصلة، وهي التي تتقدم عليها همزة التسوية، أو تتقدم عليها همزة يُطلب بها وبـ (أم) التعيين.

الآخر : المنقطعة، بمعنى (بل) مفيد للإضراب، وسميت بذلك؛ لأنّ الجملة بعدها منقطعة عما قبلها، ومستقلة عنه.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ..﴾ [النساء/٥٣-٥٤]. يرى "العكبري" أنّ (أم) في الحالتين منقطعة للإضراب بمعنى (بل)<sup>(٥)</sup> في حين يرى آخرون أن (ام) بمعنى همزة الاستفهام في قوله تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ﴾. أي أيحسدون؟<sup>(٦)</sup>. ذكر "الفراء" أنه يجوز أن تكون (أم) بمعنى (بل)، وقال ((والعرب تجعل (بل) مكان (أم) و (أم) مكان (بل) إذا كان في أول الكلام استفهام))<sup>(٧)</sup>.

وقد ترد (أم) محتملة للاتصال والانقطاع<sup>(٨)</sup>، من ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/٨٠].

(١) همع الهوامع ١٣٢/٢.

(٢) ينظر : الجامع في أحكام القرآن ١٩١/١٥ في تفسيره آية ٢٨ من سورة ص، وينظر ١٩/١٦ في تفسير آية ٢١ من سورة الشورى.

(٣) ينظر : جواهر الأدب ١٠٣.

(٤) ينظر : الجنى الداني ٢٢٥، ومغني اللبيب ٦١/١ وشرح قطر الندى ١٣٠، وشرح ابن عقيل ٢١٠/٢-٢١١، والإتقان في علوم القرآن ٤١٢/١-٤١٤.

(٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ٣٦٥/١.

(٦) ينظر : تأويل مشكل القرآن ٥٤٦.

(٧) معاني القرآن، الفراء ٢٩٩/٢، وينظر : الصاحبى ١٦٧.

(٨) ينظر : الكشف ٢٩٢/١، ومغني اللبيب ٦٨/١.

### ٣- إن

تأتي (إن) المكسورة الهمزة، الساكنة النون في العربية على أربعة أوجه<sup>(١)</sup>، جاء منها أثنان في سياق آيات الصفات وهما :

١- الشرطية : الشرط أسلوب إخباري<sup>(٢)</sup> يحتمل الصدق والكذب مقيد التعليق ، وهو وقوع الشيء لوقوع غيره. فإن وجد الشرط وجد الجواب، وترتبط الجملتان ارتباطاً سببياً، فإذا قلت : إن تأتني أعطك درهماً، فالإتيان سبب العطية<sup>(٣)</sup>.

وتتصدر (إن) أدوات الشرط؛ لأنها أم الباب، وتصلح لكل ضروبه<sup>(٤)</sup>، ((ولأم كل كل باب اختصاص تمتاز به وتتفرد بمزيتها))<sup>(٥)</sup>. فجعلها هذا ذات معنى مستقل، ولم يتسن لها الخروج منه إلى غيره البتة؛ لأنها وضعت للدلالة على مجرد تعليق الجواب على الشرط فقط، في حين كان لأخواتها دلالات أخر<sup>(٦)</sup>.

ولما كان الشرط مستقبلياً عند أغلب العلماء<sup>(٧)</sup>، دلت جملة المضي -وهي الغالبة في سياق آيات الصفات- على الاستقبال بوقوعها في سياق الشرط، وإن احتملت أحياناً دلالات أخرى تبعاً لقرائن أخرى. قد يكون الشرط وجوابه ماضي اللفظ مستقبل المعنى كقوله تعالى : ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾\* [آل عمران/٢٠].

يلحظ أن الأفعال ماضية، لكن وقوعها في سياق الشرط يخلصها للاستقبال فأوثر صيغة المضي؛ وهي الأخف ولإظهار الرغبة في وقوعه، فإن المرء إذا تبالغت رغبته في حصول أمر يكثر تصوره فيخيل إليه حاصلاً. يقول "ابن جني" : ((جاء

(١) ينظر : الجنى الداني ٢٢٨، ومغني اللبيب ٣٣/١-٤١، ومعجم الأدوات النحوية ٤٤-٤٥.

(٢) ينظر : المقتضب ٤٦/٢-٥٠، والأصول في النحو ١٦٤/٢، وجواهر الأدب ١١٣، والتعريفات ١٠٦، ومعاني النحو ٥٣/٤.

(٣) ينظر : الكتاب ١٣٤/١، وتضمن الجملة غير الشرطية معنى الشرط ٣-٢.

(٤) ذرة الغواص في أوهام الخواص، الحريري ٢٥.

(٥) ينظر : الكتاب ١٣٤/١، وشرح المفصل ١٥٦/٨، والتراكيب اللغوية في العربية ٢٢٣.

(٦) قال القرطبي : ((والمجازاة لا تكون إلا في المستقبل قاله الخليل وغيره))، الجامع لأحكام القرآن

٤٥/١٤، وينظر : الزمن في القرآن ٢٥٨-٢٦٠.

\* وينظر : الإسراء ٧/٨.

بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه حتى كأن هذا قد وقع واستقر لا انه متوقع مترقب<sup>(١)</sup>.

وقد يكون ماضي اللفظ والمعنى كقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران/١٨٤]، فتكذيب الكفار للرسول واقع في ما مضى من الزمان.

وقد يُقابل بين فعلي الشرط، فيأتي بالماضي في مقابل الأمر الدال على الاستقبال في مثل قوله : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ [أنعام/١٤٧]، وإنما كان ذلك ((للتأكيد وقرع القول بعد التكذيب، إذ كونه جواباً يدل على ذلك))<sup>(٢)</sup> وذلك أبلغ في التهديد، والمعنى لا تغتروا بسعة رحمته في الاجترار على معصيته لانه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم<sup>(٣)</sup>.

٢- النافية : وتدخل على الجملة الفعلية والأسمية<sup>(٤)</sup>، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ \* [البقرة/٧٨].

### ٣- أو

حرف عطف يُشرك الثاني في إعراب الأول، وأحد الأحرف الثلاثة (أو، وأم، وأما) التي تجتمع في أن الحكم المذكور مسندٌ بها إلى أحد الشيئين المذكورين وهذا الأصل في وضعها<sup>(٥)</sup>.

وعُرِفَت (أو) بكثرة المعاني، فأصل وضعها عند المتقدمين أن تكون لأحد الشيئين أين كانت، وكيف تصرف<sup>(٦)</sup>، ثم اتسع فيها فاستعيرت لمعانٍ كثيرة ذكرتها كتب اللغة والنحو مستفادة من القرائن<sup>(٧)</sup>.

(١) الخصائص ١٠٥/٣، وينظر : البرهان في علوم القرآن ٣٥٨/١، ومعاني النحو ٦٩/٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٣٠٨/٤.

(٣) ينظر البرهان في علوم القرآن ١٢١/١.

(٤) ينظر : الجنى الداني ٢٢٩، ومغني اللبيب ٣٣/١-٣٤.

وينظر أيضاً آل عمران ١٥٩.

(٥) ينظر : الكتاب ٢١٨/١، ٤٨٩، والمقتضب ٢٨/٢، واللمع ١٧٥، وشرح المفصل ٩٧/٨، وشرح جمل

الزجاجي ٢٣٣/١، وارتشاف الضرب ٦٣٩/٢ والبرهان في علوم القرآن ٢١٠/٤، ومعجم الأدوات

النحوية ٥٠-٥١.

(٦) ينظر : الخصائص ٤٥٧/٢، والكشاف ٤١/١.

ومن أشهر المعاني التي حُمِلت عليها دلالة (أو) :

١- الإباحة : وتعني : ((ترك المخاطب حراً في اختيار أحد المتعاطفين فقط، أو اختيارهما معاً، والجمع بينهما إذا أراد))<sup>(١)</sup>، مثال ذلك جالس "الحسن" أو "ابن سيرين"، كأنه قيل : هذان الرجلان أهلٌ للمجالسة، فأيهما تجالس فانك مصيب، وإن تجمع بينهما فانك مصيبٌ أيضاً<sup>(٢)</sup>. يقول الزجاجي (ت) : ((هذه إباحة وإطلاق...))<sup>(٣)</sup>.

يؤكد "أبو حيان" أن (أو) في هذا المعنى باقية على معناها الدال على أحد الشيئين أو الأشياء، وأن معنى (الإباحة) لم يؤخذ من لفظ (أو) أولاً من معناها، إنما أخذ من صيغة الأمر مع قرائن الأحوال<sup>(٤)</sup>.

وفي سياق آيات الصفات وردت (أو) مفيدة معنى الإباحة، ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً..﴾ [البقرة/٧٤].

قال "الزجاج" : (( "أو" ههنا لغير معنى الشك، ولكنها "أو" التي تأتي للإباحة.. فالتأويل؛ أعلموا أن قلوب هؤلاء إن شَبَّهْتُمْ قسوتها بالحجارة فأنتم مصيبون، أو بما هو أشد فأنتم مصيبون))<sup>(٥)</sup>.

وفي الآية الكريمة أقوال في معنى (أو)، فقد حمل "الأخفش" (أو) على معنى (الواو) بقوله : ((وليس قولك ((أو أشد)) كقولك : هو زيدٌ أو عمرو؛ إنما هذه (أو) التي في معنى (الواو) نحو قولك : نحن نأكل البرّ، أو الشعير، أو الأرز، كل هذا نأكل))<sup>(٦)</sup>.

ومن منع هذا المعنى من البصريين احتج بأن الأصل في (أو) أن تكون لأحد الشيئين بخلاف (الواو)، لأن (الواو) معناها الجمع بين الشيئين، وهو مخالف لمعنى

(١) ينظر : الجنى الداني ٢٤٨، ومغني اللبيب ٨٧/١، وشرح قطر الندى ١٢٩، وبصائر ذوي التمييز ١٢٢/٢.

(٢) النحو الوافي ٤٨٧/٣.

(٣) ينظر : المقتضب ١٠/١-١١، ومعاني القرآن وإعرابه ١٥٦/١، والإتقان في علوم القرآن ٤٢٣/١.

(٤) حروف المعاني، الزجاجي ٥٠، وينظر : شرح جمل الزجاجي ٣٣٤/١.

(٥) ينظر : البحر المحيط ٨٣/١.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١٥٦/١، وينظر : أمالي المرتضى ٥٤/٢.

(٧) معاني القرآن، الأخفش ١٠٧/١، وينظر منه أيضاً ٣٢/١، والإتقان في علوم القرآن ٤٢٣/١.

(أو)، وقالوا: ((والأصل في كل حرفٍ ألا يدلّ إلا على ما وضع له، ولا يدل على معنى حرف آخر))<sup>(١)</sup>، لئلا يُفْضَى إلى اللبس وإسقاط فائدة الوضع<sup>(٢)</sup>.  
يقول أبو جعفر النحاس بأن: ((الحَذَاقُ من أهل العربية لا يجيزون أن يكون (أو) بمعنى الواو لاختلافهما))<sup>(٣)</sup>، ويبدو أن هذه الدلالة متأتية من سياق الكلام المحيط بـ (أو).

واختار أبو حيان في معنى (أو) في الآية الكريمة دلالة (التنويح) يقول: ((و "أو" بمعنى الواو أو بمعنى الإبهام أو للإباحة أو للشك أو للتخيير أو للتنويح أقوال، وذكر المفسرون مثلاً لهذه المعاني، والأحسن القول الأخير، وكأن قلوبهم على قسمين: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ثم فصل ونوع إلى مشبه بالحجارة وإلى أشد منها إما كان أشدّ كان مشاركاً في مطلق القسوة ثم أمتاز بالأشدية))<sup>(٤)</sup>.

٢- التقسيم والتفصيل: ذكر ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) في ألفيته أن (أو) تفيد التقسيم<sup>(٥)</sup>، إلا أنه عدل عن هذا التعبير إلى تعبير آخر هو (التفريق المجرد)<sup>(٦)</sup>، ويعني بالمجرد المجرد من معاني الشك والإبهام والتخيير<sup>(٧)</sup>، ومثل بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة/١٣٥]، وعدل بعض العلماء عن هذين التعبيرين إلى تعبير آخر هو: (التفصيل)<sup>(٨)</sup> ومثلوا لهذا المعنى بالآية الكريمة أنفة الذكر؛ لأنه لا يتصور فيها التخيير ولا الإباحة ولا الشك، فليس من الأمم من يخيّر بين اليهودية والنصرانية، ولا من أباحهما معاً ولا من شك فيها بل اليهود يقولون كونوا هوداً والنصارى يقولون كونوا نصارى .

(١) الانصاف في مسائل الخلاف مسألة (٦٧) ٢/٢٥٥.

(٢) ينظر: جواهر الأدب ١٢٤.

(٣) إعراب القرآن، النحاس ١/٤٢٠.

(٤) البحر المحيط ١/٢٦٢.

(٥) ينظر: شرح ابن عقيل ٢/٢٣١.

(٦) شرح التسهيل ١٧٦/٢، ومغني اللبيب ١/٩٢.

(٧) ينظر: المفردات النحوية، كمال بسيوني ٨٠.

(٨) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ١/١٢٠، وشرح جمل الزجاجي ١/٢٣٣-٢٣٤، والجنى الداني

٢٤٥-٢٤٦، وجواهر الأدب ١٢٠، والبرهان في علوم القرآن ٤/٢١٠، وأمالى المرتضى ٢/٥٥.

٣- العطف : من استعمالات (أو) أن تكون عطفاً بعد الاستفهام بالهمزة وهل، وهي في كل ذلك باقية على معناها في إثبات أحد الشئيين أو الأشياء ومن جمال التعبير استعمالها في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام/٢١]، قال "أبو السعود" (ت) (في استعمال (أو) : ((للايذان بأن كلاً من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم، فكيف وهم قد جمعوا بينهما فأثبتوا ما نفاه الله ونفوا ما أثبتته..))<sup>(١)</sup> كما أنه أفاد التفريق بينهما.

## ٤- بل

حرف يُدخله العرب في كلامهم رجوعاً عن كلام لها قد تقضى، وهذا أصل وضعها<sup>(٢)</sup>، وتشير كتب النحو واللغة إلى أن ثمة علاقة بين (بل) وحرف الجواب (بلى) إذ لهما صلة بمفهوم النفي<sup>(٣)</sup>. ومن أشهر دلالاته:

١- الإضراب الإبطالي حيث يبطل مابعدا دلالة ما قبلها ، كقولنا : ما جاءني أخوك بل أبوك، إذا أثبتت المجيء للأب ونفيته عن الأخ، وهي كسائر حروف العطف في تشريك الثاني للأول في الإعراب. واختصت بالإضراب عن الأول والأخذ في الثاني وضعاً<sup>(٤)</sup>.

والإضراب عن الشيء : الإعراض عنه<sup>(٥)</sup>.

والإضراب اصطلاحاً : جعل المتبوع في حكم المسكوت عنه، يحتمل أن يلابسه الحكم وأن لا يلابسه<sup>(٦)</sup>.

والإضراب بـ(بل) يكون عن الأول وإثبات الحكم للثاني سواء كان ذلك الحكم إيجاباً أم سلباً<sup>(٧)</sup>. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا ..﴾ \*\*\* [آل عمران/١٨٠].

(١) إرشاد العقل السليم ٣٦٥/٢.

(٢) ينظر : النحو الوافي ٤٩٣/٢، ومعجم الأدوات النحوية ٦٤.

(٣) ينظر : معاني القرآن، الفراء ٥٢/١، ومغني اللبيب ١٥١/١-١٥٦، وشرح قطر الندى ١٣٢.

(٤) ينظر : الجنى الداني ٢٥٣-٢٥٤، وجواهر الأدب ١٢٧، ومغني اللبيب ١٥١/١، وجمع الهوامع ١٣٦/٢.

(٥) ينظر في مادة (ضرب) : لسان العرب ٢٦/٩ والمصباح المنير ٣٥٩/٢، وتاج العروس ٦١/١.

(٦) ينظر : حاشية ياسين على شرح التصريح ١٤٧/٢.

(٧) ينظر : حروف المعاني الزجاجي ١٤٥، وشرح المفصل ١٥/٨.

ينظر أيضاً : النساء/٤٩، ١٥٨، ١٥٧، والمائدة/١٨.

٢- الانتقال من عرض إلى آخر من غير إبطال<sup>(١)</sup> كقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ \* [البقرة/٨٨].

٣- العطف : بشرط أن يكون المعطوف بها مفرداً وتكون بذلك مشرقةً مابعداً مع ما قبلها في اللفظ دون المعنى؛ لأنَّ الفعل لأحدهما دون الآخر، فإن كان بعدهما جملة لم تكن عاطفة بل كانت حرف ابتداء على رأي جمهور النحاة<sup>(٢)</sup>.

وفي استعمال القرآن لم ترد (بل) عاطفة مفرداً على مفرد<sup>(٣)</sup>. وأجاز "الزمخشري" و "أبو حيان" عطف الجمل كقوله تعالى : ﴿أَوْكَلَّمَا عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة/١٠٠]، قال "أبو حيان" : ((﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يحتمل أن يكون من باب عطف الجمل، وهو الظاهر، فيكون ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ مبتدأ، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خبر عنه... وقيل: يحتمل أن يكون من باب عطف المفردات، ويكون "أكثرهم" معطوفاً على "فريق"، أي : نبذه فريق منهم بل أكثرهم))<sup>(٤)</sup>.

**ثالثاً : الحروف الثلاثية**

١- إذا

**حرف يأتي على وجهين :**

**أحدهما :** أن يكون للمفاجأة، ويختص بالجملة الأسمية ولا يحتاج إلى جواب، ولا يقع في الابتداء ومعناه الحال<sup>(٥)</sup>، وهذه الدلالة لم ترد في سياق آيات الصفات.

**الآخر :** أن يكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان مضمناً معنى الشرط وهو الغالب في استعمال -إذا- وهو ما قال به "الخليل" وتابعه أغلب النحويين<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر : مغني اللبيب ١/١٥٢.

ينظر أيضاً : النساء/٤٩، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، والمائدة/١٨.

(٢) ينظر : نفسه.

(٣) ينظر : الإتيان في علوم القرآن ١/٤٣١.

(٤) البحر المحيط ١/٣٢٤، وينظر منه أيضاً ١/٤٨٠، ٢/٦٢، والكشاف ٤/١٩٠ في تفسير الآية ٤-٥ من سورة القيامة.

(٥) ينظر : الجنى الداني ٣٦٠ وما بعدها، ومغني اللبيب ١/١٢٠.

(٦) ينظر العين ٨/٢٠٤، والكتاب ٤/٣٢ وشرح المفصل ٤/٩٥-٩٦، ومغني اللبيب ١/١٢٧، والكافية في النحو بشرح الرضي ٢/١٠٨، وجمع الهوامع ١/٢٠٦، والتراكيب اللغوية في العربية

والإجماع على كونها ظرفاً للمستقبل يجعل من مضارعها لـ (إن) الشرطية في اقتضائها فعلين - يقع فيهما الثاني لوقوع الأول - معنى زائداً على مقتضاها من معنى الزمن، فتصير لها دالتان :

١- دلالة أصلية، لما يُستقبل من الزمان.

٢- دلالة مكتسبة، تضمن معنى الشرط، ولهذا لا يمكن الحكم بأصالتها في معنى الشرط<sup>(١)</sup>.

و (إذا) يختص بالدخول على الجملة الفعلية، وإن دخلت على اسم فيقدر فعل محذوف<sup>(٢)</sup>.

وفي سياق آيات الصفات جاء شرط -إذا- وجوابها متفقين في الفعل ومختلفين، وكثيراً ما يأتي الشرط فعلاً ماضياً مراداً به الاستقبال، وهذا ما أشار إليه "ابن هشام" بقوله : ((ويكون الفعل بعدها ماضياً كثيراً، ومضارعاً دون ذلك))<sup>(٣)</sup>، وإنما غلب مجيء الماضي معها لكونها أقرب إلى القطع بالوقوع فقد تستعمل (إذا) والفعل الماضي للاستمرار في الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلية كما يستعمل الفعل المضارع لذلك<sup>(٤)</sup> ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُسْطِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾\* [البقرة/٧٦] فالحكم بإعلان إيمانهم متوقف ومترتب على ملاقة المؤمنين وهذا ضرب من النفاق الذي وصف به اليهود.

ويلحظ أن التعبير القرآني غالباً ما يشير بالفعل الماضي إلى الأمور الثابتة؛ لأنه يستعمل فيما وقع من الأحداث، والفعل وإن كان ماضياً لفظاً فهو مستقبل معنى.

(١) ينظر : تضمن الجملة غير الشرطية معنى الشرط في القرآن الكريم (ر/م) أسيل متعب ١٦.

(٢) ينظر : مغني اللبيب ١٢٧.

(٣) مغني اللبيب ١٢٧/١، وينظر : ارتشاف الضرب ٥٣٧/٢، والبرهان في علوم القرآن ٣٧٣/٢، وجمع الهوامع ٢٠٦/١.

(٤) ينظر : الإتيان في علوم القرآن ٤٠٢/١، ومعاني النحو ٧٣/٤.

\* ينظر : آل عمران ١١٩، والإسراء ٥٧، والمجادلة/٨.

وقد يأتي الشرط وجوابه فعلاً مضارعاً كما في قوله تعالى : ﴿ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الأنعام/١٠٧]، والمضارع يشير إلى تجدد الحدث واستمراره في أزمنة مختلفة.

وقد يرد الشرط والجواب مختلفين، فيكون الشرط ماضياً والجواب مضارعاً كقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا ﴾ [البقرة/٩١].

وقد يأتي الشرط مضارعاً والجواب ماضياً كقوله تعالى : ﴿ إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم/٥٨].

### ٢- إذن

حرف يدل على الجواب والجزاء عند "سيبويه"، والأكثر أن تكون جواباً لـ (إن) أو (لو) ظاهرتين أو مقدرتين. وهو حرف ينصب المضارع بشرط تصديرها واستقباله<sup>(١)</sup>. وتبدل النون ألفاً تشبيهاً لها بتتوين المنصوب، وقيل : إن عملت كُتبت بالألف، وإلا كُتبت بالنون، وقيل : النون أصل فيه، وليس بتتوين<sup>(٢)</sup>. من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ [النساء/٥٣].

ولم يعمل -إذن- هنا من أجل تصدير حرف العطف (الفاء)، ويجوز في غير القرآن أن يعمل مع الفاء، وليس المبطل لعلمه (لا)؛ لأن (لا) يتخطاها العامل وهي لا تبطل عمل (إذن)<sup>(٣)</sup>.

وقد تأتي للدلالة على تأكيد الجواب، يرتبط ذلك بمقدم أو منبه على مسبب حصل في الحال<sup>(٤)</sup> كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة/١٤٥].

(١) ينظر : مغني اللبيب ٣٠/١-٣٢، وشرح المفصل ١٢/٩-١٣، والبرهان في علوم القرآن ٢١٠-٢١١/٤ وجمع الهوامع ٦/٢، والإتقان ٤٠٤/١.

(٢) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٢٠٠/١، والتبيان في إعراب القرآن ٣٦٥/١ وشرح جمل الزجاجي ١٧٠/٢ والجنى الداني ٣٥٥، ومغني اللبيب ٣١٠/١، وشرح قطر الندى ١٥١-١٥٢، ومعجم الأدوات النحوية ٢٢.

(٣) ينظر : المقتضب ١١/٢، والتبيان في إعراب القرآن ٣٦٥/١، وجواهر الأدب ٢٠١.

(٤) ينظر الجنى الداني ٢٥٨.

### ٣- بلى

حرف أصلي الألف أداة من أدوات الجواب تستخدم للإجابة عن النفي، وللإجابة أيضاً عن الاستفهام الداخل على النفي، قال الخليل : ((أما بلى فجواب استفهام فيه حرف نفي كقولك : ألم تفعل كذا فتقول بلى))<sup>(١)</sup> ، وقيل الألف زائدة، وقيل هي للتأنيث بدليل إِمالتها، ذهب الكوفيون إلى أن أصل (بلى) (بل) زيدت عليها الياء (يعنون الألف) ليحسن الوقف، ولتدل على الإيجاب لما بعده<sup>(٢)</sup>. ذكر "الفراء" أن (بل) كلمة عطف ورجوع لا يصلح الوقوف عليها، فزادوا فيها ألفاً يصلح فيها الوقوف عليها، ويكون رجوعاً عن الجحد فقط، وإقراراً بالفعل الذي بعد الجحد<sup>(٣)</sup>.

وهذا الذي قاله الكوفيون لا يقبله البصريون، فـ (بلى) عندهم حرف ثلاثي الوضع، والألف من أصل الكلمة، وليس أصلها (بل) التي للعطف، فدخلت الألف للإيجاب أو للإضراب أو للتأنيث<sup>(٤)</sup>.

بينما نرى السهيلي (ت ٥٨١هـ) قد ذهب إلى تركيبها من (بل ولا) بقوله : ((وأما (بلى) فكلمة فيها لفظ (بل) التي للإضراب ولفظ (لا) التي للنفي، فمن أجل ذلك لاتقع أبداً إلا إضراباً عن نفي، ومن أضرب عن النفي فقد أراد الإيجاب كقول القائل (ليس العسل حلواً) فتقول (بلى) إضراباً منك عن نفيه لتثبيت الحلو، ولو قال : (العسل حلو)، فقلت (بلى) لم يجز؛ لأنه لم يتقدم نفي ، ولا بد أن يقتضي (بلى) إضراباً على نفي لأن لفظها مشاكل لمعناها))<sup>(٥)</sup>.

ونقول : إن السهيلي قد انفرد بتركيبها من (بل) و (لا) خلافاً لغيره من النحويين واللغويين، وقد أورد ما يؤيده، بقوله : (فإن دخلت ألف الاستفهام على حروف النفي، فقلت : (أليست الخمر حراماً؟)، فلا تقل في الجواب : نعم، لأنك تكون مصدقاً للكلام

(١) العين ٣٤٠/٨.

(٢) ينظر : إعراب القرآن، النحاس ١/١٩١، والتبيان في إعراب القرآن ١/٨٢، والجنى الداني ٤٠١، ومغني اللبيب ١/٥٣ والإتقان في علوم القرآن ١/٤٣١.

(٣) ينظر : معاني القرآن، الفراء ١/٥٢.

(٤) ينظر : الجنى الداني ٤٠١، ومغني اللبيب ١/١٥٣.

(٥) أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه، السهيلي ٤٤-٤٥.

المنفي المستفهم عنه بالألف، ولكن تقول : (بلى)، إضراباً عن النفي وإثباتاً للتحريم هذا هو الأصل لأنهم راعوا للفظ وأجروا الكلام على ما كان عليه فعل الاستفهام<sup>(١)</sup>.

ويبدو للبحث أن (بلى) هي جواب للنفي المستفهم عنه؛ لأنّ النفي عندما يدخل عليه الاستفهام يحوله إلى تقرير وتثبيت والإجابة عليه بـ (بلى)؛ لأنّ (بلى) إقرار وتثبيت للكلام، لأنها مركبة من (بل) التي للاضراب و (لا) التي للنفي فيشعر بها تأكيد النفي والإقرار به لأن الاضراب ثم النفي تأكيد للنقض نحسّ به من خلال كلامنا وكأننا نفينا نفيّاً مؤكداً.

ويرى الدكتور "مهدي المخزومي" إلى أنها نقض الخبر أو تكذيبه إذا كان الخبر منفيّاً<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما يؤيد أن (بلى) هي نقض للنفي فشعر بـ (لا) داخله في تركيبها حيث ساعدت على تقوية عامل النفي فيها حتى استطاعت أن تنقض الخبر.

يقول أحد الباحثين المحدثين : ((وهكذا تكون قد التقت كل من (بل) و (بلى) و (بله) في مقدار من الشكل يشهد به تقاربها الصوتي، وقدر من المضمون ، وهو النفي، وفي هذا وذاك ما يرجح أن تكون هذه الأدوات قد انحدرت من أصل واحد، وجاءت لتعبر عن مضمون واحد وهو النفي لكنها تمايزت شكلاً بمقدار ما كانت الحاجة ماسة لتمايزها في أداء مضامين متجاوزة يجمعها إطار واحد، وتفرقها معانٍ دقيقة يضمها ذلك الإطار))<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم مما قيل في أصل "بلى" ، فإن الذي يجب أن يقال : إنّ لكل حرفٍ من حروف المعاني في العربية أصل وضع له، ومعنى دقيق خصص للتعبير عنه، وما تدل عليه "بل" لا تدل عليه "بلى" واشتراكهما في مادة لغوية واحدة لا يسوغ أن يكون أحدهما قد تطور عن الآخر يقول "ابن جني" : ((فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعاً أصليين، كل واحدٍ منهما قائم برأسه لم يسغ العدول عن الحكم بذلك..))<sup>(٤)</sup>.

(١) أمالي السهيلي ٤٥.

(٢) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٧٩.

(٣) نظرة مقارنة على بعض أدوات المعاني، إسماعيل أحمد عميرة "بحث" ١٢٧.

(٤) الخصائص ٨٢/٢.

ومن دلالات "بلى" أن تكون رداً للنفي : كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ \*بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ.. ﴾ [البقرة/٨٠-٨١]. فمعنى "بلى" إثبات لما نفوه من مساس النار لهم زماناً مديداً ودهراً طويلاً على وجه أعم، ليكون كالبرهان على بطلان قولهم<sup>(١)</sup>.

#### ٤- ثم

بضم الثاء، وتشديد الميم، حرف عطف يُشرك الثاني في إعراب الأول وفي حكمه أيضاً، ويدخل على الأسماء والأفعال<sup>(٢)</sup>.

يربط بعض العلماء بين لفظ "ثم" ووظيفتها<sup>(٣)</sup>، فلفظها كلفظ "الثم" وفي اللسان : الثم إصلاح الشيء وإحكامه، وهو الرّم بمعنى الإصلاح، وأصله ثمت البيت إذا كانت فيه فجوة فسد بالثمام، وهو نبت يسد به خصاص البيت<sup>(٤)</sup>، ومن هنا يحصل التقارب بين معنى "ثم" حرف العطف، الدال على ضم الشيء إلى الشيء بينهما مهلة، وبين "ثم" البيت الذي يعني : الضم بين شيئين.

ويؤيد هذا الرأي قول بعض المحدثين بأن (ثم) مشتقة من (ثم) بفتح الثاء التي يُشار بها إلى المكان البعيد، فضلاً عن أن التقارب متحقق بينهما من حيث اللفظ والمعنى، فـ(ثم) لتراخي المعطوف عن المعطوف عليه، و (ثم) لتراخي المشار إليه عن المشير، أي بعده عنه<sup>(٥)</sup>. وهذا ما ذكره الزجاج : ((وإذا أردت المكان المترaxي عنك قلت : ثم زيد))<sup>(٦)</sup>.

جاءت (ثم) في سياق آيات الصفات تحمل دلالة عدة منها :

\* ينظر أيضاً : البقرة/١١١-١١٢ ، وآل عمران /٧٥-٧٦.

(١) ينظر : الكشف /٢٩٢/١ ، وأنوار التنزيل /٧٣/١.

(٢) ينظر : الجنى الداني ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ومغني اللبيب ١٥٨/١ ، وجواهر الأدب ٢١٦ ، وجمع الهوامع ١٣١/٢ ، ومعجم الأدوات النحوية ٧٢-٧٣.

(٣) ينظر : بدائع الفوائد ٩٢/١.

(٤) ينظر : في مادة "ثم" : جمهرة اللغة ٤٧/١-٤٨ ، ومقاييس اللغة ٣٦٩/١ ، ولسان العرب ٤١/٣ ، وتاج العروس ٢١٨/٨.

(٥) ينظر : التطور النحوي للغة العربية ١٧٩ ، ومعاني النحو ٢٣٤/٣.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١٩٧/١.

– الترتيب مع التراخي : تقتضي (ثم) الترتيب في المعنى، وهو كون ما بعدها متأخراً عما قبلها، وهي في هذا المعنى كالفاء في أن الثاني بعد الأول، إلا أنها – أي ثم – تفيد مهلة وتراخياً بين وقوع الحدث الأول والحدث الثاني، وهو ما اختصت به (ثم) وإليه أشار "ابن مالك" : ((وتم للترتيب بانفصال))<sup>(١)</sup>، وبها يكون المعطوف لاحقاً للمعطوف عليه في حكمه متراخياً عنه بالزمان، وبهذا تكون (ثم) قد فارقت (الواو) بالترتيب، وفارقت (الفاء) بالمهلة – ويشير "ابن يعيش" إلى هذا المعنى ذاكراً أنه لما تراخى لفظ (ثم) بكثرة حروفه تراخى معناه؛ لأن قوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى<sup>(٢)</sup>.

ولا يخفى أن للقرآن أسلوبه الخاص في التعبير، وأن دلالة المفردة فيه، إنما يحكمها السياق الذي تقع فيه، فقد تخرج المفردة عما وضعت له لتؤدي معنىً بلاغياً يتطلبه النص فـ (ثم) في قوله تعالى : ﴿لَنْ يَضُرَّوَكُمْ إِلَّا أَدَىٰ وَإِنْ يِقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَنْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ [آل عمران/١١١]. تقتضي الترتيب الزمني، والظاهر أن في الآية ما يشكل، وهو أن صدرها يغني عن فاصلتها؛ لأن توليهم عند المقاتلة دليل على الانهزام، والانهزام والنصر لا يجتمعان. ويلحظ على الفاصلة (لا ينصرون) ثبوت النون فيها مع أن الظاهر أنها معطوفة بـ (ثم) على الجزاء وجوابه. يقول "الزمخشري" : ((عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداءً كأنه قيل : ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت : فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى؟ قلت : لو جزم لكان نفي النصره مقيداً بمقاتلتهم كتولية الأديار وحين رفع كان نفي النصره وعداً مطلقاً...))<sup>(٣)</sup>. ويرى بعضهم أن ((هذا من الترقى في الوعد عما هو أدنى إلى ما هو أعلى؛ لأنهم وعدوا بتولية عدوهم الأديار عند المقاتلة، ثم ترقى الوعد إلى ما هو أتم في النجاح من أن هؤلاء لا ينصرون))<sup>(٤)</sup>.

وكذلك قوله : ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة/٩٢] فقله : ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ : ((توبيخ، ثم) أبلغ من (الواو) في التقرير، أي، بعد النظر في الآيات والإتيان بها اتخذتم، وهذا يدل على أنهم فعلوا

(١) شرح ابن عقيل ٢/٢٠٩، وينظر : شرح قطر الندى ١٢٧، والإتيان في علوم القرآن ١/٤٣٣.

(٢) ينظر : شرح المفصل ٨/٩٦، وجواهر الأدب ٢١٦.

(٣) الكشف ١/٤٥٥، وينظر : بديع القرآن ٢٦١-٢٦٣.

(٤) الإنصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال ١/٤٥٥، "هامش الكشف".

ذلك بعد مهلة من النظر في الآيات وذلك أعظم لجرمهم<sup>(١)</sup>، فدلّت (ثم) على : التقرير والتقبيح والتوبيخ، وهذه المعاني اقتضاها السياق.

ويضاف إلى ذلك دلالتها على استبعاد ما بعدها عن مضمون ما قبلها، وهو معنى نسبه "أبو حيان" إلى "الزمخشري" الذي سمّاه بـ "التفاوت والبعد لما بعدها مما قبلها"<sup>(٢)</sup>.

وقد حُمِلت على هذا المعنى لـ (ثم) نصوص قرآنية كثيرة نذكر منها قوله تعالى:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ..﴾\* [البقرة/٧٤]. المراد بتراخي (ثم) ((استبعاد القسوة

من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورفعها))<sup>(٣)</sup>.

#### رابعاً : الحروف الخماسية

##### ١- كلما

(الكل) اسمٌ يجمعُ الأجزاء، فلفظ (كل) يفيد الجمع، وهذا الجمعُ يحدّد بما يُضاف إليه من اسم، لذا فانه إذا أُضيف إلى (ما) المصدرية الظرفية يكون اسماً جامعاً للزمن، باعتبار لفظة (كل) المفيدة للجمع<sup>(٤)</sup>.

(كلما) أداة ظرفية مقتضية التكرار ، تكرر الحدث فضلاً عن الزمن وهذا يؤدي إلى تضمنها معنى الشرط لاسيما أنها في أغلب استعمالاتها تقتضي تعليق حدث آخر، فيلزم من وجود الأول حصول الثاني، فتفيد بذلك معنيين معنى التكرار الزمني ومعنى الشرط<sup>(٥)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٢/٢.

(٢) ينظر : البحر المحيط ٣٢٩/٥.

\* وينظر أيضاً : البقرة /٨٣، وآل عمران /٢٣، والمائدة/٣٤، والانفال/٥٦، والمجادلة/٨.

(٣) الكشف ٢٩٠/١، وإعراب القرآن وبيانه ١٢٤/١.

(٤) ينظر : شرح المفصل ١٤/١، ومغني اللبيب ٢٦٦-٢٦٧، ولسان العرب ١٠١/١٣، والإتقان

في علوم القرآن ٤٥٦/١، ومعجم الأدوات النحوية ١٧، والتراكيب اللغوية في العربية ١١٩.

(٥) ينظر : البحر المحيط ١٤٧/١، والدر المصون ١٤٣/١ والبرهان في علوم القرآن ٣٥٠/٤-

٣٥١، والنحو الوافي ٢٦٤/٢، والتأويل النحوي ١١٠٣/٢، وقواعد النحو العربي ٣٦٥، وتضمن

الجملة غير الشرطية معنى الشرط في القرآن ٢٢-٢٤.

ذكر ابن "هشام" : أن (كل) في (كلما) منصوبة على الظرفية باتفاق، وناصبها الفعل الذي هو جوابها في المعنى<sup>(١)</sup>، وذكر "السيوطي" (ت ٩١١هـ) نقلاً عن "أبي حيان" أن شرطها وجوابها لا يكون إلا فعلاً ماضياً<sup>(٢)</sup>. ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿ .. أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة/٨٧]، فالعامل في (كلما) هو جوابها (استكبرتم)<sup>(٣)</sup>. وقد ربطت الجواب وهو (استكبرتم) أي تعظمت من أن تكونوا أتباعاً للأنبياء عليهم السلام، بالشرط (مجيء الرسول) بحيث لا يحصل الاستكبار إلا بمجيئه. إذ كانت لهم الرياسة وكانوا متبوعين فآثروا الدنيا على الآخرة<sup>(٤)</sup>. وحدث مجيء الرسل والاستكبار عن اتباعهم حالة مستمرة تستدعي التكرار، لذا عبر عنه بـ (كلما) التي تفيد تكرار الجواب إذا ما تكرر الشرط.

## المبحث الرابع تعميد الأوجه الإعرابية

الإعراب من أهم الخصائص المميزة للغة العربية الفصحى به يبين المتكلم عن معاني اللغة بالألفاظ وبه يفرق بين المعاني المتكافئة في اللفظ<sup>(٥)</sup>، و((من إعجاز هذا القرآن الكريم وخلوده، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أن هيأ منزلة -جل وعلا- عقول العلماء، وأفكار الباحثين إلى ميدانه لكشف أسرارها، ومن أهم هذه الميادين ميدان إعرابه، فالإعراب يوضح المعنى، ويبين الغرض، ويشير إلى البلاغة، ويؤمى إلى جمال التركيب، وحسن الصياغة))<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر : مغني اللبيب ٢٦٦.

(٢) ينظر : همع الهوامع ٧٤/٢.

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١٦٩/١، والتبيان في إعراب القرآن ٨٩/١.

(٤) ينظر : الكشف ٣٠٠/١، والجامع لأحكام القرآن ١٨/٢، والدر المصون ١٤١/١، ٢٩٤.

(٥) ينظر : تأويل مشكل القرآن ١٤-١٥، والصاحبي ٧٦، ٣٠٩ وظاهرة الإعراب في النحو العربي، أحمد سليمان ياقوت ٥، والعلامة الاعرابية في الجملة، محمد حماسة ٢١٩-٢٢٠، ودراسات في فقه اللغة صبحي الصالح ١١٧-١١٨.

(٦) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبدالمعال سالم مكرم ٢٧٠-٢٧١.

قال "الزجاجي" : ((الإعراب أصله التبيان، ويقال : أعربَ الرجلُ عن حاجته : إذا أبانَ عنها، ورجلٌ مُعَرَّبٌ أي : مُبَيَّنٌ عن نفسه، ومنه الحديث ((الشَّيْبُ تُعَرِّبُ عَنْ نَفْسِهَا...))<sup>(١)</sup>، وهذا أصله، ثُمَّ إِنَّ النحويين لما رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركاتٍ تدلُّ على المعاني وتبين عنها سَمَوَهَا إعراباً أي : بياناً، وكأنَّ البيان بها يكون))<sup>(٢)</sup>.

وفي ضوء هذا الفهم لمعنى الإعراب يتضح أنَّ هناك معاني، والإعراب هو الذي يكشف عنها أو يميزها أو يفرِّق بينها<sup>(٣)</sup>.

فالمعاني على هذا النحو، هي نظام اللغة الذي يضعه المتكلمون بها على غير وعي منهم أو اختيار، والمتكلم باللغة المعينة عندما يضع كلمة ما في موضع ما من جملة ما، يفعل ذلك على وفق العرف اللغوي السائد ويتفق اللفظ المنطوق مع المعاني الوظيفية المتضامنة في تلاؤم يشبه النسيج.

وعلى هذا فإنَّ مهمة اللفظ في النصِّ تتحدد من خلال إعرابه، وأيُّ تغيير في إعراب اللفظ، يفترض أنَّ ينجم عنه تغيير في معنى اللفظ.

وقد يتطلب الكشف عن المعاني قرائنَ أخرى غير الإعراب وهذا ما دعا "السيوطي" إلى أن يقول : ((وعلى الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسرارهِ النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها، ككونها مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً.. إلى غير ذلك ، ويجب عليه مراعاة أمور أحدها : وهو أول واجب عليه أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفرداً أو مركباً قبل : الإعراب فإنَّه فرعُ المعنى))<sup>(٤)</sup>.

ويتضح من النصِّ أنَّ الإعراب قد بدأ من منطلق عظيم هو السعي لفهم معاني القرآن الكريم، ومعرفة أساليب التعبير عن تلك المعاني، والكشف عن أسرار بلاغته ووجوه إعجازه، فقد اهتم علماءنا الأوائل اهتماماً كبيراً بالدراسات التي اتجهت إلى الغور في معاني الألفاظ وأنواعها، وأحوالها، ووظائفها في الجملة، واتجهوا إلى مجال أرحب، وذلك بالبحث عن الأوجه الإعرابية المختلفة في اللفظ الواحد يعبر فيها كل وجه

(١) رواه أحمد في مسنده ١٩٢/٤، وينظر : سنن ابن ماجه : باب استثمار البكر والثير ٣/٣٢٠.

(٢) الإيضاح في علل النحو ٩١، وينظر المرتجل ٣٤/٤ وأسرار العربية ١٨-١٩ وشرح التسهيل ٣٨-٣٩، ولسان العرب ٨٣/١٠ وشرح الحدود النحوية ٧٦.

(٣) ينظر دلائل الإعجاز ٧٥، وجمع الهوامع ١٥/١.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ٤٨٨/١.

من الإعراب عن معنى، إذ يستطيع اللفظ الواحد في الجملة التعبير عن معنيين أو أكثر في آن واحد.

ولاشك في أن نصوص القرآن الكريم قد جرت عليها تلك الدراسات من قبل النحاة والمفسرين فاقت غيرها من النصوص، لما تتسم به مفرداتها وتراكيبها بقدرتها على الاتساع في التعبير عن المعنى، إذ ذكروا في الآية الواحدة في التراكيب وما يتبعه من كشف عن أوجه معانيها المختلفة، يقول الدكتور فاضل السامرائي : ((إن الأوجه النحوية ليست مجرد استكثار من تعبيرات لا طائل تحتها، كما يتصور بعضهم، وإن جواز أكثر من وجه تعبيرى ليس معناه أن هذه الأوجه ذات دلالات معنوية واحدة، وإن لك الحق أن تستعمل أيها تشاء، كما تشاء، وإنما لكل وجه دلالة، فإذا أردت معنى مألزمك أن تستعمل التعبير الذي يؤديه، ولا يمكن أن يؤدي تعبيرات مختلفان معنى واحداً، إلا إذا كان ذلك لغة،.. ولا يترتب على هذا اختلاف في المعنى، وفيما عدا ذلك لابد أن يكون لكل تعبير معنى، إذ كل عدول من تعبير إلى تعبير، لابد أن يصحبه عدول من معنى إلى معنى، فالأوجه التعبيرية المتعددة إنما هي صور لأوجه معنوية متعددة))<sup>(١)</sup>، وكثرة تعدد أوجه الإعراب إن دلت على شيء فإنما تدل على السعة في التعبير عن المعنى، فتعدّد أوجه الإعراب في بعض آيات القرآن الكريم وجه من وجوه إعجازه، ودليل على ثراء نصه، وتعدد إشعاعه حتى تبدو الآية القرآنية كالماصة المشعة أنى استقبلتها ألقت عليك بأضوائها، وليس معنى هذا أن كل حالة تعددت فيها وجوه الإعراب تأتي على هذا النمط من خصوبة الدلالة وثراء العطاء، إذ إن هناك حالات لم توجد إلا لسبب الترخّص في إحدى القرائن النحوية<sup>(٢)</sup>.

وقد كان للقراءات القرآنية المتعددة أثر بالغ في تغيير المعاني لذلك عني النحاة بهذه القراءات؛ لأنها تعينهم في معرفة سبل الكشف عن المعاني المختلفة للتركيب الواحد، وتجلى ذلك في تراثهم الثر الذي يعكس عبقريتهم وعمق نظرهم في إدراك أثر الإعراب في التعبير عن المعاني المختلفة، وأقدمهم في ذلك "سيبويه" الذي زخر كتابه

(١) معاني النحو ٩/١.

(٢) ينظر : العلامة الإعرابية في الجملة ٢٩٤.

بإشارات جمّة لهذه الظاهرة التي كانت هي الأساس الذي اعتمد عليه من بعده المفسرون والبلاغيون والنقاد، فجاءت التفاسير زاخرة بهذه القراءات والعناية بها<sup>(١)</sup>.

ستقتصر الدراسة على عدد من النصوص القرآنية في آيات الصفات تحتتمل أوجه إعرابية مختلفة وبيان ما يتبع ذلك من اختلاف معانيها بما يساهم مساهمة فعالة في ثراء المعنى وتوسعه في التعبير القرآني:

#### ١- ما يحتمل الرفع على الفاعلية، وعلى البدلية، وعلى الخبرية

مثال ذلك قوله تعالى : ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِئْتَةً فَعَمَوْا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمَوْا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة/٧١] ففي قوله : ﴿عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمَوْا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ وجوه :

الأول : على مذهب من يقول من العرب : "أكلوني البراغيث" وهو ما عُرف عند النحاة بـ (التنازع)، وهذا الباب من القضايا الخلافية التي شغلت النحاة، لاتصاله بنظرية العامل فاتخذ شاهداً لما في النحو العربي من تعقيد<sup>(٢)</sup>.

وحقيقة التنازع أن يتعدّد الفعل لفاعل واحد أو لمفعول واحد، فيتنازع فعلان أسماً ظاهراً بعدهما، ومعنى تنازعهما أن كلا من الفعلين يصلح أن يكون عاملاً في الاسم الظاهر<sup>(٣)</sup>.

ولا خلاف بين النحويين في جواز إعمال أحد الفعلين إلا أنهم اختلفوا في الترجيح، فرجح البصريون إعمال الفعل الثاني، ورجح الكوفيون إعمال الفعل الأول، واستشهد كل من الفريقين لمذهبه بما جاء في السماع وردّ كل منهما على الآخر بالقياس<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : الكتاب ٣٢٠/١-٣٢١، ومعاني القرآن ، الفراء ٤٩٨/١، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٨٥/٢، والحجة في القراءات ١٦٦، والتبيان في تفسير القرآن ١٦٤/٧، ومجمع البيان ٢٦/٩، والبحر المحيط ٢٠٧/٥-٢٠٨، وأثر المعنى في الدراسات النحوية ٢٥٢، والأوجه الإعرابية وعلاقتها بالمعنى في القراءات السبع ، عبد العباس عبد الجاسم (ر/م).

(٢) ينظر : قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين، محمد سليمان ياقوت ١١٤، والنحو الوافي ٢٠١/٢، ١٨٦-١٨٧.

(٣) ينظر : شرح الوافية نظم الكافية، ابن الحاجب ١٦١-١٦٢، وشرح التسهيل ٩٤/٢ وما بعدها ، وشرح شذور الذهب ٤٤٩، وجمع الهوامع ١١٨/٢-١١٩.

(٤) ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة (١٣) ٨٣/١ وما بعدها، وفصل محمد محي الدين عبد الحميد هذه المسألة في هامشه على شرح ابن عقيل ٤٩٤/٢-٥٠٤، وينظر : الأشباه والنظائر في النحو ١٦٥/٢، ١٦٤/٤-١٧١، ومعاني النحو ١٤٢/٢-١٤٣.

وعلى هذا يكون إعراب (كثير منهم) فاعل للفعل (صموا) على رأي البصريين، وللفاعل (عموا) على رأي الكوفيين، وإنما اختار البصريون إعمال الثاني؛ لأنه أقرب أول الطالبين واحتياجه إلى المطلوب أقدم من احتياج الثاني<sup>(١)</sup>.

و "الفراء" في الآية الكريمة توجيه مخالف لما ذهب إليه الفريقان ، فهو يرى أن (زيد) في قولنا : قام وقعد زيد، فاعل للفعلين معاً، يقول في الآية الكريمة : ((وإن شئت جعلت (عموا وصموا) فعلاً للكثير))<sup>(٢)</sup>. "قالفراء" يجيز إسناد الفعلين في هذا الباب إلى فاعل واحد؛ لأن بإمكان الإنسان أن يقوم بفعلين يسندان إليه، وقد ضعف "ابن يعيش" رأي "الفراء"<sup>(٣)</sup>. وأيد بعضهم رأي البصريين لكثرة السماع به ولقوة حجته<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا فإن ما ذهب إليه ميسرو النحو العربي ليس جديداً على الدرس النحوي، ومنهم الدكتور "مهدي المخزومي" الذي أجاز تعدد الأفعال لفاعل واحد<sup>(٥)</sup>، فالبنية اللغوية تسمح أن يحدث المحدث ما لا نهاية له من الأحداث<sup>(٦)</sup>.

**الثاني :** أن يكون (كثير منهم) بدلاً عن الضمير في قوله (عموا وصموا). والبدل كثير في القرآن الكريم<sup>(٧)</sup>. والبدل -ههنا- في غاية الحسن؛ لأنه لو قال : عموا وصموا فقط لأوهم ذلك أن كلهم صاروا كذلك ، فلما قال (كثير منهم) دل على أن ذلك حاصل للأكثر لا للكل<sup>(٨)</sup>.

**الثالث :** أن قوله (كثير منهم) خبر لمبتدأ محذوف، واختلف في تقديره، فقدره "الزمخشري": أولئك كثير منهم<sup>(٩)</sup>. وقدره "الرازي" : هم كثير منهم<sup>(١٠)</sup>. أما "مكي بن أبي أبي طالب القيسي" (ت ) فقد قدره تقديرين :  
**أحدهما :** العمي والصم منهم كثير.

(١) ينظر : الكتاب ١/٤٧، والكافية في النحو بشرح الرضي ١/٧٩-٨٣، وشرح قطر الندى ٢١-٢٤.

(٢) معاني القرآن، الفراء ١/٣١٦.

(٣) ينظر : شرح المفصل ١/٧٧.

(٤) ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٨٣، ٩٧.

(٥) ينظر : في النحو العربي قواعد وتطبيق ٩٨-٩٩.

(٦) ينظر : المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي، عفيف دمشقية ١٤٥.

(٧) ينظر مثلاً: آل عمران ٩٧، والسجدة ٧.

(٨) ينظر : التفسير الكبير ١٢/٥٨.

(٩) ينظر : الكشف ١/٣٠٢.

(١٠) ينظر : التفسير الكبير ١٢/٤٩.

والآخر : العَمَى والصَّمَمَ كثير منهم<sup>(١)</sup>. يقول السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) : ((فعلى تقدير الأول يكون "كثير" صادقاً عليهم... وعلى التقدير الثاني يكون "كثير" صادقاً على العَمَى والصَّمَم لا عليهم))<sup>(٢)</sup>.

وعلى توجيه "مكي القيسي" يكون التعبير القرآني قد جمع في التعبير الواحد معنيين بالنسبة إلى هؤلاء، فقد أثبت التقدير الأول الكثرة بالنسبة إليهم ممن أصيب بالعمى والصمم، وأثبت التقدير الثاني نوع العمى والصمم الذي أصيبوا به، وهذا من دقائق التعبير وجمالياته؛ لأن سياق الذم يكون أقوى كلما تعددت الصفات التي يذم المتحدث عنه بها، الأمر الذي جعل من هذا السياق ذا دلالة قوية في الذم؛ لأنهم مذمومون هنا بأن من عمي وصم منهم هم الأكثر، وأن من عمي وصم منهم أصيب بالصمم الكثير والعمى الكثير، فالتعبير ذم لهم لا من جهتين مختلفتين وإنما من جهة واحدة.

**٣- ما يحتمل أن يكون في موضع نصب على البدلية، وعلى الذم، أو في موضع رفع على الذم وعلى الابتداء :**

كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا\*الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء/٣٦-٣٧]، ففي إعراب الاسم الموصول المبني (الذين) وجوه أظهرها:<sup>(٣)</sup>  
الأول : أن يكون الاسم الموصول (الذين) محله النصب بدلاً من قوله (من) وجمع حملاً على المعنى فيكون المعنى أن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ولا يحب الذين يبخلون ..

الثاني : أن يكون (الذين) محله النصب على الذم، فيكون التقدير أن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ويذم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل..

الثالث : يحتمل أن يكون إعراب (الذين) في محل رفع على الذم فيكون خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هم) فيكون المعنى : إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً وهم الذين..

(١) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٢٣٤/١.

(٢) الدر المصون ٣٧١/٤.

(٣) ينظر في ذلك : الكشف ٥٢٦/١، ومشكل إعراب القرآن ٢٩٧/١ والتفسير الكبير ٧٩/٤-٨٠، والتبيان في إعراب القرآن ٣٥٦/١، والبحر المحيط ٢٤٧/٣، والدر المصون ٣٦١/٢، وإعراب القرآن وبيانه ٢١٥/٢.

الرابع : ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف، وقيل في تقدير الخبر : الذين يبخلون ويأمررون الناس بالبخل أحقأ بكل ملامة.

وقيل : تقديره (معذبون) لدلالة ﴿وَأَعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾، وقيل : (مبغوضون) ودل عليه ما تقدم من قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾ ..  
وقد علل الآلوسي سبب حذف الخبر، فقال : ((وإنما حذف لتذهب نفس السامع كل مذهب))<sup>(١)</sup>.

إن تعدد إعراب الاسم الموصول، قد جمع معاني عدة في تعبير واحد، وهذه المعاني كلها تصح أن تكون مرادة في هذا التعبير.

### ٣- ما يحتمل النصب والجزم

نحو قوله تعالى : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/٤٢] ففي قوله تعالى : ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ وجوه :<sup>(٢)</sup>

الأول : أن يكون مجزوماً بالعطف على الفعل المنهي (ولا تلبسوا) وهو الأظهر، فنهاهم سبحانه عن كل فعل على حدته، أي لا تفعلوا هذا ولا هذا.

الثاني : أن يكون (وتكتموا) منصوباً بـ (أن) مضمرة؛ لأنه جواب النهي بعد الواو، ولا عمل للواو هنا مع إفادتها المصاحبة والاجتماع، أي : لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمانه كقولك : لا تأكل السمك وتشرب اللبن. وهذا رأي البصريين.

الثالث : وعند الكوفيين نصب الفعل (تكتموا) على الصرف ومعناه عندهم : إن الثاني مخالف للأول؛ لأنه لا يحسن فيه تكرار العامل وهو (لا) الناهية الجازمة، فلما كان الثاني مخالفاً للأول ومضروباً عنه صارت مخالفته للأول وصرفه عنه ناصباً له، وسموا هذه الواو (واو الصرف) يقول الفراء : ((فإن قلت : وما الصرف ، قلت : أن تأتي بالواو معطوفة على كلام في أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها، فإذا كان كذلك فهو الصرف))<sup>(٣)</sup> ويقول أيضاً : ((إن شئت جعلت "وتكتموا" في موضع

(١) روح المعاني ٤/٤٤.

(٢) جامع البيان ١/٥٦٩، وإعراب القرآن ، النحاس ١/١٦٩، والبيان في غريب إعراب القرآن المحيط ١/١٨٠، ومغني اللبيب ١/٤٧٢، وهمع الهوامع ٢/١٣-١٥ الكوفة ٢٩٧.

(٣) معاني القرآن، الفراء ١/٣٣-٣٤، ومعجم القراءات ١/٩٢.

جزم.. وإن شئت جعلت هذه الأحرف المعطوفة بالواو نصباً على ما يقول النحويون من الصرف<sup>(١)</sup>.

ذكر "السمين الحلبي" (ت ٧٥٦هـ) وجهين أحدهما وهو الأظهر أنه مجزوم بالعطف على الفعل قبله، والآخر : أنه منصوب بإضمار (إن) في جواب النهي بعد الواو التي تقتضي المعية، أي : لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمانه، ومنه قول الشاعر<sup>(٢)</sup> :

لَا تَنْتَهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي بِمِثْلِهِ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمَ

فقال : ((والوجه الأول أحسن؛ لأنه نهى عن كل فعل على حدته، وأما الوجه الثاني فإنه نهى عن الجمع، ولا يلزم النهي عن الجمع بين الشيئين النهي عن كل واحد على حدته إلا بدليل خارجي))<sup>(٣)</sup>.

الرابع : ذهب "أبو عمر الجرمي" (ت ٢٢٥هـ) وهو من البصريين إلى أن الفعل (تكتموا) منصوب بالواو فيقول : ((أن الواو هي الناصبة بنفسها؛ لأنها خرجت عن باب العطف))<sup>(٤)</sup>.

وهذا الرأي جدير بالاهتمام لما فيه من التخفيف مما أنقل به نحونا العربي من التقدير والتأويل والبعد عن التكلف.

ولا يخفى أثر تكرار لفظ (الحق) من زيادة في تقبيح المنهي عنه، إذ في التصريح ما ليس في الضمير من التأكيد.

#### ٤- ما يحتمله للفظ من أوجه النصب

أ- من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۚ ﴾ [البقرة/١٠٩].

وفي نصب (حَسَدًا) وجوه :<sup>(٥)</sup>

(١) نفسه ٣٣/١.

(٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي وهو في ديوانه ٢٣٠، وينظر : الكتاب ٤٢/٣، وشرح المفصل ٢٤/٧.

(٣) الدر المصون ٢٠٨/١-٢٠٩.

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف ٥٥٥/٢.

(٥) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٤٠٥/١، والجامع لأحكام القرآن ٤٩/٢، والبحر المحيط ٣٤٨/١، والدر المصون ٤٧٩/١.

**الأول :** أن يكون منصوباً على المصدر بفعل مضمر من لفظه كأنه قال : حسدوكم حسداً، أو يحسدونكم حسداً.

**الثاني :** أن يكون مفعولاً لأجله كأنه قال : يردونكم لأجل الحسد، كما تقول جئته خوفاً منه وكلا الوجهين يحتمل معنى غير الآخر لاختلاف متعلقة، ففي الأول يتعلق المفعول المطلق بفعل محذوف، وفي الثاني يتعلق بالفعل المذكور.

**الثالث :** أن يكون (حسداً) حالاً على تأويله بمشتق قيل : والغالب في الحال أن يكون وصفاً مشتقاً، وأجاز النحويون كونه جامداً في مواضع<sup>(١)</sup>، أو حذف مضاف.

ولا يؤيد بعض المحدثين تأويل المصدر الواقع حالاً بالمشتق؛ لأن في التنزيل أيضاً من المصادر جاءت أحوالاً<sup>(٢)</sup>.

**ب- نحو قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء/١٥١].** فيعرب (حقاً) مصدراً منصوباً، أي : ((حق ذلك حقاً))<sup>(٣)</sup>، أو يعرب حملاً على معنى (حقاً) حالاً، أي ((أولئك هم الكافرون غير شك))<sup>(٤)</sup>.

يبدو أن لمرونة الحال وتقلب مواضعه في الجملة أثراً في تعدد الأوجه الإعرابية التي يدخل احتمال الحالية في إعرابها.

#### ٥- ما يحتمل أن يكون خبراً أو نعتاً أو حالاً

**كقوله تعالى : ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة/٦٥]،** ففي قوله : ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ يجوز أربعة أوجه :

**أولاً :** أن يكونا خبرين لـ (كان) : قال "الزمخشري" : ((أي : كونوا جامعين بين الفردية والخسوء))<sup>(٥)</sup>.

**الثاني :** أن يكون خاسئين نعتاً لـ (قردة)<sup>(٦)</sup>، ويرى : "السمين الحلبي"<sup>(٧)</sup> : أن فيه نظر من حيث إن القردة غير عقلاء، و (خاسئين) جمع العقلاء، فإن قيل : مخاطبون

(١) ينظر : همع الهوامع ٢/٢٣٨-٢٣٩.

(٢) ينظر : التأويل النحوي في القرآن الكريم ٢/١٤٥٢-١٤٥٦.

(٣) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ١/٤٠٢.

(٤) ينظر : نفسه.

(٥) الكشف ١/٢٨٦، وينظر : التبيان في إعراب القرآن ١/٧٣.

(٦) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ١/٧٣.

(٧) ينظر : الدر المصون ١/٢٥٢.

عُقلاء، فالجواب أن ذلك لا يعدو العقلاء؛ لأنَّ التقدير حينئذٍ : كونوا مثل قردة من صفتهم الخسوء، ولا تعلق للمخاطبين بذلك، ويمكن أن يقال أنهم مُشَبَّهون بالعقلاء كقوله تعالى على لسان سيدنا يوسف **الْعَلَّامُ** : **﴿.. لِي سَاجِدِينَ﴾** [يوسف/٤].

الثالث : أن يكون (خاسئين) حالاً من اسم كان والعامل فيه (كونوا)، وهذا عند من يجيز لـ (كان) أن تعمل في الحال.

الرابع : أن يكون حالاً من الضمير المُستكن في قردة، لأنه في معنى المشتق، أي : كونوا ممسوخين في هذه الحالة، ويرى "السمين الحلبي" أن هذا الوجه هو الأجود<sup>(١)</sup>.

والذي يبدو أن مجيء الاسم (خاسئين) خبراً آخر لـ (كان) أقوى دلالة من أن يكون تابعاً أي : (نعت أو حال)، إذ يترتب عليه صغر المعنى لا اتساعه، وهذا قول "ابن جني" في تعليقه على الآية الكريمة السابقة، قال : ((ينبغي أن يكون خاسئين خبراً آخر لـ (كونوا) والأول : قردة.. وإن جعلته وصفاً لـ (قردة) صغر معناه، ألا ترى أن القرد لذله وصغاره خاسيء أبداً، فيكون إذاً صفةً غير مفيدة، وإذا جعلت "خاسئين" خبراً ثانياً حسن، وأفاد حتى كأنه قال : كونوا قردة وكونوا خاسئين))<sup>(٢)</sup>.

#### ٦- ما يحتمل الرفع والجزم

ومن ذلك قوله تعالى : **﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾** [الأنعام/٩١]. حيث رفع (يلعبون) جواباً لفعل الأمر (ذرهم) ، ففي جميع استعمالات الفعل (ذر) في القرآن الكريم يأتي الجواب مجزوماً إذا ولى الفعل من غير فاصل بينهما\* . وفي الآية الكريمة الآنف الذكر رفع الجواب (يلعبون) لوجود فاصل بين الشرط وجوابه، وللدلالة على أن معنى اللعب مستمر في خوضهم قبل أن تذرهم وبعده<sup>(٣)</sup>.

ذهب "الطوسي" إلى أن سبب رفع "يلعبون" وعدم جزمه بفعل الأمر "ذرهم" ؛ ((لأنه لم يجعله جواباً لقوله "ذرهم"، ولو جعله جواباً لجزمه.. وموضع "يلعبون" نصب على الحال، وتقديره : ذرهم لاعبين في خوضهم))<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : نفسه.

(٢) ينظر : الخصائص ١٦٠/٢-١٦١، وينظر "خساً" ودلالاتها في القرآن الكريم ١٠.

\* ينظر مثلاً : الأعراف /٧٣، والتوبة/٨٩، والحجر/٣، وغافر /٢٦، والزخرف /٨٣، والفتح/١٥.

(٣) ينظر : الكتاب ٩٨/٣، والإيضاح في شرح المفصل ابن الحاجب ٣٨/٢.

(٤) التبيان في تفسير القرآن ٢٠٠/٤.

ونخلص من ذلك أن معرفة الحالات الإعرابية في التعبير القرآني أمر مهم، كما يقول "مكي بن أبي طالب القيسي" : ((ما القارئ إليه محتاج معرفة إعرابه والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه ليكون بذلك سالماً من اللحن فيه مستعيناً على إحكام اللفظ به، مُطَّلِعاً على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات ، متفهماً لما أراد الله به من عبادته، إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني وينجلي الإشكال فتظهر الفوائد ويفهم الخطأ وتصح معرفة حقيقة المراد))<sup>(١)</sup>.

وتكمن أهمية اختيار حالة إعرابية معينة، في أن البحث في اللغة أثبت تغير المعنى عند تغير الحالة الإعرابية من حالة إلى حالة أخرى، كما أن الحالة الإعرابية المختارة تكسب التعبير قوة، وإن كانت الحالات الإعرابية تختلف في القوة وبحسب بلاغة اللفظ وحقيقة المعنى ومراتب الكلام..

(١) مشكل إعراب القرآن ٦٣/١.



# الفصل الرابع

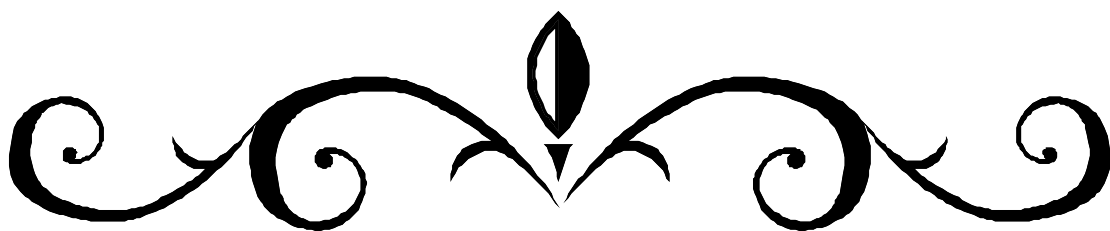
## المستوى الدلالي

المبحث الأول : تمهيد في البحث الدلالي

المبحث الثاني : العلاقات الدلالية بين الألفاظ

المبحث الثالث : ألفاظ صفات بني إسرائيل السلوكية في القرآن

الكريم في حقل دلالي.



إنَّ أَيْةَ دراسة لغوية لابدَّ من أن تتجَّه لدراسة المعنى؛ لأنَّه الغاية التي تسعى إليها في كل مستوياتها : الصوتية، والصرفية، والنحوية، التي تتفاعل فيما بينها لتؤدي المعنى، فالدلالة لا تتضح إلا بامتزاج هذه المستويات وتكاملها على مستوى التركيب. والدلالة هي النتيجة الطبيعية التي يهدف إلى تحقيقها المرسل عن طريق الألفاظ التي تربط بعضها مع بعض بعلاقات مختلفة فيحقق بذلك غرضه في إيصال المعنى، لذا يعمدُ إلى اختيار أنماط وأساليب متعددة يظنُّ أنَّها الأقدر والأصلح من غيرها في إيصال ما يريد.

تشتمل الدراسة في المستوى الدلالي على مباحث ثلاثة :

## المبحث الأول تمهيد في البحث الدلالي

**الدلالة لغةً :** مصدر الدليل، وهو ما يُستدلُّ به ويُرشد إلى المطلوب، وقد (دَلَّه) على الطريق (يُدِّلُه) بالضم (دلالة) بفتح الدال وكسرها وضمها، والفتح أعلى، ويقال (دُلُّولُه) أيضاً. وكلُّها بمعنى واحد هو أرشد وهدى وبيَّن<sup>(١)</sup>.

قال "الراغب الأصفهاني" : ((الدلالة: ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب وسواء كان ذلك بقصدٍ ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي...))<sup>(٢)</sup>. وهي بهذا المعنى لا تختصُّ باللغة فقط، وإنما هي عامة في كل ما يُوصِل إلى المدلول.

**الدلالة اصطلاحاً :** ((هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول))<sup>(٣)</sup>. وللدلالة اللغوية خصوصية عن عمومية الدلالة، فهي في الدرس اللغوي تعني دراسة المعنى الذي يؤديه الدال (الرمز) اللغوي وتحليله.

فالدلالة إذن، وحدة تقوم على العلاقة المتبادلة بين عنصرين مرتبطتين ببعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً هما الدال أو اللفظ، وهو الشيء الذي إذا عُلِمَ بوجوده يستدعي انتقال الذهن إلى وجود شيء آخر هو المدلول أو المعنى وهو العنصر الثاني<sup>(٤)</sup>. إن مفهوم الدلالة هذا يُعين على فهم اللغة فهماً عميقاً ودقيقاً و ((يكشف عن مدى الارتباط بين اللغة وأصحابها بوجه عام ويُعين على تحديد مفاهيم عصر بعينه وبذلك يستطيع أبْن اللغة أن يتعرّف على عقلية أسلافه ونفسياتهم...))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر في مادة (دَلَّل) : العين ٨/٨، وجمهرة اللغة ٧٦/١، وتهذيب اللغة ٦٦/١٤، ولسان العرب ٢٩١/٥-٢٩٢، والقاموس المحيط ٣٧٧/٣، وتاج العروس ٣٢٣/٧-٣٢٤.

(٢) المفردات ٢٤٦.

(٣) التعريفات ٨٨، وكشاف اصطلاحات الفنون ٣٨٦/١.

(٤) ينظر : الأضداد في اللغة، محمد حسين آل ياسين ٥٥.

(٥) فقه اللغة وخصائص العربية ١٦٢.

وهذا الارتباط الوثيق بين اللغة ومفاهيم العصر، والتعرف إلى العقلية السائدة فيه تبين كثيراً من مظاهر التطور الإيجابي أو الانعكاس السلبي الذي تمرُّ به الألفاظ .  
ويقيناً أنَّ اللغة هي المجال الذي يتحرك به علم الدلالة على أساس أنها وسيلة الاتصال بين الجماعات البشرية، ومن أجل وضوح الدلالة في الكلام لا بُدَّ أن تكون العلاقة الترابطية متحققة ما بين اللفظ والمعنى الذي يؤدِّيه، ولا يمكن الأخذ بأحدهما بعيداً عن الآخر ((إذ لا قيمة للفظ لم يجر به الاستعمال، ولا مدلول للفظ شاع باستعمال معين إذا قسّر على إحياء غير معناه الشائع الجاري، إنما اللفظ الذي تلتبس دلالاته ويستشعر ما بينه وبين دلالاته من التناسب الطبيعي...))<sup>(١)</sup>.

ويمكن التفرقة بين الدلالة ومصطلح المعنى، فالدلالة هي مُحصِّل مجموع المعاني اللغوية التي يتضمنها اللفظ وهي وسيلة للوصول إلى المعنى ، فيها يوماً إلى مفهوم اللفظ، أمَّا المعنى فهو واحد من المفاهيم الدلالية التي يشير إليها اللفظ، لذا تعدُّ الدلالة أوسع وأشمل من المعنى<sup>(٢)</sup>.

وقد تباين الدرس الدلالي العربي تبعاً لدارسيه، بحسب وجهة نظرهم للدلالة ونشأ الخلاف في تحديد مفهومها وطرائق دراستها، وتعود بذو البحث الدلالي إلى إشارات اللغويين والنحويين، فلا يمكن لباحث وهو يتتبع البحث الدلالي عند العرب أن يتغافل عن جهود "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في هذا المجال، إذ أفاد الدارسين من بعده في معجمه (العين)، فقد بحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر اللغوي، ويُعدُّ بهذا العمل الرائد الأول في البحث الدلالي العربي.

وقد أشار "سيبويه" في (الكتاب) إلى علاقة الدال بالمدلول في "باب اللفظ للمعاني"، وفيه أولى بنية الكلمة عناية بالغة تمكنه من التفرقة الدلالية بين أصناف الألفاظ ، وجسّد الأهمية الكبرى للمعنى الذي هو أحد مكونات الدلالة<sup>(٣)</sup>.

كما تحدّث "الجاحظ" عما يحدثه معنى اللفظ عند السامع من فهم لا يتعدى فيه المتكلم حدود دلالة الألفاظ على المعاني لدى المتلقي<sup>(٤)</sup>.

(١) الأضداد في اللغة ٥٦.

(٢) ينظر : الأسنوية التوليدية والتحويلية "النظرية اللسانية" ميشال زكريا ١٤١.

(٣) ينظر : الكتاب ٢٤/١.

(٤) ينظر : البيان والتبيين ١٣٨/١-١٣٩، وينظر ٨١/١-٨٢.

ويظهر مفهوم الدلالة على نحو واضح لدى "ابن جني"، الذي تناول دراستها بفكر لغوي سليم، وعني بالأثر الاستدلالي في بنية اللغة، وأشار إلى تعدد دلالات اللفظ الواحد، ونراه يعود بدلالة الألفاظ إلى أصول حيّة، كما ربط بين الحسّ والأصدا، والأصوات والانفعالات ونحو ذلك، وهذا ما نلمسه عند قراءة كتابه (الخصائص).

ومن المحاولات الجادة في البحث الدلالي وتفسير المفردات محاولة "ابن فارس" في معجم (مقاييس اللغة) الذي عني فيه بالكشف عن الصلات القائمة بين الألفاظ والمعاني في أكثر من وجه، مستوحياً الوجوه المشتركة في معاني جملة من الألفاظ، وكذلك وضّح الكثير من العلاقات الدلالية بين الألفاظ في كتابه (الصاحبي).

ولا يمكن إغفال كتاب (فقه اللغة وسرّ العربية) "للثعالبي" (ت ٤٢٩هـ) فإذا وقفنا عنده وجدناه منتقلاً بين حقول الألفاظ الدلالية.

ولا يُنكر دور أصحاب المعجمات اللغوية أو المعنوية في ردّ البحث الدلالي بكم وافر من المعلومات، إذ تعدّ المعجمات اللغوية حقولاً خصبة لدراسة الدلالة. ولم يقف البحث الدلالي عند مؤلفات اللغويين أو المعجمين فحسب، بل تعدّاهم إلى أهل البلاغة والتفسير، إذ تعدّ (نظرية النظم) عند "عبدالقاهر الجرجاني" رائدة في فهم اللفظ وعلاقته بالمعنى فهماً صحيحاً، إذ لا يتصور لفظ دون التفكير في معناه ولا وجود للمعنى مالم يُصبّ في قالب تبين ماهيته<sup>(١)</sup>.

نفهم من ذلك أنّ مفهوم الدلالة لدى اللغويين تحكم العلاقة بين اللفظ والمعنى، فهم في بحثهم الدلالي ينطلقون من النصّ اللغوي إلى المعنى، فاللغة أولاً ثم الفكر ثانياً، وإنما يعزى ذلك إلى أنّ دراساتهم الأولى بدأت لغرض ضبط المعايير الخاصة بذلك<sup>(٢)</sup>، يُسندهم في ذلك المفسرون، فقد ارتبط علم التفسير بعلوم اللغة كافة؛ لأنها وسيلته في تفسير آيات القرآن الكريم وتوضيح دلالتها، فلم تكن مكونات البحث الدلالي لدى المفسرين منفصلة عن مكونات البحث اللغوي، لذا فقد عني المفسرون بمباحث علم الدلالة وزخرت مؤلفاتهم بمسائل دلالية غنيّة سبقوا فيها علم اللغة الحديث<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ٣٣٤، والمثل السائر ١١٦/١-١٢٣، وجرس الألفاظ ودلالاتها ٢٢٢.

(٢) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما ١٩٩.

(٣) ينظر: أثر القرآن في تطور النقد العربي، محمد زغلول سلام ٥٠ وما بعدها، والقرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبدالعال سالم مكرم ٤٥.

وخلاصة القول إنَّ البحث الدلالي لدى علماء العربية كان واضح المعالم، ولكنه كان بحثاً متفرقاً في مؤلفاتهم المختلفة، وقد اتَّسع وشمل أغلب المباحث الدلالية التي استقرَّت في علم اللغة الحديث، فأصبحوا جسراً لهؤلاء المحدثين للوصول إلى دراساتهم التي استقرت في علم اللغة الحديث، فأصبحوا جسراً لهؤلاء المحدثين للوصول إلى دراساتهم التي اتسمت بالتخصيص والاستقلال والمنهجية وهذا أمر طبيعي فهو من سمات العلوم الحديثة كافة.

أما من وجهة نظر المحدثين فإنَّ أول دراسة حديثة لتطور معاني الكلمات ما نشره الفرنسي "ميشال بريال" من بحث سنة (١٨٩٧م) متأثراً بالاتجاهات التاريخية القديمة والفصائل اللغوية المندثرة، فأحدث ثورة في دراسة علم اللغة الحديث<sup>(١)</sup>. وقد اقترنت أهمية "بريال" بمحاولة اللغويين أوجدن و "ريتشاردز" اللذين حوَّلا مسار الدلالة - على حد زعيم المحدثين - بكتابهما المشترك (معنى المعنى) متأثرين في نظرتهم بمفهوم المعنى عند "دي سوسير"؛ إذ الدلالة عندهما عبارة عن اتحادٍ سالم ومتكامل بين الدال والمدلول أي بين الفكرة والصورة الصوتية غير قابل للتجزئة. فالذي تحدَّد المعنى على وفق هذه النظرية هي الأفكار والتصورات الموجودة في ذهن المتكلم والسامع<sup>(٢)</sup>. ويُعرَّف "استيفن اولمان" الدال بأنه الصيغة الخارجية للشكل، والمدلول هو الفكرة التي يستدعيها الدال<sup>(٣)</sup>.

ولا يهمننا هنا الرصد النظري لمفهوم الدلالة بقدر ما يهمننا الوقوف على مفهوم دلالة الألفاظ وتطور تلك الدلالة على جانب كبير من الأهمية في البحث الدلالي للألفاظ القرآنية خاصة لما ينتج عنه من تحديد معاني تلك الألفاظ من أحكام شرعية وقانونية تزف بين الحلال والحرام والواجب والمندوب، والمستحب والمكروه. لا تتحصر دلالة الكلمة المفردة في ما يقتضيه المعجم من تعريفها، فالاستعمال اللغوي يُضفي على الكلمة دلالات أخرى، ويمكن توضيح نوعين من الدلالة في آيات الصفات بما يأتي :

(١) ينظر : علم اللغة، السعران ٣١٧-٣١٨، علم الدلالة أحمد مختار عمر ١١، وعلم الدلالة هدى لوشن ١٥.

(٢) ينظر : علم اللغة العام، سوسير ٨٤-٨٦، وعلم اللغة، السعران ٣٢٨-٣٣٠، وعلم الدلالة أحمد مختار عمر ٢٣-٢٤.

(٣) ينظر : دور الكلمة في اللغة ٩٤.

**أحدهما :** الدلالة اللغوية أو المعجمية : أن معاني ألفاظ اللغة المفردة. وهذا يتعلق بدلالة اللفظة في أصل وضعها اللغوي<sup>(١)</sup>، وقد تسمى أيضاً ((الدلالة الأصلية))<sup>(٢)</sup>. أو الحقيقة ، وهذه الدلالة هي المعتمدة في جميع المجالات اللغوية العلمية الدراسية، ففي أية دراسة لغوية يعود الباحث لمعرفة ألفاظ بحثه إلى المعجم لذلك تتوجه إليها عناية خاصة، وتستقل هذه الدلالة عما توحيه الكلمة صيغةً وصوتاً وتختص بالمعنى اللغوي في حدود ما هو عرفي، على النحو الذي تعارف عليه المجتمع في البيئة الكلامية<sup>(٣)</sup>. وغالباً ما يتصف المعنى اللغوي بالتعدد والاحتمال ، وهذا التعدد يجسد نوعاً من الاقتصاد في المجهود الذهني؛ إذ يخفف عن أبناء المجتمع اللغوي حتمية اختزان كل معنى من المعاني الجزئية للكلمة الواحدة. فالمعجم بذلك قنّ المعنى للفهم التقريبي المشترك بين الناس، أي أن الأساس الذي هو فهم الجمهور للمعنى<sup>(٤)</sup>.

يقول "جون لاينز" : أن هذه ((هو المعنى الذي أتوقع أن يتذكره القارئ متى ما أشرت إلى معنى الكلمة من غير شرح إضافي عنه))<sup>(٥)</sup> فهذا المعنى لا يستثير أية معطيات انفعالية. ويعدّ العامل الرئيس في عملية الاتصال اللغوي، وبه تؤدي اللغة وظيفتها في نقل الأفكار، ويشترك فيه المجتمع اللغوي الواحد<sup>(٦)</sup>.

كثيرة هي الألفاظ التي استعملها التعبير القرآني في سياق آيات الصفات بدلالاتها اللغوية من ذلك قوله تعالى على لسان عبدة العجل من بني إسرائيل : ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [طه/٩١]. استعمل التعبير القرآني لفظ (عاكفين) بمعناه اللغوي ، فـ (عاكفون) جمع عاكف وهو اسم فاعل من عكف على

(١) ينظر : المثل السائر ١/١٠٦-١٠٧، واللغة ، فندريس ٥٣٢، والأصول دراسة بستمولوجية ٣٦٧.

(٢) الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي، كاصد الزبيدي "بحث" ١١.

(٣) ينظر : دلالة الألفاظ ٤٨.

(٤) ينظر : دلالة الألفاظ ١٤٥، والأصول دراسة إبستمولوجية ٣٢٥.

(٥) اللغة والمعنى والسياق ٢٤.

(٦) ينظر : علم الدلالة، أحمد مختار عمر ٣٦، وعلم النفس ، موفق الحمداني ١٧٥.

الشيء يعكف ويكف عكفاً وعكُوفاً بمعنى أقبل عليه مواظباً لا يُصرف عن وجهه، وقيل هو : الاحتباس أو الإقامة على الشيء في مكان محدد لأية غاية<sup>(١)</sup>.

فالعاكفون هم القوم المقيمون على الشيء المواظبون عليه، فلم يستعمل الاعتكاف بمعناه الاصطلاحي الذي خصّه الإسلام وهو لبث المسلم وإقامته في المسجد للصلاة والتعبّد<sup>(٢)</sup>.

وكذلك لفظ (السجود) في قوله تعالى : ﴿ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء/١٠٧] الذي يعني لغةً : الانحناء والتطامن إلى الأرض، وإدامة النظر إليها<sup>(٣)</sup>، وليس المقصود به معناه الاصطلاحي الذي اكتسبه في رحاب الإسلام ويعني ركن من أركان الصلاة (سجود الصلاة) وإنما هم يسقطون على جباههم تعظيماً لله، وخصّ الأذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل والخضوع له سبحانه<sup>(٤)</sup>.

ومنه لفظ "الرجز" وهو العذاب، وقيل هو العذاب المقلقل لشدته؛ إذ له قلقلته شديدة متتابعة<sup>(٥)</sup> كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة/٥٩]، وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ .. ﴾ [النساء/٤٩]، والزكاة بمعناها اللغوي : النماء والزيادة، مع ملحظ اتصافها بالطهارة والبركة يقال زكى نفسه مدحها<sup>(٦)</sup>، فليس المقصود

(١) ينظر في مادة (عَكَفَ) : المفردات ٦٧، وأساس البلاغة ٥٧٩، ومختار الصحاح ٤٤٩، ولسان العرب ١٢٠/١٢ وعمدة الحفاظ ١٠٩-١١٠ والتعريفات ٣٢ والقاموس المحيط ٥٠/٣.

(٢) ينظر الكشف ١١٠/٢ والتطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ٢٢٦.

(٣) ينظر في مادة (سَجَدَ) : مقاييس اللغة ١٣٣/٣، والمفردات ٣٢٨، ولسان العرب ١٢٥/٧، والقاموس المحيط ٣٠٠/١.

(٤) ينظر : تأويل مشكل القرآن ٣٢١ وتفسير القرآن العظيم ٥١٤/٣، والتطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن.

(٥) ينظر في مادة (رجز) : تأويل مشكل القرآن ٣٦١ وتفسير غريب القرآن ٥٠، ومقاييس اللغة ٤٨٩/٢، والمفردات ٢٠٠ ومختار الصحاح ٢٣٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٨٣/١، ولسان العرب ١٠٥/٦-١٠٦، وعمدة الحفاظ ٧١/١.

(٦) ينظر في مادة (زكا) : المفردات ٣١٢-٣١٣، ومختار الصحاح ٢٧٣، ولسان العرب ٤٥/٧-٤٦.

به المصطلح الإسلامي الدالّ على زكاة المال المعروفة على وجه التعبد وهي ركن من أركان الدين الإسلامي<sup>(١)</sup>.

وجاء لفظ "يُخْرِبُ" بمعناه اللغوي دالاً على التلثم والهدم والإفساد غفي الشيء<sup>(٢)</sup>، كما في قوله تعالى : ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر/٢]، فالآية تشير إلى ما كان من تخريب اليهود لبيوتهم ليأخذوا ما يصلح منها من أخشاب وأبواب تفيدهم ولكي لا ينتفع بها المؤمنون من بعدهم<sup>(٣)</sup>.

إن الرغبة في التخريب والإفساد صفة ملازمة لليهود إلى الوقت الحاضر<sup>(٤)</sup>. وكذلك لفظة "جَهْرَةٌ" بصيغة المصدر في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة/٥٥]، يقال : جَهَرَ، جَهْرَةً وَجِهَاراً : علن وبدأ، إذ ظهر لحاسة البصر أو لحاسة السمع، والجهر : العلانية، وراه جَهْرَةً : لم يكن بينهما ستر<sup>(٥)</sup>. وقوله على لسان قوم موسى ﴿جَهْرَةً﴾ أي أي : غير مستتر عنا بشيء، أو غير محتجب عنا، وقيل : عياناً<sup>(٦)</sup>.

يقول "أبو هلال العسكري" : ((الجهر : عموم الإظهار والمبالغة فيه ألا ترى أنك إذا كشفت الأمر للرجل والرجلين قلت : أظهرته ولا تقول جهرت به إلا إذا أظهرته للجماعة الكثير فيزول الشك))<sup>(٧)</sup>، وفرق بين الجهر والجهرية، فالجهرية للرؤية، والجهر للقول وما ينتمي إليه كالدعاء والصلاة<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر : مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ٢/٦٢-٦٣، والتطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن.

(٢) ينظر في مادة "خرب" : الصحاح ١/١١٩، ومقاييس اللغة ٢/٨٧٤، والمفردات ٢٠٨، ومختار الصحاح ١٧١، ولسان العرب ٥/٣٦.

(٣) ينظر : الكشف ٤/٨٠-٨١، والتحرير والتنوير ٢٨/٧١.

(٤) ينظر : اليهود في القرآن الكريم، صلاح أبو إسماعيل ٧٤.

(٥) ينظر في مادة "جهر" مقاييس اللغة ١/٤٨٧، المفردات ١٠١، ولسان العرب ٣/٢٢٠ وبهجة الأريب ١/٩.

(٦) ينظر : تفسير غريب القرآن ٤٩، وجامع البيان ٢/٨٤.

(٧) الفروق اللغوية ٢٨٠.

(٨) ينظر : نفسه ٢٨١.

وأيضاً استعملت لفظتا "البخل" و "الحسد" بمعناهما اللغوي متفقتان ومعناهما الشرعي في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .. ﴾ [النساء/٥٤] وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ .. ﴾ [النساء/٣٧] .

ومن ذلك لفظ "الفراق، والتفريق" فالفرق : خلاف الجمع، فرقه يفرقه فرقاً، وفرقه ، وقيل فرق فرقاً للصلاح، وفرق تفريقاً للإفساد، وانفرك الشيء، وتفرق وافترق<sup>(١)</sup>. وفارق الشيء مفارقة وفراقاً : باينه والفراق يكون بين الشيئين بينهما علاقة يفرق بينهما قال تعالى على لسان موسى : ﴿ فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة/٢٥] فيكون الفراق هو الانفصال بالأبدان والأجسام<sup>(٢)</sup>. والتفريق : التشييت بين الجماعة فهو كجعل الشيء مفارقاً لغيره حتى كأنه جعل بينهما فرقاً بعد فرق حتى تباينا<sup>(٣)</sup> قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ .. ﴾ [البقرة/١٠٢]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ .. ﴾ [النساء/١٥٠].

ومن ذلك لفظ "السؤال" كما في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ .. ﴾ [النساء/١٥٣].

يشير المعنى اللغوي لـ "سأل" إلى معنى طلب، فالسؤال : طلب الخبر والأمر والنهي، وهو أن يسأل السائل غيره يأمره بالشيء أو ينهاه عنه<sup>(٤)</sup>، يقول "الراغب" : ((السؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى معرفة، والسؤال ما يرافقه إلحاف وظلم وهو متضمن معنى التوبيخ أو التنبيه لتقرير أن الله عالم بما يكون))<sup>(٥)</sup>، فقد ألح اليهود اليهود في طلب الأدلة والبراهين على صدق دعوى الأنبياء.

(١) ينظر في مادة (فرق) : الصحاح ٢/٢٣٨، المفردات ٣٧٧، ولسان العرب ١٢/١٧١.

(٢) ينظر : المفردات ٣٧٨، والكلبيات ٢٧٤.

(٣) ينظر : الفروق اللغوية ١٤٣ وديوان الأدب ٢/١٢٥.

(٤) ينظر : في مادة (سأل) مجاز القرآن ٢/١٨١، والصحاح ١/٥٦١، ولسان العرب ٧/٤، والكلبيات

٢٠٤.

(٥) المفردات ٢٥٠.

والسؤال في كتاب الله إن وقع السكوت عن جوابه فإنما هو روع وزجر للسائل، وإن وقع الجواب عنه فهو عقوبة وتغليظ<sup>(١)</sup>.

وكذلك لفظ "الخطأ" وهو ضد الصواب؛ وأخطأ الطريق : عدل عنه، وأخطأ إذا لم يعتمد وفاته الصواب، والعرب تقول : خطئت إذا أذنبت عمداً، وأخطأت إذا أذنبت على غير عمد<sup>(٢)</sup>. جاء بصيغة اسم الفاعل المجموع جمعاً مذكراً سالماً في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ [يوسف/٩٧] ، وفسر هنا بالذنب في غير شرك<sup>(٣)</sup>. وغير ذلك من الشواهد التي استعملها التعبير القرآني بمعناها اللغوي "الجهل، الخسران، والخسوء، والأذى، الذلة، والمسكنة، والصد، والعصيان، الباطل، والفتنة، والكبر، والعداوة واللعن، والمكر والكيد الصدق والكذب..الخ.

والأخرى : الدلالة الإضافية أو الهامشية : هو معنى اللفظ الذي يشير إليه زيادة على معناه المعجمي التصوري الخالص، فهذا المعنى هو نتاج فردي شخصي مختلط بالانفعالات النفسية والعاطفية، وتنعكس في ألفاظها ظلال الثقافة والبيئة والتجارب الشخصية والخبرة، يقول الدكتور "علي زوين" : والدلالة الهامشية : هي دلالة فردية مختلفة من شخص إلى آخر تبعاً للمستوى الثقافي والتجربة والمزاج والعاطفة والعوامل الوراثية، وغالباً ما تختلف في الشخص نفسه باختلاف أحواله النفسية<sup>(٤)</sup>. وهذه المعاني الشخصية الذاتية جاءت من باب الاستعمال المجازي، فالألفاظ تستعمل خلافاً لما هو معهود في المعجم اللغوي.

وتكتسب هذه الدلالة هامشيتها عن طريق التطور اللغوي الذي يحدث في الألفاظ، فنجد فيها خصوصيات معنوية ذات ضلال دلالية جديدة يستدعيها الزمان والمكان، فيبعدها الاستعمال عن أصلها بعداً قليلاً أو كثيراً<sup>(٥)</sup>.

(١) الفروق اللغوية ٢٨.

(٢) ينظر في مادة (خطأ) : مقاييس اللغة ٩٨/٢ ولسان العرب ٥٨/٥، وكشاف اصطلاحات الفنون ١٧٣/٢.

(٣) ينظر : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى ٣٠٢، ونزهة الأعين النواظر ٣١٥.

(٤) ينظر : ضلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث، علي زوين "بحث" ٧٣.

(٥) ينظر : التطور اللغوي التاريخي ، إبراهيم السامرائي ٢٨٨.

ومن الأمثلة التي أشار إليها علماء الدلالة لفظة "يهودي" التي تمتلك معنىً مركزياً هو الشخص الذي يعتنق الديانة اليهودية، ولكنها تشير في دلالتها الثانوية لمعانٍ إضافية في أذهان الناس تتمثل في الطمع، والبخل، والمكر والخديعة والحرص على الحياة<sup>(١)</sup> وغير ذلك.

ومن ذلك لفظة "الحمار" الذي شبه به أحبار اليهود الذين لم ينتفعوا بالتوراة التي حملوها، فالدلالة المركزية للفظـة "الحمار" هي ذلك الحيوان المعروف عندنا<sup>(٢)</sup>، ولكنه يشير في دلالاته الثانوية إلى صفة البلادة والغباء والتصرف الأهوج والجهل بقيمة الأشياء الثمينة<sup>(٣)</sup> قال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا..﴾ [الجمعة/٥].

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿إِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ..﴾ [آل عمران/١١٥].

وحقيقة العض شد الشيء بالأسنان<sup>(٤)</sup>، أما دلالاته الهامشية الأخرى فانها كناية عن الغيظ والتحسر والأسف وإن لم يكن محسوساً، قال الزمخشري : ((ويُوصَفُ المَغَاطِظُ والنَّادِمُ بَعْضُ والبَنَانُ والإِبْهَامُ))<sup>(٥)</sup>، فالإنسان إذا اضطرب بان عليه الانفعال وصدرت عنه أفعال تناسب ذلك الانفعال ، فهؤلاء المنافقين من اليهود وغيرهم يغيظهم رؤية التنام المسلمين مع بعضهم<sup>(٦)</sup>، وهذا التعبير يحمل على جانبي الحقيقة والمجاز فالندم قد توصل إليه بغير ألفاظه الموضوعية له في اللغة بأسلوب أبلغ لما فيه في التصوير بالممسوس وهو العض على اليدين ثم الانتقال إلى المعنى المطلوب.

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ..﴾ [المائدة/٦٤]. عبر سبحانه عن صفة "البخل الشديد" باليد المقيدة بالأغلال إلى العنق، فاليد بحال طبيعتها تمسك الأشياء، فإذا كانت مقيدة فإن من الصعب مدّها، كالبحيل لا

(١) ينظر : علم الدلالة، أحمد مختار عمر ٣٧.

(٢) ينظر : حياة الحيوان الكبرى ٣١٥/١.

(٣) ينظر : أمثال القرآن ٨٠.

(٤) ينظر : في مادة (عض) : المفردات ٥٠٥، ومختار الصحاح ٤٣٨، ولسان العرب ١٨٤/١٠.

(٥) الكشف ٤٥٩/١، وينظر نفسه أيضاً ١٦٠/٢.

(٦) ينظر : إرشاد العقل السليم ٢٣/٢ والتحرير والتنوير ٦٦/٣-٦٧.

يَمُدُّ يَدَهُ بِالْعَطِيَّةِ فَالْيَدُ مَمْسُكَةٌ عَنِ الْعَطَاءِ فَصَوَّرَ سُبْحَانَهُ أَقْصَى غَايَاتِ الْبُخْلِ بَغْلُ الْيَدِ إِلَى الْعُنُقِ<sup>(١)</sup>.

وكقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ .. ﴾ [المائدة/ ١١].

والبسط بمعناه اللغوي : ضد القبض وأصله النشر، يُقَالُ : بَسَطَ الثَّوبَ بَبْسُطِهِ بَسْطًا، أي : نَشَرَهُ، والبسطُ في كلِّ شيءٍ السَّعْهَ والزيادة<sup>(٢)</sup>. ويبسط يده ولسانه إلى عدوه كناية عن الضرب والبطش والسب بشدة، فدلَّت لفظة "البسط" في الآية الكريمة عن استعدادهم ووثوبهم لمقاتلة الرسول ﷺ والمؤمنين. فالأذى والشر لا يحصلان غالباً إلا باليد<sup>(٣)</sup>.

وكقوله تعالى : ﴿ نَبَأًا بِالسِّنْتِهِمْ .. ﴾ [النساء/ ٤٦]، وقوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُفُّونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ .. ﴾ [آل عمران/ ٧٨].

(الليّ) في الأصل إدارة الجسم غير المتصلّب إلى غير الصوب الذي يُسند إليه، واستعمل (الليّ) بمعنى الفتل ومنه فتلٌ ومنه فتلٌ الحبل والرأس واللسان ، فعبر عن تحريف الحق والنطق بالباطل بـ (ليّ اللسان)<sup>(٤)</sup>. وقد يحتملُ أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً بِمَعْنَى تحريك اللسان عن طريق إبدال حرف مكان حرف آخر يقابله لتعطي الكلمة في اذن السامع معنى كلمة أخرى<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك أيضاً لفظ "قائم" في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا .. ﴾ [آل عمران/ ٧٥].

(١) ينظر : تأويل مشكل القرآن ١٢٧، والبرهان في علوم القرآن ٣٢١/٢ ونظم الدرر ٢١٩/٦-٢٢٠ وأساليب المجاز في القرآن.

(٢) ينظر في مادة (بَسَطَ) : الصحاح ١١١٦/٣، والمفردات ٦٠-٦١، ومختار الصحاح ٥٢، ولسان العرب ٨٦/٤.

(٣) ينظر : الكشف ٥٩٩/١ وعمدة الحفاظ ١٨٩/١ ، وإصلاح الوجوه والنظائر في القرآن، الدامغاني ٦٩، ومن بديع لغة التنزيل، إبراهيم السامرائي ٦٧-٦٨.

(٤) ينظر في مادة (ليّ) : المفردات ٦٩٠-٦٩١، ومختار الصحاح ٦٠٩، وعمدة الحفاظ ٥٦/٤.

(٥) ينظر : المحرر الوجيز ١٨٤/٣، ٨٩/٤، والبحر المحيط ٢٦٤/٣، وفتح القدير ١٣٦/١، والفتوحات الإلهية ٦٤/١، والتحرير والتنوير ٢٩١-٢٩٢/٣.

و "قائم" : يدل لغةً على انتصاب أو عَزَمَ، والقيام ضد الوقوف، وأقامَ بالمكان إقامة أي : أدام فيه<sup>(١)</sup>. وفي الآية الكريمة يتجاوز اللفظ "قائماً" حدود معناه اللغوي ليوحي بالمبالغة والإلحاح في المطالبة بالدين واستمرار المدين على تلك الحالة من الإلحاح فإذا لم يكن قيامه عليه مستمراً وبالإلحاح لا يُرجعُ الأموال إلى صاحبها<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك ما جاء في تصوير حالة الندم التي تنتاب من يقع في المعصية كما في قوله تعالى : **﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [الاعراف/١٤٩].

فقوله تعالى : **﴿لَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾** من السقوط في اليد تعبيراً عن الندم<sup>(٣)</sup>. يقول الزمخشري في ذلك : ((عضُّ اليدين والأُتْمَلِ والسقوط في اليد وأكل البنان .. كنايةات عن الغيظ والحسرة؛ لأنها من ورادفها، فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكني عنه))<sup>(٤)</sup>.

فالخطاب القرآني يرسم صورة دقيقة لعناد الكافر، وهي صورة تثير الاستهزاء والسخرية من حال هذا الطاغية المتكبر. وهذا التفسير للآية يحمل جانب الحقيقة والمجاز.

وهذا ما ذكره الزمخشري : فقوله لما سقط في أيديهم يعني كما اشدت ندمهم وحسرتهم على عبادة العمل ومن كانت تلك حالة بعض يده غماً فتصير يده مسقوطةً فيها، لأنَّ فمه قد وقع فيها<sup>(٥)</sup> والندم والتحسر يكونان في القلب ولكنه ذكر اليد؛ لأنه يقال لمنَّ تحصل على شيء قد حصل في يده أمرٌ كذا؛ ولأنَّ مباشرة الأشياء الغالب فيها باليد فالندم مشاعر وإن حلت في القلب فأثرها ظاهر في البدن فالنادم يعرض يده حسرةً وأسفاً ويضرب بإحدى يديه على الأخرى.

(١) ينظر في مادة (قوم) : مقاييس اللغة ٤٣/٥، والمفردات ٦٢٨-٦٢٩، ومختار الصحاح ٥٥٧، ولسان العرب ٤٩٦/١٢.

(٢) ينظر : روح المعاني ٣٢٣/٣، والتحرير والتنوير ٢٨٧/٣.

(٣) ينظر : المفردات ٢٣٥.

(٤) الكشف ١٦٠/٢.

(٥) ينظر : ٩٩/٣.

إن المتأمل في آيات الصفات يدرك أنَّ هناك كثيراً من الألفاظ قد أصابها تغيير في دلالتها مما أكسبها دلالات جديدة سواء كان التغيير تخصيصاً للدلالة أم تعميماً أم انتقالاً حالها كحال بقية ألفاظ اللغة يقول العالم الفرنسي "فندريس" : ((هناك تضيق عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص.. وهناك اتساع في الحالة العكسية، أي الخروج من معنى خاص إلى معنى عام.. وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان، أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص، كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال، أو السبب إلى المسبب..))<sup>(١)</sup>.

أ- تخصيص الدلالة أو تضيق الدلالة : والتخصيص في معناه اللغوي : الانفراد بالشيء أو الإفراد له فهو من ((خصه بالشيء واختصه أفرد به دون غيره))<sup>(٢)</sup>.

وفي الاصطلاح : خروج اللفظ من معناه العام الواسع إلى معنى خاص ضيق بحيث يصبح مدلول الكلمة مقصوراً على أشياء تقل في عددها عما كانت تدل عليه في الأصل إلى حد ملحوظ<sup>(٣)</sup>.

ويُفسر التخصيص بأنه نتيجة إضافة بعض الملامح التمييزية للفظ، فكلما زادت الملامح لشيء ما، قل عدد أفرادها، والتخصيص تتضح إضافة المعنى فيه أكثر من التعميم؛ لأنَّ المعنى حين يُخصَّص في الاستعمال يدل على حالة واحدة بعد ذلك العموم الذي كان يداخله مع غيره من الجزئيات الداخلة تحت اللفظ العام قبل تخصيصه. وتحديد المعنى في مفردة يساعد في دقة تأدية المعنى في أداء القصد المطلوب بعينه، يكون سبيلاً من سبل تكوين الفكر العلمي الواضح المحدد<sup>(٤)</sup>.

وردت في آيات الصفات ألفاظاً خصت دلالتها، وخوفاً من الإطالة ارتأى البحث الاقتصار على قسمين منها : الألفاظ العرفية، والألفاظ الإسلامية.

(١) اللغة ٢٥٣.

(٢) ينظر : في مادة (خص) ، مختار الصحاح ١٧٧، ولسان العرب ٨٠/٥، والقاموس المحيط ٣٠٠/٢.

(٣) ينظر : المزهر ١/٤٢٧-٤٢٨، ودلالة الألفاظ ١٥٢، وعلم اللغة ، السعرا ٢٠٨.

(٤) ينظر : علم الدلالة، أحمد مختار عمر ٢٤٦، وفقه اللغة وخصائص العربية ٣١٦-٣١٧.

والألفاظ العرفية : هي الألفاظ المنقولة من بابها الأصلي بعرف الاستعمال الذي هو العرف القولي والاجتماعي الذي يضيف أمراً دلالياً جديداً على عدد من الحقائق اللغوية امتداداً لمعانيها في أصل اللغة لتكون دالة على معنى مخصوص<sup>(١)</sup>.  
عرف السيد "الشريف الجرجاني" (ت ٨١٦هـ) الألفاظ العرفية بأنها : ((ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطبائع بالقبول))<sup>(٢)</sup>. أي أنها علاقة اعتبارية لا سند لها إلا ما يقع من اتفاق الناس، وتعارفهم على إنشائها وفهمها من دون أن يكون ذلك راجعاً إلى الطبيعة وإلى الذهن والمنطق، وقد يكون للاستعمال العرفي من قوة الأثر ما يضاهي الأصل أحياناً<sup>(٣)</sup>.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/٧٥].

بين المفسرون أن عبارة (كلام الله) لا يرادُ بها تكلمه على وجه الحقيقة، وسماع اليهود ذلك منه، كما يسمع الكلام من أفواه البشر، وإنما المراد أنهم ((سمعوا ما يُضاف إلى كلامه بضرب من العرف دون حقيقة الوضع، ومن قال بهذا قال : هم الذين سمعوا كلام الله الذي أوحى الله إلى موسى، وقال قوم : هو التوراة التي علمها علماء اليهود))<sup>(٤)</sup>. جاءت عبارة (كلام الله) في القرآن الكريم على وجوه :<sup>(٥)</sup>

الأول : الكلام المباشر من غير وحي الذي كلم به موسى \*

والثاني : الوحي الذي أوحى به إلى نبيه محمد ﷺ وهو القرآن \*\*

والثالث : علم الله وعجائبه \*\*\*

(١) ينظر : الفروق اللغوية ٥٧، والطراز ٥١/١.

(٢) التعريفات ١٢٣.

(٣) ينظر : دلالة الألفاظ ١٠٤، ومناهج البحث في اللغة ٥٨، والأصول دراسه ابستمولوجيه ٣٢٣، والتصور اللغوي عند الأصوليين ٦٣.

(٤) التبيان في تفسير القرآن ٢٢١/١، ٢٧٠/٦.

(٥) ينظر : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم هارون بن موسى ٣٠٥-٣٠٦، وإصلاح الوجوه والنظائر في القرآن ١٧٦-١٧٧.

\* ينظر : النساء /٦٤.

\*\* ينظر : التوبة/٦، والفتح /١٥.

والراجح لدى أغلب المفسرين أنَّ (كلام الله) في الآية الكريمة وكما هو معروف، كتابه الذي أنزله على اليهود وهو (التوراة)<sup>(١)</sup>، وذلك لاستبعاد سماعهم كلام الله تعالى على وجه الحقيقة، فضلاً عن أنَّ هذه العبارة وردت في مفهوم الإسلام دالة على كتاب الله (القرآن) المنزل على نبيينا المصطفى محمد ﷺ.

ومن ذلك لفظة (السبت) وأصلها في اللغة : القطع، وهو أيضاً الحلق، يُقال : سبَّ شعره سَبْتًا ، إذا حلقه وهذا يرجع إلى معنى القطع، ويقال لكل أرضٍ منقطعة عما حولها : سبتاء، وقيل : هو الدهر<sup>(٢)</sup>. وردت لفظة (السبت) في آيات الصفات في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة/٦٥]، فسرَّ هذا اللفظ في جميع الآيات التي ورد فيها على أنه بمعنى القطع، قال الطوسي : ((سُمِّيَ السبت سبتاً؛ لأنَّ السبت هو القطعة من الدهر فسميَ بذلك اليوم))<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف/١٦٣]. فقوله ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾، أي : يوم قطعهم للعمل، وقوله ﴿يَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾، أي : لا يقطعون العمل، وعليه يحمل تفسيرهم للسبت بأنه الراحة والدعة؛ لأنه انقطاع عن العمل<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا فإن لفظ (السبت) كانت تعني الدهر، ثم خصَّ في الاستعمال بأحد أيام الأسبوع، وهو فرد من أفراد الدهر، فعُدَّ هذا التخصيص غايةً في الحسن<sup>(٥)</sup>.

\*\*\* ينظر : الكهف/١٠٩، ولقمان/٢٧.

(١) ينظر : الكشف ١/١٩١، ومجمع البيان ١/٣١٧.

(٢) ينظر في مادة (سبت) : إصلاح المنطق ٩-١٠، ومقاييس اللغة ٣/١٢٤-١٢٥، والمفردات ٢٢٣-٢٢٤، وأمالى المرتضى ١/٣٣٧-٣٣٨، ولسان العرب ٧/١٠١-١٠٢.

(٣) التبيان في تفسير القرآن ١/٢٩٠.

(٤) ينظر : جامع البيان ١/٢٠٣، والكشاف ، وأنوار التنزيل.

(٥) ينظر : المزهري ١/٤٢٧.

الألفاظ الإسلامية : لابد لكل عصر جديد من خصائص يمتاز بها من غيره من العصور السابقة له، وتظهر هذه الخصائص واضحة جلية في الألفاظ المستعملة في العصر الإسلامي.

يعدّ ظهور الإسلام حدثاً مهماً في تاريخ الإنسانية عامة والأمة العربية خاصة، إذ جاء بمفاهيم وقيم تتناسب والعقيدة الجديدة وقدم فكراً إنسانياً عظيماً عبر عنه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والقرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى قد أثر بشكل كبير في اللغة العربية ولاسيما في دلالات ألفاظها يقول "ابن فارس" : ((كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله -جل ثناؤه- بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زِيدت وشرائع شرعت، وشرائط شرطت. فعفى الآخر الأول))<sup>(١)</sup>. فكان لابد لهذا الدين من ألفاظ جديدة يمتاز بها، ويمتلك الشرع ولاية التصرف في الألفاظ كما يمتلكها أهل اللغة، وربما كانت هيمنته أقوى من هيمنة اللغة نفسها، فالقرآن الكريم قد أضفى دلالة شرعية على بعض الألفاظ اللغوية فتصبح مستقرة على دلالتها الجديدة حتى ينسى أصلها الأول فتصير كالحقيقة، وتعرف هذه الألفاظ بـ "الألفاظ الإسلامية" وتعرف بأنها : اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي<sup>(٢)</sup>، وقد لا تخرج عن ذلك الأصل بل تبقى مرتبطة به، ولكل لفظة منها اسمان : لغوي وشرعي<sup>(٣)</sup>.

وتعدّ عملية توليد الألفاظ الإسلامية من وسائل نمو اللغة، ومن مظاهر تغييرها الدلالي على سبيل التوسع في القول والتخصيص في الدلالة؛ لأن لهذه الألفاظ دلالات أصلية مستقاة من المعجم، ثم تصبح مصطلحات بدلالات جديدة دعت الحاجة إليها في الإسلام، وبين الدالتين علاقة واضحة، وتمثل هذه الألفاظ أول باب من أبواب التجويز في حياة اللغة بعد ظهور الإسلام، الأمر الذي يعكس الأثر الحي للدين الإسلامي في حياة اللغة العربية ودلالة ألفاظها<sup>(٤)</sup>.

(١) الصاحبى ٧٨.

(٢) ينظر : الطراز ٥٥/١، ومعجم المصطلحات البلاغية ٤٥٥/٢، وفقه اللغة العربية ١٤٧.

(٣) ينظر : الصاحبى ٧٨.

(٤) ينظر : دراسات في القرآن، السيد أحمد خليل ٣٦.

ومن الشواهد على ذلك في آيات الصفات مادة (كفر) التي وردت فيها بكثرة لدلالاتها الشرعية، والكفر لغةً : ستر الشيء وتغطيته، يقال لمن غطى درعه بثوب قد كفر درعه، والعرب تسمى اللابس السلاح كافراً؛ لكون السلاح قد غطى جسده. والكفر: الذراع لستره البذور بالتراب، والليل؛ لأنه يستتر بظلمته كل شيء، والبحر لستره مافيه، ويسمى الكافر كافراً؛ لأن الكفر قد غطى قلبه كله. واتسع هذا المدلول ليشمل ستر الأشياء المعنوية كالنعمة والحجة والبرهان ونحو ذلك<sup>(١)</sup>. فكفر النعمة سترها بترك أداء شكرها.

**والكفر في الشرع : نقيض الإيمان والتصديق، وأصل معناه الامتناع والعصيان، فالكفر جحود الوجدانية أو الشريعة أو النبوة<sup>(٢)</sup>، فهو : ((عبارة عن جحد ما أوجب الله عليه معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه والإقرار بما جاء به من أركان الشرع فمن جحد شيئاً من ذلك كان كافراً))<sup>(٣)</sup>.**

والكفر قد يحصل بالقول تارة، وبالفعل أخرى، وهو الذي يصدر عن تعمّد، ويكون الاستهزاء صريحاً بالدين من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة/٨٩] وكقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ.. ﴾ [آل عمران/٥٢]، بمعنى أنه قد ظهر منهم الكفر ظهوراً بيّناً لا شبهة فيه فبان للحسّ فضلاً عن التفهم، وأحسّ بمعنى عِلِمَ أو عَرِفَ أو درى<sup>(٤)</sup>، والحاسة القوة التي تدرك الأعراض الحسية<sup>(٥)</sup>.

ويلحظ جمال الاستعارة، فالكفر ليس بمحسوس وإنما هو من الأمور المعنوية، وإن كان يُستنبط من الأعمال الحسية وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس في الجلاء

(١) ينظر في مادة "كفر" : العين ٣٥٦/٥، وتفسير غريب القرآن ٢٨٧، ومقاييس اللغة ١٩١/٥، وأساس البلاغة ٧٣٥-٧٣٦، الزينة في الكلمات الإسلامية ١٤٠-١٤١، والزاهر في كلام الناس ٢١٦/١، ومختار الصحاح ٥٧٣، ولسان العرب ٨٤/٣-٨٥، والتعريفات ١٥٠، والكليات ٣١٠.

(٢) ينظر : معاني القرآن، الفراء ٢١٦/١.

(٣) التبيان في تفسير القرآن ٦٠/١، وينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ٢٧٣-٢٧٠.

(٤) ينظر : مجاز القرآن ٩٤/١، ومعاني القرآن وإعرابه ٤١٦/١، وبصائر ذوي التمييز ٤٥٩/٢.

(٥) ينظر : المفردات ١٦٦-١٦٧، والكشاف ٤٣٢/١، والجامع لأحكام القرآن ٦٤/٤.

والوصول إلى درجة اليقين<sup>(١)</sup>. وهذه الاستعارة قد أعطت للنص القرآني مساحةً واسعة من المعاني الكثيرة التي تبين إعجاز القرآن بهذا اللون من التعبير ، فالفعل "أحس" قد نقلنا إلى تصور الحالة التي كان يعيشها سيدنا عيسى - عليه السلام مع اليهود، فكأننا نراهم وهم يؤذونه بلسانهم أو بأيديهم أو بأعينهم كما أنه يشير إلى مدى فطنته <sup>عليه السلام</sup> ويقظته لما يمكنون به.

وردت مادة "كفر" في آيات الصفات بدلالاته اللغوية\* ، والشرعية\*\* ، إذ جاءت كل دلالة في سياقها المناسب لها.

ومن ذلك لفظ (القاعدون)، فالقعود في اللغة ضد القيام، يُقال كان واقفاً فقعد<sup>(٢)</sup>. ثم أصبح مصطلحاً في الإسلام معروف شاع في القرآن الكريم بمعنى : القعود عن القتال<sup>(٣)</sup>، إذ وُصِفَ به المخلفون عن القتال وقد استعمله بنو إسرائيل بهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة/٢٤] وهكذا فإن القرآن الكريم قد خصص معنى العقود بعد أن كان عاماً وجعله في موقف مخصص وأضفى عليه ضلالاً يعرفها القارئ من السياق القرآني.

ومن ذلك لفظ "الخشوع" وهو في اللغة السكون بلا حراك، واختشع إذا طأطأ رأسه وتواضع<sup>(٤)</sup>، والخشوع بمعناه الإسلامي هو الخضوع لله والشعور بخشيته وتقواه، والوثوق ببلقائه والرجعة إليه عن يقين، وصار الخشوع مصطلحاً إسلامياً، لأنه صفة للمؤمن الصادق والخشوع بهذا المعنى التعبدية لم يعرف إلا بعد نزول القرآن الكريم، وبذلك يمكن القول أن القرآن خصص هذا المعنى بعد أن كان عاماً ورغم أنه استعمل

(١) ينظر : البحر المحيط ١٧١/٣-١٧٢، وإرشاد العقل السليم ٣٧٣/١، وصفوة التفسير ٢٠٤/١.

\* ينظر مثلاً : المائدة/١٢، ٤٥.

\*\* ينظر : المعجم المفهرس ٦٠٥ وما بعدها.

(٢) ينظر في مادة (قعد): مختار الصحاح ٥٤٤، ولسان العرب ١٤٨/١٢، والقاموس المحيط ٤١/٢، والمزهر ٤٠٤/١.

(٣) ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ٢٩٤.

(٤) ينظر في مادة (خشع) : مقاييس اللغة ١٨٢/٢، ومختار الصحاح ١٧٦.

في القرآن بالمعاني كلها إلا أن الخشوع إذا ذكر لا يتوجه الذهن إلا معناه الإسلامي<sup>(١)</sup> قال تعالى : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الاسراء/١٠٩].

وغير ذلك من الألفاظ كـ (الجبث، السحت، والطاغوت، الضلال، السحت، الفسوق.. الخ).

وقد عني علماء العربية بالألفاظ الإسلامية وألفوا فيها تأليفاً منفرداً، فيعد كتاب "الزينة في الكلمات الإسلامية" لأبي حاتم الرازي (ت ٣٢٢هـ) وهو كتاب في دراسة تطور الألفاظ وبيان أصولها اللغوية وصلتها بدلالاتها الشرعية وما طرأ على دلالتها من تبدل بظهور الإسلام كذلك عني بها المحدثون كدراسة الباحث خليل أبو عودة خليل الموسومة بـ "التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن"، فذكر فيها كثيراً من الألفاظ التي اكتسبت في الإسلام دلالة خاصة.

ب- **تعميم الدلالة** : وهو من مظاهر التغير الدلالي يقوم على ((توسيع معنى لفظ ومفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أعم وأشمل))<sup>(٢)</sup>، ويعني توسيع الكلمة أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو يصبح مجالها الدلالي أوسع، ولها المرونة في الإحاطة بأكثر عدد من الجزئيات والتفاصيل للمعنى فتتسع المتكلم في مختلف المواقف<sup>(٣)</sup>. وهذا عكس ما فسر به تضيق المعنى، فكلما قلت الملامح التمييزية لشيء معين زاد عدد أفرادها ، فالعلاقة بين اللفظ وبين ملامحه التمييزية علاقة عكسية.

ومثلما عقد السيوطي فصلاً لتخصيص الدلالة في كتابه "المزهر" ، عقد فصلاً آخرًا لتعميمها، وهذا الضرب الأخير من الدلالة سمّاه "فيما وُضِعَ في الأصل خاصاً ثم استعمل عاماً"<sup>(٤)</sup>.

أشار كثير من المحدثين إلى قلة هذا النوع من التغير في اللغة، قال الدكتور إبراهيم أنيس : ((إن تعميم الدلالات أقل شيوعاً في اللغات من تخصيصها، وأقل أثراً في تطور الدلالات وتغيرها))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ٢٠١.

(٢) فقه اللغة وخصائص العربية ٢١٨.

(٣) ينظر : علم الدلالة، أحمد مختار عمر ٢٤٣-٢٤٩، وعلم اللغة، السعران ٣٠٩.

(٤) ينظر : المزهر ٤٢٩/١-٤٣٢.

وما تعارف عليه الناس قد يكون طريقةً أخرى من طرائق تعميم الدلالة، وهو عندما تكون للفظه ما دلالة معينة في أصل الوضع اللغوي، ومع مرور الزمن على تلك اللفظة تصبح لها دلالة عامة غير محددة نتيجة تعارف الناس عليها منها لفظ (الذرية) في قوله تعالى : ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس/٨٣].

يقول "الراغب" : ((والذرية أصلها : الصغار من الأولاد، وإن كان قد يقع على الصغار والكبار معاً في التعارف))<sup>(١)</sup>. وبالفعل لقد مضى على لفظه (الذرية) الزمن الطويل والتي كانت تعني الصغار من الأولاد، وها نحن اليوم نطلق لفظه (الذرية) على الصغار والكبار معاً من الأولاد من كلا الجنسين.

ولفظ (الحبل) كما في قوله تعالى : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَنْ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ..﴾ [آل عمران/١١٢].

يقول "الراغب" : ((الحبل معروف.. وشبه به من حيث الهيئة حبل الوريد وحبل العاتق، والحبل : المستطيل من الرمل، واستعير للوصل ولكل ما يتوصل به إلى شيء قال ﷺ : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾\* فجعله هو الذي معه التوصل به وإليه من القرآن والعقل وغير ذلك مما إذا اعتصمت به أذاك إلى جواره. ويقال للعهد حبل...))<sup>(٢)</sup>.

ومما لا شك فيه أن هناك من الألفاظ ما تستعمل بعموميتها لتنتقل ما في مجموعها من معانٍ ودلالات إلى السامع كما في لفظه (بأس) جاء في معاجم اللغة أن البأس : العذابُ والشدةُ في الحرب أو الخوف مع الشدة، وعن "ابن الاعرابي" (ت ٢٣١هـ) : البأس : العذاب الشديد، والبأس : الحرب وشدة القتال، ولكثرة الاستعمال قيل : (لا بأس عليك) أي : لا خوف عليك. وهذا يدل على أن المعنى انتقل من الخصوص إلى العموم أي : من معنى شدة الحرب، وهو معنى خاص إلى معنى كل شدة وخوف وهو معنى عام ويشمل شدة المرض ونحو ذلك.

(١) دلالة الألفاظ ١٥٤، وينظر : التصور اللغوي عند الأصوليين ٩٦.

(٢) المفردات ٢٥٩، وينظر الفروق اللغوية ٢٣٤، ولسان العرب ٧٠٠/٥.

\* ينظر آل عمران/١٠٣.

(٢) المفردات ١٥٣.

ويُلاحظ أيضاً انتقالاً من المسبب إلى النتيجة فالشدة مما تؤدي إلى الخوف، وقيل أيضاً أنه بمعنى الشجاعة<sup>(١)</sup>، فتكون الدلالة هنا أخذت معنى التضاد، فهو يدل على الخوف والشدة ويدل على الشجاعة والجأش والشدة أحياناً مصحوبة بالخوف والضعف وأحياناً مصحوبة بالشجاعة والقوة كقوله تعالى : ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> [الأعراف/١٦٥] ، وقوله : ﴿بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ..﴾ [الحشر/١٤] ، والافتتاح بـ (بأسهم) للاهتمام بالإخبار عنه وبأن مجاله في محيطهم ومتسلط من بعضهم على بعض ووصف ، بالشديد للمبالغة في إثبات الشدة لبأسهم<sup>(٣)</sup>.

ويمكن عدّ الأمثال القرآنية نوعاً من التوسع في المعنى فهي تبدأ نتيجة حدث معين، ثم أخذت تذكر من ما يقارب من معناها أو في حال مشابه للحدث الذي قيلت فيه كقوله تعالى : ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر/١٤] . وكقوله : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً..﴾ [الجمعة/٥] ، وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً..﴾ [البقرة/٧٤] .

ج- تغير مجال الدلالة : هو تحويل دلالة اللفظ من مجال إلى آخر على غير وجه الخصوص أو العموم<sup>(٤)</sup>، وهذا النوع يختلف عن سابقه بأن ((اللفظ يتخذ سبيلاً يجتاز فيه مابين نقطة تداوله ومعناه الأول إلى نقطة أخرى يجري استعماله فيها، ولا يشترط التقفية إليه على آثار المرحلة الأولى، بل يقوم احتمال تعايش الداليتين إلى جانب احتمال طغيان الدلالة المتطورة عن سابقها))<sup>(٥)</sup>.

يُحدّد "فندريس" تغيير مجال الدلالة بقوله : ((يكون الانتقال عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص، كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال أو من المسبب إلى السبب أو من العلامة الدالة إلى

(١) ينظر : في مادة (بأس) تهذيب اللغة ١٣/١٠٦، ومقاييس اللغة ١/٣٢٨ ونزهة الأعيان النواظر ١٨٤-١٨٥ ومختار الصحاح ٣٨-٣٩ ولسان العرب ١/٣١٧-٣١٨.

(٢) ينظر : مجاز القرآن ١/٢٣١، والجامع لأحكام القرآن ٧/١٩٦، والبحر المحيط ٥/٢٠٨.

(٣) ينظر : الكشف ٤/٨٥، والتحرير والتنوير ٢٨/١٠٥-١٠٦.

(٤) ينظر : دلالة الألفاظ ١٦٠، وعلم الدلالة أحمد مختار عمر ٢٤٧، ودور الكلمة في اللغة ١٦٦.

(٥) علم الدلالة العربي فايز الداية ٣١٤-٣١٥.

الشيء المدلول عليه.. الخ، أو العكس .. وانتقال المعنى يتضمن طرائق شتى يطلق عليها النحاة أسماء اصطلاحية : الاستعارة ، إطلاق البعض على الكل، المجاز المرسل بوجه عام، المجاز المرسل بعلاقة الشبه أو غيره..<sup>(١)</sup>.

وقد تناول علماء العربية تحول الدلالة من حالة إلى أخرى من نواحي لغوية ودلالية تساعد في توضيح المفردة في سياقات مختلفة من شأنها إحداث ذلك التغيير في المعنى الأولي إلى معنى إضافي أو ثانوي أكثر فائدة في الاستعمال من المعنى الأولي، وإن كان يستند إليه في أداء المعنى الجديد، وأشار العلماء إلى أن المجاز في الاستعمال يكون أبلغ في تأدية المعاني من استعمال الحقائق<sup>(٢)</sup>.

إن الانتقال من الدلالة الأصلية إلى الدلالة المجازية يتم بطرائق دلالية متعددة كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل، وأهمها فاعلية في التعبير الدلالي أسلوبا الاستعارة والمجاز المرسل، وهما قسما المجاز اللغوي الذي يتم فيه نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معانٍ آخر بينها صلة ومناسبة، حيث تكون في الاستعارة صلة المشابهة، وفي المجاز المرسل صلة ملابسة وعلاقات أخرى من غير المشابهة مثل السببية، والجزئية، والكلية، والحالية، والمحلية والمجاورة وغير ذلك<sup>(٣)</sup>.

وللمجاز اللغوي أهمية بالغة تكمن في كونه وسيلة مهمة من وسائل التوسّع اللغوي، إذ يُثري اللغة، ويسدّ أوجه النقص في الألفاظ والتراكيب المحدودة، فتتجد المعاني والألفاظ وتبتعد عن الخمول والرتابة<sup>(٤)</sup>، وهذا ناتج من المواضع التي تمثل تشكلاً دائماً ومستمرّاً للغة، لذا يعدّ المجاز المحرك للطاقة التعبيرية في اللغة؛ إذ تنتقل من التصريح إلى الإيحاء، وهو أحد طاقات الحركة الذاتية لها؛ لأنه يهيئ الألفاظ لاستيعاب المدلولات الجديدة من دون الحاجة إلى استحداث ألفاظ جديدة لها، وبذلك يكون المجاز بمثابة جسرٍ تعبر عليه الألفاظ بين الحقول الدلالية المتعددة<sup>(٥)</sup>.

(١) اللغة ٢٥٦.

(٢) ينظر : المثل السائر ١٠٦/١-١٠٧، والبرهان في علوم القرآن ٤٨٩/٣.

(٣) ينظر : علم البيان، عبدالعزيز عتيق ١٤٣-١٦٥، والأضداد في اللغة ٦٧.

(٤) ينظر : عوامل التطور اللغوي، أحمد عبدالرحمن ٥٧.

(٥) ينظر : قاموس اللسانيات، عبدالسلام المسدي ٤٤.

ولم يكن هذا النوع من التغير خافياً عن العرب؛ لأنهم منذ عصر ما قبل الإسلام على دراية بأن اللفظ الواحد ينتقل بين معنيين مختلفين ، وذلك حين يُصرف اللفظ عن أصله وينتقل معناه، كما أنهم على دراية بأن هذا النقل لا يحدث ما لم تتوفر جملة من العلاقات بين المنقول والمنقول إليه<sup>(١)</sup>.

**يسلك هذا الشكل من التطور الدلالي طريقين بارزين هما :**

**أحدهما : الاستعارة :** يتم هذا التطور عن طريق انتقال مجال الدلالة لعلاقة المشابهة بين المعنيين<sup>(٢)</sup>، أي : إن حلقة الوصل بينهما قائمة على المشابهة؛ لأن نقل اللفظ (الدال) من مجال إلى آخر إنما يستند إلى مسوغات الشبه الكلي أو الوظيفي بين المجالين، أو بين الجزأين الماديين الذي يتحرك اللفظ بينهما<sup>(٣)</sup>.

ومن الشواهد على ذلك في آيات الصفات قوله تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ **وَالْمَسْكَنَةُ** ﴾ [البقرة/٦١]. ذكر "الراغب" أن الضرب إيقاع شيء على شيء، ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها، كضرب الشيء باليد والعصا والسيف ونحو ذلك تشبيهاً بضرب المطرقة، ومنه ضرب الخيمة بضرب أوتادها بالمطرقة، وفي الآية الكريمة شبهت الذلة والمسكنة بالخيمة المضروبة على اليهود، فهذه استعارة والمراد بها لشمول الذلة لهم، وإحاطة المسكنة بهم كالخباء المضروب على أهل<sup>(٤)</sup>، فحذف المشبه (الخيمة مثلاً) به وأشار إليه بلازمة من لوازمة وهي (الضرب)، ويلحظ الأمر النفسي المخزون في المفردة المستعارة، فالذلة، والمسكنة مشاعر وهي من المعنويات فجسمها التعبير القرآني ، واستعارة فعل الضرب لهما يوحي بظهور ذلك للعيان بشكل واضح<sup>(٥)</sup>. واضح<sup>(٥)</sup>. ومن ذلك استعارة لفظ (الاطفاء) للإبطال والتكذيب كقوله تعالى : ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ** ﴾ [التوبة/٣٢]، فقد حاولوا إبطال الإسلام أو

(١) ينظر : المجاز في البلاغة العربية ٢٠٩-٢١٥، وأساليب المجاز في القرآن الكريم ٩١ وما بعدها.

(٢) ينظر : الطراز ٣/٣٣٤، والتعريفات ٢٤، والترادف في اللغة ٢٤.

(٣) ينظر : علم الدلالة والمعجم العربي ٨٢، ودور الكلمة في اللغة ١٦٨.

(٤) ينظر : المفردات ٢٠١، وتلخيص البيان في مجازات القرآن ٣٢. وجماليات المفردة القرآنية ١٠٥.

(٥) ينظر : أساليب المجاز في القرآن الكريم ٢٤٤-٢٤٥.

ينظر : المائدة ٦٤، والصف ٨.

القرآن الكريم وتكذيبهما، فاستعير لهذه الدلالة لفظ (الاطفاء) المناسب للنور، وهذا أبلغ في الدلالة وأقوى في المشاهدة المحسوسة بالاطفاء من المعرفة المعقولة بالتكذيب أو الإبطال بالقول، ولا يخفى التجوز أيضاً بلفظ النور عن القرآن أو الإسلام؛ فهو سرعة المرضي الذي به تكون الهداية<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك لفظ (النقض) من نقض البناء والحبل والعقد، وهو ضد الإبرام وهو حل تركيب الشيء والرجوع به إلى الحالة الأولى، ومنه استعير لنقض العهد والتخلي عنه<sup>(٢)</sup> قال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال/٥٦].

ولفظ (الخوض) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام/٩١]، والخوض هو المشي في الماء أو الطين، ثم استعير مجازاً للخوض في الكلام الباطل والكذب<sup>(٣)</sup>، والاستعارة أبلغ لإخراجه إلى ماتع عليه المشاهدة من الملاعبة؛ لأنه لا تظهر ملاعبة الأمور المعنوية لهم كما تظهر ملاعبة الماء لهم<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك لفظ (الشراء) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا..﴾ [آل عمران/٧٧]. فقد استعير (الشراء) للاستبدال، أو الاختيار إذ إن حقيقة الشراء هو مبادلة منفعة بمنفعة أخرى، فاستعير هنا من تحريف اليهود وكذبهم من الإيمان بالرسول ﷺ<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك التجوز بلفظ (العمى) عن الكفر والضلال وعدم التبصر والاستدلال كقوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة/٧١]. فالمراد بقوله (عموا) في

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٧٧/٨، ١٢١، وأساليب المجاز في القرآن الكريم ٢٢٩-٢٣٠.  
(٢) ينظر في مادة (نقض): أساس البلاغة ٨٧٣، ومقاييس اللغة ٤٧٠/٥-٤٧١، والمفردات ٧٦٨-٧٦٩، ومختار الصحاح ٦٧٦، ولسان العرب ٣٣٩/١٤، والمصباح المنير ١٢١/٢.  
(٣) ينظر في مادة (خوض)، أساس البلاغة ٢٤٢، ومقاييس اللغة ٢٢٩/٢، والمفردات ٢٢٨-٢٢٩، ومختار الصحاح ١٩٢، ولسان العرب ١٧٨/٥-١٧٩، والمصباح المنير ١٨٣/١-١٨٤.  
(٤) ينظر: النكت في إعجاز القرآن ٨٤، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ١٣٣، والبرهان في علوم القرآن ٤٤٣/٣، والإتقان في علوم القرآن، وأساليب المجاز في القرآن الكريم ٢٤٦.  
(٥) ينظر: البحر المحيط ٢٢٦/٣، وصفوة التفسير ٢١٣/١.

الموضعين : العمى عن الهدى والحق الذي جاءهم به الرسل وكذلك عن الحق الذي جاءهم به محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك التجوز في لفظ (النَّبَذ) عن ترك الامتثال كما في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾\* [البقرة/١٠١] وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران/١٨٧].

و "النَّبَذ" في الأصل إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به<sup>(٢)</sup>. وكأنه لا يرمى إلا الشيء الذي لا يبالي به، استعمل التعبير القرآني الفعل (نبذ) تجوزاً على سبيل الاستعارة بإلقاء ما حملوا من التكليف عن أنفسهم بترك الامتثال لما أمروا به. والجامع بين الطرفين الإعراض عما ألزموا به، وهذا من استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلي<sup>(٣)</sup>.

وقد جرت كلمة (نبذ وراء ظهره) مجرى المثل في ترك الشيء وعدم المبالاة به والاهتمام بشأنه، كما يقال في مقابل ذلك (جعل له نصب عينيه) ، أي : اهتم به أشد الاهتمام بحيث يراه في كل وقت<sup>(٤)</sup>.

وغير ذلك من الألفاظ التي انتقل مجال دلالتها عن طريق الاستعارة.

الآخر : المجاز المرسل : ويتم هذا الشكل من التطور عن طريق انتقال مجال الدلالة لعلاقة غير المشابهة بين معنيين<sup>(٥)</sup>. أي : إن حلقة الوصل بينهما تكون من نوع آخر غير المشابهة، وهو ما يطلق عليه بعلاقات المجاز المرسل ، يقول "ابن قتيبة" (ت ٢٧٦هـ) : ((والعرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له، أو كان منه بسبب))<sup>(٦)</sup>. وهذه العلاقات كلها اجتهادية تقوم على غرض المتكلم<sup>(٧)</sup>.

(١) جامع البيان ٢٤٨/٦، وتفسير الجلالين ١٥١.

\* ينظر : آل عمران ١٨٧.

(٢) ينظر في مادة (نبذ) : أساس البلاغة ٨٢٣ ومقاييس اللغة ٣٨٠/٥، والمفردات ٧٣١-٧٣٢ ، ولسان العرب ١٧٤/١٤ والقاموس المحيط ٣٥٩/١.

(٣) ينظر : الطراز ٣٣٨/٣، وأساليب المجاز في القرآن الكريم ٣٤٤.

(٤) ينظر : تفسير المنار ٢٨١/٤.

(٥) ينظر : دور الكلمة في اللغة ١٧٣.

(٦) أدب الكاتب ٢٧، وينظر : الصاحبي ١١٠، والأضداد في اللغة ٦٧.

من ذلك التعبير بالمسبب عن السبب، كالتعبير بلفظ "الإثم" عن سببه كقوله تعالى: ﴿وَيَتَنَاجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾\* [المجادلة/٨] أي : متلبسين بالإثم، وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم ولا يكون إلا عن عمد، وقيل هو ما تنفر عنه النفس ولا يطمئن إليه القلب<sup>(٢)</sup>. فالإثم لا يتناجى به وإنما يتناجى به القول الذي به يكون الناس آثمين تعبيراً بالمسبب عن سببه<sup>(٣)</sup>.

ومنه إطلاق لفظ (الأكل) على الأخذ كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾\*\* [التوبة/٣٤]. معناه : يأخذون<sup>(٤)</sup>، وعبر بالأكل عنه؛ لأنه مسبب عنه والتعبير بالأكل عنه أخصر في الإشارة إلى الغرض المقصود من الأخذ وأوجز وأبلغ، ولأن الأشهر في صرف الأموال يكون لغرض الأكل<sup>(٥)</sup>، يقول "الرازي" (ت ٦٠٦) معللاً استعمال الأكل دون الأخذ؛ لأن ((مَنْ أَكَلَ شَيْئًا فَقَدْ ضَمَّهُ إِلَى نَفْسِهِ وَمَنْعَهُ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى غَيْرِهِ، فَلَمَّا حَصَلَتِ الْمِثَابَةُ بَيْنَ الْأَكْلِ وَبَيْنَ الْأَخْذِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ سُمِّيَ الْأَخْذُ أَكْلًا))<sup>(٦)</sup> وفي ذلك دلالة على شدة الجشع والطمع.

أو التعبير بالسبب عن المسبب من ذلك قوله تعالى : ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ..﴾[آل عمران/١١٨]، تجوز بالسبب وهو (البغضاء)، عن المسبب وهو (إماراتها ودلالاتها)<sup>(٧)</sup>؛ لأنَّ البغضاء مشاعر وهي أمور معنوية وإنما يظهر أثرها على الوجوه فتعبس وتكفهر فهذه المشاعر قد أصبحت بينة في حد ذاتها مع اجتهادهم في

(١) ينظر : المجاز وأثره في الدرس اللغوي ٦٩.

وينظر : البقرة/٨٥.

(٢) ينظر : في مادة (اثم) : العين ٢٥٠/٨، ومختار الصحاح ٦، ولسان العرب ٥٦/١ وعمدة الحفاظ ٦٢-٦١ والتعريفات ١٧، والقاموس المحيط ٧٢/٤-٧٣، وإرشاد العقل السليم ١٥٩/١.

(٣) ينظر : أساليب المجاز في القرآن الكريم ٣٣٦-٣٣٧.

\*\* ينظر : النساء /١٦١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠١/٣، وتفسير الجلالين ٢٤٥.

(٥) ينظر : فقه اللغة وسر العربية ٤٠٥، والجامع لأحكام القرآن ٧٩/٨، وأساليب المجاز في القرآن الكريم ٣٣٠-٣٣١.

(٦) التفسير الكبير ٣٥/١٦.

(٧) ينظر : الإشارة إلى الإيجاز ٥٤، والكشاف ٤٥٨/١، والجامع لأحكام القرآن ١١٦/٤، وأساليب المجاز في القرآن الكريم ٣١٩.

إخفائها؛ لأنَّ الإنسان إذا امتلأ من شيء غلبه، وخصَّ الأفواه بالذكر دون الألسنة إشارة إلى المبالغة في التشدُّق والترثرة.

وقد يكون التعبير بالمحلَّ عن الحال فيه كقوله تعالى : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران/١١٨]، بمعنى : وما تخفي قلوبهم أكبر<sup>(١)</sup>. فالإخفاء من صفات القلوب لا الصدور، فعبرَ بالمحلَّ (الصدر) عن الحال فيها (القلوب)؛ لأنه أدلُّ على الإخفاء لما في الصدر من صورة الوعاء المغلق من جميع الجهات<sup>(٢)</sup>.

ومثله قوله تعالى : ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ [الحشر/١٣]. والرهبة : الخوف الشديد<sup>(٣)</sup>. والخوف مكانه القلب لا الصدور، وإنما عبرَ بالصدر عن القلب مجازاً تعبيراً بالمحلَّ عن الحال فيه<sup>(٤)</sup>.

ومن علاقات المجاز المرسل التعبيرُ بالجزء عن الكل، كالتعبير عن الصلاة بالسجود؛ لأنَّ السجود جزء من واجبات الصلاة وليس كلَّ صفتها كقوله تعالى : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران/١١٣]، يعني : وهم يُصلُّون، فالسجود في هذا الموضع اسم للصلاة لا للسجود؛ لأنَّ التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع، وإنما ذكرت الصلاة بالسجود؛ لأنَّ السجود نهاية ما فيها من التواضع والخشوع والتضرُّع<sup>(٥)</sup>؛ ولأنَّ التلاوة منهي عنها في السجود الحقيقي فلا يصحُّ المدح بما بما نهى عنه؛ ولأنَّ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر : الإشارة إلى الإيجاز ٨٢.

(٢) ينظر : أساليب المجاز في القرآن الكريم ٣٥٥.

(٣) ينظر في مادة (رهب) الفروق اللغوية ٢٣٧، الصحاح ١٤٠/١ والنهاية في غريب الحديث والأثر ٨١/٢، ولسان العرب ٢٤٠/٦ وعمدة الحفاظ ١١٥/٢.

(٤) ينظر : أساليب المجاز ٣٥٩.

(٥) ينظر : معاني القرآن ، الفراء ٢٣١/١، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٥٩/١، ومشكل إعراب القرآن ١٧٠، وتفسير الجلالين ٨٠، وصفوة التفسير ٢٢٤/١.

(٦) ينظر : الإشارة إلى الإيجاز ٦٦، وأساليب المجاز في القرآن الكريم ٢٨٧.

## المبحث الثاني

### العلاقات الدلالية بين الألفاظ

ثمة مميزات وخصائص تمتاز بها العربية عما سواها من اللغات الحية، وذلك أن ألفاظها لها القابلية على التنوع في قوالب فكرية متعددة تبعاً للاستعمال الذي تتساق إليه، ومما لاشك فيه أن هذه القابلية للألفاظ آلت إلى محصول لغوي كبير فاق اللغات الأخرى فكان سبباً من أسباب اتساع العربية في التعبير.

فاللغة العربية بطبيعتها لغة مرنة غنية بمعانيها قادرة على التعبير بأكثر من دلالة والبيان بأكثر من وجه، وهذه المرونة جعلتها أقدر اللغات توليداً للمعاني، ومن أوسعها وأغناها بكثرة الألفاظ، فهي لا تجمد على حال؛ لأنها لغة حية تحيا بحياة أفرادها، وتتطور دلالات ألفاظها شأن غيرها من اللغات الحية، فادى ذلك إلى تعدد أوجه العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها فنتج عنه ظواهر لغوية دلالية تمثلت بالترادف، والاشتراك والتضاد والتقابل الدلالي..

وقد أثارت هذه الظواهر لدى علمائنا القدماء نشاطاً لغوياً واسعاً رصدوا فيه تلك الظواهر التي كانت موضع خلاف كبير بينهم، وما قدموه في عرضها ومعالجتها يعد خطوة في العمل الدلالي؛ لأن هذه الظواهر دلالية بحتة؛ لأنها تبحث في دلالة الألفاظ وعلاقتها بالمعاني، فمعنى الكلمة من الأمور المهمة المتعلقة بعلم الدلالة. ويتم من خلال دراسة العلاقة الدلالية بين المفردات داخل المجال الدلالي الواحد، أو الموضوع الفرعي<sup>(١)</sup>.

والعلاقات الدلالية بين الألفاظ أنواع، فهي تختلف من استعمال إلى آخر بحسب أنواع الألفاظ ومعانيها التي يقصدها المرسل وبحسب حال المتلقي وفهمه، يرى "جون لاينز" : ((أن العلاقات القائمة بين الألفاظ في النص، هي عبارة عن شبكة واسعة

(١) ينظر : المجالات الدلالية في القرآن الكريم، زين كامل الخويسكي ١٥.

معقدة من علاقات المعنى<sup>(١)</sup>، وأقرب تشبيه لها نسيج العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد يمثل كل خيط فيه إحدى هذه العلاقات وتمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة وهي معا تسمى التركيب اللغوي<sup>(٢)</sup>.

وأبرز هذه العلاقات في سياق آيات الصفات هي :

### أولاً : الترادف

الترادف لغة : التتابع ، والرَدْف : ما تبع الشيء، وكل شيء يتبع شيئاً فهو روفه فترادف الشيء : تبع بعضه بعضاً<sup>(٣)</sup>.

أما في الاصطلاح : فهو ((دلالة عدة كلمات مختلفة ومتفردة على المسمى الواحد أو المعنى الواحد، دلالة واحدة))<sup>(٤)</sup>.

وقد أدرك علماءنا الأوائل هذه الظاهرة، ولكنهم لم يستعملوا مصطلحها المتعارف عليه، وإنما أشاروا إليها بعدة عبارات مثل : ((اختلاف اللفظين والمعنى واحد))<sup>(٥)</sup>، أو ((الأسماء المختلفة للشيء الواحد))<sup>(٦)</sup>.

والترادف ظاهرة لغوية شائعة في اللغة العربية التفت إليها علماء العربية منذ عهد مبكر واختلفوا فيها فهم بين منكر لها ومثبت، وظل الخلاف قائماً إلى العصر الحديث<sup>(٧)</sup>. انقسم علماء العربية القدماء في نظرهم إلى الترادف على قسمين : أحدهما : القائلون بإثبات وقوعه في اللغة، وأنه من ظواهرها التي لا يمكن إنكارها، مستنديين في ذلك لمجموعة من الأدلة النقلية والعقلية، ومن أشهرهم سيبويه، وقطرب (ت بعد ٢٠٦هـ) والأصمعي (ت ٢١٦هـ) وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)

(١) علم الدلالة، جون لاينز ٣.

(٢) ينظر : اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز ٨٣.

(٣) ينظر في مادة (رف) : مقاييس اللغة ٥٠٣/٢، ولسان العرب ١٣٦/٦، وتاج العروس ١١٤/٦ - ١١٥.

(٤) التعريفات ٥٠، وينظر : كشاف اصطلاحات الفنون ٥٧٨/١.

(٥) الكتاب ٢٤/١، وما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، المبرد ٢.

(٦) الصاحبى ١١٤.

(٧) ينظر : في اللهجات العربية ٣٧٤، وعلم الدلالة، أحمد مختار عمر ٢١٦-٢٢٠، والترادف في اللغة ٢١٣، ١٩٥-٢١٦، وظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن، طالب الزوبعي ٥-٧.

وابن السكيت (ت ٢٤٤هـ) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) والرماني (ت ٣٨٤هـ)، وابن جني<sup>(١)</sup>، وابن سيده (٤٥٨)<sup>(٢)</sup>، والسيوطي (٩١١هـ) الذي جمع آراء سابقيه في الترادف<sup>(٣)</sup>. وقد بالغ بعض المثبتين فأطلقوا الترادف وجمعوا للشيء الواحد أسماً كثيرةً تبليغ العشرات كما فعل "ابن خالويه" (ت ٣٧٠هـ) الذي ذكر أنه يحفظ للسيف خمسين اسماً<sup>(٤)</sup>.

ولكثرة الألفاظ التي وصفت بالترادف، فقد ظهرت طائفة من علماء الأصول عُنيت بهذا الجانب ووضعت شروطاً تقيّد هذه المترادفات، وتحدّد من كثرتها، فقد عرف "فخر الدين الرازي" الألفاظ المترادفة بأنها : ((الألفاظ الدالة على شيء واحد باعتبار واحد))<sup>(٥)</sup>، واحتج لذلك بأسماء السيف، فالمهند والحسام واليماني ليست مرادفات للفظ السيف، وإنما هي صفات له؛ لأنها لا تدلّ على السيف باعتبارين، فالسيف دلّ على ذات الآلة المعروفة، والمهند والحسام واليماني تدلّ على صفات تلك الآلة، وهو ما أقرّه قبله "أبو علي الفارسي" وقصته مع "ابن خالويه" مشهورة<sup>(٦)</sup>.

وبالمقابل فإنّ "الرازي" لا ينكرُ ترادف الألفاظ الدالة على ذات واحدة كالقمح والبر والحنطة.

الآخر : القائلون بإنكار الترادف، وإنه لا بدّ من وجود فرق بين اللفظة وما قاربها من ألفاظ في المعنى، فجعلوا لكل لفظٍ من الألفاظ التي تطلق على شيء واحد دلالةً خاصةً تميزه من غيره، فقد شاع في الكتب القديمة أنّ ابن "الاعرابي" من أوائل الذين ذهبوا هذا المذهب<sup>(٧)</sup>، وتابعه في ذلك تلميذه "ثعلب" (ت ٢٩١هـ) و "ابن فارس"<sup>(٨)</sup>. وكان هؤلاء موضع نقدٍ في رأيهم هذا؛ لأنه إنكار لظاهرة شائعة في العربية لا وجه لإنكارها، غير

(١) ينظر : الخصائص ١١٣/٢-١١٥.

(٢) ينظر : المخصص، المجلد (١) السفر ٧٤/٢، ١٣١.

(٣) ينظر : المزهر ٤٠٢/١-٤٠٧.

(٤) ينظر : المزهر ٤٠٧/١-٤٠٨.

(٥) المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين الرازي ٢٢٨/١ وينظر : المزهر ٤٠٢/١.

(٦) ينظر : المزهر ٤٠٥/١.

(٧) ينظر : نفسه ٣٩٩/١-٤٠٠.

(٨) ينظر : نفسه ٤٠٣/١.

أن طائفة من المحدثين<sup>(١)</sup> حاولوا التأكد من صحة هذه المزاعم أو عدمها، فوقفوا عند نصوص لغوية لهؤلاء العلماء والتدقيق في صحة نسبتها إليهم مثبتين إقرارهم باتفاق مجموعة من ألفاظ العربية في المعنى، بمعنى أنهم لم ينكروا الترادف إنكاراً تاماً، لذا لا يجوز الاعتماد على نصوص مجتزأة للحكم على ظاهرة لغوية شائعة من غير تدقيق، فلا بد من نظرة علمية تكون أكثر عمقاً وشمولاً وأدق استيعاباً لحقائق الأمور.

ويُعد أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) من أكثر المتشددین في إنكار الترادف التام بين الألفاظ مؤكداً أن بين الألفاظ التي ظن الناس ترادفها فروقاً دلالية، ولو ضئيلة، ويتضح رأيه هذا في كتابيه "الفروق اللغوية" و "التلخيص في معرفة أسماء الأشياء"، وكلاهما يقوم على فكرة عدم وجود لفظين بمعنى واحد.

يمثل علم الفروق الدلالية وجهاً من وجوه الدلالة التي توضّح علاقة الكلمة بمعناها، وهذا من سمات العربية التي تدل على ثرائها وحيويتها التي أدركها العرب بصفاء سلائقهم اللغوية، فاللغة العربية لا تُقدم كلمة أخرى في المعنى نفسه إلا إذا حصل تغير وظيفي، وإن كان قليلاً في المعنى المطلوب، وعناية علماء العربية بذلك محاولة لوضع أسس علمية لعملية الموازنة، فبذلوا جهوداً كبيرة واستعانوا بوسائل عدة لإثبات أن المعاني تختلف باختلاف الألفاظ، وذلك بالرجوع إلى أصولها اللغوية، وتأمل اشتقاقاتها المختلفة والنظر في سياقاتها المتعددة، وما بين كل ذلك من فوارق دلالية جزئية هو عمل دلالي بحت يؤكد أن اللغة العربية تتميز بالتخصص والتفريق أكثر من غيرها من اللغات الأخرى<sup>(٢)</sup>.

يبدو أن ثمة صلة وثيقة بين الترادف والفروق الدلالية، فالكلمات المتتابعة على معنى واحد لا يمكن أن تتولد من غير ميزة للمعنى الجديد، فيكون الترادف بينها تقارباً أو اشتراكاً في المعنى العام، فالكلمة المرادفة هي أقرب الكلمات من حيث اشتراك المعنى في بعض أجزائه.

أما الترادف بمعنى التطابق التام (التمائل) فهو أمر صعب التحقيق ويكون بين الذوات ولا يكون في غيرها، أي: يكون في الأمور الحسية كالسكين والمدينة، والقمح

(١) ينظر: الترادف في اللغة ٢٠٩-٢٢١، وفقه اللغة العربية ١٦٩-١٧٠، وأبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ٢٣٧.

(٢) ينظر: الترادف في اللغة ٢٢٢ وما بعدها.

والبر والحنطة فكلها أسماء لشيء واحد، لا فروق دلالية بينها وهذا ما بينه "أبو هلال العسكري" بقوله : ((إن المثلين ما تكافأ في الذات))<sup>(١)</sup> وقد حاول أحد الباحثين المحدثين<sup>(٢)</sup>، الربط بين ظاهرة الترادف والفروق الدلالية، وعدّ الوقوف عند الفروق الدلالية تصريحاً بنفي الترادف، وكذلك وصف كل من يفرق بين الألفاظ دلاليّاً من القدماء والمحدثين بأنه منكر للترادف، وهذا رأي ليس سليماً في الواقع؛ لأن ظاهرة التفريق الدلالي أقرها القدماء والمحدثون، والمعجمات اللغوية ومعجمات المعاني، فضلاً عن أن أغلب علماء العربية الذين أثبتوا الترادف قد وقفوا عند الفروق الدلالية وألفوا فيها، منهم "الرماني" الذي يعد أقدم من صرح بمصطلح الترادف في كتابه (الألفاظ المترادفة)<sup>(٣)</sup>، هو نفسه صاحب الرسالة النفسية (النكت في إعجاز القرآن)<sup>(٤)</sup> التي ذكر فيها أن المعنى هو المقدّم في وجود الفاصلة القرآنية وأنه لا يمكن أن تحل لفظة محل أختها في تأدية المعنى بكل دقة.

كما إن "السيوطي" الذي جمع آراء سابقيه في إثبات الترادف هو نفسه صاحب كتاب (معترك الأقران في إعجاز القرآن)<sup>(٥)</sup> ذلك السفر الجليل الذي ذكر فيه الفرق بين الفعل والعمل وبين الخشية والخوف وغير ذلك من الألفاظ التي بينها فروق دلالية في سياق القرآن.

وفي ضوء ما تقدّم لا يمكن لنا أن نقول بتناقض ماذهب إليه هؤلاء العلماء، إذ إن منهجهم في الجمع بين هاتين الظاهرتين لا خلل فيه، بل هو منهج علمي موضوعي ينظر إلى الحقائق اللغوية بحسبانها ظواهر طبيعية لا يمكن إنكارها. وهذا هو ما كان عليه منهج طائفة من المحدثين أيضاً من أمثال الأستاذ "علي الجارم"، والدكتور "علي عبدالواحد وافي"، والدكتور "إبراهيم أنيس" الذين أقرّوا بوقوع الترادف من جهة وبوجود الفروق الدلالية من جهة أخرى<sup>(٦)</sup>.

(١) الفروق اللغوية ١٢٧.

(٢) أحمد ياسوف في كتابه : جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز القرآني ٥٨-٥٩.

(٣) ينظر : الألفاظ المترادفة، بعناية محمد محمود الرافعي.

(٤) ينظر : النكت في إعجاز القرآن ٨٩.

(٥) ينظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد عبدالرحيم ١٥٠/٢.

(٦) ينظر : تفصيل ذلك في : فقه اللغة العربية ١٩٦-٢٠١.

وأغلب المحدثين لا ينكرون الترادف، وإنما هم يقيدونه بقيود تحدُّ من إطلاقه<sup>(١)</sup>، لذلك فقد قسموه على ثلاثة أقسام هي :

١- الترادف التامّ أو المطلق، وذلك حين يتطابق اللفظان تمام المطابقة، ويجوز فيه تبادل السياق الواحد.

٢- شبه الترادف، وذلك حين يتقارب اللفظان تقارباً شديداً ويكون الفرق بينهما غير ملحوظ مثل عام وسنة وحول.

٣- التقارب الدلالي، وذلك حين تتقارب المعاني مع اختلاف كل منها عن الآخر بملح معين.

ولم يختلفوا في القسمين الآخرين، بل اختلفوا حول القسم الأول، بين مجوّز لوقوعه ومنكر لذلك، يقول "استيفن اولمان" : ((فالترادف التامّ، على الرغم من عدم استحالاته نادر الوقوع- إلى درجة كبيرة إذ سرعان ما يظهر بالتدرّج فروق معنوية بين الألفاظ المترادفة بحيث يصبح كل لفظ منها مناسباً وملائماً للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد))<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما قال به "جون لاينز" الذي اشترط المطابقة في الترادف التام، التي بفقدانها يكون الترادف جزئياً، وهو يفترق عن شبه الترادف في أنّ الأول يكون التقابل الدلالي فيه ملحوظاً على أنه في الثاني ضئيل جداً لا يكاد يدرك<sup>(٣)</sup>.

ويفهم من كلامهما أنهما يؤمنان بمبدأ النسبية في الترادف، الذي مفاده أنّ الكلمة إذا حلت محلّ غيرها في سياق، فهي لا تؤدي وظيفتها اللغوية والعقلية أداء تاماً، وإنما تؤدي معناها نسبياً، وكما هو معروف في ذهن الجماعة اللغوية التي تنطق بها<sup>(٤)</sup>.

وقال بمفهوم النسبية طائفة من المحدثين العرب أمثال الدكتورة "عائشة عبدالرحمن"<sup>(٥)</sup> والدكتور "محمود فهمي حجازي"<sup>(٦)</sup>، إذ أكدوا أنّ الألفاظ لا يمكن أن تتفق في ظلالها المعنوية، وأنّ دراسة الألفاظ في سياقاتها التركيبية تؤيد وجود فروق دلالية.

(١) ينظر : فقه اللغة، علي عبدالواحد وافي ١٦٣-١٦٨، ودراسات في فقه اللغة ٢٩٩-٣٠٠، وفصول في فقه العربية ٢٨٤-٢٨٥، وفقه اللغة العربية ١٨٦-١٩٣.

(٢) دور الكلمة في اللغة ٩٨.

(٣) ينظر : اللغة والمعنى والسياق ٥٤-٥٥.

(٤) ينظر : المجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة، علي زوين "بحث" ٨٠.

(٥) ينظر : الإعجاز البياني للقرآن ١٩٨-٢٢١.

(٦) ينظر : مدخل إلى علم اللغة ٧٩.

ونخلص من ذلك أن مذهب هؤلاء المحدثين عدم التسليم المطلق بكل الترادف الموجود في اللغة بل إثباته بين الأسماء الجامدة؛ لأن دلالتها ثابتة، أما في الألفاظ المعقولة فلا، إذ لابد من وجود زيادة في أحد المعنيين دون الآخر، وكثيراً ما يستعين بالمترادف لكشف الغموض وإزالة الإبهام عن المعنى الأول مثلاً، وذلك؛ لأن المترادف المستعان به أقرب معنى إلى ذهن المتلقي<sup>(١)</sup>.

والذي يذهب إليه البحث القول بشيوع الترادف النسبي وهو وجود تمايز دلالي بين الألفاظ التي تبدو مترادفة، أكثر من الترادف التام الذي لا ينكر وجوده من اللغة عامة، ومن القرآن خاصة وهو مذهب أكثر المحدثين<sup>(٢)</sup>. فالمتكلم إذا ما أراد أن يكون كلامه مؤثراً ويجد قبولاً لدى المخاطب، فإنه يختار من الألفاظ ما حسن لفظه وقوي معناه، إذ إن من الألفاظ ما تستلذ به النفوس وتطرب له الأذان، نقول إن بين أيدينا مصدراً اتفق العلماء على أنه المصدر الأول للدراسات اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية، فمن أجله قامت هذه العلوم، ومن أجله انطلق العلماء وشحذوا عقولهم، والسياق القرآني أفضل جانب تطبيقي يبين ظلال الفروق الدقيقة بين هذه ألفاظ المقول بترادفها.

والذي سيدرس في آيات الصفات هو الألفاظ المتقاربة في الدلالة وهي في مفهوم القدماء مترادفة، وشبه مترادفة في مفهوم المحدثين ونطلق عليها (النظائر)، والنظائر مفردتها النظر، وفي اللغة: التشبيه الذي يبدو للناظر أنه المثل<sup>(٣)</sup>.

فرق "أبو هلال العسكري" بين (المثل) و (النظر) بقوله: ((إن المثلين ما تكافأ في الذات...، والنظر ما قابل نظيره في جنس أفعاله.. ولا يقال النحوي مثل النحوي؛ لأن التماثل يكون حقيقة في أخص الأوصاف وهو الذات))<sup>(٤)</sup>.

وكان "علي بن عيسى الرمانى" يفرق بينهما، فالمثل عنده ما كان مثل مرادفه في المعنى، أما النظر فهو ما كان مقارباً وليس مثله، ومن الأمثلة التي ذكرها: الاستكبار،

(١) ينظر: دور الكلمة في اللغة ١٠٣-١٠٤.

(٢) ينظر في ذلك: فقه اللغة العربية ١٩١-٢٠٠.

(٣) ينظر: في مادة (نظر): أساس البلاغة ٨٥٩، ومختار الصحاح ٦٦٦-٦٦٧، ولسان العرب

١٤/٢٩١-٢٩٢، ومثن اللغة ٤٨٩/٥.

(٤) الفروق اللغوية ١٢٧.

والتكبر<sup>١</sup>، والتجبر وهي من النظائر<sup>(١)</sup>، وقد وردت هذه المفردات في آيات الصفات كما في قوله تعالى : ﴿ أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [البقرة/٨٧]، وقوله : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف/١٤٦]، وقوله : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا .. ﴾ [المائدة/٢٢].

ذكر اللغويون أن التكبر والاستكبار والتجبر بمعنى التعظم، إلا أن التكبر هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره وهو من ادواء النفوس، والاستكبار : طلب ذلك بالتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له. وهذا من الاستكبار المذموم، وتجبر الرجل إذا تعظم بالقهر، فهو أبلغ من التكبر؛ لأن التكبر لا يتضمن معنى القهر<sup>(٢)</sup>.

كذلك أطلق "الطوسي" لفظة نظائر على بعض الألفاظ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/٤٢]. فقال : ((اللبسُ والستر والتغطية، والتعمية نظائر))<sup>(٣)</sup>.

ومن الشواهد الأخرى التي جاءت دالة على صفات بني إسرائيل لفظيًا (المكر) و (الكيد) فقد ذهب المفسرين إلى عدم التفريق بينهما في السياق القرآني، فجعلوا يفسرون أحدهما بالآخر. ومن مراجعة السياقات التي وردت فيها هاتان اللفظتان يتضح لنا وجود فروق دقيقة تميز إحداهما من الأخرى.

بعد البحث في معنى كل من (الكيد) و (المكر) في كتب اللغة<sup>(٤)</sup>، وكتب التفسير وبعد تدبر الآيات التي تحدثت عنهما يمكن القول : إن الكيد : هو التدبير للغير بخير أو

(١) ينظر : الجامع لعلم القرآن، مخطوط، الجزء "١٢" معهد إحياء المخطوطات العربية - القاهرة ، نقلاً عن فقه اللغة العربية ١٧٦.

(٢) ينظر : في مادة (كبر) : الفروق اللغوية ٢٠٥-٢٠٦، والمفردات ٦٣٧ ولسان العرب ١٢/١٣ وعمدة الحفاظ ٣٠١/٢، والكلبيات ٢٨، والأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حنبله الميداني ٧١٨/١-٧١٩.

(٣) التبيان في تفسير القرآن ١٦٩/١.

(٤) ينظر : في مادة (كيد) و (مكر) : مقاييس اللغة ١٤٩/٥، ٣٤٥، والمفردات ٦٦٦، ٧١٥، ومختار الصحاح ٥٨٥، ٦٢٩، ولسان العرب ١٤١/١٣، ١١٠/١٤ وعمدة الحفاظ ٤٤١/٣-٢٤٢، ١١٩/٤، والتعريفات ١٥٢، ١٨١، والقاموس المحيط ٣٣٤/١، ١٣٦/٢.

شرٌّ مع ترتيب أحداث خارجية\* ، فإن كان بخيرٍ فلا بد أن يكون في الخفاء، وإن كان بشرٌ فلا يشترط من غير أن ينتبه المكيد به إلى ذلك.

أما المكر : فهو التدبيرُ للكيد بالآخرين بخير أو شرٍ في الخفاء، وبذلك يكون بين اللفظين عموم وخصوص ، فالكيد بشرٌ أعم من المكر به، إذ المكر بشر لا يكون إلا في الخفاء كما في قوله تعالى : ﴿وَمَكْرُوا مَكَرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [البقرة/٥٤]، أما الكيد بشرٌ فقد يكون في الخفاء وقد يكون ظاهراً ، من ذلك قوله تعالى : ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا..﴾ [يوسف/٥].

فرق "أبو هلال العسكري" بين (الكيد) و (المكر) فقال : ((إن المكر مثل الكيد في أنه لا يكون إلا مع تدبر وفكر إلا أن الكيد أقوى من المكر والشاهد أنه يتعدى بنفسه، والمكر يتعدى بحرف فيقال كاده يكيد ومكره ولا يقال مكره، والذي يتعدى بنفسه أقوى، والمكر أيضاً تقديرٌ ضرر الغير من غير أن يفعل به، ألا ترى أنه لو قال له أقدر أن أفعل بك كذا لم يكن ذلك مكرًا وإنما يكون مكرًا إذا لم يعلمه به، والكيد اسم لإيقاع المكروه بالغير فهراً سواء علم أولاً، والشاهد قولك : فلان يكيدني فسمى فعله كيداً وإن علم به..))<sup>(١)</sup>.

وخلاصة القول أن تنفيذ المكر يسمى كيداً، فالمكر يكون من أجل الكيد، ولا يمكن أن يكون العكس، فالمكر هو مرحلة التخطيط والتدبير والتشاور في الخفاء أما الكيد فهو مرحلة تنفيذ مخطط المكر، كما أن المكر لا يكون إلا في الخفاء وقد توصلت إلى ذلك من خلال تدبر جميع الآيات التي تحدثت عن المكر\* .

ويتفق (الكيد) مع (المكر) في أنهما يحدثان من طرفين، فيكونان من الله ﷻ، ومن البشر، مع ملاحظة أن مكر الله وكيد به عدل مطلق، أما كيد البشر ومكرهم فليس كذلك، وقد يكونان من أجل الخير، أو من أجل الشر وهذا هو الغالب على استعمالهما.

\* استفتت في ذلك من تعريف الدكتور "أحمد الكبيسي" للكيد في إحدى محاضراته على طلبة الدراسات العليا في جامعة العلوم الإسلامية، قسم العقيدة للعام الدراسي ١٩٩٨م-١٩٩٩م.  
(١) الفروق اللغوية ٢١٥.

\* ينظر مثلاً : الأعراف/٩٩، والنمل/٥٠، ٤٩.

ومن ذلك (الكذب) و (الافتراء) و (الإفك) و (البهتان) و (الفند)، فقد استعملت العرب مادة (كذب) بدلالة مناقضة للصدق<sup>(١)</sup>. والكذب هو الإخبار عن الشيء بخلافه سواء كان الكذب فاحش القبح، أو غير فاحش القبح<sup>(٢)</sup>. وقد وردت كثيراً في آيات الصفات كقوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٥ و ٧٨].

في حين أن (الإفك) هو أسوأ الكذب وأفحشه مثل : الكذب على الله ورسوله وغير ذلك. والأفك : الذي يافك الناس، أي : يصدّهم عن الحق بكذبه<sup>(٣)</sup>. وهذا يعني أن كل إفك كذب وليس كل كذب إفك. ويلاحظ من السياقات التي وردت فيها لفظة (الإفك) أنه كذب غير اعتيادي فهو أبلغ من الكذب والافتراء؛ لأنه يؤدي إلى الهلاك والعذاب، فقد عبر سبحانه عن الكذب الذي وجه إلى السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) بـ (الإفك)\* ، وكذلك عن الشرك بالله كما في قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة/ ٣٠].

أما (الافتراء) فهو اختلاق الكذب عمداً، يقال : ((فرى يفري فلان الكذب : إذا اختلقه، والفرية : الكذب والنفذ))<sup>(٤)</sup>، ولا يخلو الافتراء من دلالة العجب<sup>(٥)</sup>. ولهذا قال بني إسرائيل قوم السيدة مريم -عليها السلام- لها عندما جاءت تحمّل ولدها (عيسى) **السلامة** : ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾ [مريم/ ٢٧]، قيل الفري، الأمر العظيم أي : جئت شيئاً عظيماً أو عجباً فائقاً، وقيل : جئت شيئاً مصنوعاً مختلفاً، وفلان يفري الفري

(١) ينظر في مادة (كذب) : العين ٣٤٧/٥، ومقاييس اللغة ١٦٧/٥، ومختار الصحاح ٥٦٥، ولسان العرب ٣٧/١٣.

(٢) ينظر : الفروق اللغوية ٣١-٣٤، والمفردات ٢٧٧، والتعريفات ١٤٩.

(٣) ينظر في مادة (أفك) : العين ٤١٦/٥، والفروق اللغوية ٣٣، ومقاييس اللغة ١١٨/١، ومختار الصحاح ١٩، ولسان العرب ١٢٣/٢، والكلّيات ١٥٣-١٥٤.

\* ينظر : النور/ ١١.

(٤) العين ٢٨٠/٨، وينظر في مادة (فرى) : مختار الصحاح ٥٠٢، وعمدة الحفاظ ٢٢٥/٣، والكلّيات ١٥٤.

(٥) ينظر : مجاز القرآن ٧/٢، ولسان العرب ١١٧٧/١١.

إذا كان يأتي بالعجب في عمله<sup>(١)</sup>، ويُلاحظ من مراجعة سياقات (الافتراء) أنه ورد في الحديث عن إعراض الأقوام وإلقاء الريب والشك على الكتب السماوية. فالافتراء على الله هو أن يلجأ المرء إلى غيره فيتخذها إلهاً قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء/٤٨]، وقوله: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء/٥٠].

وكثيراً ما يقترن الافتراء بالكذب وما ذلك إلا لارتباطهم دلاليًا، فالكذب أوسع وأعم من الافتراء، والخاص عادة أقل من العام، فالكذب يشمل القول والفعل والاعتقاد، والافتراء يعني نسج الأباطيل نسجاً مقصوداً وتأليفاً متعمداً<sup>(٢)</sup>.

أما (البهتان) فهو الكذب الذي يبهت سامعه ويدهشه ويحيره، وقيل: هو أعلى درجات الكذب وأفحشه؛ لأنه إذا كان عن قصد يكون إفكاً، وإذا كان بحضرة المقول فيه وبمواجهته وهو يعلم بكذبه فهو بهتان<sup>(٣)</sup>، كقوله تعالى: ﴿وَبُكَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء/١٥٦] فقوم (مريم) -عليها السلام- قد قذفوها بالفاحشة<sup>(٤)</sup>.

و(الفند) في الأصل: الكذب والخطأ في القول والرأي، وقيل للشيخ إذا هَرَمَ: قد أفند؛ لأنه يتكلم بالمحرّف من الكلام عن سنن الصحة، وفنده تفنيداً: كذبه وعجزه وخطأه رأيه<sup>(٥)</sup>. ومن ذلك قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب **السلامة** لأبنائه: ﴿.. قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف/٩٤].

والمعنى: لولا أن تكذبوني وتعجزوني وتضعفوني قال ابن عطية (٥٤١هـ): ((والتفنيدي يقع إما لجهل المفند، وإما لهوى غلبه، وإما لكذبه، وإما لضعفه وعجزه لذهاب عقله وهرمه، فلهذا فسرّ الناس التفنيدي في هذه الآية بهذه المعاني))<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن ٢٧٤، والتبيان في تفسير القرآن ٥٤٢/١، والجامع لأحكام القرآن ١٠١/١١.

(٢) ينظر: نحو منهجية جديدة في فهم القرآن، أحمد الكبيسي ١٦٣.

(٣) ينظر في مادة (بَهَتَ): الفروق اللغوية ٣٤، ومقاييس اللغة ٣٠٧/١، ولسان العرب ٣١٦/٢، والمصباح المنير ٦٣/١، وعمدة الحفاظ ٢٣٦/١، والكلبيات ١٥٤، ونزهة الأعين النواظر ١٩٣-١٩٤.

(٤) ينظر: الكشف ٦٥٠/١، وأنوار التنزيل ٤٣٥/١.

(٥) ينظر في مادة (فَنَدَ): المفردات ٥٨٠ مختار الصحاح ٥١٣، ولسان العرب ٢٢٨/١١، وتاج العروس ٤٥٤-٤٥٥.

(٦) المحرر الوجيز ٧٤/٨، وينظر: إرشاد العقل السليم ٢٤٢/٣.

ومن الألفاظ المتناظرة (الكتمان) و (الإخفاء) يقول "أبو هلال العسكري" في التفريق بينهما: ((انَّ الكتمان هو السكوت عن المعنى.. والإخفاء يكون في ذلك وغيره، والشاهد أنَّك تقول أخفيتُ الدرهم في الثوب ولا تقول كتمتُ ذلك وتقول كتمت المعنى وأخفيتُه، فالإخفاء أعم من الكتمان))<sup>(١)</sup>.

جاءت مادة (كَتَمَ) في آيات الصفات أكثر من مادة (خَفَى) \* ربما كان السبب لسهولة دلالة (كَتَمَ)؛ لأنَّ القرآن الكريم عدَّ كتمانَ اليهودِ للعلم وللحقائق التي تثبت صحة نبوة الرسول محمد ﷺ بعد أن أخذ عليهم العهد بإظهاره وبيانه للناس من الذنوب التي تهدد الباري فاعلها باللعن والعذاب كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾\* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿البقرة ١٥٩-١٦٠﴾. تشير كتب أسباب النزول إلى أن الآية نزلت في

أخبار اليهود الذين كتموا صفة النبي ﷺ<sup>(٢)</sup> يقول الإمام الرازي : ((وهذه الآية تدل على أن ما يتصل بالدين ويحتاج إليه المكلف لا يجوز كتمانها ومن كتمها فقد عظمت خطيئته، ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾\* ، وقريب منها قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾\* فهذه الآيات كلها موجبة لإظهار علوم الدين تنبيهاً للناس وزاجرة عن كتمانها))<sup>(٣)</sup>. والآية وإن نزلت على سبب خاص \*\*\*\* ، فهي تتناول كل من كتم علماً من دين الله يحتاج إلى بثه ونشره<sup>(٤)</sup>.

(١) الفروق اللغوية ٢٢٧-٢٢٨.

ينظر : المعجم المفهرس ٢٣٦ ، ٥٩٥-٥٩٦.

(٢) ينظر : لباب النقول في أسباب النزول ٣١.

ينظر : آل عمران / ١٨٧.

\*\*\*\* ينظر : البقرة / ١٧٤.

(٣) التفسير الكبير ١٤٨/٤ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٢٤/٢.

\*\*\*\* ذكر علماء الأصول أن "ورود العام على سبب خاص لا يسقط دعوى العموم" ينظر :

المستقصى من علم الأصول ، الغزالي ٩٧/٢.

(٤) ينظر : البحر المحيط ١/٤٥٤ ، وتفسير آيات الأحكام ، محمد علي السائيس ٤٠.

**والكتمان لغةً : نقيض الإعلان<sup>(١)</sup>.** وفي الاصطلاح الشرعي : ترك إظهار الشيء قصداً مع مساس الحاجة إليه وتحقيق الدواعي إلى إظهاره وبيانه بمجرد ستره وإخفائه وقد يكون بإزالته ووضع شيء آخر في موضعه<sup>(٢)</sup>. والقول ان الكتمان ترك إظهار الشيء مع الحاجة وحصول الداعي إلى إظهاره؛ لأنه متى لم يكن كذلك لا يعد كتماناً فلما كان ما أنزل الله من البينات والهدى وغيرهما مما يحقق النفع للناس من أشد ما يحتاج إليه في الدين وصِف من علمه ولم يُظهره بالكتمان.

**والإخفاء : الستر والكتمان<sup>(٣)</sup>**، ويكون في الكلام والعمل والمشاعر ونحو ذلك كقوله تعالى : **﴿وَمَا تَخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ..﴾** [آل عمران/١٨٧] وقوله : **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾** [المائدة/١٥]. وقد فرق أبو هلال العسكري بين (الإخفاء) و (النجوى) وهي بمعنى السر، وبين أن الإخفاء يكون للكلام والعمل أما النجوى فلا تكون إلا كلاماً، فالعلاقة بينهما العموم والخصوص<sup>(٤)</sup>.

ومن الألفاظ التي جاءت في آيات الصفات متناظرة (الفساد) و (العتو)، فالعتو هو أشد الفساد<sup>(٥)</sup> كما في قوله تعالى : **﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾** [البقرة/٦٠] وقوله : **﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً﴾** [المائدة/٦٤].

وكذلك (التحريف) و (التبديل)، فتبديل الشيء تغييره وإن لم تأت ببديله، وقد يكون عبارة عن إخفاء الذات الأولى وإحداث ذات أخرى، بمعنى رفع الشيء ووضع آخر مكانه<sup>(٦)</sup> كقوله تعالى : **﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾** [البقرة/٥٩]، والتحريف: إمالة الشيء عن جهته وصرفه، وتحريف الكلام : تبديل لفظ بلفظ آخر

(١) ينظر في مادة (كتم) : مقاييس اللغة ١/١٥٧، والمفردات ٦٤٣، ومختار الصحاح ٥٦٣، ولسان العرب ٢٣/١٣.

(٢) ينظر : التفسير الكبير ٤/١٨٤، وروح المعاني ٢/٢٧.

(٣) ينظر : في مادة (خفي) : العين ٤/٣١٣-٣١٤، ومقاييس اللغة ٢/٢٠٢، والمفردات ٣١٩، ومختار الصحاح ١٨٣، ولسان العرب ١٥/١١٦-١١٧، والمصباح المنير ١/١٧٦.

(٤) ينظر : الفروق اللغوية ٥٤.

(٥) ينظر في مادة (عتا) : مقاييس اللغة ٤/٢٣٠، والمفردات ٤٨٣، ومختار الصحاح ٤١٢، ولسان العرب ١٠/٣٧، وعمدة الحفاظ ٣/٢٩-٣٠.

(٦) ينظر في مادة (بدل) : المفردات ٥١، ولسان العرب ٢/٣٨-٣٩، والكلديات ٣١.

يغيّر معناه<sup>(١)</sup>. والتحريفُ تغييرُ اللفظ دون المعنى لقوله تعالى : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء/٤٦]، حرّفتُ الكلم : أزلته عن حقيقة ما كان عليه في المعنى وأبقيت له شبه اللفظ<sup>(٢)</sup>.

يبدو أنّ التبديل يكون في الكلام وغيره، كقوله تعالى : ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة/٢١١].

وعلى هذا فإنّ دلالة (التبديل) أوسع وأعمّ من التحريف الذي لا يكون إلا في الكلام وهذا واضح من سياقات (حرّف) في آيات الصفات. حوت آيات الصفات كثيراً من الألفاظ التي تبدو مترادفة للوهلة الأولى ولكن بالتدبر لمعانيها تتضح الفروق الدقيقة بينهما من ذلك (العداوة والبغضاء) و (النقض والنبد) و (الجهل والسفه) و (الإعراض والتولي) و (الغضب والسخط) وغير ذلك.

**ثانياً : التضاد**

وهو أحد خصائص اللغة العربية الدالة على مرونتها وقدرتها على استيعاب المعاني والتقلّب بين الأساليب والتنوّع في الاستعمال ما يميزها من سائر اللغات الحيّة<sup>(٣)</sup>. ويعرّف التضاد اللغوي بأنّ يتفق اللفظ ويختلف المعنى من جهة الضد<sup>(٤)</sup>، وقد عدّه "ابن فارس" من سنّت العرب في الأسماء بقوله : ((من سنن العرب في الأسماء أن يسمّوا المتضادين باسم واحد))<sup>(٥)</sup>، وبمثل ذلك قال الثعالبي<sup>(٦)</sup>، والسيوطي<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر في مادة (حرّف) : المفردات ٤١٢-٤١٣، مختار الصحاح ١٣١، ولسان العرب ٨٩/٤-٩٠، وعمدة الحفاظ ٣٩٣/١، والتعريفات ٤٩.

(٢) ينظر : المحرر الوجيز ٨٧/٤، وتفسير القرآن العظيم ٩٩/١، ونظم الدرر ١٣٩/٦، وإرشاد العقل السليم ١٤٣/٢.

(٣) ينظر : دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح ٣٢.

(٤) ينظر : الأضداد في كلام العرب، أبي الطيب اللغوي ١/١، والتعريفات ٥٤، وفقه اللغة العربية ١٥٢.

(٥) الصاحبى ٩٧.

(٦) ينظر : فقه اللغة وسر العربية ٤١٩، ٤٢٩.

(٧) ينظر : المزهري ٣٨٧/١.

تنبّه القدامى إلى مسألة اختلاف اللغات فجعلوها من دواعي وجود الأضداد ونشأتها، فيكون أحد المعنيين المتضادين لحيّ من العرب، والمعنى الآخر لحيّ غيره ثم سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء<sup>(١)</sup>. ولا ريب أنّ المراد الذي يقصده المتكلم هو أحد المعنيين، والسياق هو الذي يكشف عن ذلك، ومحال أن يكون الكلام يحتمل المعنيين كليهما.

عدّ قسم من أهل اللغة الأضداد نوعاً من المشترك اللفظي<sup>(٢)</sup>. وذهب سائر الأصوليين إلى هذا الرأي<sup>(٣)</sup>. وأيده اللغويون المحدثون<sup>(٤)</sup>، وإن كان ثمة فرق بين الظاهرتين، فالأختلاف في الاشتراك اختلاف تغاير وفي الأضداد اختلاف تضاد. أما الدكتور "محمد حسين آل ياسين" فيرى : ((أنّ هذه المذاهب غير دقيقة، ذلك أنّه ليس بين المشترك والاضداد من التشابه سوى انصراف اللفظة إلى أكثر من معنى وبينهما فيما عدا ذلك من عدم التشابه ما بين كل منها وأي من الظواهر اللغوية الأخرى، وذلك أنّ أسباب نشأة الأضداد تختلف تماماً عما هي عليه في المشترك، ولا تتفق إلا في مسائل قليلة))<sup>(٥)</sup>.

ويبدو للبحث أنّ الأضداد نوع من المشترك اللفظي، غير أنّ المشترك أعمّ من التضاد، إذ يكون الاشتراك بين معنيين أو أكثر، أما التضاد فلا يكون إلا بين معنيين فهو أخصّ.

وقد اختلف الرأي في إثبات هذه الظاهرة أو عدمها في العربية عامة والقرآن الكريم خاصة، فمن المنكرين لها ابن درستويه (ت ٣٨٤هـ) الذي ألف كتاباً في إبطال الأضداد ذكره السيوطي في (المزهر)<sup>(٦)</sup>، وحجة المنكرين أنّ في دلالة اللفظ على معنيين متضادين بعداً عن الإبانة والإفهام ويؤدي إلى اللبس، وممن أنكر هذه الظاهرة

(١) ينظر : الأضداد، ابن الانباري ١١-١٢، والمزهر ٤٠١/١، وفقه اللغة، علي عبدالواحد وافي ١٩٨.

(٢) ينظر : تأويل مشكل القرآن ٤٠، والاضداد في كلام العرب ١/١، والمزهر ٣٨٧/١.

(٣) ينظر : المستقصى من علم الأصول ٨١/١، ٣٦٠-٣٦١، والمحصول في علم أصول الفقه ٣٦٧/١.

(٤) ينظر : فقه اللغة، علي عبدالواحد وافي ١٩٣، وفي اللهجات العربية ٢٠٧، ودراسات في فقه اللغة ٣٦٠، وفقه اللغة العربية ١٥٣.

(٥) الاضداد في اللغة ١٠٢، وينظر منه ١٠٣، ٢٣٥.

(٦) ينظر : المزهر ٣٩٦/١.

أيضاً الشعوبيون وأعداء الإسلام، فهم يعترفون بوجود التضاد في العربية لكنهم اتخذوه ذريعة يزدرون بها العرب، ويتهمونهم بنقص الحكمة وضعف البلاغة بدعوى أنّ الاضداد لا تُوصِل إلى المعنى المراد من التخاطب، وقد انبرى للمنكرين بمختلف صورهم وحججهم مَنْ يردُّ عليهم ويثبت عكس دعواهم، إذ لا يمكن أن يُعدَّ وجود ظاهرة الأضداد في اللغة من عوامل الغموض والالتباس والاضطراب وعدم الإبانة كما يظن أصحاب الازدراء بالعرب. والمفترين على العربية؛ وذلك لأنّ كلام العرب يُكَمِّل بعضه بعضاً ويتصلّ أوله بآخره، ولا يُفهم معناه إلا باستيفاء جميع ألفاظه، فيجوز أن تقع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين، وذلك لأنها تتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر فلا يكون المراد منها في التخاطب والتكلم إلا معنى واحداً<sup>(١)</sup>، وللسياق أثرٌ في تحديد المعنى المراد إذ يتفاعل مع الألفاظ المحيطة به ليعكس المعنى المناسب له من دون لبسٍ أو إبهام، فالمحدثون جعلوا للقرينة السياقية أثراً بالغاً في توجيه معنى اللفظ المتضاد لاسيما في الألفاظ التي يكون المعنى العام فيها منطوياً على جزءٍ من الدلالة على المعنيين المتضادين، فإذا خفيت هذه القرينة خرج الكلام مستبعداً إلى ضدٍّ أو نقيض المراد<sup>(٢)</sup>.

ويُضيقُّ المحدثون من علاقة التضاد بين الألفاظ ليخرجوا بذلك كثيراً من الأضداد التي أحصاها القدماء، وحملوها على أنها من باب المجاز أو الاشتراك أو التغير الدلالي<sup>(٣)</sup>.

وأغلب المحدثين يغرون بأنّ هذه الظاهرة لم تقتصر على اللغة العربية فحسب وإنما هي ظاهرة عامة في اللغات الجزرية<sup>(٤)</sup>، تمنح اللغة اتساعاً في التصرف في الكلام.

(١) ينظر : الاضداد، ابن الانباري<sup>٢</sup>، وينظر : التضاد في القرآن الكريم محمد نور الدين المنجد ٣٠ وما بعدها.

(٢) ينظر : البلاغة وقضايا المشترك اللفظي، عبدالواحد حسن الشيخ ١٦٣-١٦٤.

(٣) ينظر : في اللهجات العربية ٢٠٣-٢٠٧، وفقه اللغة علي عبدالواحد وافي ١٩١، وفصول في فقه العربية ٣٣٩-٣٤٢، وفقه اللغة العربية ١٥٣-١٥٥، والبلاغة وقضايا المشترك اللفظي ١٥٩.

(٤) ينظر : التضاد في ضوء اللغات السامية ، ربحي كمال ٢٩، ودراسات في فقه اللغة، ٣١٠-٣١٣، وفقه اللغة العربية ١٦٤.

سيقتصرُ البحثُ على دراسةِ بعضِ الألفاظِ في آياتِ الصفاتِ التي قيلَ أنها من الأضدادِ في ضوءِ دلالةِ السياقِ الذي تردُّ فيه ليتمَّ التحققُ من ضديتها مبيِّناً وظيفةَ السياقِ في توجيهِ الدلالةِ.

#### ١- (شَرى واشترى)

تشيرُ كتبُ اللغةِ إلى أنَّ كلاً من (شَرى واشترى) يدلُّ على البيعِ والاشترَاءِ، يقول ابن دريد (٣٢١هـ) : ((شَرَيْتُ الشَّيْءَ أَشْرِيهِ شَرِيًّا: إِذَا اشْتَرَيْتَهُ ، وَشَرَيْتَهُ أَشْرِيهِ: إِذَا بَعْتَهُ))<sup>(١)</sup>.

وذكر "ابن قتيبة" أنَّ العربَ تستعملُ كلمةَ (شارٍ) للمشتري والبائع، وربما ساغَ أنَّ يكونَ الشراءُ من الأضداد؛ لأنَّ المتبايعينَ تبايعا الثمنَ والمُثَمَّنَ، فكلُّ من الموضعينَ مبيعٌ من جانبٍ ومشتريٌ من جانبٍ آخر<sup>(٢)</sup>.

وأشار "الخطابي" (٣٨٨هـ) إلى أنَّ مرجعَ التضادِّ في هذا اللفظِ عائِدٌ إلى لغاتِ القبائلِ حيثُ قال : ((وقد جاء في بعض اللغاتِ بَاعَ بمعنى اشترى))<sup>(٣)</sup>، ((يقال : شريتُ الشَّيْءَ بمعنى بعتَه، وشريتَه إذا ابتعته، والحرف من الأضداد))<sup>(٤)</sup>.

والمقصودُ هنا في قوله (بعض اللغات) ما ذكره أبو الطيّب (ت ٣٥١هـ) نقلاً عن قطرب فقال : ((الشَّيْءُ بِمَعْنَى الْبَيْعِ فِي لُغَةِ غَافِرَةَ ، حِي بَنِي أُسْدٍ...))<sup>(٥)</sup>.

ومن خلالِ تتبعِ دلالةِ اللفظينِ في البيانِ القرآني في ضوءِ السياقِ يؤكدُ أنَّ "شَرى" يختصُّ بالدلالةِ على البيعِ<sup>(٦)</sup>. أي : أخذَ الثمنَ ودفعَ المَثْمَنَ قال تعالى : ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف/٢٠]، إذ يدلُّ السياقُ على أنَّ "شروه" بمعنى "باعوه"، ولا ينصرفُ الذهنُ إلى معنىِ الاشتراءِ، فسياقُ الآياتِ في الحديثِ عن يوسف عليه السلام بعدما ألقاه إخوته في غيابةِ الجبِّ حسداً منهم، والضميرُ في "شروه" يعودُ على الذي عثروا عليه في غيابةِ الجبِّ وهم الذين أرادوا بيعه، ومن القرائنِ الدالةِ على

(١) الاشتقاق ابن دريد ٥٠٣، وينظر : معاني القرآن، الفراء ٥٦/١ ، الأضداد في كلام العرب ٣٩٢/١، والتضاد في القرآن الكريم ١٥٩ وما بعدها.

(٢) ينظر : تأويل مشكل القرآن ١٨٨، والمفردات ٣٨١-٣٨٢، ونزهة الأعين النواظر ٣٧٣-٣٧٤ والكليات ١١٧.

(٣) غريب الحديث، أبي سليمان الخطابي ٢٠٧/٢.

(٤) ينظر : نفسه ٢٠٦/٢.

(٥) الأضداد في كلام العرب ٢٩٣/١، وينظر : الأضداد ، ابن الانباري ٧٤.

(٦) ينظر : التضاد في القرآن الكريم ١٥٩.

هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف/٢٠]؛ لأنَّ الزَّهْدَ في شيءٍ يتنافى مع شرائه ودفع ثمنه، ولكنه ينسجم مع بيعه<sup>(١)</sup>. فضلاً عن أنه استعمل مع المشتري لفظ "اشتراه" قال : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ ﴾ [يوسف/٢١]؛ وإنما فضل التعبير القرآني لفظ "شروه" على "باعوه" تكريماً ليوسف عليه السلام؛ لأنَّ (باع) تشير إلى بيع العبيد.

ولا خلاف بين المفسرين في دلالة "شري" أينما ورد في القرآن الكريم على البيع، أما (اشترى) فيغلب استعماله بمعنى "الاشتراء" ودفع الثمن وأخذ المثلث. وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ "اشترُوا" في قوله تعالى : ﴿ بئسما اشترَوْا به أنفسَهُمْ ﴾ [البقرة/٩٠]، بمعنى باعوا، أو بمعنى اشترُوا على وفق ظنهم؛ لأنهم ظنوا أنهم قد خلصوا أنفسهم من عقاب الله بفعلهم<sup>(٢)</sup>.

ويميل البحثُ إلى أنَّ (اشترُوا) في هذه الآية - يعني : باعوا؛ لأنَّ سياق الآيات في ذمهم واحتقار فعلهم، فكأنهم حين آثروا الباطل على الحق وكفروا بآيات الله باعوا أنفسهم للنار، ويتجه الذمُّ إلى الشيء الذي أخذوه ثمناً لأنفسهم وهو الكفر، وقد رجَّح "أبو السعود" (ت ٩٥١هـ) معنى البيع في هذه الآية، وردَّ قول من ذهب إلى معنى الشراء، قال : ((ويأباه أنه لا بدَّ أن يكون المذموم ما كان حاصلًا لا ما كان زائلاً عنهم .. والمعنى بئس شيئاً باعوا به أنفسهم كفرهم المعلن بالبغي))<sup>(٣)</sup>، ويؤكد معنى البيع في الآية قوله تعالى ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ﴾ [البقرة/١٠٢]، إذ جاء التعبير فيها بـ (شروا) أي: باعوا<sup>(٤)</sup>.

**وخلاصة القول :** أنَّ السياق يحدّد دلالة كلٍّ من (شري، واشترى) بمعنى معيّن، لا يحتمل غيره، وأنَّ (شري) يختص بالدلالة على معنى البيع أينما ورد في القرآن الكريم، ويغلب استعمال (اشترى) بمعنى الاشتراء، لكنه جاء بمعنى البيع. وهذا على خلاف ما ذهب إليه أحد الباحثين المحدثين إذ قال : ((أما (الاشتراء) فقد ورد كذلك

(١) ينظر : عمدة الحفاظ ٢/٢٦٨.

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٠-٢١، وأنوار التنزيل ١/٣٥٩.

(٣) إرشاد العقل السليم ١/١٢٩.

(٤) ينظر : الكشف ١/٣٠١.

إحدى وعشرين مرة دالاً فيها على الاشتراء، ولا أثر لمعنى البيع فيها<sup>(١)</sup>، ولم يشر إلى الآية المذكورة آنفاً التي دل سياقها على أن (اشتروا) بمعنى باعوا.

## ٢- ظن

تشير المصادر إلى أن (الظن) يأتي بمعنى اليقين ومعنى الشك<sup>(٢)</sup>، ووجد المفسرون أن دلالاته في التعبير القرآني تنسم بطابع خاص، فالقارئ السياقية توجه دلالاته نحو اليقين تارة ونحو الشك تارة أخرى، ومن ثم أفاضوا في الحديث عنه واختلفت فيه آراؤهم، ويمكن إيجاز آرائهم في دلالة (ظن) في القرآن الكريم وآيات الصفات خاصة فيما يأتي.

أ- ((كل ظن في القرآن فهو علم))<sup>(٣)</sup>، وفي هذا القول نظر؛ لأن هناك آيات كثيرة \* يدل سياقها على أن (ظن) بمعنى شك.

ب- ((كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك))<sup>(٤)</sup>.

ج- ((ظن الآخرة يقين، وظن الدنيا شك))<sup>(٥)</sup>.

والرأيان الأخيران لا يستندان إلى أساس لغوي، بل يقومان على أساس عقائدي إذ لا ينبغي أن يصدر الشك من المؤمن؛ لأنه يستمد يقينه من اعتقاد بالله ﷻ أما الكافر فإن تصورات قائمة على التخبط والأوهام.

ومما جاء في آيات الصفات يحمل دلالتين :

إحدهما : العلم واليقين كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ..﴾ [الأعراف/١٧١] ويدل سياق الآيات على أن "ظنوا" -هنا- بمعنى علموا وأيقنوا؛ لأن التعبير القرآني يصور حال قوم موسى وهم

(١) التضاد في القرآن الكريم، محمد نور الدين المنجد ١٥٩.

(٢) ينظر : ما اتفق لفظه واختلف معناه ٨-٩ والاضداد، لابن الانباري ٩، وتأويل مشكل القرآن ١٨٧، والاضداد في كلام العرب ١/٤٦٦، والتضاد في القرآن الكريم ١٦٧ وما بعدها.

(٣) تفسير الثوري ١/٤٥.

ينظر مثلاً : الجاثية/٣٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٨/٢٧٠.

(٥) نفسه، وينظر : فتح القدير ٥/٢٨٤.

يكابرون ولا يؤمنون إلا بمعجزاتٍ حسيّةٍ، ولا تكادُ المعجزةُ تنقضي حتى يضعفُ إيمانهم فتأتيهم معجزةٌ أخرى<sup>(١)</sup>.

ويُلاحظ من السياق أنَّ ظنهم لو كان مجرد شك في وقوع الجبل عليهم ما آمنوا لما عُرِفَ عنهم من العناد والاستكبار، وهكذا تحدّدت دلالة (ظن) في ضوء عناصر السياق اللغوي والمقامي، وبيّن أنها لا تدل في هذه الآية إلا على معنى واحد هو معنى اليقين.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة/٤٦]، ذكر "الطوسي" الاشتباه الذي وقع في دلالة (ظن) في الآية الكريمة قائلاً : ((إن قيل : كيف أخبر الله عن وصفه بالخشوع والطاعة\* ، ومدحهم بذلك أنهم يظنون بأنهم ملاقوا ربهم، وذلك مناف لصفة المدح؟ قلنا : "الظن المذكور في الآية المراد به العلم واليقين...))<sup>(٢)</sup>. وقال في تعريف الظن : ((أصل الظن ما يجول في النفس عن خاطر الذي يغلب على القلب، كأنه حديث النفس بالشيء))<sup>(٣)</sup>.  
الأخرى : دلالاته على الشك والتوهم كما في قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة/٧٨]، فهو لاء لا يرى منهم الإيمان المؤسس على اليقين؛ لأنهم قوم قصارى أمرهم الشك والتقليد والأمانى الكاذبة من غير أن يصلوا إلى رتبة العلم<sup>(٤)</sup>.

وقد تتقابل دلالة (ظن) في سياق واحد كما في قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ..﴾ [الحشر/٢].

وهذه الآية نزلت في يهود "بني النضير" الذين أجلاهم الرسول ﷺ من المدينة<sup>(٥)</sup>. وردت لفظة (ظن) بمعنى العلم اليقيني، فكان ظنهم يقينياً في تصورهم، وإن

(١) ينظر : الكشاف ١٦٩/٢، وينظر : أنوار التنزيل ٦٠٠/١.

\* الأصل (بالطاعة) والصواب ما أثبتته والله أعلم.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٢٠٥/١، وينظر : فقه اللغة العربية ١٥٥-١٥٦.

(٣) التبيان في تفسير القرآن ٢٠٦/١.

(٤) ينظر : الكشاف ٢٩٢/١، وإرشاد العقل السليم ١٥٤/١.

(٥) ينظر : أسباب النزول ٢٦٤، ولباب النقول في أسباب النزول ٣١٨.

لم يكن يقيناً في الواقع، فهو لاء اعتقدوا اعتقاداً كانوا فيه في حكم المتيقن بقوة حصونهم وعزتها على أن تطال. وإن كان علماً سلبياً أي : لا مصداق له في الواقع ولا نصيب له من الحقائق وإنما هو ضرب من العلم الذاتي لا الموضوعي على العكس من العلم الإيجابي الذي تصدقه الحقائق والواقع الخارجي<sup>(١)</sup>. وقد قابله بظن المؤمنين المنفي الدال على معنى غير اليقين.

ذهب الدكتور "إبراهيم السامرائي" إلى نفي القول بضدية هذا اللفظ، واحتج لذلك في أن الضدية غير ثابتة في معنى الفعل بل اقتضاها سياق الآيات، ثم أن استقراء معاني الفعل (ظن) يدلنا على معانٍ أخرى غير متضادة<sup>(٢)</sup>. أي : أنه من المشترك. وأيده في هذا الرأي الدكتور "محمد حسين آل ياسين" الذي أكد أن هذه الضدية مستقاة من افتراض عقيدي وليست من الفعل نفسه<sup>(٣)</sup>. بمعنى أن هؤلاء المحدثين يرون أن الفعل (ظن) لا يدل بمادته على شك أو يقين، وإنما يكتسب دلالاته من السياق، ولعل المفسرين حين حكموا بضديته راعوا فكرة الآيات التي ورد فيها، ولم يراعوا المعنى الذي يقصده المتكلم ويفهمه السامع بمساعدة القرائن اللفظية والحالية.

### ٣- عزز

أصل المادة : المنع والرد، وتأخذ دلالة المنع لهذه المادة معنيين : أحدهما : تأتي للدلالة على النصر والمؤازرة للآخر، والدفاع عنه، ويكون بالقول والفعل فيقال : عززه عزراً وعزّره : أعانه وقواه ونصره<sup>(٤)</sup>. ذلك أن الذي ينصر غيره، فكأن بنصرته هذه إياه فقد رده عن الأعداء ومنعه من أذاهم؛ ولأن الذي ينصره غيره ينظر إليه بعين التقدير، وكذلك المنصور يعظم الناصر له، فقالوا : التعزير : النصر مع التعظيم وهو التوقير<sup>(٥)</sup>، وهذا المعنى هو المقصود بحديث الرسول ﷺ :

(١) ينظر : المفردات ٤٧٢-٤٧٣، وعمدة الحفاظ ١٥/٣ وفقه اللغة العربية ١٥٦-١٥٧، والتضاد في القرآن ١٦٩.

(٢) ينظر : التطور اللغوي التاريخي ٩٣.

(٣) ينظر : الاضداد في اللغة ٥٣٠.

(٤) ينظر في مادة (عزّز) : العين ٣٥١/١، ومقاييس اللغة ٣١١/٤، والتبيان في تفسير القرآن ٤٦٧/٣، وسبل السلام، ٣٢٤/٤، ومغني المحتاج ٥٢٢/٥.

(٥) ينظر : المفردات ٤٩٩، ومختار الصحاح ٤٢٩، ولسان العرب ١٣٣/١٠، والجامع لأحكام القرآن ١١٤/٦، والتضاد في القرآن ١٧٨-١٧٩.

[أَنْصُرُ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا : هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ] <sup>(١)</sup>.

الأخرى : ولأنَّ المادة فيها معنى النصره، ولا تكون إلا بالضرب، فقد تطورت المادة إلى استعمال آخر، وهو الجانب التأديبي للذين يخرجون عن الطاعة، لردعهم وإصلاحهم <sup>(٢)</sup>.

وهكذا أصبح التعزير مصطلحا ضمن مصطلحات العقوبات في الشريعة الإسلامية، ويعرّف بقولهم : ((التعزير : أَنْ يُضْرَبَ الرَّجُلُ دُونَ الْحَدِّ...)) <sup>(٣)</sup> وقال "الموردي" (ت هـ) : ((التعزير : تأديب على ذنوب لم تُشرع منها الحدود...)) <sup>(٤)</sup>، وهذا تأديب استصلاح وزجر، يختلف بحسب اختلاف الذنب، ويخالف الحدود من حيث أن يكون تأديبا لذی الهيبة من أهل اللباقة وهو أخف من تأديب أهل البذاء والسفاهة، ثم أنه يخالف الحدود، من حيث لا يجوز العفو فيها، فإن ذلك يجوز في التعزير وتسوُّغ الشفاعة فيه، ويوجب ضمان ما حدث عنه من التلف <sup>(٥)</sup>.

ويرتبط التعزير من حيث أنه قريب من الحد، بالقبائح والمعاصي غالباً، كما يظهر ذلك من خلال تعريف العلماء له.

وبناءً على ما ورد للمادة من دلالات لغوية وقرآنية فإن اللفظة تعدّ من الأضداد. قال الدكتور "إبراهيم السامرائي" في دلالة التعزير على النصره : ((.. وهذا ما لا نعرفه في العربية المعاصرة، وفي عامية العراقيين، التعزير : ضرب من التأديب)) <sup>(٦)</sup>. والقرائن اللفظية والحالية خير معين في تحديد دلالة (عزر)، وفي آيات الصفات وردت المادة في موضعين، للدلالة على المؤازرة والنصرة والتعظيم بحق الرسول الكريم ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، ولاسيما في بداية العهد الإسلامي

(١) صحيح البخاري ٤٣٠ رقم الحديث (٢٤٤٤) وينظر صحيح مسلم ١٩١/٨.

(٢) ينظر : الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الموردي ٢٣٦/١.

(٣) مجاز القرآن ١٥٧/١، والتعريفات ٥٥، وسبل السلام ١٣٢٤/٤-١٣٢٥.

(٤) ينظر : الأحكام السلطانية ٢٣٦/١، وسبل السلام ٣٧/٤، ومغني المحتاج ٥٢٢/٥-٥٢٣.

(٥) ينظر : الأحكام السلطانية ٢٣٦/١.

(٦) من بديع لغة التنزيل ٢٨٢.

الأول قال تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا .. ﴾ [المائدة/١٢].

والسياق يحدّد دلالة "عَزَّرْتُمُوهُمْ" بمعنى : نصرتُمُوهم وأعنتُمُوهم وعظمتُمُوهم<sup>(١)</sup>، وكقوله تعالى : ﴿ .. فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف/١٥٧]. والقرائن اللفظية المكتنفة للفظ (عزّروه) والحالية قد رشحت دلالتها على النصرة والمؤازرة والتأييد، قال "الزمخشري" في تفسيره للآية المباركة : (( "وعزّروه" : ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوه ))<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أنّ التعزير بهذا المعنى والتأزير من وادٍ واحدٍ بإبدالٍ في فونيم العين والهمزة ومنه قولنا : لأنصرك نصرًا مؤزّرًا، أي : قوياً عظيماً.

#### ٤- مكر

والمكر في الاستعمال اللغويّ الأوّل : سقي الأرض، يُقال : أمكروا الأرض فإنها صلت ثمّ أحرثوها، يريد اسقوها<sup>(٣)</sup>. فكأنّ السقي هو احتيال على صلابة الأرض بالماء كي تلين تربتها فيسهل شقّها.

ثم تطوّر المعنى وتدرّج حتى صار المكر يحمل معنى الاحتيال والخداع في خفية<sup>(٤)</sup>، وبهذا المعنى دلّت المادة وصيغتها في القرآن الكريم على الشرّ، كما تخفي في صيغتها الاستعمالية معنى الإخفاء والتستر، وذلك بقصد إنزال الشر والضر بالآخرين. وقد ورد المكر مسنداً إلى الله تعالى وإلى الخلق قال "الراغب" : ((المكر : صرف الغير عما يقصده بحيله، وذلك ضربان : مكر محمود ، وذلك أن يتحرّى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ \* ، ومذموم، وهو أن

(١) ينظر : مجاز القرآن ١/١٥٦، وجامع البيان ٦/٩٧-٩٨ والتبيان في تفسير القرآن ٣/٤٦٧، والكشاف ١/٦١٥.

(٢) الكشاف ٢/١٦٦، ١/٦١٥.

(٣) ينظر : لسان العرب ١٤/١١٠.

(٤) ينظر في مادة (مكر) : المنجد في اللغة، الهنائي ٣٣٣، ومقاييس اللغة ٥/٣٤٥ ومختار الصحاح ٢٢٩/١٧ ولسان العرب ٢٠/٢٠، وتاج العروس ٣/٥٤٨-٥٤٩.

\* آل عمران/٥٤.

يتحرى به فعل قبيح، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ .. ﴾\*\* ((١)). وهذا ما ذكره المفسرون<sup>(٢)</sup>، ومما جاء في آيات الصفات يحمل الداليتين معاً في سياق واحد قوله تعالى: ﴿ وَمَكْرُوا اللَّهَ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[آل عمران/٥٤]. وقف المفسرون عند الآية الكريمة ليفتشوا عن دلالة المكرين، ومن مراجعة أقوالهم نستخلص أن إسناد المكر إلى الله ﷻ هو وعيده المطلق لعباده الموصوفين المقصودين منهم في الدنيا والآخرة ومجازاته لهم، وتمثيل لإخفاق الله مساعيهم في حال ظنهم أن قد نجحت تلك المساعي<sup>(٣)</sup>.

أما من حيث نسق المكر المسند إليه سبحانه مع المكر المسند إلى الخلق، فإن ذلك يعود إلى مسألة نظمية رائعة تحمل مدلولين مختلفين اختلافاً بعيداً، ولكن على الرغم من الاختلاف، فصورة المكر المسند إليه سبحانه تنعكس على المكر المسند إلى الخلق.

فالأول : من باب القوة.

والثاني : من باب العجز المطلق. فالقرآن الكريم بعرضه هذا النسق من المكر قد حقق بُعدين رئيسيين هما : القوة الظاهرة التي لا يقف أمامها شيء ، والقوة الواهنة التي تمثل العجز النهائي للذات البشرية، فستان مابين هاتين القوتين : قوة ترث الأرض ومن عليها وقوة تفنى وتزول.

ومثل ذلك لفظ (الكيد) فقد ورد بإسنادين مختلفين، نمرة ورد مسنداً إلى الخالق سبحانه، كقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾[يوسف/٧٦]، ومرة إلى الخلق، قال تعالى في السورة نفسها : ﴿ .. فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾[يوسف/٥]، وقد مر بنا\*\*\* أن مكر الله وكيده عدل مطلق، أما مكر البشر وكيدهم فليس كذلك.

\*\* فاطر/٤٣.

(( المفردات ١٥.

(( ينظر : المحرر الوجيز ١٤١/٣، وإرشاد العقل السليم ٣٧٤/١-٣٧٥، وتفسير المنار ٥٤٣/٩.

(( ينظر : معاني القرآن ، الفراء ٢١٨/١، والجامع لأحكام القرآن ٦٣/٤-٦٤، ومجمع البيان ٤٤٩/٢، والتحرير والتنوير ٢٥٦/٣-٢٥٧.

\*\*\* ينظر من هذا الفصل صفحة .

## ٥- وراء

كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ١٠١].

تذكر بعض المصادر أن لفظ "وراء" من الأضداد، فذكر "ابن دريد" أن الـوراء : يعني الخلف والقدام<sup>(١)</sup>. مستشهداً ببعض النصوص الكريمة\*.

وذكر "الزمخشري"<sup>(٢)</sup> أن "وراء" بمعنى ولد الولد في قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود/ ٧١]، وهذا ما ذهب "الخليل"<sup>(٣)</sup> إليه ، وكذلك "الفراء"<sup>(٤)</sup> في تفسير لفظ "الوراء".

و "للأمدي" ( ت ) التفاتة دلالية رائعة؛ إذ عنده لفظ "الوراء" يدل على ((المواراة والاستتار، فما استتر عنك فهو وراء، خلفك كان أو قدامك، هذا إذا لم تره أو تشاهده، فأما إذا رأيته، فلا يكون أمامك وراء))<sup>(٥)</sup>.

يفهم من قوله : إن اللفظة تعني في الأصل "المواراة والاستتار" وهو معنى يصدق على الخلف والقدام وغيرها، مما كان متواريًا ومستورًا، وإلا فوراء بمعنى خلف فحسب ويبدو أن هذا هو الذي حمل "الزجاج" على نفي ضدية "وراء" بقوله : ((وراء : يكون لخلف ولقدام، ومعناها هو ما توارى عنك أي : ما استتر عنك وليس من الأضداد، كما يقول بعض أهل اللغة))<sup>(٦)</sup>. ومر بنا\* إن عبارة "وراء ظهره" جرت مجرى المثل في ترك الشيء وعدم المبالاة به والاهتمام بشأنه.

(١) ينظر في مادة "وراء" : جمهرة اللغة ١/١٧٧، والأضداد في كلام العرب ٢/٦٥٧ وتأويل مشكل القرآن ١٨٦ وأماني المرتضى ٢/٩٥-٩٦.

\* ينظر : الكهف / ٧٩، والإنسان/ ٢٧.

(٢) ينظر : أساس البلاغة ٩٠٠، والكشاف ٢/٥٤، ونزعة الأعين النواظر ٦٠٨-٦٠٩.

(٣) ينظر : العين ٨/٢٩٩.

(٤) ينظر : معاني القرآن، الفراء ٢/٢٢.

(٥) الموازنة ، الأمدي ١/٢٧٣، وينظر : الأضداد في اللغة ١٤٥.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٥٦، وينظر : لسان العرب ١٥/٢٠.

\* ينظر من هذا الفصل .

### ثالثاً : الاشتراك اللفظي

تحتل ظاهرة الاشتراك اللغوي مكاناً مهماً في مجال الدراسات اللغوية الحديثة، ولاسيما الدراسات الدلالية، إذ يدرس علم الدلالة الحديث هذه لظاهرة ضمن ما يُعرف بمشكلات تعدد المعنى<sup>(١)</sup>.

ويراد بالمشترك أن يدل اللفظ على معنيين فأكثر بينهما اختلاف تغاير لا اختلاف تضاد<sup>(٢)</sup>. وقد شغلت قضية الاشتراك اللفظي العلماء قديماً وحديثاً، إذ وجدوا أن العرب يستعملون اللفظ الواحد في معنيين أو معانٍ مختلفة، وقد اختلفوا في وقوعه تضيقاً وتوسيعاً، فألفوا فيها كتباً كثيرة ولعل إشارة "سيبويه" إلى أن من تقسيمات العرب ((اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين))<sup>(٣)</sup>، تعد أقدم إشارة لهذه الظاهرة وسميت هذه الظاهرة عند "المبرد" (ما اتفق لفظه واختلف معناه) في رسالته الموسومة بـ (ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد)، وقد خصّها "ابن قتيبة" بباب سماه (باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة)<sup>(٤)</sup>، ويعدّ مؤلف "كراع النمل علي بن الحسن الهنائي" (ت ٣١٠هـ) (المنجد في اللغة) أقدم كتاب في المشترك اللفظي.

وقد أفرد "ابن فارس" بحثاً لذلك في كتابه (الصاحبي في فقه العربية وسنن العرب في كلامها)، والثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية).

ومن المحدثين من أفرد لها بحثاً خاصاً<sup>(٥)</sup>، ومنهم من خصّ الموضوع بدراسة مفصلة في أحد مؤلفاته، وذلك ظاهر في ماكتبه أستاذنا الدكتور "كاسد الزيدي" إذ فصل القول فيه مبنياً آراء القدماء<sup>(٦)</sup>.

وعلى الرغم من وجود هذه الظاهرة واضحة بيّنة، إلا أن علماء اللغة قد وقفوا منها مواقف مختلفة -قدماء ومحدثين- فانقسموا على قسمين :

(١) ينظر : علم الدلالة، أحمد مختار عمر ١٣٦ وما بعدها.

(٢) ينظر : فقه اللغة العربية ١٤١.

(٣) ينظر : الكتاب ٢٤/١.

(٤) ينظر : تأويل مشكل القرآن ٤٣٩.

(٥) أول من درس الظاهرة ببحث جامعي الأستاذ "عبدالكريم شديد" ونال به درجة الماجستير في آداب بغداد سنة ١٩٧٦، وصدر فيما بعد للدكتور "توفيق شاهين" كتاب "المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً في القاهرة ١٩٨٠.

(٦) ينظر : فقه اللغة العربية ١٤١-١٤٩.

أحدهما : المثبتون، وهم أغلب العلماء وقد مرّ ذكر قسم منهم.  
والآخر : المنكرون، ومن أشهرهم "ابن درستوية" الذي ضيق حدود استعماله، وردّ كلّ الوجوه التي يحتملها المشترك إلى معنى واحد وجعله من باب الاستعمال المجازي<sup>(١)</sup>.  
ومنهم أبو علي الفارسي الذي نفى أن يكون الاشتراك عن قصد في الوضع، وعده من باب تداخل اللهجات<sup>(٢)</sup>.

أما اللغويون المحدثون فقد وقفوا مواقف مختلفة من هذه الظاهرة، فقد حصر "فندريس" وجودها في لغة التخاطب فقط<sup>(٣)</sup>. ويرى الدكتور "رمضان عبدالنواب" أن الاشتراك اللفظي لا وجود له إلا في معاجم اللغات، أما في الاستعمال اللغوي فلا وجود إلا لمعنى واحد من معاني هذا المشترك<sup>(٤)</sup>.

يميل البحث إلى الرأي القائل بوقوعه وأنه ظاهرة معروفة في اللغات الحيّة؛ لأنّ: ((قدرة الكلمة الواحدة على التعبير عن مدلولات متعددة إنما هي خاصّة من الخواصّ الأساسية للكلام الإنساني، وإنّ نظرة واحدة في أيّ معجم من المعجمات لتعطينا فكرة عن كثرة ورود هذه الظاهرة))<sup>(٥)</sup>.

وعني المحدثون بالعلاقة بين المشترك والمجاز، فقد أثار هذه القضية القدماء وأولهم "ابن درستويه" الذي فرق بين المشترك والمجاز، واشترط في الأول أن لا تكون بين معانيه علاقة أو آية صلة، وما كان منه على ذلك فهو مجاز ويجب إخراجهم من المشترك<sup>(٦)</sup>.

وأيد من المحدثين الدكتور "إبراهيم أنيس" الذي أكد أن المشترك اللفظي الحقيقي هو الذي تتعدّم فيه الصلة بين معانيه المتعدّدة<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر : تصحيح الفصح، ابن درستويه ٢٤٠/١، وينظر : المزهري ٣٨٤/١.  
(٢) ينظر : المسائل المشكّلة المسماة بـ (البغداديات)، أبي علي الفارسي، ٥٣٤، والمزهري ٣٦٩/١-٣٨٥.

(٣) ينظر : اللغة ٢٢٨-٢٢٩.

(٤) ينظر : فصول في فقه اللغة ٣٣٤.

(٥) دور الكلمة في اللغة ١٢٩، وينظر : ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة، أحمد الجنباني "بحث" ٦٤.

(٦) ينظر : تصحيح الفصح ٣٦٤/١.

(٧) ينظر : في اللهجات العربية ١٤١، وأبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ٢٤٦.

وبناءً على ذلك فقد عدّ بعض الباحثين المعاصرين<sup>(١)</sup> المعاني المجازية للفظ المشترك وجوهاً، والوجوه هي ما يتصرف إليه اللفظ الواحد من عدة معانٍ يعبر عنها بألفاظها أو بغيرها، فإذا أصلت رجعت إلى معناها الأصلي<sup>(٢)</sup>. ولذا تعدّ أغلب الألفاظ التي وردت في كتب القدماء ليست من المشترك إلا ما لم تكن بين معانيه أية صلة، وأما سائر الألفاظ التي ترجع معانيها إلى أصل واحد تفرعت عنه، فهي تدخل في علم الوجوه والنظائر.

ولما كان المشترك اللفظي يحتمل عدّة دلالات، فلا بدّ من وجود قرينة تعيّن إحدى هذه الدلالات، والواقع اللغوي يؤكد أنه لا بدّ من أن يكون للفظ المشترك في كل استعماله معنى واحد من بين معانيه يدل عليه ويختلف هذا المعنى بحسب الاستعمالات المتعددة لذلك اللفظ، بمعنى أن السياق هو الذي يحدّد ذلك المعنى ولا يشذ عن هذا إلا في مواضع قليلة جداً لا يهتدى فيها إلى المعنى المقصود لانعدام القرائن اللفظية والحالية أو وجود لبس في الموقف، بمعنى أن السياق وقرائنه يرشّح المعنى المراد من المشترك<sup>(٣)</sup>.

لاشك في أن التعدّد في المعاني يخدم اللغة ويمنحها سعة في التعبير ونموّاً دلالياً متميّزاً.

أما بالنسبة إلى وقوع المشترك في القرآن الكريم فإن أغلب علماء العربية القدماء والمحدثين يقولون بوقوعه، وكتب الوجوه والنظائر تشهد بذلك؛ لأنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى طرائقهم في التعبير، فقد عدّت الألفاظ القرآنية المشتركة جانباً من أعظم جوانب الإعجاز القرآني<sup>(٤)</sup>.

وإنما تحقّق هذا الفيض الدلالي في اللفظ القرآني لامتلاكه كثافة دلالية عالية وبُعداً عميقاً في المدلول، الأمر الذي منح العربية حياةً مستديمةً وقدرةً على التجدد لا تنقطع، ومن الألفاظ التي جاءت بعدة معانٍ في سياق آيات الصفات:

(١) ينظر : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، عبدالرحمن الجبوري (ط/د) ٧٢-٧٣.

(٢) ينظر : نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ٨٣.

(٣) ينظر : اللغة ٢٢٨، ودراسات في فقه اللغة ٣٠٨، ودور الكلمة في اللغة ١٤١، وفقه اللغة العربية ١٤٣-١٤٥.

(٤) ينظر : البرهان في علوم القرآن ١/١٠٢، ومعتزك الأقران ١/٣١٨.

## ١- البغي

نجد (البغي) يحمل في السياق القرآني عدة دلالات منها : التعدي والظلم والمعصية والحسد نقول بغي الرجل على الرجل : استطال وعلا عليه وعدل عن الحق، وبغي عليه بغياً : ظلمه وتجاوز الحد<sup>(١)</sup>. وقد تضاف إلى ذلك دلالة التكبر والترفع على الخلق<sup>(٢)</sup>، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [القصص/٧٦]. والملاحظ أن القرآن الكريم حين ذكر "قصة" قارون قال : ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾، ولم يذكر فيم كان البغي ليدعه مجملاً يشمل شتى الصور.

وقيل : البغي مأخوذ من قولهم : بغي الجرح؛ أي : فسد ، وقيل : الأصل في البغي، الحسد يقال : بغي على أخيه حسده ثم سمي الظلم بغياً؛ لأن الحاسد يظلم المحسود<sup>(٣)</sup>، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران/١٩]. وكقوله تعالى : ﴿بَنَسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغِيًّا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ..﴾ [البقرة/٩٠].

فقد ((أنزلهم التحاسد من مقر العز إلى حضيض الخزي وسامهم ذل الصغر حين لم يرضوا بمقتضى الحكم، فأضافوا استيجاب مقت أنف إلى استحقاق مقت سالف))<sup>(٤)</sup>. وقد فسر البغي بـ (الكفر) في الآية (١٩) من سورة آل عمران بدلالة مابعده من قرينه لفظية، يقال : بغياً بينهم أي : كفر بعضهم بكتاب بعض<sup>(٥)</sup>. والبغي في الأصل شدة الطلب لما ليس بحق بالتغليب<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر في مادة (بغى) : العين ٤٥٣/٨، ومقاييس اللغة ٢٧١/١، والمفردات ٧٢-٧٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر ١٤٣/١ ولسان العرب ١٢٠/٢-١٢٢، "الوجوه والنظائر في القرآن الكريم" ٣٥٧، ونزهة الاعين النواظر ١٩١/٢-١٩٣.

(٢) ينظر : الكشف ١٧٨/٣.

(٣) ينظر : الكشف ٢٩٦/١، والتفسير الكبير ٤٢٧/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٤/٤، وإرشاد العقل السليم ١٦٣/١.

(٤) لطائف الإشارات ٥٦/١.

(٥) ينظر : معاني القرآن، الفراء ١٣١/١، والبحر المحيط ٢٩٢/٤.

(٦) ينظر : الفروق اللغوية ٩٢، ومقاييس اللغة ٢٧١/١.

ذَكَرَ "الراغب" أَنَّ البَغْيَ هو الطَّلَبُ مطلقاً ولا يتضمَّن معنى الفساد فحينئذٍ ينقسم إلى الطلب بحق وطلب بغير حق<sup>(١)</sup>. كقوله تعالى: ﴿أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ ..﴾ [آل عمران/٨٣]، وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ..﴾ [آل عمران/٩٩] فجاء استعمال (البغي) في طلب الأشياء المذمومة<sup>(٢)</sup>.  
وتشترك الدلالة الصوتية والصرفية في إيضاح دلالة اللفظة، وهذا الاتحاد والترابط والدقة في الجزئيات خلق لغة مثالية متكاملة قَدَرَتْ على تحمل أعباء الإعجاز القرآني، فمتى أُطلقت اللفظة لا يتبادر إلى الذهن إلا صورة الظلم والاعتداء، وهذا من جماليات المفردة القرآنية التي يُكسب السياق دلالات عميقة.

(١) ينظر : المفردات ٥٥-٥٦.

(٢) ينظر : أساس البلاغة ٩٦؛ وعمدة الحفاظ ٢١٣/١-٢١٤.

### ٣- التولي

جاءت هذه المفردة في السياق القرآني لتحمل ثلاث دلالات<sup>(١)</sup>، وهي : بمعنى الصداقة والنصرة، فالولي : الحليف المحب وهو ضد العدو، ومنه الموالاة، ضد المعادة، يقال : توليت فلاناً : اتبعته ورَضِيتُ به<sup>(٢)</sup>.

وبهذا المعنى جاءت لفظة "تولى" في قوله تعالى : ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ ..﴾ [المائدة/٨٠]، فمعنى "يتولون" : يُوالون الكفار، فقد كان كثيراً من يهود المدينة ينصرونهم مجتهدين في مساندتهم على المؤمنين<sup>(٣)</sup>.

وقد تأتي لفظة (تولى) بمعنى : الإعراض عن الشيء والانصراف عنه، نقول : تولى فلان عن الشيء، أي : أعرض عنه ونأى، ومنه التولية وهي الانصراف، كما في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [البقرة/٨٣]، استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع إلى ما أخذ عليهم من ميثاق ، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب للتوبيخ والتقريع، فسبحانه استحضرهم فوبّخهم والخطاب لمعاصري الرسول ﷺ أسند إليهم التولي لكونهم على طريقة أسلافهم وراضون بها<sup>(٤)</sup>.

وكذلك قوله تعالى : ﴿.. يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران/٢٣].

وغالباً ما استعمل لفظ التولي في القرآن الكريم إلا عقبَ بالإعراض مبالغة في الترك والتولي، وقيل : التولي بالجسم والإعراض بالقلب فأراد سبحانه تميم المعنى بذكر "التولي" في حال الخطاب<sup>(٥)</sup>، ولينفي عنهم الفهم الذي يحصل بالإشارة وكأن ذلك يوحي إلى أنّ البيان القرآني يُوغل في المعنى وفي رسم المشاهد حتى يكون التصوير واضحاً ومؤثراً أقوى.

(١) ينظر في مادة "ولى" : وأساس البلاغة ٩٢١-٩٢٢، ومقاييس اللغة ٢١٨/٥ والوجوه والنظائر ١٥٣-١٥٢، والمفردات ٨٣٧-٨٣٨، ومختار الصحاح ٧٣٦-٧٣٧، ولسان العرب ٢٨٤/١٥-٢٨٥، والكليات ٢٩.

(٢) ينظر : نزهة الأعين النواظر ٦١٣-٦١٤ وإصلاح الوجوه والنظائر ٩٥.

(٣) ينظر : تفسير القرآن العظيم ٨٠/٢، ونظم الدرر ٢٦٦/٦.

(٤) ينظر : المحرر الوجيز ٣٧٥/١، والبحر المحيط ٤٦٢/١، وقطف الأزهار ٢٨٢/١.

(٥) ينظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ٣١٠/١.

والسياق المحيط باللفظة هو الذي يحدد هذه الدلالة قال بعضهم : والمعرض والمتولي يشتركان في ترك السلوك، إلا أن المعرض أسوأ حالاً؛ لأن المتولي متى ما ندم سهل عليه الرجوع، والمعرض يحتاج إلى طلب جديد، وغاية الذم الجمع بينهما<sup>(١)</sup>. وقد تأتي لفظة "التولي" بمعنى الهزيمة والهروب من ساحة القتال، فـ (ولّى) فلان هارباً من ساحة المواجهة، أي : أدبر، وقد ولّى الشيء وتولّى إذا ذهب هارباً ومديرًا، من ذلك قوله تعالى : ﴿وَأِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلَوْكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران/١١١]، والمراد من تولية الأدبار : الانهزام، فإن المنهزم يولي ظهره إلى من انهزم منه، وعدل التعبير القرآني عن لفظ الظهور إلى الأدبار تقييحاً لفعل الفار وتبشيعاً لانهزامه وتنفراً عنه<sup>(٢)</sup>.

وكذلك لفظة "اللعن" وتعني : الابعاد والطرْد<sup>(٣)</sup> من الخير، وقيل الطرد والابعاد من الله، ومن الخلق السب والدعاء. قال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ..﴾ [المائدة/٦٠].

وقيل : اللعنة في القرآن الكريم : العذاب، ولعنه الله لعناً : عذبه، وقيل : المسخ أيضاً، قال تعالى : ﴿أَوْ نُلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [النساء/٤٧]، أي : نمسخهم، واللعين : المخزي المهلك<sup>(٤)</sup>.

ولفظة "الصد" يقال : صدّ عنه يصدّ ويصدّ صدّاً وصدوداً وهو الاعراض والصدوق، ويقال صدّ يصدّ صدّاً إذا منعه عن الأمر وصرفه عنه، فجاء استعمال اللفظة في آيات الصفات بمعنى الاعراض والميل إلى أحد الجانبين كما في قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء/٥٥]، حيث قابل بين الأيمان ﴿ءَامَنَ بِهِ﴾ والصدّ بمعنى الاعراض والتولي عن الشيء "صدّ"

(١) ينظر : الكليات ٢٨.

(٢) ينظر : البحر المحيط ٤/٤٧٤، وروح المعاني ٣/٤٦، وتفسير الجلالين ٨٥.

(٣) ينظر : في مادة (لعن) تفسير غريب القرآن ٢٦، وتهذيب اللغة ٢/٣٩٦، ومقاييس اللغة ٥/٢٥٢، ومختار الصحاح ٥٩٩، ولسان العرب ١٣/٢٠٨ وعمدة الحفاظ ٤/٣٧.

(٤) ينظر في مادة (صدّ) : تهذيب اللغة ١٢/١٠٣، ومقاييس اللغة ٣/٢٨٢، والمفردات ٢٧٥-٢٧٦، ونزهة الأعين النواظر ٣٨٣-٣٨٤، والصحاح ١/٧٠٨، ولسان العرب ٨/٢٠٨، والكليات ٢٨-٢٩.

عنه" فهذا الاعراض ناتج عن الكفر بالآيات البيّنات وعدم الأيمان بها ويُلحظ فيه دلالة الميل إلى التكذيب ، يقول "الفراء" : الصدّ : ((الإعراض والتكذيب))<sup>(١)</sup>.

وبمعنى الصرف والمنع كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا..﴾\* [آل عمران/٩٩] ويلحظ أنّ (الصدّ) فيه دلالات الإكراه والتبجّح. ومن حديث المعجميين نستنتج أنّ (الصدّ) يكون بأمر خارجي يؤدي إلى الصرف والامتناع.

### رابعاً : التقابل الدلالي

**التقابل لغة :** أصلُ التقابل والمقابلة في اللغة : المواجهة بين شيئين، وقد يكون أصله، التعادل بين الشيئين، إذ يقال : عادله وقابله وحاذاه<sup>(٢)</sup>.

**أما اصطلاحاً :** فاللفظان أو التركيبان المتقابلان ((هما : اللذان لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة))<sup>(٣)</sup>. أو هو ((كل كلمتين تحمل إحداهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى))<sup>(٤)</sup>.

والحق أنّ التقابل لا يتعلّق بكلمتين فقط، بل كثيراً ما يكون بين تركيبين أو أسلوبين يحمل أحدهما ماهو ضد أو نقيض أو خلاف المعنى الذي يحمله الآخر. تُعدّ ظاهرة التقابل من الظواهر المميزة في اللغات عامة واللغة العربية خاصة، تقوم على أساس التقابل والمواجهة بين عناصر لغوية، وتختلف هذه المواجهة تبعاً للمفاهيم التي تتسع لها. إذ تتضمّن دلالات متعدّدة تتطوي تحت الأصل اللغوي للفظة التقابل وهي : المطابقة والتضاد والتناقض والتحالف<sup>(٥)</sup>.

(١) معاني القرآن، الفراء ٢٧٥/١.

\* ينظر : النساء/١٦٠، والتوبة/٣٤.

(٢) ينظر في مادة (قبل) : مقاييس اللغة ٥١/٥-٥٢ ومختار الصحاح ٥٢٠، ولسان العرب ١٢/١٣-١٤، ٥٤٠/١١، ٥٥٧/١٣.

(٣) التعريفات ١٦١.

(٤) ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية (ر/م) عبدالكريم محمد حافظ العبيدي ٥٠، ٨١.

(٥) ينظر : التقابل والتماثل في القرآن الكريم، فايز الفرعان ١٥-١٦، ٧٨.

وقد تعامل الناطق بالعربية مع هذه الظاهرة تعاملًا فنيًا مميزًا ورائعًا؛ بها يؤكد وعيه التام لطبيعة هذه اللغة وتوظيفها على نحو يفجر كل طاقاتها الإبداعية<sup>(١)</sup>، وتأتي أهمية هذه الظاهرة من قدرتها الفائقة على تصوير وترتيب الكلام على ما ينبغي، فالكلمات المتقابلة ترسم معناها من خلال علاقة التقابل القائمة بينها.

وقد تنبّه اللغويون القدماء على هذه الظاهرة، فتناولوها بالدرس والتحليل في القرآن الكريم وأشعار العرب من دون أن يُشيروا إلى اسمها الحديث، بل كانوا يسمونها المقابلة تارة والطباق تارة أخرى.

قال "أبو هلال العسكري" في تعريف هذه الظاهرة بأنها : ((إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى على جهة الموافقة أو المخالفة))<sup>(٢)</sup>.

وفرق "الزركشي" بين المقابلة والطباق على أساس العموم والخصوص<sup>(٣)</sup>، فالمقابلة أو التقابل بمفهومنا الحديث أعم من الطباق؛ لأنّ الطباق يقوم على التضاد فقط، على حين يقوم التقابل على التضاد والتناقض والتخالف.

وجاءت عناية المحدثين بهذه الظاهرة على نحو أكثر عمقاً وشمولاً وتنوعاً، فبحنوا في ما وراء التقابل من دلالات تعود إلى تقابلات أخرى، ووضعوا له درجات تبعاً لوضوحه ودقة دلالاته<sup>(٤)</sup>، وعدوا التضاد أكثر أنواع المقابلة دلالةً على هذا الفن<sup>(٥)</sup>، وسمّاه الغربيون (التخالف)<sup>(٦)</sup>.

والحق أنّ هناك فرقاً بين التضاد والخلاف، إذ بين المتضادين تناقض وبين المتخالفين تغاير دون تناقض.

لقد أثر القرآن الكريم في نفوس سامعيه في روعة تصويره وجمال عرضه وقوة أدائه، فكانت سمة تصوير المتقابلات هي الأداة المفضلة في أسلوبه، والخصيصة الشاملة، والطريقة التي يرسمها لفظ أو مجموعة ألفاظ في أوضاع مختلفة لتنبئ عن

(١) ينظر : ظاهرة التقابل في اللغة العربية ٥٠.

(٢) كتاب الصنائع ٣٤٦، وينظر : المفردات ٥٩٢، وفقه اللغة ورسر العربية ٤٣٧.

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٤٥٨/٣.

(٤) ينظر : التقابل والتماثل في القرآن الكريم، والتقابل في القرآن الكريم، منال صلاح الدين، وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية.

(٥) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية ٢/٢٥٤.

(٦) ينظر : علم الدلالة، بالمر ١٠٩.

حالات نفسية ومواقف وجدانية تسهم في فهم النص، فيقوم بتجسيم الحقائق أو إطلاق الحياة في الصور على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير<sup>(١)</sup>.

وقد عدّ أستاذنا الدكتور كاسد الزيدي التقابل الدلالي مظهراً آخرًا من مظاهر التناسق الأسلوبي في القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

ويأتي أسلوب التقابل في سياق آيات الصفات على نوعين :

١- **لفظي** : وهو تقابل لفظ للفظ آخر مُضادّ له أو نقيض أو مخالف، نحو مقابلة الحق بالباطل في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة/٤٢]، ومقابلة الكفر بالإيمان كقوله : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة/٨٥]، ومقابلة السر بالإعلان في قوله : ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة/٧٧] ومقابلة بيان الشيء وكتمانه في قوله : ﴿لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ..﴾ [آل عمران/١٨٧]. ومقابلة النهي عن فعل الشيء والعودة لفعله كقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة/٨].

ومن ذلك مقابلة التحريم والتحليل في قوله : ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء/١٦٠]. وغير ذلك من الألفاظ المتقابلة في سياق آيات الصفات.

وهذا التقابل هو التقابل الأصلي والمتبادر إلى الذهن عند سماع أي من الطرفين المتقابلين، ولذا سمّاه بعض الباحثين التقابل الظاهر<sup>(٣)</sup>.

٢- **معنوي** : ويكون في هذا النوع مقابلة معنى بآخر؛ إذ يُحمل لفظ على معنى لفظ آخر لما بينهما من المقاربة والمواشجة<sup>(٤)</sup>، وإنّ هذا النوع من التقابل يتطلّب إعمال الفكر وإمعان النظر لمعرفة وكشف أبعاده؛ لأنه ليس قريباً أو واضح الدلالة، لذا يرى بعض المحدثين أن فيه غزارة في الدلالة على المعنى أكثر مما هي في التقابل اللفظي؛

(١) ينظر : التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب ٢٩- وما بعدها.

(٢) ينظر : الطبيعة في القرآن الكريم، كاسد ياسر الزيدي ٤٦٨.

(٣) ينظر : ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ٩٩.

(٤) ينظر : التقابل الدلالي في القرآن الكريم ٣-٥.

لأنه يؤدي وظيفة فنية وجوهرية وهي تعميق المعنى داخل العمل الأدبي<sup>(١)</sup>، وقد سماه بعض منهم الخفي<sup>(٢)</sup>.

ويسمى القدماء هذا التقابل طباقاً معنوياً<sup>(٣)</sup>، أو طباقاً غير محض<sup>(٤)</sup>، أو مقابلة بالخلاف<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة/٩٣]، قابل التعبير القرآني بين الماضي "سَمِعْنَا" وهو تعبير عن معنى القبول<sup>(٦)</sup>، والفعل الماضي "عَصَيْنَا" الدال على الرفض والتمرد.

وكذلك قوله : ﴿ وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [آل عمران/١١٩] فقابل بين إدعاء منافقي اليهود الأيمان "يحمد" ﷺ وبما أنزل عليه في حالة ملاقاتهم المسلمين وإظهارهم مساندتهم، وحالة خلوتهم بعضهم ببعض وعضهم الأنامل وهي كناية عن التحسر والغيط من جماعة المسلمين، وهذه الآية تجسد حالة التناقض والنفاق التي يعيشها هؤلاء اليهود، فسلوكهم يتغير بحسب المواقف الاجتماعية التي تواجههم.

وكقوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة/٤٢]، فقابل بين حالتين، الأولى : أمر اليهود المسلمين وغيرهم بالبر والإصلاح والأخرى : نسيان أنفسهم بالالتزام بذلك الأمر : وقد عبر القرآن الكريم بـ "النسيان" دالاً عن الترك، وهو تعبير مجازي؛ لأنه من الصعب أن ينسى المرء نفسه فلا يقدمها فيما ينفعها، فجاء التقابل بين أمر الآخرين بالشيء وترك النفس عن عمله.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ﴾ [الأعراف/١٦٨].

(١) ينظر : دراسة في المعاني والبديع ، شفيع السيد ٩٥.

(٢) ينظر : ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ١٠٥.

(٣) ينظر : العمدة ، ابن رشيق ١٤/٢.

(٤) ينظر : الطراز ٣٨٣/٢.

(٥) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٥١٥-٥١٦.

(٦) ينظر : فتح القدير ، ١٧٨/١، واللباب في علوم الكتاب ٢٩١/٢.

وقد حَفَلَتْ آيات الصفات بجملة من التقابلات اللفظية والمعنوية التي عُدَّت مَثَارَ اهتمام علماء العربية من قدماء ومحدثين، وقد وردت فيه على ثلاثة أساليب<sup>(١)</sup>.

١ - **تقابل بين الألفاظ المفردة** : وهو كثير، ولاسيما بين المتضاد فيها، وهو عموماً بين الألفاظ متجانسة، فالفعل مع الفعل ومرر بنا ذلك في الأمثلة السابقة وكذلك مقابلة الإبداء والإخفاء بصيغة المضارع كقوله تعالى : ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَارِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ [الانعام/٩١]، وقد يتقابل الفعل الماضي مع الماضي كقوله ﴿ كَلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَاها اللَّهُ ﴾ [المائدة/٦٤]، أو قد يكون الاسم متقابلاً مع الفعل كما في تعالى ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة/٧٢]، وغير ذلك.

٢ - **تقابل بين التراكيب** : وأغلب أنواع الجمل المتقابلة يقع في دائرة أسلوب الشرط، وهذا النوع من التقابل كثير الورود في آيات الصفات، إن استعمال الجمل الشرطية المتقابلة يصنف الأشياء إلى اتجاهين متضادين من خلال الاعتماد على لفظين متقابلين، ومجيء هذه الألفاظ معززة بأسلوب الشرط، وهو أسلوب فني يمنح الكلام تأثيراً عميقاً يجعل المستمع في حالة استيعاب كامل لمغزى الكلام وحقيقته مدركاً لأبعاده<sup>(٢)</sup>. والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ [آل عمران/١٢٠]. وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الاعراف/١٤٦] وكقوله : ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران/٢٠].

وقد يأتي التقابل في الجمل الأسمية كقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران/١٨١]. وقوله ﴿ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران/١١٠]. وكذلك قوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ﴾ [النساء/٥٥].

وقد يقابل بين الجملة الفعلية الدالة على التغير والحدوث، والجملة الأسمية الدالة على الثبوت في قوله تعالى : ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ [الحشر/١٤].

(١) ينظر : التقابل الدلالي في القرآن الكريم ٤، وظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ٨١-٨٦.

(٢) ينظر : ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ٨٤، وقواعد النحو العربي ٣٨٥-٣٨٦.

٣- **تقابل بين الصُّور** : ويقع بين صورتين متضادتين ترسمان صورة معينة أو تشكّلان موقفاً خاصاً، ولهذا الأسلوب أثر بالغ في شعور المتلقي، وفائدة تصوير الحقائق وبيان مظاهر الحياة في صور تقوم على الموازنة وهذا من أساليب التعبير القرآني<sup>(١)</sup>. ومثاله قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ\*وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ..﴾ [آل عمران ٧٢-٧٣].

والتعبير القرآني يصور حال منافقي اليهود معبراً عن ذلك بعدة ثنائيات كالإيمان والكفر، ووجه النهار وآخره، وسُمّي أول النهار بوجهه؛ لأنه أحسنه وأول ما يواجهه به<sup>(٢)</sup>.

وقوله : ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا..﴾ [آل عمران/٧٥]، بعد أن صور القرآن الكريم خيانة اليهود في الدين والاعتقاد في الآية السابقة، ذكر في هذه الآية خيانتهم عهد الأمانة المالية متخذاً من أسلوب الشرط أداة في التعبير عن ذلك، ومستعملاً المتقابلات الآتية :

(١) ينظر : تقابل الصور في القرآن الكريم " دراسة أسلوبية " ، ثائر حسن الغرلاوي (ط/د).

(٢) ينظر : مجاز القرآن ٩٧/١ وتلخيص البيان في مجازات القرآن ١٤٥، والدر المصون ٤٠٠/٢، وقطف الأزهار ٦٠٦/١.

"يؤده، ولا يؤده" و "قنطار" و "دينار" <sup>\*</sup>، والقنطار عند العرب رمزٌ للشيء الكثير من المال والدينار رمزٌ للمال القليل <sup>(١)</sup>. وهذا التقابل الدلالي بين القنطار والدينار، قد أشعرنا بدلالة كلا منهما. والمعنى : إن من أهل الكتاب من لا يخون في الأمانة، ولو كانت كثيرة، ومنهم من يخونها وإن كانت قليلة ومن حافظ على الكثير فالقليل أولى، والملاحظ أن في ذكر الدينار مثلاً للقلّة وتنبهها على أن الشيء القليل يجب أن لا يستهان به في الأمانة <sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيعَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف/٨]. إذ قابل النص القرآني في هذه الآية الكريمة بين صورتين:

إحدهما : صورة إرادة كفار اليهود وغيرهم - إطفاء نور الله تعالى، وهو تعبير عن دين الله وشرعه المنير، وهذا تهكم، فقد شبهت حالهم تلك بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه.

الأخرى : صورة إتمام الله تعالى - نوره وإظهار دينه ونشره في الآفاق وإعلائه على الأديان كافة <sup>(٣)</sup>.

<sup>\*</sup> القنطار : مقياس، وقد اختلف العلماء في مقداره كما اختلفوا في أصله أعربي هو أم فارسي أم رومي.

ينظر : الصحاح ٧٩٦/٢، والمفردات ٦١٥، والمعرب من الكلام الأعجمي ٣١٨، ولسان العرب ٢٠١/٢، والكلبيات ٧٣٣، وتاج العروس ٤٨٥/١٣-٤٨٦.

<sup>\*\*</sup> الدينار ذكر بعض العلماء أنه من الألفاظ الفارسية المعربة وأصله "دينار" أو "دين آر" أي الشريعة جاءت به، ولم يذكر الدينار إلا في هذه الآية ومنهم من لم يصرح بأعجميته كالجوهري ينظر : جمهرة اللغة ٢٥٨/٢، والصحاح ٦٥٩/٢، والمفردات ٢٤٨، والمعرب من الكلام الأعجمي ١٨٧، والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ٨٨-٨٩، والإتقان في علوم القرآن ٢٩٣/١، وتاج العروس ٣١٤/١١ وشفاء الغليل ١٢٤.

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٣٨٣/١، ٣١/٢.

(٢) ينظر : جامع البيان ٣١٧/٣، والتحرير والتنوير ٢٨٦-٢٨٧، ومواهب الرحمن ٧٦/٦.

(٣) ينظر : الكشف ١٢٥/٤، والتفسير الكبير ٢٧٣/٢٩-٢٧٤.

لقد كره هؤلاء الدين الحق فكان المناسب إذلالهم وإرغامهم بإظهار ما يكرهونه، وليس المراد من إظهاره إلا ببقى في العالم من يكفر بهذا الدين بل المراد أن يكون أهله عالين غالبيين على سائر الأديان بالحجة والبرهان، ويلحظ أن النص القرآني ناسب بين الصورتين فجاء في الأولى بالفعل "لِيُطْفِئُوا" للدلالة على تجدد محاولاتهم وتكرارها وتغيير أساليبهم فيها ولتحريكهم وسعيهم فيها، وفي الثانية جاء بالاسم "متم نوره" ليدل على ثبات الصفة واستقرارها فيه سبحانه وتعالى، ولم يستعمل الفعل؛ لأن الفعل يدل على الحدوث والتجدد والتغيير، ولو أنه استعمل الفعل "يُتِمُّ" في هذه الآية الكريمة لما ناسب استقرار صفة إتمام نوره وثبوتها ولفهم من ذلك حينها أن الإسلام لن يكتمل ولن تتم آياته في وقت محدد ولتتمكن في نفس من يقرأ القرآن الكريم اليوم أن ﴿لَا مَآزِلَ يَتَمُّ نور الإسلام وهذا ما لا ينبغي؛ لأن الإسلام قد اكتمل نوره وتم<sup>(١)</sup>، فقد قال الله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/٣].

وقوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِنَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة/٥]، فقد قابل النص القرآني بين صورتين هما صورة تحميل اليهود التوراة وتكليفهم العمل بما فيها، وصورة عدم حملهم إياها فهم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بهديها ونورها. وفي هذا ذم عظيم لهم<sup>(٢)</sup>.

إن طول المدة لم تجعل اليهود يثوبون إلى رشدهم ويعملون بالتوراة، بل إنهم زادوا غيًّا وكفرًا، فناسب النص القرآني طول المدة التي منحها الله تعالى إياهم بأن عمداً إلى استعمال حرف العطف "ثم" للربط بين جملتي "حُمِّلُوا التَّوْرَةَ" و "لم يحملوها"؛ لأنها تفيد الترتيب والتعقيب مع التراخي - كما مر بنا\* - وقد أشار باحث معاصر إلى أن ((المعنى الوسطي الذي يتكون من الصورتين المتقابلتين في هذه الآية الكريمة هو شدة الكفر التي كان عليها اليهود؛ لأنهم على الرغم من طول المدة التي منحها لهم الله تعالى لم يعملوا بالتوراة مع علمهم بما جاء فيها))<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر : تقابل الصور في القرآن الكريم ١٤٢-١٤٣.

(٢) ينظر : صفوة التفاسير ١٢٠/٤-١٢٧.

\*

(٣) تقابل الصور في القرآن الكريم ١٥٥.

وقد يقع التقابل بين الألفاظ المفردة لغير تضادٍّ أو تناقضٍ أو خلاف، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ ﴾ [البقرة/ ١٤٥].

قال "الطوسي" : في تفسير هذه الآية : ((أنها على وجه المقابلة كما تقول : ما هم بتاركي إنكار الحق وما أنت تارك الاعتراف به، فيكون الذي جرَّ الكلام التقابل للكلام الأول، وذلك حسن كلام البلغاء))<sup>(١)</sup>.

فقابل بين اتباع الكافرين لقبة محمد ﷺ، واتباعه لقبتهم وهم اليهود والنصارى، ومما لا شك فيه أن اتباعه لقبتهم أمرٌ مستحيل الوقوع لا حاضراً ولا مستقبلاً، ولذلك عبر عنه بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار، على حين عبر عن اتباع الكفار بالجملة الفعلية الدالة على التجدد؛ لأنه أمرٌ قابل للتغيير، فقد يؤمنون وينقلبون عن قبلتهم إلى قبة الإسلام مستقبلاً.

قد يُحذف الطرف المقابل ونهتدي إلى المعنى المراد فيفهم المحذوف غالباً - اعتماداً على قرينة لفظية في السياق أو دليل عليه في مكان آخر وفي سياق آخر، أو من شهرته التي أغنت عن ذكره<sup>(٢)</sup>. ويسمى تقابل الحذف بـ (الاحتبال)<sup>(٣)</sup>، ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشدُّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب. فحك الثوب : سد ما بين خيوطه من الفرج وشدّه بإحكام<sup>(٤)</sup>.

ويعرّف "الزركشي" هذا النوع من التقابل بأن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه<sup>(٥)</sup>.  
ويصفه "السيوطي" بأنه من ألطف أنواع وأبدعها، وقلَّ من تنبّه له أو نبّه عليه من أهل فن البلاغة<sup>(٦)</sup>.

(١) التبيان في تفسير القرآن ١٩/٢، وينظر : مجمع البيان ٢٢٨/١، والتفسير الكبير ١١٣/٤، وروح المعاني ١١/٢.

(٢) ينظر : ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية ٩١.

(٣) ينظر : كشف اصطلاحات الفنون ٤٦٩/١.

(٤) ينظر في مادة (حك) : أساس البلاغة ١٥٢، ومقاييس اللغة ١٣٠/٢، والمفردات ١٥٣، ومختار الصحاح ١٢١، ولسان العرب ١٩/٤.

(٥) وينظر : البرهان في علوم القرآن ١٦٩/٣، ونظم الدرر ٢٦٣/٤.

ومما جاء في سياق آيات الصفات قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ [النساء/٤٤]. أراد : يشتررون الضلالة بالهدى<sup>(١)</sup>. فحذف التعبير القرآني كلمة (الهدى) للدلالة عليها من خلال تقابلها مع (الضلالة) فتعد لفظة (الضلالة) قرينة سياقيه متقدمة، وكذلك بدليل قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة/١٦]. فهذه الآية تعد قرينة غير سياقية للآية الأولى.

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران/١١٣].

قال الأخفش : ((وقال : (ليس سواءً من أهل الكتاب)؛ لأنه قد ذكرهم ثم فسره، فقال : (من أهل الكتاب أمة قائمة)؛ ولم يقل : (وأمة على خلاف هذه الأمة)؛ لأنه قد ذكر هذا قبل ، وقال تعالى ﴿ ءَامِنُ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ فهذا قد دل على أنه خلاف هذه...))<sup>(٢)</sup>.

فالتعبير القرآني قد ذكر أمة واحدة، ولم يذكر مقابله؛ لأنَّ سواء تقتضي المعادلة بين اثنين فما زاد، فالمعنى : ليس المؤمنون من أهل الكتاب والفاسقون -أو الكافرون- منهم والمتقدم ذكرهم في الآيات السابقة سواءً.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ [آل عمران/١٩] ففي قوله ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ أي : وهم لا يؤمنون به كله، فحذف التعبير القرآني وهم لا يؤمنون به كله ، ويدل على الحذف إثبات المقابل في تحبونهم ولا يحبونهم<sup>(٣)</sup>.

وهكذا تتمكن اللغة بالقليل من الألفاظ أن تستحضر ما لا حصر له من المعاني ذلك بأن المعاني لا يمكن ترويضها إلا بالألفاظ<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : الإتيان في علوم القرآن

(٢) ينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج ٣٤٠/١.

(٣) معاني القرآن، الأخفش ٢١٣/١، ومعاني القرآن، الفراء ٢٣٠/١ ، وتأويل مشكل القرآن ٢١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٢/٤ ، والدر المصون ١٨٩/٢-١٩٠.

(٤) ينظر : إعراب القرآن المنسوب للزجاج ١٨/١.

(٥) ينظر : الأصول ، دراسة إبستمولوجية ٣٦٢.

## المبحث الثالث

### ألفاظ صفات بني إسرائيل السلوكية في القرآن الكريم في حقل دلالي

يُعرفُ الحقلُ الدلالي بأنه : ((قطاعٌ متكاملٌ من المادة اللغوية يُعبّرُ عن مجالٍ معيّنٍ من الخبرة))<sup>(١)</sup>، وتقومُ هذه النظريةُ على مبدأ تقسيم الألفاظ على مجاميع معنوية كل مجموعة تضم عدداً من الألفاظ يجمعها عنوان دلالي أو معنى عام موحد يفرق بينها وبين المجاميع أو الحقول الأخرى وفي كل حقل ترتبط الألفاظ فيما بينها بالمعنى الموحد وتختلف بالمعاني الجزئية والملاحم المميزة<sup>(٢)</sup>.

يرى أصحاب نظرية الحقول الدلالية "وهي نظرية حديثة" أنه : ((لكي نفهم معنى كلمة يجب أن نفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليًا.. ولهذا يعرف "لاينز" معنى الكلمة بأنه : (محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي) وهدف التحليل إلى الحقول الدلالية هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلًا معيّنًا، والكشف عن صلاتها، الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام))<sup>(٣)</sup>.

وتجسّد النظريةُ منهجاً في علم الدلالة التركيبي يتضمنُ سبل التحليل الدلالي لبنية اللغة، هذا التحليل يتكون من مرحلتين :

أحدهما : تقسيم الألفاظ على حقول دلالية.

الأخرى : تحديد دلالة الكلمة في داخل كل حقل ببحثها مع أقرب الألفاظ إليها<sup>(٤)</sup>.

ويتفق أصحاب هذه النظرية على مبادئ منها :

(١) علم الدلالة، أحمد مختار عمر ٧٩.

(٢) ينظر : نفسه، والمجالات الدلالية في القرآن الكريم ١٤-٢٤.

\* في الأصل "الحقول" والصواب ما أثبتته، والله أعلم.

(٣) علم الدلالة، أحمد مختار عمر ٧٩-٨٠.

(٤) ينظر : علم الدلالة، أحمد مختار عمر ٨٠، والأسلوبية والأسلوب، عبدالسلام المسدي ١٥٤،

والمجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة، علي زوين "بحث" ٧٥.

١- الوحدة المعجمية الواحدة تنتمي إلى حقل دلالي واحد.

٢- لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل دلالي.

٣- مراعاة السياق الذي ترد فيه الكلمة.

٤- استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.

تتجلى أهمية نظرية "الحقول الدلالية" في تبيان أوجه التشابه والاختلاف بين ألفاظ الحقل الدلالي الواحد، وتجميع مفردات اللغة في مجاميع مما يسهل على الشاعر أو الكاتب اختيار ألفاظه بدقة، كما تبرز الفجوات المعجمية، أي مواضع النقص في اللغة داخل الحقل الدلالي الواحد - المعاني التي لم توضع لها ألفاظ - كما تعطي دراسة معاني الكلمات على أسس هذه النظرية تصوراً عن قيم الحضارة المادية والروحية السائدة في العصر والعادات والتقاليد، فتوضح صورة المجتمع اللغوي.

كما أن هذا اللون من التحليل يشكل معيناً لمن يريد اختيار مفردات معينة للتعبير عن المعنى من أدباء وكتّاب تكون أكثر دقة أو أكثر ملاءمة للسياق<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نعدّ الرسائل اللغوية التي ألفها علماء العربية في ألفاظ معانٍ مخصوصة شواهد على سبق علمائنا إلى أصول هذه النظرية، نحو رسالتي "الأصمعي" (ت هـ) في "الإبل" و "خلق الإنسان" وكتب: أدب الكاتب لـ "ابن قتيبة"، والحيوان "للجاحظ"، والصاحبي في فقه اللغة "لابن فارس"، وفقه اللغة وسر العربية "للثعالبي" وغير ذلك مما أبدعته عقولهم النيرة.

لقد امتاز بني إسرائيل بصفات سلوكية عديدة أبانها القرآن الكريم منها السيئة ومنها الحسنة، وسنقتصر في هذه الدراسة على بيان دلالة الصفات السلوكية السيئة فقط، وذلك لشيوعها وغلبتها، إذ احتلت مساحةً واسعةً من آيات الصفات فلازمتهم وعرفوا بها حتى صارت علماً عليهم، علماً أن الدراسة تشتمل على ألفاظ الصفات السلوكية سواء كان منها "قولياً" كالكذب والافتراء والإفك والنجوى.. الخ، أم "فعلياً" كالإسراف، والسُّوم، والقتل والكسب.. الخ أم "نفسياً" فمنه ماهو ظاهر للآخرين كالبخل والغضب ومنه ماهو غير ظاهر كالحسد والمكر والخداع.. الخ أم مشتركاً بين الأنواع الثلاثة السابقة "القولی، والفعلی، والنفسی" كالأعتداء والخيانة والعصيان والفساد وغير ذلك..

(١) ينظر : علم الدلالة، أحمد مختار عمر ١١٠-١١٣، وعلم الدلالة، هدى لوشن ١١٦.

يُعرَّفُ السلوكُ من وجهة نظر علماء النفس بأنه استجابة الفرد، بأقوال، أو أعمال، أو أفكار تواجهه بها بيئته، سواء كان فطرياً أم مكتسباً وسواء كان مقبولاً اجتماعياً أم مضاداً لمبادئ المجتمع<sup>(١)</sup>.

إن دوافع الفرد واستعداداته ونفسيته وميوله واتجاهاته وخبراته تحدّد نوع السلوك الذي يأتيه ، كما أن العوامل الخارجية البيئية تسهم في حدوث السلوك وتحديد نوعه، فلا ينبغي أن ننظر إلى سلوك الفرد في حد ذاته، غافلين عما يحيط به من ملابسات وظروف بيولوجية، ونفسية واجتماعية ومادية، وينبغي النظر إلى كل ذلك لا في ضوء الحاضر حسب، ولكن في ضوء الماضي أيضاً، فالسلوك لا يفهم إلا في ضوء ظروفه وملابساته لا منعزلاً عنها<sup>(٢)</sup>.

تناول البحث ألفاظ صفات بني إسرائيل السلوكية بدلالاتها اللغوية والمجازية ثم الانتقال إلى الدلالة القرآنية ، أي : ما تدل عليه اللفظة في آيات الصفات. وبيان ما أضفاه الاستعمال القرآني على بعضها من دلالة شرعية، إذ أكسبها رداءً من المعاني والإحياءات وألبسها حلة جديدة زادت روعةً وجمالاً ورسمت صورة أخاذة للإعجاز والتعبير الذي ليس له نظير، ولا عجب فهو كلام الله ومعجزة رسوله ﷺ الخالدة ، ((إذ صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها وصفة تركيبها كأنها فوق اللغة ولا تقع لأحد من البلغاء أو الفصحاء مثل ألفاظ القرآن الكريم في كلامه وإن اتفقت له نفس هذه الألفاظ بحروفها ومعانيها، إلا إنها في القرآن تتميز وتظهر في تركيب ممتنع فتعرف به، ولهذا ترتفع إلى نوع أسمى من الدلالة اللغوية والبيانية وتكون بتركيبها المعجز صيغة عقلية في اللغة))<sup>(٣)</sup>.

وقد عمدَ البحث إلى دراسة ألفاظ الصفات داخل الحقل الدلالي بحسب الترتيب الألفبائي وبصيغة المصدر، والألفاظ هي كالاتي :

(١) ينظر : قاموس الأنثروبولوجيا "السلوك" شاكر مصطفى سليم ١٠٢، ودراسات في السلوك

الإنساني ، عبدالرحمن محمد عيسوي ١٣٣.

(٢) ينظر : دراسات في السلوك الإنساني ١٤٤-١٤٦.

(٣) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، حسن عون ٨٠.

التسلسل	آفاظ الصفات	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها				التسلسل	آفاظ الصفات	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها			
			مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية
١	الإثم	٤	—	—	البقرة	٨٥	٩	الإجرام	٢	الأنعام	١٤٧	—	—
			—	٧٨	م القصص	٦٢، ٦٣، ٨						—	—
٢	الأذى	٥	الأعراف	١٢٩	آل عمران	١١١، ١٨٦	١٠	الجهل	٣	الأعراف	١٣٨	المائدة	٥٠
			—	٨٩	يوسف	٦٩، ٥					—	—	—
٣	الإفك	١	—	—	التوبة	٣٠	١١	المحاجة	٧	—	—	البقرة	٧٦، ١٣٩
			—	—	—	—				عمران	—	آل عمران	٢٠، ٦٥، ٦٦، ٧٣،
٤	البخل	٤	—	—	آل عمران	١٨٠، ١٨٠	١٢	الحسد	٢	البقرة	١٠٩	البقرة	١٠٩
			—	—	النساء	٣٧، ٣٧				النساء	٥٤	—	٥٤
٥	التبديل أو "الاستبدال"	٤	الأعراف	١٦٢	البقرة	٥٩، ٦١، ١٦٢	١٣	الحرص	١	البقرة	٩٦	البقرة	٩٦
٦	البغضاء	٢	—	—	آل عمران	١١٨	١٤	التحريف	٤	البقرة	٧٥	البقرة	٧٥
			—	—	المائدة	٦٤				النساء	٤٦	النساء	٤٦
			—	—	—	—				المائدة	١٣، ٤١	—	١٣، ٤١
٧	البغي	٩	الأنعام	١٤٦	البقرة	٩٠	١٥	التخريب	١	الحشر	٢	الحشر	٢
			القصص	٧٦	آل عمران	١٩، ٨٣، ٩٩				—	—	—	—
			الشورى	١٤	المائدة	٥٠				—	—	—	—
			الجاثية	١٧	—	—				—	—	—	—
٨	البهتان	١	—	—	النساء	١٥٦	١٦	الخشوء	٢	الأعراف	١٦٦	البقرة	٦٥

١٧	الإخفاء	٣	الأنعام	١٩١	آل عمران المائدة	١١٨ ١٥	٢٦	السَّحَر	١	—	—	البقرة	١٠٢
١٨	الاختلاف	١٢	يونس هود النحل السجدة فصلت الجاثية	٩٣،٩٣ ١١٠ ١٢٤ ٢٥ ٤٥ ١٧	البقرة آل عمران	١١٣ ١٧٦ ١٩،١٠٥	٢٧	الإسراف	١	—	—	المائدة	٣٢
١٩	الخوض	١	الأنعام	٩١			٢٨	السَّفاهة	٢	الأعراف	١٥ ٥	البقرة	١٤٢
٢٠	الخيانة	٣			المائدة الانفال	١٣ ٥٨،٥٨	٢٩	المسَكَنَة	٢	—	—	البقرة آل عمران	٦١ ١١٢
٢١	الذلة	٣	— الأعراف	— ١٥٢	البقرة آل عمران	٦١ ١١٢	٣٠	السَّوْم	٤	الأعراف إبراهيم	١٤١ ١٦٧	البقرة	٩
٢٢	الربوا	١			النساء	١٦١	٣١	الشَّرْك	٥	—	—	النساء التوبة الصف	٤٨،٤٨ ٣١،٣٣ ٩
٢٣	الارتداد	٣	— —	— —	البقرة آل عمران المائدة	١٠٩ ١٠٠ ٢١	٣٢	الصَّدّ	٤			آل عمران النساء التوبة	٩٩ ٥٥،١٦٠ ٣٤
٢٤	التزكية	١	—	—	النساء	٤٩	٣٣	الضلال "الضلالة"	١٣	الأعراف طه	١٤٩ ٩٢	البقرة آل عمران النساء المائدة	١٠٨،١٧ ٦٩،٦٩ ٤٤،٤٤ ١٢،٦٠ ٧٧،٧٧،١
٢٥	الزيفان	٢	—	—	الصف	٥،٥	٣٤	الطَّغْيَان و الطاغوت	٥	طه	٨١	المائدة النساء	٦٠ ٦٤،٦٨ ٥١

٣٥	الظلم	٢٥	الأنعام الأعراف	٢١	البقرة آل عمران النساء المائدة الصف الجمعة	٥١،٥٤ ٥٧،٥٧ ٥٩،٥٩ ٩٢،١٤٠ ٩٤ ١٥٣،١٦٠ ٤٥ ٧٧ ٥٠٧	٤١	الغلو	١	الأسراء	٤	—	—
٣٦	الغنو	١	الأعراف	١٦٦	—	—	٤٢	الغور	١	—	—	آل عمران	٢٤
٣٧	الغنو	١	—	—	البقرة	٦٠	٤٣	الغلو	١	—	—	المائدة	٧٧
٣٨	الاعتداء و العدوان العداوة	١٤	الأعراف	— ١٥٠ — — —	البقرة آل عمران النساء المائدة المجادلة الأنفال	٦١،٨٥ ٩٧،٩٨ ١١٢ ٤٥ ٦٢،٦٤،٧٨ ٨ ٦٠،٦٠	٤٤	الفتنة	٤	الأعراف طه	١٥٥ ٨٥،٩٠	المائدة —	٧١
٣٩	الإعراض	٢	— —	— —	البقرة آل عمران	٨٣ ١٢٣	٤٥	الفساد	٧	الأعراف الأسراء القصص	١٢٧ ٤ ٧٧	آل عمران المائدة	٦٣ ٣٢،٦٤ ٦٤
٤٠	العصيان	٦	— — — — —	— — — — —	البقرة آل عمران المائدة النساء المجادلة	٦١،٩٣ ١١٢ ٧٨ ٤٦ ٨	٤٦	الفسوق "الفسق"	١٣	الأعراف	١٦٣ ١٦٥	البقرة آل عمران المائدة	٥٩،٩٩ ١١٠ ٢٥،٢٦ ، ٤٧،٤٩ ٥٩، ١٦ ٥ ٥

٤٧	التفريق "النفرقة"	٥	الشورى	١٤	البقرة	١٠٢	٥٢	الكِثْمَان	١٠	—	—	البقرة	٤٢،٧٢ ١٤٠،١٤٦ ١٥٩،١٧٤ ٧١،١٨٧ ٣٧ ٦١
٤٨	الافتراء	٧	الانعام الأعراف	٢١ ١٥٢	آل عمران النساء الصف	٩٤،٢٤٤ ٤٨،٥٠٧	٥٣	الكِذِب	١٦	الانعام يوسف	٢١،١٤٤ ٧ ١٤٧ ١٨	البقرة آل عمران النساء المائدة الصف الجمعة	٨٧ ،٧٥،٧٨ ،٩٤،١٨٤ ١٨٤ ٥٠ ،٤١،٤٢ ٧٠ ٧ ٥
٤٩	القتل	١٨	الأعراف يوسف	١٥٠ ٩	البقرة آل عمران النساء المائدة	،٥٤،٦١ ٧٢،٨٥ ٨٧،٩١ ٢١،٢١ ١١٢،١٨١ ١٨٣ ٥٥،١٥٧ ٣٢،٣٢،٧٠	٥٤	الكِشْب	٢	—	—	البقرة	٧٩،٨١
٥٠	القسوة	٤	—	— — —	البقرة المائدة الحديد	٧٤،٧٤ ١٣ ١٦	٥٥	الكُفْر	٣٨	الإسراء	٨	البقرة	٤١،٦١،٨٨، ٨٩،٨٩ ٩٠،٩٠،٩١
٥١	الكِبَر الاستكبار والتكبر	٢	الأعراف	١٤٦	البقرة	٨٧	٥٦	الكُفْر	٣٨	—	—	البقرة آل عمران النساء المائدة التوبة الصف البينة	،٩٣،٩٨،٩٩ ،١٠٥ ،١٠٨ ١٢١ ٢١،٥٢ ٧٠،٩٨،١١٢ ٤٦ ١٥٠ ١٥٠ ١٥١ ١٥١ ١٥٥ ١٢،٤١،٤٤، ،٦١،٦٤،٦٨ ٦٨،٧٨ ٣٢ ٨ ١،٦

٥٧	الكَيْد	٣	يوسف	٥٥	آل عمران	١٢٠
٥٨	اللبس	٢			البقرة	٤٢
					آل عمران	٧١
٥٩	اللعب	٣	الانعام	٩١	المائدة	٥٧، ٥٨
٦٠	اللعن	١٤	—	—	البقرة	١٥٩، ١٥٩، ٨٨، ٨٩
					النساء	٥٢، ٥٢، ٤٦، ٤٧
					المائدة	٤٧
					الأحزاب	١٣، ٦٠
						٦٤، ٧٨
						٦١
٦١	المكر	٢	يوسف	١٠٢	آل عمران	٥٤
٦٢	النبذ	٣			البقرة	١٠٠، ١٠١
					آل عمران	١٨٧
٦٣	النجوى	٢	—	—	المجادلة	٨، ٨
٦٤	النسيان	٣	—	—	البقرة	٤٤
					المائدة	١٣، ١٤
٦٥	النقض	٣			النساء	١٥٥
					المائدة	١٣
					الأنفال	٥٦
٦٦	الهزؤ	٢	—	—	المائدة	٥٧، ٥٨
٦٧	التولي	١٠	—	—	البقرة	٦٤، ٨٣
					آل عمران	١٣٧، ٢٤٦
					المائدة	٢٣، ٦٤، ١١١، ١٦٣
						٤٣، ٨٠

ومن الألفاظ التي تدلّ على صفة سلوكية نفسية لبني إسرائيل لفظة .  
"الحسد"، لا يوجد هنالك مَنْ لا يعرفُ الحسد؛ لأنه يكادُ لا يخلو منه إنسانٌ،  
وكأنه يدخلُ عنصراً من عناصر الغريزة في التركيب البشري، وأمّا في العجماوات فهو  
طبيعتها الأصلية الأولى، وعليه تقوم حياتها، فمثلاً الحسد في النباتات أشدُّ وجوداً منه  
في الكائنات الحية، بل هو منها قانون طبيعي، وتقرب ذلك بمثال نضربه، وهو أن  
الشجرة الكبيرة عندما تستطيل وتمتدّ، فإنها تحجب الفرصة عن غيرها من الشجيرات  
الصغيرة لتكبر وتمتد مثلها، وإذا سمينا ذلك حسداً فلا يعني أننا اعتمدنا تفسيراً مخبرياً  
تنطق به التجربة، بل هو أقرب إلى ملاحظة التشابه الموجود في الصفات المنتشرة بين  
الكائنات الحية.

وفي تعريف "الحسد"، يقول "الشريف الجرجاني" أنه : ((تمني زوال نعمة  
المحسود إلى الحاسد))<sup>(١)</sup>، وهذا يبدو إرسال غير دقيق، فالغني قد يتمنى زوال ثروة  
غني مثله، من غير أن تصير ثروته إليه، وصاحب الصنعة قد يحسد نظيراً له، ويتمنى  
أن يفقد صنعته؛ لأنه ينافسه ويمنعه من النمو والتوسع، لا لأنه يريد أن تنتقل الصنعة  
إليه فهو ليس بحاجة إليها.

أما في حين أن "الراغب" قد سبقه إلى تعريف للحسد أكثر دقة فيقول :  
"الراغب" حين يقول : ((الحسد تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك  
سعي في إزالتها))<sup>(٢)</sup>، فهو لا يكتفي بذكر التمني الذي يظل مختبئاً في نية الإنسان  
الحاسد وباطنه، بل يقرنه بالتحرك والإقدام على العمل الذي من شأنه أن يُزيل النعمة،  
سواء انتقلت إلى الحاسد أم لم تنتقل، ومن تأمل الصراع القائم بين البشر وجد فيه  
الشاهد العدل على صدق ذلك.

والحسد أصله من عمل القلب وجود فضل الله، وهما جناحان للكفر وهو من  
والحاسد مضر بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود، كـ "إبليس" -لعنه الله- أورث بحسده  
لنفسه اللعنة ولآدم الاصطفاء والهدى. وهو الذي أوقع ابن آدم في حسرة الأبد، قال  
تعالى يصف حسد "إبليس" : ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ  
يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ\* قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ

(١) التعريفات ٧٥.

(٢) المفردات ١٦٩.

نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١١﴾ [الأعراف/١١-١٢]، وقال : ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ\* قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر/٣٢-٣٣].

تشير كتب اللغة والتفسير إلى أنّ (الحسد) يأتي على نوعين : أحدهما، وهو كراهة النعمة وحبّ زواله عن المنعم عليه، وهو شر مذموم، والآخر : المحمود، وهو أنّ لا تحبّ زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذا الحسد معناه الغبطة وفيه معنى التعجب والمنافسة<sup>(١)</sup>.

والنوع الأول هو الذي ذمّه تبارك وتعالى في كتابه المجيد مُخبراً عن يهود المدينة بقوله : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ..﴾ [النساء/٥٤]، فبعد أن وصفهم سبحانه بالبخل وصفهم بالحسد، قال "الفراء" في تفسير الآية الكريمة : ((هذه اليهود حسدت النبي ﷺ كثرة النساء، فقالوا ، هذا يزعم أنه نبيّ وليس له همّ إلا النساء))<sup>(٢)</sup>.

"وللزمخشري" تفسير آخر، فقال : ((أي كانوا يحسدونهم ، أي المؤمنين على ما آتاهم الله تعالى من النصرة والغلبة وازدياد العزّ والتقدّم كل يوم))<sup>(٣)</sup>. والذي يبدو أنّ ما ذهب إليه المفسرون بشأن أسباب حسد اليهود يكاد يكون متقارباً، إذ إنّ المهم في المسألة هو أنّ كفار اليهود كانوا لا يتمنون رؤية الرسول وصحابته الكرام بهذا العزّ، فضلاً عن حسرتهم عليهم عندما يرونهم سعداء بما رزقهم الله به كثرة الأموال والأولاد والنساء.

والملاحظ أنّ المحسود -هنا- في الآية الكريمة هو المفعول المباشر، أمّا غير المباشر فهو المثير للحسد، أو موضع الحسد، وهذا الفعل أي ((الحسد)) مُشابه لأفعال الانفعالات النفسية وهي : بكى ، وحزن، وتحسّر وما شابهها في أنها تتعدّى بحرف الجر "على" ، لبيان موضوع الفعل أو المسقط عليه الفعل وإنّ مجازاً<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : الكشف ٨٢٢/٤ ، وإحياء علوم الدين، الغزالي ٧١/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٥٩/٢، ولسان العرب ١١٥/٤.

(٢) معاني القرآن، الفراء ٢٧٥/١.

(٣) الكشف ٥٢١/١-٥٢٢، وتفسير الجلالين ١١٤.

(٤) ينظر : الفعل في القرآن الكريم "تعديته ولزومه" ، أبو اوس إبراهيم الشمسان ٣٩٦.

وفي الموضوع الآخر من آيات الصفات وردت صفة الحسد بصيغة المصدر، وذلك في سياق الحديث عن محاولة يهود المدينة المنورة زرع الشك والخيبة في نفوس المسلمين بعد وقعة (أحد) إثر هزيمتهم ، فحاولوا إقناع المسلمين بالرجوع إلى الكفر وترك الإسلام<sup>(١)</sup>. فنزل قوله تبارك وتعالى فيهم : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ..﴾ [البقرة/١٠٩]، فهذا الحسد قد حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة، فتمنوا أن يرتدّ المسلمين عن دينهم<sup>(٢)</sup>.

فالحسد مرض خبيث من أمراض النفوس ذو نتائج نفسية اجتماعية، يُغري صاحبه بغمط الحق وإنكاره والجحود به، مهما كان بيّناً مؤيداً بالحجج والبراهين وعلة الحسد يرجع إلى إفراط في الأنانية وحب الذات<sup>(٣)</sup>.

وقد كان الحسد من أكبر العوامل التي جعلت اليهود ينكرون الحق الذي جاء به "مُحَمَّدٌ ﷺ" ، فتآمروا عليه وعلى دعوته بعد أن عرفوا صدقها ثم تابعوا تأمرهم على الإسلام في عصور التاريخ الإسلامي بألوان مختلفة من التآمر والكيد<sup>(٤)</sup>.

وهكذا فإنه سبحانه يحذر المؤمنين من خطورة هذه الصفة السلوكية، وأنه لا يجوز أن يفسدوا قلوبهم بها إذ إنها تُدنس النفس البشرية وتحط من كرامتها، وتكمن فيها الأسباب الأولى لكثير من الضلال الفكرية والاجتماعية.

ومن الصفات السلوكية التي جاءت بحق بني إسرائيل في آيات الصفات صفة "الخيانة".

أصل مادة (خ،و،ن) في اللغة يدل على التغيير، قال الخليل : ((وكل ما غيرك عن حالك فقد تخونك))<sup>(٥)</sup>، وقيل : إن أصل المادة هو التنقص، يُقال : خانهُ يَخُونُهُ خَوْنًا، ذلك : نقصان الوفاء، ويُقال : تخونني فلان حقّي ، أي : تنقصني . ويقال : خانهُ الدهرُ

(١) ينظر : أسباب النزول ٢٩، والكشاف ١/٧٦-١٧٧، وتفسير الجلالين ٢٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/٦٥٠، وإرشاد العقل السليم ١/٤٠٠.

(٣) ينظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حنيفة الميداني ١/٧٨٩-٧٩٦.

(٤) ينظر : الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/٨١٣.

(٥) العين ٤/٣٠٩، وينظر : تهذيب اللغة ٧/٥٨١.

والنعيم، وهو تغيير الحال بحدوث النقص في حاله، إلى شر منها<sup>(١)</sup>، يظهر من ذلك أن التغيير فيه دلالتان:

إحدهما : إنه تغيير دائم مؤد إلى النقص.

والأخرى : لا يكون هذا التغيير نحو الخير، بل نحو الشر في جميع استعمالاته، ومن معنى النقص، أيضاً : قالوا : خائنة الأعين : ما تخون من مسارقة النظر إلى ما لا يحل، تكون بالإشارة الخفية، وقيل : هي النظرة الثانية<sup>(٢)</sup>.

وتلتقي دلالة الخيانة بالسرقة؛ ذلك؛ لأن السرقة نقص أيضاً، وبينهما خصوص وعموم. ويقال : كل خائن سارق، وليس كل سارق خائناً<sup>(٣)</sup>. ثم استعمل ضد الأمانة والوفاء، لأنك إذا خنت الرجل في شيء، فقد أدخلت عليه النقصان.

ويستدل من استعمالات المادة، فعل الشيء في الخفاء، ثم استعملت في كل ما لا يقع في محله أو يذهب هدرًا ولا يتحقق، فكل ذلك كناية النقيض والتغيير، فقالوا : خانك السيف : إذا نبا عن الضريبة<sup>(٤)</sup>، وهي عدم تحقيق الغرض المقصود، ولما كانت الخيانة ضد الأمانة، لذلك عدها "الراغب" مع النفاق بمعنى، قال "الراغب" : ((الخيانة والنفاق واحد، إلا أن الخيانة تقال اعتباراً بالعهد، والأمانة. والنفاق يقال : اعتباراً بالدين))<sup>(٥)</sup>. فالخائن يتغير من حال إلى حال بموقفه وينقص من نفسه وشخصيته أولاً، ثم من الشيء الذي أوتى عليه ثانياً، وكذلك فيه معنى الكتمان أو السر، كما في نقض العهود والمواثيق، وهذا ما يلحظه الإنسان على ما يظهر في سلوك الخائن وتعامله، من خلال علاقاته بالآخرين ومعاشرته إياهم، ويقال لناقض العهد : خائن ((نه أمين بالعهد وسكن إليه فغدر ونكت))<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر في مادة (خون) : العين ٣٠٩/٤، ومقاييس اللغة ٢/٢٣١، ولسان العرب ٤/٥٠٠ والمصباح المنير ١/١٩٨.

(٢) ينظر : العين ٣٠٩/٤.

(٣) ينظر تأويل مشكل القرآن ٤٧٧-٤٧٨.

(٤) ينظر العين ٣٠٩/٤، وأساس البلاغة ٢٤٣.

(٥) المفردات ١٦٣.

(٦) تأويل مشكل القرآن ٤٧٧.

جاءت مادة (خ،و،ن) مرتين بصيغة المصدر في آيات الصفات في قوله تعالى :  
﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً..﴾ [الأُنْفَال/٥٨]. أي نقضاً للعهد<sup>(١)</sup>، وعدّها الإسلام من  
أعظم الخيانات؛ لأنها تمثل قطع الصلة بين الله تعالى وبين الناقضين. وكذلك قوله تعالى  
﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المائدة/١٣].

ومن ذلك لفظ (السَّوْمُ)، وأصل المادة يردُّ في اللغة بمعنى السُّكُونُ ، قالوا :  
((وَالسَّوْمُ مِنْ سَيَّرِ الْإِبِلِ، وَهَبُوبِ الرِّيحِ، إِذَا كَانَ مُسْتَمِرًّا فِي سُكُونٍ))<sup>(٢)</sup>، ويرى "ابن  
فارس" أنَّ أصل المادة يدلُّ على طلب الشيء<sup>(٣)</sup>. ومن المعلوم أنَّ الماشية عندما تسام،  
وتقدُّ بهدف الوصول إلى الكلاء، فإنَّ حركتها تستمرُّ وتدومُ على نسق واحد، فظهرت  
بذلك دلالة الاستمرار أو الدوام للمادة، وهذا الاستمرار لسَّوْمِ الإبل والماشية تخلق نوعاً  
من السكون، وقد يُقال: سَومَ الخَسْفُ؛ لأنه استمرار في الشر<sup>(٤)</sup>.

قال "ابن القطاع" (ت هـ) : ((وسام الشيء سَوْماً، طلب ابتياعه، والإنسان  
ذلاً أنزل به الريح والإبل استمرت في سكون سَوْماً، والأنعام سوماً وسَوماً، دامت  
على الكلاء))<sup>(٥)</sup>.

ثم استعملت المادة بدلالة الذهاب في ابتغاء الشيء<sup>(٦)</sup>. ثم انتقلت دلالة المادة إلى  
معنى العلامة الدالة على تحديد الشيء، وبيانه بشيء معلوم قال الخليل : ((سَومُ فلانٍ  
فَرَسُهُ تَسْوِيماً أَعْلَمَ عَلَيْهِ بِحَدِيدَةٍ، أَوْ شَيْءٍ يُعْرِفُ بِهَا))<sup>(٧)</sup>، وكذلك تحمل دلالة التعليم ،  
ولذلك رأى "الطوسي" أنَّ انتقال هذه المادة إلى دلالة سَومِ الماشية جاء من كون هذه  
المواشي علِّمت مراراً من أجل ألا تختلط مع غيرها ، فدلالة التعليم موجودة في هذه

(١) ينظر : الكشف ٣٠٠/٢، ونزهة الأعين النواظر ٢٨١-٢٨٣.

(٢) العين ٣١٩/٧.

(٣) ينظر في مادة (سوم) : مقاييس اللغة ١١٨/٣، ولسان العرب ١٠٥/٧.

(٤) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٥٣١/٤.

(٥) الأفعال ، ابن القطاع ١١٦، ١٦٧/٢.

(٦) ينظر : تهذيب اللغة ١١٣/١٣، وينظر : المفردات ٢٥٠.

(٧) العين ٣٢٠/٧.

المادة، ذلك أن إرسال الماشية مرات كثيرة إلى الرعي يؤدي إلى تعويدها وتعليمها، مما يؤدي في بعض الأحوال إلى أنها تذهب إلى المرعى وتعود من دون راع<sup>(١)</sup>.  
ثم انتقلت المادة إلى دلالة بيع الشيء أو عرضه، فقد ورد (السوم) بهذا المعنى فقيل : ولا يسوم أحدكم على سوم أخيه، أي : لا يشتري<sup>(٢)</sup>، ومنه ((التساوم بين اثنين أن يعرض البائع السلعة بثمن ويطلبها صاحبها بثمن دون الأول))<sup>(٣)</sup>، فدلالة الاضطراب والدوام ظاهرة في هذا الاستعمال، إذ البائع الذي يعرض السلعة لا يبت في مكان، وإنما يتحرك ويدور من أجل بيعها، ربما يحس القارئ بمعنى الشر والأذى، إذ معاملة البيع والشراء لاتخلو من الأضرار فيما بين أطراف المعاملة؛ لأن كلا الطرفين يحاول أن يربح بشتى الوسائل وإن اضطره ذلك إلى الحيلة والخداع والتزوير، كما هو معلوم في بعض الأوساط الاقتصادية.

ومن الاستعمالات المذكورة آنفاً، ومن سياقات لفظة (السوم) ومشتقاتها في آيات الصفات، ترشحت الدلالة الاصطلاحية للسوم، فجاء الاستعمال القرآني لها ليدل على موقف سلبي تجاه الإنسان، من حيث العذاب أو الإكراه، وذلك في سياق عرض القرآن الكريم مواقف "فرعون" وملئه بحق بني إسرائيل وإهانتهم واستخدامهم سنين طويلة.  
وقد أشار اللغويون إلى العلاقة اللغوية بين هذا الاستعمال المتطور، وبين الدلالة اللغوية لهذه المادة، فيظهر أنهم يعزون هذا الاستعمال إلى معنى السوم الدال على سوق الماشية بحيث يظهر فيه معنى الإكراه أو المشقة والحيطة من الشر<sup>(٤)</sup>. وفي هذا استعارة استعارة لطيفة لما في العذاب من مشقة وإكراه، ويعزو "الطوسي" دلالة الشر في هذه المادة إلى دلالة مجاوزة الحد، فرأى أنه قيل للأبل السائمة؛ لأنها تتجاوز حد الإنبات للرعي، أي: أن الأبل السائمة التي خليت سبيلها في الرعي، فأنها تأكل فيه ما شاءت، وكذلك المواشي، إذا أطلقت فإنها تهلك الزرع<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٥٨١/٢.

(٢) ينظر في مادة (سوم) : أساس البلاغة ٤٢٢، ومختار الصحاح ٣٢٢-٣٢٣، ولسان العرب ٥٠/١٠، والتعريفات ١٠٤.

(٣) المصباح المنير ٣١٨/١.

(٤) ينظر : العين ٣٢٠/٧.

(٥) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٥٣١/٤.

وردت المادة في آيات الصفات في أربعة مواضع للدلالة على تعرض بني إسرائيل للعذاب والهوان فكان السَّوْمُ صفةً سلوكيةً مورست ضدهم فامتازوا بها دوناً عن الأمم أخرى، فحددت كثيراً من شخصيتهم عبر القرون فوردت في ثلاثة مواضع بصيغة (يَسْؤُمُونَكُمْ) مُسنداً إلى فرعون وقومه مقصوداً بها النبي موسى عليه السلام وقومه قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة/٤٩].

وقد رأى المفسرون معانٍ مختلفة في تفسير هذا السَّوْمِ المُضَافِ إلى سوء العذاب، فقال أبو عبيدة : (ت ٢١٣هـ) : ((يُولُونَكُمْ أَشَدَّ الْعَذَابِ))<sup>(١)</sup>، وفي موضع آخر قال : ((يَسْؤُمُونَكُمْ، أي : يُولُونَكُمْ وَيَبْلُونَكُمْ))<sup>(٢)</sup>. وقال : الطبري : (ت ٣١٠هـ) : ((فَإِنَّهُ يُورِدُونَكُمْ وَيُذِيقُونَكُمْ وَيُولُونَكُمْ))<sup>(٣)</sup>، ورأى "القرطبي" أن معناه : دوام العذاب عليهم<sup>(٤)</sup>.

ويظهر أن السَّوْمَ بهذا المعنى قد وردَ مَنْسُوقاً مع القتل والذَّبْح، فجاء عاماً ومفسراً بالقتل والذَّبْح، فَقَدَّمَ القرآن الكريم صورة في غاية الدقة؛ إذ صورَ عذابَ فرعون لقوم موسى عليه السلام ممَّا أورتهم الإحساس الدائم بالذلِّ والمسكنة والهوان، فجاءت هذه الصورة مشخصة ظاهرة للعيان عن كيفية قيام فرعون وقومه بأقتراف المنكرات، والمحرمات بحق بني إسرائيل بصورة جماعية، فكأننا نرى تلك الصورة المفعمة بتلك الحركة الجماعية لقوم فرعون وهم يُحاصِرْنهم ويستهدفون حرمتهم.

وفي الموضع الرابع جاءت بصيغة (يَسْؤُمُهُمْ)، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفِيَاةِ مَنْ يَسْؤُمُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۖ ﴾ [الأعراف/١٦٧].

جاء "السَّوْمُ" في الآية الكريمة متعلقاً ببني إسرائيل الذين ظلموا أنفسهم بعذاب بنئيس، فجعلهم سبحانه قردة خاسئين، وأخبر سبحانه أنه سلط عليهم مَنْ يذلهم ويقتص

\* ينظر أيضاً : الأعراف/١٤١، وإبراهيم/٦.

(١) مجاز القرآن ٤٠/١، وينظر : تفسير غريب القرآن ٤٨.

(٢) مجاز القرآن ٣٣٥/١.

(٣) جامع البيان ٢١٣/١، وينظر : الكشف ١١١/٢.

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٨٤/١.

منهم، وقد اختلف المفسرون في تفسير هذا "السوم" ، فضلاً عن اختلافهم في مَنْ يُذيقهم هذا العذاب؟ ومتى<sup>(١)</sup>. وهكذا كان مصيرهم هو "السوم" من قِبَل الآخرين منذ عصرهم الأول وحتى يوم القيامة.

أما "الضلال والضلالة" فصفةٌ امتاز بها بني إسرائيل وَمَنْ سارَ بركابهم، و "الضلال و الضلالة" ضد الهدى والرشاد، ضلت تَضِلُّ ضَلالاً وضلالة، وأضله : جعله ضالاً<sup>(٢)</sup>، والضال : التائه أي بمعنى العدول عن الطريق المستقيم<sup>(٣)</sup>.

والضلال في القرآن الكريم، عدم الاهتمام إلى الحق، وأضله، أي : أضاعه وأهلكه ، وفي التنزيل الحكيم : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [البقرة/١٠٨]، وقال في عبدة العجل : ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [اعراف/١٤٩]، وقد عُرِفَ اليهود بمحاولتهم تضليل الآخرين وإبعادهم عن طريق الهدى، والتضليل : تصيير الإنسان إلى الضلال من ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة/٧٧]. والتضلال كالتضليل لكن على وجه المبالغة، فالتفعيل مصدر فعلت الذي يفيد المبالغة للتضعيف الذي فيه، ويعني ذلك أن الأصل في المبالغة مصدر "تفعيل" وبني على شاكلته "التفعال"<sup>(٤)</sup>، ومن مراجعة سياقات المصدر "تضليل" يبدو لنا أن المراد به التضييع شيئاً فشيئاً ببطءٍ وبدفعاتٍ حتى يَفُوتَ على الكفار كيدهم بالمؤمنين.

(١) ينظر : الكشاف ٤٠٠/٢، وأنوار التنزيل ٩٧/١، وروح المعاني ٧٠٠/٢ .

(٢) ينظر : في مادة (ضل) : الصحاح ٦٦/٢، وديوان الأدب ٦٠/١، ولسان العرب ٤١٤/١٣، والكلديات ٢١١، ٥٦٧-٥٧٧.

(٣) ينظر : المفردات ٢٩٨.

(٤) ينظر : الكتاب ٢٤٥/٢، وشرح الشافية ١٦٧/١، والكلديات ٣٢٦.

\* لم يأت المصدر "تضليل" في القرآن الكريم إلا مرةً واحدةً في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ [الفيل/٢].

والضلال عند العلماء ضلال في العلوم النظرية كالضلال في معرفة وحدانية الله ومعرفة النبوة<sup>(١)</sup> ، ويصفهم القرآن بالضلال لكونهم كالبهائم في الغفلة عن معرفة ذلك. ويقتضي ذلك أن "الضلالة" تكون في الأمور الدينية أو أن "الضلالة" أعم وأشمل في هذا الجانب بدليل وضعها مقابل الهدى، قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾\* [البقرة/١٧٥].

و "الضلالة" مخالفة لفعالها، يقول "أبو عبيدة" : ((وخرج فعلها مذكراً والعرب تفعل ذلك إذا فرقوا بين الفعل وبين المؤنثة لقولهم : مضى من الشهر ليلة))<sup>(٢)</sup> كما في قوله تعالى : ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الأعراف/٣٠].

وقيل أصل الضلال : الهلاك ، ومنه قولهم : ضلت الناقة، أي : هلكت بضياعها ويكون الضلال في الدين مجازاً وأصله الضلال في الطريق<sup>(٣)</sup>. ويعني ذلك أن المعنى العام واسع والهاء تأتي للتحديد والتخصيص كما مر بنا\*\* ، فالضلالة تكون في الدين خصوصاً. وتعدّ أبلغ من الغي في الاستعمال القرآني<sup>(٤)</sup>.

وقد اختلف العلماء في أيهما الأصل، صيغة "فَعَال" أم "فَعَالَة" فعدّ "سيبويه" صيغة "فَعَالَة" هي الأصل وحذفت التاء استخفافاً<sup>(٥)</sup>، أما "ابن قيم الجوزية" فيجعل "فَعَال" هي الأصل و "فَعَالَة" طارئة بزيادة التاء لمعنى محدد<sup>(٦)</sup>، فالضلال يضم معنى شاملاً وبدخول

(١) ينظر : الكليات ٢٣٣.

\* وينظر مثلاً : البقرة/١٦، والنساء/٤٤، والأعراف/٣٠.

(٢) مجاز القرآن ٢١٣/١-٢١٤.

(٣) ينظر : الفروق اللغوية ٢٠٨، ولسان العرب ١٣/٤١٤.

\*\* يراجع الفصل الثاني.

(٤) ينظر : الفروق اللغوية ٢٠٨-٢٠٩.

(٥) ينظر : الكتاب ٣٤/٤، والمخصص ١٥٠/١٤، وأدب الكاتب ٦٥٠، ووفق هذا الرأي تعدّ الضلالة بمعنى الضلال.

ينظر : ديوان الأدب ١٠١/١.

(٦) ينظر : بدائع الفوائد ٥١/٢-٥٢، والمصادر في القرآن الكريم "دراسة صرفية" عامر عيدان اللامي (ر/م) ٢١٦.

وبدخول الهاء صار المعنى كالمحدود ولزمته تاء التأنيث؛ لأنها تدلُّ على نهاية ما دخلت عليه، فالضلالة تنتهي الإضلال، والذي ليس بعده ضلال.

ومن السياقات القرآنية نجد أنَّ الضلالة فعلٌ الذي يريدُ الضلال والإضلال، فاليهودُ في آية النساء كانوا قوماً ضالين ومضلين قال تعالى: ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَهَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء/٤٤].

والضلالة : ضلال وزيادة، فالضلال ما يمكنُ العودُ منه إلى طريق الحق ولكن الضلالة لا يمكن له ذلك، ولذا قال القرآن صراحة ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل/٣٦]، لأنهم اشتروها كما جاء في سورة [البقرة/١٥٧]، وعقب القرآن "فما أصبرهم على النار" أي : ما أجراًهم!، وقيل : ما أدومهم على أعمال أهل النار! (١). حتى صاروا منهم بالرغم من علمهم ويقينهم أنهم داخلون النار.

ويدل ذلك على أنَّ الضلال يكون عن جهل، والضلالة تكون عن علم ومعرفة ، ولذا كان التعقيب بقوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾. كما تقدّم

فالضلالة ما يتلبسُ الإنسان من جهلٍ وغيره حتى يصير كالخصلة فيه لا يرجع عنها وإن علمَ قبحها، في حين أنَّ الضلالَ يجمعُ معاني عديدة جعلت دلالاته شاملة عامة، وقد جمع صاحب الوجوه دلالاته وهي : "الغي"، والكفر، والاستئصال عن الشرك، الخسار، والخسران، شقاء، إبطال ، خطأ ، الجهل، النسيان" (٢).

وبنظرة لهذه الدلالات تجد أنَّ الضلال يجمعُ معاني تدرجية أولها الكفر ومنتهاها النسيان وهو خلاف الضلالة التي هي نقيض الهداية والمقترنة بالعذاب.

ومن صفات بني إسرائيل في سياق آيات الصفات " الطغيان "، يُقال : طَغَوْتَ وطَغَيْتَ طَغَوَاناً وطَغِياناً وأَطْغَاهُ، حَمَلَهُ على الطغيان، وهو تجاوز الحدِّ في العصيان، والطغيان والطغوان لغةٌ فيه والطغوى بالفتح الاسم.

(١) ينظر : جامع البيان ٩٠/٢-٩١.

(٢) ينظر : الوجوه والنظائر ٣٣١-٣٣٣، ونزهة الأعين النواظر ٤١٠-٤١١.

(١) تفسير غريب القرآن ١٥٦، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٤/٧، وينظر: الخلاف الصرفي لألفاظ القرآن ١٠٣-١٠٧.

وأصحابُ التفسيرِ عَدُّوا بناءَ "طَاغُوت" بناءً مبالغةً من طَغَى يطغى، وحكى "الطبري" : ((يطغو إذا جاوزَ الحدَّ بزيادةٍ عليه ووزنه الأصلي "فَعَلُوت" قَلْبَ أصله "طُغُوت" فجعلتِ اللامَ مكانَ العينِ والعينَ مكانَ اللامِ فَصَارَ طُوغُوت، تحركتِ الواو وانفتحت ما قبلها انقلبَ أَلِفًا فَصَارَ "طَاغُوت" ))<sup>(١)</sup>، وذهبَ أبو علي الفارسي إلى : ((أنَّه مصدرُ فَعَلُوت كَرَحْمُوت وملَكُوت وجبرُوت وأصله طُغُوت لكن قَلْبَ لامِ الفعل نحو : صاعقة وصاعقة ثم قلب الواو أَلِفًا للحركة وانفتاح ما قبله))<sup>(٢)</sup>.

وقيل : إنه اسم جنس يقع للقليل والكثير، وزعم بعضهم أنَّ التاء في طَاغُوت بدل من لام الكلمة ووزنه فاعول<sup>(٣)</sup>.

و ((الطُغَيان : مجاوزة الحد في مكروه مع غلبة وقهر، ومنه قال تعالى : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾\* و "طغى الماء" أي : جاوزَ الحدَّ في الظلم))<sup>(٤)</sup> تحديداً، ولا يُقال في غير ذلك؛ وإنما يُقال "فاض الماء" ونحو ذلك. فشرط استخدام "طغى" ومشتقاته أن تكون الدلالة في الظلم والقهر.

ولذا اشتقَّ منه "الطُغَيان" و "الطَّاغُوت" و "الطَّاغِيَّة" لاحتواء دلالتها على القهر والتجبر التي هي شأن كل طاغٍ، فالطُغَيان له دلالات الغلبة والقهر، والطَّاغُوت أبلغ من الطاغي لفخامة لفظه، وفخامة اللفظ تدلُّ على فخامة المعنى فيما جرى هذا المجرى، لذلك قالوا : الطَّاغُوت أبلغ من الطاغي، وكثر استعماله فصار لكلِّ معبودٍ من دون الله، فقليل طَاغُوتاً لذلك<sup>(٥)</sup>، في حين أنَّ الطُغَيان أخذ دلالاته في السياقات القرآنية ليشمل معاني معاني الضلالة في كبر وتعنُّت وعِصيان<sup>(٦)</sup>.

(١) جامع البيان ١٠/٣-١١، وينظر : التبيان في تفسير القرآن ١٠/٢٠٥.

(٢) المفردات ٣٠٥.

(٣) ينظر : البحر المحيط ٢/٢٧٢.

\* ينظر :

(٤) الفروق اللغوية ٢٢٤.

(٥) ينظر : الفروق اللغوية ٢٢٤.

(٦) ينظر في هذه الدلالات : الوجوه والنظائر ٢٢٦، والأشباه والنظائر ٢٢١.

وصفة "الغرور" إحدى صفات بني إسرائيل وصفهم بها <sup>(١)</sup>، و(الغين، والراء)، أصول ثلاثية صحيحة<sup>(٢)</sup>.

الأول : بمعنى : المثال، الغرّار الذي يطبع عليه السهم ، يُقال : ولدت فلانة أولادها على غرار واحد، أي : جاءت بهم واحداً بعد واحدٍ على مثال واحد.

والثاني : الغرّة : وغرّة كل شيء أوله وأكرمته، والغرّة، البياض في جبهة الفرس.

والثالث : بمعنى النقصان، فيقال : غارت الناقة تغار غرّاراً، إذا نقص لبنها، ومنه : الغرار في الصلاة : وهو ألا يتم ركوعها أو سجودها ورجل غرّ بالكسر وغرير أي : غير مجرب. والغرّة : الغفلة والغارّ بالتشديد : الغافل.

ومنه دلالة الغفلة والخداع؛ لأنها من نقصان الفطنة، فالغرور بالضم ما أعتز به من متاع الدنيا نقول : غره يغره بالضم غروراً خدعه، يقال غره كذا غروراً، كأنما طواه على غره.

ومن هنا نلاحظ أنّ هذه الدلالة "الغرور" قريبة من دلالة الخدعة، فكل ما يغرّ الإنسان : يخدعه ، ومن بين هذه الدلالات ضمت آيات الصفات دلالاته على الخداع.

فرّق "أبو هلال العسكري" بين الغرور مصدر غره والخداع فقال : ((إنّ الغرور إيهام يحمل الإنسان على فعل ما يضره، مثل : أن يرى السراب فيحسبه ماءً، فيضيع ماءه، فيهلك عطشاً وتضييع الماء فعل أداه إليه غرور السراب إياه.. والخدع : أن يستتر عنه وجه الصواب، فيوقعه في مكروه.. ويقال في الغرور : غره، فيضيع ماله وأهلك نفسه، والغرور قد يسمى خدعاً ، والخدع يسمى غروراً، على التوسع، والأصل ماقلناه، وأصل الغرور الغفلة، والغرّ الذي لم يجرب الأمور يرجع إلى هذا المكان، فكأنّ الغرور يوقع المغرور فيما هو غافل عنه من الضرر، والخدع يرجع الستر عنه وجه الأمر))<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر في مادة (غرّ) : مقاييس اللغة ٤/٣٨٠-٣٨١ المفردات ٥٣٧، ومختار الصحاح ١/٤١، ولسان العرب ١١/٢٩، والقاموس المحيط ٢/١٠٠-١٠١، ومتن اللغة ٤/٢٨٠-٢٨١ والمعجم الوسيط ٢/٦٤٩.

(٢) الفروق اللغوية.

يعرّف "السيد الشريف الجرجاني" "الغرور" بأنه : ((سلوك النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع))<sup>(١)</sup>.

وردت مادة "غرر" بصيغة الفعل الماضي مرة واحدة في سياق آيات الصفات في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران/٢٤]. ولا يخفى جمال التعبير القرآني في تشبيه الأمور المعنوية، وهي الافتراءات والأقاويل الباطلة التي اختلقوها لأنفسهم وادخلوها في الدين فزيتت لهم الفعل القبيح، بالأمور المادية التي ينخدع بها المرء فيضل عن سواء السبيل. وهكذا يحذرنا القرآن الكريم من خطورة ممارسة هذا السلوك فينبهنا إلى العواقب الوخيمة التي تنتظرنا باتباعنا صفة الكفار والمنافقين، قال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...﴾ [الجاثية/٣٥]، ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد/١٤].

ومن الصفات السلوكية التي اتصف بها بنو إسرائيل صفة "المغالاة"، ومادة "الغلو" احتلت مساحة واسعة في معاجم اللغة. فالغلو : مجاوزة القدر في كل شيء، غلا السعر يغلو غلاءً، وغلا الناس في الأمر ، أي جاوزوا حده، كغلو اليهود في دينهم، يقال: أغليت الشيء في الشراء وغاليت به، وكل ما ارتفع فقد تغالى، ومنه اشتقاق الشيء الغالي؛ لأنه قد ارتفع عن حدود الثمن<sup>(٢)</sup>.

و"الغلو" : أحد أنواع المبالغة والإغراق في الشيء والتشدد فيه والإفراط به<sup>(٣)</sup>، والغلو في الاصطلاح : موقف مبالغ فيه يقفه إنسان من قضية عامة أو خاصة بشكل متطرف يتجاوز حدود المألوف والمعقول حتى يصل حد الاستحالة عقلاً وعادة لمخالفته

(١) التعريفات ١٣٢.

(٢) ينظر في مادة "غلا" : العين ٤٤٦/٨، جمهرة اللغة ١٥٠/٣، ديوان الأدب ١٢١/٤، ١٠٧، ٨٧، والصاح ٢٤٨/٦، وأساس البلاغة ٣٢٧، والزاهر في معاني كلمات الناس ٣٧٧/٢، ولسان العرب ١٣١/١٥، والمصباح المنير ٤٥٢/٢، ومشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر "الأسباب، الآثار والعلاج، عبدالرحمن بن معلل اللويحي ٢٠/١-٢٢.

(٣) ينظر تكملة المعاجم العربية ٤٣١/٧.

الحقيقة والواقع، أو هو الزيادة في نعت الموصوف بصفات ليست محققة فيه بقصد تزيين الموصوف في حالة المدح أو تقبيحه في حالة الهجاء<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث الشريف عن "ابن عباس" رضي الله عنه ، أن النبي محمد ﷺ قال : **[[يَاكُمْ وَالْغُلُو فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَٰكَ مِنْ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُو فِي الدِّينِ]]**<sup>(٢)</sup> أي : التشدد والتتبع في الدين<sup>(٣)</sup>.

وفي القرآن الكريم وردت اللفظة مرتين فقط بصيغة الفعل المضارع المسبوق بـ "لا" الناهية مخاطباً أهل الكتاب في سورتي النساء/١٧١، والمائدة/٧٧. لمغالاتهم في دينهم قال تعالى : **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ..﴾** [المائدة/٧٧].

أي : لا تجاوزوا الحد ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعت النصارى في سيدنا "عيسى" عليه السلام وهو نبي من الأنبياء فجعلوه إلهاً من دون الله وما ذاك إلا لاقتدائهم بشيوخ الضلال وهم سلفهم الذي ضل قديماً، أو لا تحطوه عن قيمة النبوة وتعده ابن الفاحشة كما فعلت اليهود وتؤلبوا عليه القوى المعادية، فضلاً عن التشدد في كثير من أحكام الدين<sup>(٤)</sup>.

ومن الألفاظ التي أكسبها الاستعمال القرآني رداءً جديداً لتدل على صفة سلوكية هي لفظة (الكسب)، وأصل مادة (ك،س،ب) يدل على طلب الرزق والمعيشة<sup>(٥)</sup>، ثم انتقلت دلالة المادة إلى ما يحصل عليه المرء من الرزق فسمي ذلك "كسباً" قال "ابن السكيت" (ت ٢٤٤هـ) : **((ونقول ما أكثر كسبه..))**<sup>(٦)</sup>.

ولما كان طلب الرزق لأجل المعيشة يتطلب الجهد والمشقة فإن ما يحصل عليه المرء بعد هذا العمل الدؤوب يكون بمنزلة ربح له، لذا انتقلت دلالة المادة إلى استعمال

(١) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية ٩٧-٩٨، تطرف اليهود وعنفهم في الفكر اليهودي والقرآن الكريم ، مجدي عبدالله حسين أبو عويمر (ط/د) ١٥-١٧.

(٢) ينظر : سنن ابن ماجه، كتاب المناسك حديث رقم (٣٠٦٤)، ١٨٣/٢. وينظر

(٣) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٨٢/٣.

(٤) ينظر : تفسير ابن كثير ٧٨/٢.

(٥) ينظر : في مادة (كسب) : العين ٣١٥/٥، وأساس البلاغة ٧٧٠، مقاييس اللغة ١٧٩/٥، ولسان العرب ٧١٦/١-٧١٧.

(٦) إصلاح المنطق ١٦٤/١، ٣٧٣/٢.

جديد هو الربح، فقولنا : كَسَبْتُ مَالاً كَسْباً، أي : رَبَحْتُهُ<sup>(١)</sup>. وقال : "الراغب" في دلالة المادة : ((الكَسْبُ : ما يتحرّاه الإنسان ممّا فيه اجتلابُ نفعٍ وتحصيلُ حظٍّ لكسب المال.. والكسبُ يُقال فيما أخذ لنفسه ولغيره..))<sup>(٢)</sup>. ثم فرق بين الكسب والاكتساب فقال : ((..والاكتساب لا يُقال إلا فيما استفتدتَ لنفسك، فكل اكتسابٍ كسب، وليس كل كسبٍ اكتساباً..))<sup>(٣)</sup>.

ثم انتقلت دلالة المادة من الجانب الحسيّ إلى الجانب المعنوي، إذ تحول من الكسب الماديّ، إلى كسب الإثم والأوزار فتدلّ على التحمل ، يقال : كَسَبَ الإثم وأكْتَسَبَهُ أي تحمّله<sup>(٤)</sup>.

ولمّا كان الكَسْبُ سلوكاً نافعاً يقومُ به المرءُ لأجل الحصول على لوازم المعيشة، فإنّ الإخفاق في العمل يجعلُ الكَسْبَ حينئذٍ ضرراً له، أو ضاراً به، لذلك قال "أبو هلال العسكري" : ((إنّ الكسبَ : الفعلُ العائد على فاعله بنفعٍ أو ضررٍ))<sup>(٥)</sup>، وفي هذا المعنى يقول "الراغب" : ((وقد يستعمل فيما يظنّ الإنسان أنّه يجلبُ منفعةً ثم استجلبَ به مضرةً))<sup>(٦)</sup>.

ومن الشواهد على دلالة (كَسَبَ) في آيات الصفات قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قليلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة/٧٩].

فـ (يَكْسِبُونَ) يعطي دلالة الحصول على الرشوة مقابل سلوكهم الخبيث، والقرائن اللفظية المتقدمة هي إشارة القرآن الكريم إلى ماكتبوا بأيديهم من الآيات المحرّفة وادّعواهم أنّها من عند الله مقابل ما يدفع لهم من الرشوة<sup>(٧)</sup>.

وهكذا فإنّ لفظة (الكسب) تدل على عمل من أعمال الجوارح، وهي رغبة مُلحة في جلب النفع أو دفع الضرر، وتأتي في الكَسْب الماديّ كثيراً، وكأنّ الحقّ -جلّ وعلا-

(١) ينظر : المصباح المنير ١٩٣/٢.

(٢) المفردات ٤٣٠، والتعريفات ١٤٩.

(٣) المفردات ٤٣٠، وينظر : الفروق اللغوية ١٣٠.

(٤) ينظر : المصباح المنير ١٩٣/٢.

(٥) الفروق اللغوية ١١٢.

(٦) المفردات ٤٣١.

(٧) ينظر : الكشاف ١٥٧/١-١٥٨، وتفسير الجلالين ١٦.

يُلفت انتباه القارئ أو السامع إلى حقيقة كون اليهود فَرَحِين بهذا الكسب ومسرورين به ، وهو تزوير الآيات مقابل عرض حقير من متاع الدنيا- وكأنهم قد ربحوا في تلك الصفقة، وكأن في ذلك الكسب خير كثير لهم وأنهم يمارسونه بكل رغبة وحماس من دون تكلف ومشقة.

ومن ألفاظ الصفات السلوكية الأخرى لفظة (اللَّعِبُ)، مصدر مادة (ل،ع،ب) ، لَعِبَ يَلْعَبُ لَعِبًا وَلَعِبًا، فهو لَاعِبٌ، ومنه : التَّلْعَبُ، ورجُلٌ تَلْعَابُهُ -مشددة العين- أي ، ذُو تَلْعَبٍ، ورجُلٌ لَعْبَةٌ، أي : كثير اللعب، واللَّعَابُ : مَنْ يكون حرفته اللَّعِبُ<sup>(١)</sup>.

وقيل : اللَّعِبُ عمل للذة لا يُراعى فيه داعي الحكمة، كعمل الصَّبِي؛ لأنه لا يعرف الحكيم ولا الحكمة، وإنما يعمل للذة، لذلك فإذا قلنا : لَعِبَ فلان، فهذا يعني أن فعله هذا غير قاصد به مقصداً صحيحاً. بمعنى أن (اللعب) استعمل بدلالة ضد الجد<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت دلالة المادة تشير إلى عَمَلٍ لا يُراعى فيه داعي الحكمة؛ لذلك نرى أن العرب استعملتها بدلالة الاضطراب، وهي دلالة قريبة مما ذكر، فقيل : صادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموجُ شهراً، فسُمي اضطراب الموج لعباً، لما لم يسر بهم إلى الوجه الذي أرادوه<sup>(٣)</sup>.

ثم انتقلت دلالة المادة إلى استعمالٍ شائع وهو كل مَنْ عَمِلَ عملاً لا يُجدي عليه نفعا<sup>(٤)</sup>.

وقد فرق "أبو هلال العسكري" بين اللعب واللهو، فقال : ((إنه لا لهو إلا لعب، وقد يكون لعب ليس بلهو؛ لأن اللعب يكون للتأديب ، كاللعب بالشطرنج وغيره، ولا يقال لذلك، لهو، وإنما اللهو لعب لا يعقبُ نفعا، وسمي لهوا؛ لأنه يشغل عما يعني من قولهم، ألهاني الشيء، أي شغلني..))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر في مادة (لعب) : العين ١٤٩/٢، وتهذيب اللغة ٤١٠/٢، ومقاييس اللغة ٢٥٣/٥، والمفردات ٤١٠، ومختار الصحاح ٥٩٩، والمصباح المنير ٢١٧/٢.

(٢) ينظر : الفروق اللغوية ٢١٠، ولسان العرب.

(٣) ينظر : لسان العرب .

(٤) ينظر : نفسه.

(٥) الفروق اللغوية ٢١٠.

كما فرّق بين العبث واللعب واللهو، إذ قال : ((إِنَّ الْعَبْثَ مِمَّا خَلَا عَنْ الْإِرَادَاتِ إِلَّا إِرَادَةَ حَدُوثِهِ فَقَطْ، وَاللهو واللَّعِبُ يتناولهما غير إرادة حدوثهما إِرَادَةً وَقَعًا بِهَا لِهَوًا وَلَعِبًا، أَلَّا تَرَى أَنَّهُ كَانَ يَجُوزُ أَنْ يَقَعَا مَعَ إِرَادَةِ أُخْرَى، فَيُخْرَجَا عَنْ كَوْنِهِمَا لِهَوًا وَلَعِبًا...))<sup>(١)</sup>.

وقد وردت المادة في آيات الصفات ثلاث مرات فقط بصيغ ودلالات مختلفة، ويمكن حصر دلالتها بما يأتي .

١- بدلالة الباطل، ووردت بصيغة الفعل المضارع في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام/٩١]، وهذا الوعيد جاء في سياق الحديث عن إنكار اليهود بعثة الرسل وإنزال الوحي إليهم، فألزمهم ﷺ بما لا بدّ لهم من إلا قرار به.

ومما يدلّ على هذا المعنى العام اقتران اللعب غالباً بمعنى من معاني السلوك الباطل كالخوض وغيره، فقد تكرر استعمال (اللعب) مع (الخوض) كثيراً وأصل الخوض : المشي في الماء أو الطين وتحريكه ثم استعمال مجازاً في التلبس بالأمر، والتصرف فيه ، والخوض من الكلام مافيه الكذب والباطل<sup>(٢)</sup>. وهذا مايراه المفسرون فالخوض عندهم التخبُّط في الباطل والاندفاع فيه<sup>(٣)</sup>.

فلفظة (خوض) قرينة لفظية متقدّمة تؤكد بطلان هذا اللعب وسوء عاقبته، فلا يعود عليهم إلا بالأذى والانتساخ حالهم حال الحائض في الطين، ومجيء اللفظين معاً يصورّ شدة تخبطهم واندفاعهم في الأكاذيب<sup>(٤)</sup>.

٢- بدلالة السخرية والاستهزاء من شرائع الدين في موضعين من سورة المائدة بصيغة المصدر في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ\* وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة/٥٧-٥٨].

(١) الفروق اللغوية ٢١١.

(٢) ينظر : في مادة (خوض) ، أساس البلاغة ٢٤٢، والمفردات ٢٢٨-٢٢٩ ولسان العرب ١٧٨/٥-١٧٩.

(٣) ينظر : الكشف ٤٠٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ٦٤/١٧، والبحر المحيط ١٤٧/٨.

(٤) ينظر : دقة استعمال الألفاظ في القرآن الكريم، كاصد ياسر الزيدي "بحث".

نستنتج مما تقدّم أنّ اللعب ورد في آيات الصفات بصيغته المختلفة ، ليدل على صفة سلوكية اجتماعية غير مرضية، وأنه ورد في نوعين من المناسبات : أحدهما في التخطي في الأقوال الباطلة، والآخر : في اتخاذ المنافقين واليهود والمشرّكين، الإسلام وشعائره موضع السخرية والاستهزاء، كل ذلك لحثّ المسلمين على ضرورة المحافظة على دينهم وذلك بتنفيذ ماورد في توجيهاته وأخلاقياته السمحة في الحياة، وتحذيرهم من مغبة هذا السلوك الخطير، لاسيما في مجال الاستهزاء والسخرية، فهذه الأمور كلها لصالح المسلمين، ليعيشوا سعداء تحت راية شريعة الله تبارك وتعالى وسنة رسوله الأمين محمد ﷺ.

ومن الصفات السلوكية التي ذكرها التعبير القرآني بحق اليهود (النجوى) وفي معنى النجوى يقول الخليل : ((.. والنجو : كلام بين اثنين كالسرّ والتسارّ، تقول : ناجيتهم، وتناجوا فيما بينهم، وكذلك انتجوا والقوم نجوى))<sup>(١)</sup>.  
قال الزجاج : ((النجوى في الكلام ما تنفرد به الجماعة، أو الاثنان سراً كان أو ظاهراً))<sup>(٢)</sup>.

قال الراغب : ((ناجيتة ، أي : ساررتة، وأصله أن تخلو به في نجوة من الأرض، وقيل أصله من النجاة، وهو أن تعاونه على مافيه خلاصه، أو أن تنجو بسرك من أن يطلع عليك، وتناجي القوم..))<sup>(٣)</sup>.

وردت مادة (ن،ج،و) في آيات الصفات في موضعين من سورة المجادلة، بصيغة المصدر (النجوى)، وبصيغة الفعل المضارع المزيد (تناجى)، كما قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْأَثَمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ [المجادلة/٨].

تشير كتب التفسير وأسباب النزول أنّ الآية نزلت في يهود المدينة والمنافقين حين نهاهم الرسول ﷺ عما كانوا يفعلونه من تناجيهم أي تحدثهم سراً ناظرين إلى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة<sup>(٤)</sup>.

(١) العين ١٨٦/٦-١٨٧، وينظر في مادة (نجو) : أساس البلاغة ٤٤٨ مقاييس اللغة ٣٩٧/٥-٣٩٨،

والفروق اللغوية ٤٨ ، ومختار الصحاح ٦٤٨، لسان العرب ٩٤/٩.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١١٤/٢.

(٣) المفردات ٤٨٤.

(٤) ينظر : الكشف ١٢٥/٤، ولباب النقول في أسباب النزول ٧٢٣.

مما تقدم يتبين أن استعمال مادة (نَجْو) بصيغها المختلفة في آيات الصفات يدل على القول الخفي الدنيوي الذي قد يكون سيئاً، وقد يكون حسناً، وقد ترشّحت دلالة المادة السيئة من خلال مراجعة سياق الآية والقرائن اللفظية فيها.

ومما يلحظ اتفاق الدلالة اللغوية للمادة مع الدلالة القرآنية وهي : ((التشاوُرُ لفعل الشرّ، أو هي التّسارُّ بقصد إيقاع الشرّ بين الناس، وهذا المعنى الاصطلاحي له صلة بالمعنى الأساس))<sup>(١)</sup>.

وهكذا لنا أن الاستعمال القرآني في آيات الصفات للنجوى يدل على صفة سلوكية اجتماعية غير مرضية اتسم بها الأشرار والمخادعين وأعداء الإسلام. ومن الصفات الأخرى التي وسم بها اليهود هي (الاستهزاء) وأصل مادة (هـ، ز، أ) يدل على الاستخفاف والسخرية. قيل : رجل هُزأ، بالتحريك ، يَهْزَأُ بالناس، وهُزِئَ بالتسكين : يَهْزَأُ به، وقيل : يَهْزَأُ منه، واستهزأ منه : اتخذ هزواً.

كما استعملت العرب المادة بدلالة الكسر، قيل : وهزأ الشيء يَهْزِؤُهُ هَزْأً : كَسَرَهُ<sup>(٢)</sup>. ومن مراجعة أقوال بعض اللغويين والمفسرين أن المادة لا تخلو من معنى الخفة والسرعة في الشيء<sup>(٣)</sup>.

ويعرّف "الطبري" "الاستهزاء" بقوله : ((إظهار المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ويوافقه ظاهراً مؤرثه مساءةً باطناً...))<sup>(٤)</sup>، ويعرّفه "الغزالي"

(١) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ٣٣٩.

(٢) ينظر في مادة (هَزَأ) : أساس البلاغة ٤٨٣، وتهذيب اللغة ٣٦٩/٦، ومختار الصحاح ٦٩٥، والمصباح المنير ٣١١/٢.

(٣) ينظر : الكشف ٣٥/١، ولسان العرب، والقاموس المحيط ٣٤/٢.

(٤) جامع البيان ١٠٣/١.

الاستهزاء بأنه: ((الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه  
يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون وبالإشارة  
والإيماء))<sup>(١)</sup>.

وقيل : هو الاستخفاف والسخرية من شعائر الإسلام مع إنكارها وهذا يعني أنه  
أشد من التكذيب<sup>(٢)</sup>. وبهذا تقترب دلالة "الاستهزاء" من معنى السخرية، إلا أن "أبا هلال  
العسكري" قد فرق بينهما فرأى أن السخرية تسبق المسخور منه فعل ، والاستهزاء  
يكون من غير أن يسبق من فعل المستهزئ، ثم أضاف "أبو هلال العسكري" إلى دلالة  
الاستهزاء معنى التحقير؛ لأن الدافع الذي يقف وراء فعل الاستهزاء هو النيل من شأن  
المستهزئ منه<sup>(٣)</sup>.

ويعرف المحدثون السخرية بأنها : ((أسلوب عدائي مصوغ بروح الفكاهة))<sup>(٤)</sup>،  
ولكن هذا الأسلوب لا يتاح نفسياً ولا واقعياً إلا لمن كان بيده زمام الموقف، والذي  
يشعر بأنه القوي القادر على الانتصار والتأثير في الآخرين، ولكن ذلك لم يتأت لهم  
-أي اليهود- ولم يحصلوا عليه حيث كان القرآن الكريم ينزل مذكراً بما لاقاه الأنبياء  
من قبل أقوامهم وفي ذلك تسلية له ﷺ وتفنيداً وإبطالاً لسخرياتهم جميعها.

ولا تخلو مادة (هزأ) من معنى اللعب والمزح، قال "الراغب" : ((الهزاء : مزح  
في خفية، وقد يقال لما هو كالمزح))<sup>(٥)</sup>، فلذلك يكون للمادة وجهان : وجه من  
الاستهزاء بدافع تنقيص المستهزأ منه، ووجه اللعب والضحك، فإن المستهزئ يحاول  
نقل فعله إلى اللعب والمزح، بغية التخلص من إحساس المستهزأ منه ، وإخفاء مقصده  
من وراء الاستخفاف.

وردت المادة في آيات الصفات في موضعين من سورة المائدة بصيغة المصدر  
للدلالة على اللعب والضحك من الشيء والسخرية من الآخرين بدافع النيل منهم والإقلال  
من شأنهم كما في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ

(١) إحياء علوم الدين ١٦٢/٣، وينظر : روح المعاني ١٥٨/١.

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم ١٠٢/٣.

(٣) ينظر : الفروق اللغوية ٢١١.

(٤) أسلوب السخرية في القرآن الكريم ١٥.

(٥) المفردات ٩٧٠.

هُزُوا وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أُولِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ\* وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٧-٥٨﴾.

نزلت الآية بشأن اليهود حيث كانوا ينظرون إلى دين الله تعالى بسخرية، ويتخذون شعائره وشرائعه ومنها الأذان والصلاة هُزواً ولعباً، مع أن الصلاة أرقى العبادات، فيرى أنهم كانوا إذا نادى المؤذن للصلاة سخرُوا منه، وتغامزوا سفاهاً واستهزاءً، وتجهيلاً لأهلها وتنفيراً للناس عنها<sup>(١)</sup>. لذا نفى الله تعالى عنهم العلم والعقل بقوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وفعلهم هذا وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة؛ لأنهم لو كانوا عقلاء لما تجرأوا على الاستخفاف بشعائر الله تعالى والتي قرنها الله تعالى مع تعظيمه بقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج/٣٢] وهذا يدل على أنهم في غاية الحماقة والجهل، علماً أن خصوص السبب لا يمنع من عموم الآية فتضم اليهود وكل من حاول الاستهزاء والسخرية من شعائر الله وحرماته لعلهم يصيبوا منه، ولكن أنى لهم ذلك وقد كان الله لهم بالمرصاد.

وهكذا، فإن الاستهزاء صفة نفسية تظهر على شكل سلوك يتخذه شخص بحق آخر في مواقف سريعة وبأداء حركات وأقوال سريعة، دالة على معانٍ نفسية تحاول النيل من المستهزأ منه..

(١) ينظر : جامع البيان ١٨٨/٦، ولباب النقول في أسباب النزول ١٢٢، والأساس في التفسير ١٤٣٤/٣.



بعد هذا البحث المتأني والمتأمل في آي القرآن الكريم وفي كتب معانيه ومفرداته وغريبه وإعرابه وتفسيره والنظر في متون كتب الدراسات اللغوية، أحمدُ الله العليّ القدير الذي منّ عليّ أن جعلني من أمة الإسلام، وأنزل عليّ نبينا "محمد" ﷺ كتاباً نهتدي به في معاشنا ومعادنا فجمع في طياته العلم كله، قال : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام/٣٨]، إنه القرآن أصل العلم الذي اشتقت منه العلوم كلها، وخرجت من رحمهِ الفنون بشتّى تخصصاتها، ثم استقلت بعد ذلك مع الزمن استقلالاً شكلياً من غير أن تخرج عن دائرة الكتاب المكنون.

وأحمدُه -سبحانه- بما منّه عليّ من نعمة إتمام هذا البحث الذي خرجت منه بفيض وافر من الفوائد والنتائج في هذه الظروف الراهنة وأهم ما أفدته من هذه الدراسة هو الإحساس بالسعادة والإفادة، أمّا سعادتِي؛ فلأنّها سياحة روحية في رحاب الإيمان مع كلمات الله التي تُفعم النفس وتُشجي الروح، وأمّا الإفادة؛ فلأنّي حاولت أن أُطبّق المستويات اللغوية على نصٍّ محدّد.

أمّا النتائج والإشارات فإني أجمل أهمها بما يأتي :

#### أولاً : الدراسة التمهيدية

❖ عني هذا البحث بتحديد مفهوم "صفات بني إسرائيل" بكونها الأمانة الثابتة نسبياً والملازمة لبني إسرائيل وعُرفوا بها، فأنمازوا بوساطتها عن غيرهم، ومن خلالها حدّدت طباعهم وسلوكهم ومواقفهم إزاء الآخرين ورسمت منهج التعامل معهم، ومن مجموع هذه الصفات تألّفت شخصيتهم قديماً وحديثاً.

❖ وقف البحث على تسميات "بني إسرائيل" في القرآن الكريم وعلة كل تسمية مفرداً بينها بما لا يؤدي إلى اللبس والخلط.

- ❖ خلاص البحث إلى أن "إسرائيل" هو الاسم الثاني لسيدنا "يعقوب" وقد أورد أبرز الاختلافات في أصل اشتقاق هذه اللفظة، مع بيان أن المقصود بـ "بني إسرائيل" ليسوا أولاد سيدنا "يعقوب" من صلبه فحسب وإنما يشمل ذرياتهم من بعدهم.
- ❖ خلاص البحث إلى أن لفظة "اليهود" معرفة أو "يهود" من دون تعريف أصبحت علماً على كل من يعتنق اليهودية ويتخذها ديانة له في أي زمان ومكان بغض النظر عن إنتمائه العرقي أو الجغرافي، كاشفاً عن أبرز الاختلافات في أصل اشتقاق اللفظة.
- ❖ أوضح البحث أن القرآن الكريم قد خاطبهم بعبارة ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ و ﴿مَنْ كَانَ هُودًا﴾، و ﴿كُونُوا هُودًا﴾ و ﴿كَانُوا هُودًا﴾، علماً أن عبارة ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ قد نزلت قبل لفظة "اليهود" وهذا يلحظ من ترتيب نزول الآيات المكية والمدنية.
- ❖ كشف البحث أن تسمية "أهل الكتاب" أو ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ تطلق على "اليهود" و "النصارى"، ولا تخص أحدهما على أفراد، وهذا لا يعني أنهم أصحاب علم بالكتابة، وإنما المراد بذلك أنهم أصحاب كتاب سماوي منزل من الله وهو "التوراة والإنجيل" ويعيننا السياق وقرائنه في إيضاح من المقصود بذلك.
- ❖ فرق الخطاب القرآني بين مفهومي "بني إسرائيل" و "اليهود" فاستعمل الأول في مواضع الرضا والتذكير كقوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة/٤٠]، والثاني في مواضع السخط والازدراء والتفريع كقوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة/٦٤].
- ❖ لم يرد في القرآن خطاب يناديهم بـ "يا أيها اليهود" أو "يا بني يعقوب"، وإنما جاء الخطاب القرآني لهم بـ "يا بني إسرائيل"، وقد ساق البحث أسباب ذلك.
- ❖ أمتاز الخطاب القرآني الموجه إلى "بني إسرائيل" بتذكيرهم مراراً وتكراراً بالنعم التي أسبغها الله عليهم، وما قابلوا به هذه النعم من جحود وكفر واستكبار، وقد عرض ذلك بطرائق تعبيرية متعددة بحسب إيصال أي منها إلى الغرض فتارة بالترغيب والملاطفة واللين لاستمالة قلوبهم، وتارة بالتخويف والترهيب والتوبيخ وإقامة الحجة عليهم، كقوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة/٧٩]، هدفه من ذلك التنوع تطويق كل حالة نفسية تقف حائلاً بين الإنسان والهدى.

❖ من سنن القرآن في خطاب "بني إسرائيل" توجيه الخطاب إلى الخلف من الأمة بما هو صادر عن سلفها؛ لأن الأمة وحدة واحدة يتأثر اللاحق بالسابق، فيؤنب المتأخر بما فعله المتقدم، فالخطاب القرآني يؤكد وحدة الشخصية اليهودية ومواقفها عبر التاريخ، وكثيرا ما كان التعبير القرآني يلتفت من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة، وهذا الأسلوب يتكون دلالياً على وفق مقتضيات السياق، للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة/٥١]، والتعبير بالفعل الماضي عن المستقبل ليكون بمنزلة الواقع، أو بالمستقبل عن الماضي لاستحضار صورته وإدراكها عند المتلقي، ولا يخفى مال هذا الأسلوب من نظرية لنشاط السامع وإيقاظ له للإصغاء من ذلك قوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة/٩١].

❖ تعرض القرآن الكريم في خطابه للأمم الظالمة في صفحات الأزمان الغابرة، ولكنه لم يتكلم كثيراً عن أمرها بمثل ما كان تكلمه عن أمه "بني إسرائيل"؛ وذلك لأنهم أكثر الأمم اتصالاً بالعرب واختلاطاً بهم، وأقرب الزمان إلى عصر نزول القرآن وكانوا يمثلون أشد عقبة وقفت في طريق انتشار الدعوة الإسلامية، وغير ذلك من الأسباب التي كشف عنها البحث.

❖ أشار البحث إلى أن دعوة تبليغ الرسالة في عهد "بني إسرائيل" قد دخلت طوراً جديداً غير طور الاستئصال والإبادة التي أصابت الأمم الظالمة السابقة لهم كقوم نوح، ولوط... وفي ذلك حكمة بالغة؛ إذ إنه تمهيد لعهد جديد يترك فيه الإنسان وما يختار بعد أن وضحت الرسالات.

❖ جميع الأحداث الواردة في قصة "بني إسرائيل" في القرآن الكريم أحداثٌ صحيحة وواقعة؛ لأنها أُوحيَتْ إلى الرسول ﷺ من سبحانه، والله ﷻ حفظ هذه الأحداث صحيحة بعيدة عن التشويه والشك إكراماً لأصحابها المؤمنين ولقربهم منه، كما حفظ أحداث الشخص المعاندين المستكبرين للعبارة والدرس كي تتجنبها البشرية.

❖ تناول البحث جانب التكرار النصي في قصة "بني إسرائيل" في القرآن الكريم، وقد استعرض أبرز الآراء، والأسباب فكانت مقاربة وتكاد تتمحور حول عدة جوانب منها :

- ١- لإظهار إعجاز القرآن وتحديه للعرب الفصحاء وتسليّة الرسول ﷺ عما يواجهه منهم.
- ٢- إنّ التكرار يؤدي إلى استقرار المعلومة لدى المتلقي وتأكيدّها.
- ٣- جاء هذا التكرار ليؤكد جوانب تعليمية تعتمد منهج التذكير في تعليم الآخرين وما يمكن أن نطلق عليه "التغذية الراجعة" في التعليم، وذلك لترسيخ الدعوة الإسلامية في نفوس الناس من خلال سرد قصص السابقين بشكل متتابع ومكرر، فقد عرضت إجمالاً أهم أركان الدعوة الإسلامية كالتوحيد والنبوة والمعاد، وإلى أهم القيم الأخلاقية التي أكدها القرآن مثل الصبر والأمانة والصدق والعدل، وإلى إظهار مدى القبح والسوء للأخلاق الذميمة، وهي تريد تجذير الأولى في نفوس المسلمين وقلع الثانية من المجتمع ككل.
- ٤- الجانب التكاملي للقصص القرآني، إذ تكتمل النصوص المكررة في معظم جوابها، فقد يضيء التكرار جانباً غامضاً من القصة، وبذلك تتجلى جوانب القصة بشكل أوسع وأشمل خاصة في جانب الحدث.
- ٥- ما يتعلق بالجانب التعبيري لدى الإنسان، فالتكرار جاء بصيغ مختلفة نوعاً ما، ولكنها أدّت المعنى نفسه، وهذا بدوره يُعلم المتلقي المسلم درساً في الصياغة التعبيرية كي يعبر عن موقفه بصيغ مختلفة تؤدي المعنى نفسه، وتحمل طابع التجديد في حياته مع المحافظة على المعنى الثابت.
- ٦- تبين للبحث من خلال استعراض قصص "بني إسرائيل" أنّ هذه القصص تُرينا بكل وضوح ودقّة وعمق ثقافة الأمة الإسلامية الموحدة إلى جانب الحفاظ على تاريخها واستمرار رسالتها الإنسانية على مرّ التاريخ وعصوره، حتى يومنا، وتستمر حياة إلى يوم يبعثون، فالقصة بشكل عام هي أدب الإسلام والمسلمين العرب بالدرجة الأولى؛ لأنها جاءت بلغتهم، وهي أدب الإنسانية لما تتصف به من سمات إنسانية سامية، حفظت التجارب والخبرات والرؤى البشرية مع التأكيد على أنها ليست للمتعة الحسية والتسليّة فحسب، وإنما للعظة والعبرة لمن يستمع القرآن إلى أبد الأبد.

❖ أكدّ البحث على أنّ النفس البشرية حين تتنكب الطريق لا تستفيد من أيّ هادٍ يدلّها على الخير، فقد بُعث لبني إسرائيل عدد كثير من الأنبياء إلا أنهم لم يستطيعوا ترسيخ

العقيدة الصحيحة في نفوسهم، فجاء ردّهم على دعواتهم بمحاولة قتلهم أو مناصرة أعدائهم ضدهم كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران/٢١].

❖ كشف البحث حقيقة الموقف الرباني إزاءهم في تفضيله لهم في آيات وذمّهم لهم في آيات كثيرة أخرى.

❖ لقد صور القرآن الكريم "صفات بني إسرائيل" أبداع تصوير وأكملته، تصوير الخير العالم بأسرار النفس الإنسانية المطلع على خبايا النفوس الكامنة، إذ كشف التعبير القرآني صفات متباينة منها ماهو واضح ملموس ومشاهد حرصاً منه على كشفهم وفضحهم كقوله : ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ..﴾ [المائدة/١٣] ومنها ماهو كامن في الصدور مستتر، قال تعالى : ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت/١٠]، فإذا به سبحانه - يطلع رسوله ﷺ والمؤمنين بما تكنه نفوسهم، وإن جهدوا على كتمانها كقوله تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة/١٠٩] فضلاً عن أن كثيراً من أمثله وتشبيهاته وكنياته مستمدة من البيئة العربية كقوله تعالى : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدُّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة/٦١] تشبيهاً لهما بالخيمة المضروبة بالأرض محيطة بهم.

❖ من سنن التعبير القرآني أن يتبع ذكر المؤمنين ذكر أضعادهم تأكيداً على حقيقة الصراع بين الخير والشر كقوله : ﴿.. مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة/٦٦].

❖ أوضح البحث أن القرآن الكريم قد استثنى طائفة من "بني إسرائيل" منوهاً بسلامة مواقفهم واعتدالهم، وكان الحق سبحانه بهذا الاستثناء يعلمنا أن ننشد العدالة والدقة في إصدار الأحكام بقوله : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [آل عمران/١١٣].

❖ كشف البحث عن أن صفات بني إسرائيل هي صفات متوالدة الواحدة من الأخرى إحداهما متصلة بالأخرى ومؤدية إليها، فهي تتبع من فقدانهم القدرة على الإيمان وعدم استعدادهم لنبذ الوثنية التي رسخها فرعون في نفوسهم زمناً فولد ذلك الفكر المادي والإيمان بالشيء المحسوس المرئي، وهذا يوصل إلى البخل والحرص على

الحياة والجبن والانطواء على النفس وحب الذات فيؤدي ذلك إلى الحسد ونقض العهود والغدر والخيانة وتأويل النصوص بما يوافق الأهواء والمغالاة وانتهاك الحرمات.. الخ.

### ثانياً : المستوى الصوتي

- ❖ أكد البحث أن لغة القرآن لغة صوتية تصويرية دالة ذات تأثير نفسي كبير، فكل صوت طبيعي نغمية خاصة به تتسجم مع غيره من الأصوات بما يؤدي إلى موازنة متناغمة بين صفات الأصوات وما تدل عليه.
- ❖ يتخذ القرآن الكريم من الصوت المتكرر وسيلة لتصوير الموقف وتجسيمه والإيحاء بما يدل عليه معتمداً في ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ من خصائص صوتية وما تشيعه بجرسها من نغم يساهم في إبراز المعنى وهذا يتضح من الشواهد العديدة التي عرضتها الدراسة.
- ❖ بين البحث أهمية تكرار الأصوات الصائتة في النص القرآني مما يجعل التلاوة سلسلة والاستماع إليها حسناً جميلاً فتطرب له الأذان وينبسط به العقل والقلب.
- ❖ أوضح البحث أن لتكرار الألفاظ في عبارات القرآن قيمته الصوتية فضلاً عن أنه يزيد قوة المعنى، وإحكاماً في السبك وقد أخذت موضعها في الجملة القرآنية واتسقت مع السياق وتلاحمت فيه.
- ❖ أكد البحث أن الفاصلة القرآنية تعد صورة من صور البناء الفني للغة القرآن، ومن أهم وسائل التعبير عن المعنى، وقد تآزر أمران في منحها قدرة إيحائية على تجسيد المعنى هما : التشكيل المقطعي، وجرس الأصوات ودلالاتها.
- ❖ أتضح، من خلال الشواهد المعروضة أن الفواصل الثنائية قليلة جداً في آيات الصفات في حين كان للواصل الثلاثية والرباعية نصيب وافر في آيات الصفات، وقد منحت السياق طاقة إيحائية كبيرة في حين اختفت الفواصل الأحادية المقطع والخماسية المقطع وقد أشاد البحث إلى أسباب ذلك.
- ❖ بين البحث علاقة الوحدات غير المقطعية "النبر والتغيم" بالمعنى، وارتباطها به من خلال خلق إيقاع معين يناسب السياق الذي يتحدث عنه.

❖ أشار البحث إلى محاولة اللغويين العرب قديماً وحديثاً إلى إيجاد علاقة طبيعية بين الصوت وما يدل عليه من معنى وأن ثمة علاقة بينه وبين أصوات الكلمة مترتبة بحسب ما تقتضيه طبيعة الكلمة وقد عرض البحث شواهد على ذلك.

❖ أثبت البحث أن الأصوات في القرآن تشكل ألفاظاً دالة على المعنى تقوم بتقريب الصورة التي تعرضها الآية وتدعُ المخيلة متحركةً سابحة في أبعاد المعاني وأهدافها، فضلاً عن أن قيمة الألفاظ لا تنحصر في ما تولده من متعة حسيةً كامنة في جرس أصواتها فحسب بل فيما يكمن خلف الألفاظ من معانٍ بعيدة وإيحاءات خفية تنبع من أغوار النفس البشرية.

❖ أبان البحث أن للحركات دلالة صوتية، أي أنها ذات وظيفة فونيمية أقرب إلى وظيفة الحروف في تغيير معاني الكلمات بشكل واضح، فالقرآن الكريم جاءت حركاته متجانسة مع الحروف على وفق منهج صوتي مرتل تعتمد فيه الحركات على ما قبلها وما بعدها، فنجدها تمدُّ السياق وتراكيبه بألوان من الأنساق الموسيقية المتناسقة.

### ثالثاً : المستوى الصرفي

❖ كشف البحث حرص البيان القرآني الشديد على انتقاء ألفاظه انتقاءً ينسجم مع ما يراد به من النص من معانٍ ودلالات في العبارة، فكل لفظة وضعت في مكانها المحدد وإن إبدالها بأخرى يخل بالنظام المتكامل الذي بني عليه القرآن.

❖ ظهر للبحث أهمية الأبنية الصرفية في بيان المعاني القرآنية، فكان للصيغة التي وردت عليها ألفاظ البحث أثرٌ واضحٌ في تقديم الفكرة بدقة وقوة، مما زاد في كشف دلالة النص وتماسكه.

❖ كشف البحث تعدد الصيغ الصرفية لمصادر الأفعال الدالة على صفات بني إسرائيل فكل صيغة تؤذن بدلالة خاصة في استعمالها السياقي.

❖ أظهر البحث أن التباين في الأداء الصرفي للصيغة هو أداة لتحليل المعاني، فدلالة الوصف بالمصدر من سنن العرب ليترك أثره في النفس لبلوغ غايته في توسيع المعاني وطلبها، وأنه في عملية التبادل بين المصدر والمشتقات يكتسب المصدر وظائف ودلالات كالتوسع، والمبالغة، والتخصيص، والاهتمام وغيرها، إلى جانب وظائفه ودلالاته، وقد ساق البحث الشواهد القرآنية التي توضح ذلك.

❖ كشف البحث في دراسة أبنية المصادر أنه كاد يغيب بناءً عدّ غالباً أو مقيساً في مصادر "فعل" اللازم هو "فعل" فلم يرد إلا مرة واحدة في قوله تعالى : ﴿وَلَتَعْلَنَّ غُلُوءًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء/٤]، على كثرة أبنية المصادر في آيات الصفات، مما يستدعي القيام ببحث لإحصاء هذه المصادر للوصول إلى حكم قاطع بشأنها.

❖ خلاص البحث بعد تتبعه أبنية المشتقات في آيات الصفات، إلى ضرورة التريث في القطع بدلالات الأبنية على الثبوت أو الحدوث وعدّها عنصراً من عناصر الدلالة لا أكثر، قد يصدق على المفردة وقد لا يصدق، فالحكم النهائي في دلالة المفردة للتركيب والسياق.

❖ ورود المصادر ضمن أساليب بلاغية تميّزت بقوة التأثير واستلال المعاني والصور من طبيعة الحياة العربية نحو قوله تعالى : ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ﴾ [البقرة/٦١] وقوله : ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة/٦٤].

❖ بعد تتبع أبنية جموع القلة في آيات الصفات، خلاص البحث إلى ضرورة مراجعة هذه الأحكام بالاستعانة بإحصاءات دقيقة لدلالاتها في القرآن الكريم، والفصيح من كلام العرب، وعدم الحكم بما ورد عن العلماء الأوائل في شأنها، فأحكام اللغة تبنى على استعمالها الواقعي، لا على ما يقرره الباحثون.

❖ أكد البحث أن التعبير القرآني لا يستعمل صيغة جمع اعتباراً، وإنما يراعي في ذلك دقة المعاني المعبرة.

❖ كشف البحث عن بلاغة الاستعمال القرآني للأفعال المجردة والمزيدة فهذا التوسع في التصرف يتجه إلى توسيع المعاني والأغراض.

#### رابعاً : المستوى النحوي للتركيب

❖ أبان البحث أن الجملة القرآنية بناءً محكم نسقت كلماته أدق تنسيق وفي أسهل تركيب، وهي تتبّع المعنى النفسي فتجسده بألفاظ، ولكل من الجملة الاسمية والفعلية دلالتها في الخطاب القرآني، وقد عرض البحث طائفة من الشواهد القرآنية التي توضح ذلك، فكثيراً ما عبر بالفعل المضارع عن استمرار حدوث الفعل وتجده كقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال/٥٦]. وقد عبر بالماضي عن استمرار الحدث ليشمل كل الأزمان كقوله : ﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ

قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَثَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ..» [آل عمران/ ١١٩] وبالجملـة الأسمية عن ثبات المعنى واستمراره كقوله : ﴿ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران/ ١١٠].

❖ أكد البحث أن عوارض الجملة القرآنية "التقديم والتأخير، والحذف" هي في الحقيقة طاقات تعبيرية جديدة وتلوينات أسلوبية ترتقي بالنص من مستوى التعبير المباشر إلى المستوى الفني البعيد عن السطحية، وتساعد على بيان الجوانب الجمالية فيه، وقد وضفها التعبير القرآني في خطابه لبني إسرائيل توظيفاً رائعاً.

❖ أظهر البحث أن التلوين في التعبير بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية يزيد في إبراز معاني النص القرآني، وينوع الوسائل للإفهام، فكلما تنوع الكلام وتغير السياق تنوع التأويل انسجاماً مع مراد الفكرة وروح النص، وأن التبادل في المواقع بين الجملتين يعد وسيلة من وسائل تعدد معاني النص الكريم ويعرف ذلك بمعونة قرائن الأحوال ومقامات الكرام.

❖ جاء الخطاب القرآني لبني إسرائيل متدفقاً بسيل من الأساليب التعبيرية برزت من خلالها المعاني القرآنية المرادة من الآيات وأكثر هذه الأساليب وروداً أسلوب الاستفهام الذي يتسم بوفرة المعاني وسعة التصرف ويكثر وروده في مواقف الانفعال والتأثير والإقناع.

❖ خلاص البحث إلى أن اختيار القرآن لأساليبه في خطاب بني إسرائيل كان بقصدية كاملة وانسجاماً مع ما يتطلبه السياق وصولاً إلى الدرجة القصوى في التأثير، وهذا ماجعل من دقة الاختيار القرآني وتنوعه وجهاً من وجوه الإعجاز.

❖ أثبت البحث أن أسلوب الإنشاء غير الطلبي أسلوب تعبيرى له كيان مستقل من غيره من الأساليب وله روابط جامعة بين موضوعاته كالدلالة على التعظيم والتوكيد وحرارة الانفعال، وقد تمثل ذلك بأسلوب القسم والمدح والذم.

❖ أبرز البحث أن حروف المعاني قد حظيت بعناية بالغة في جهود اللغويين واللغويين وأن المتأمل في آيات الصفات، يجد الدقة في استعمال هذه الحروف وقد ساق البحث عدداً من الشواهد القرآنية على ذلك.

❖ أثبت البحث أن حروف المعاني وإن دلت على معناها في أنفسها فهي مقيّدة بالسياق الذي ترد فيه ، وليست مطلقة وإنما وجدت لتؤدي معاني الألفاظ المتعلقة بها، وليس

لتؤدي معناها الذاتي؛ لأنه معنى غير مكتمل فيها، فهي وسيلة لفهم اللفظ المتعلق بها وليس لفهم معناها الخاص.

- ❖ أبان البحث أهمية الإعراب، فإن مهمة اللفظ في النص تتحدد من خلال إعرابه، وأي تغيير في إعراب اللفظ يفترض أن ينجم عنه تغيير في معنى اللفظ.
- ❖ كشف البحث أن تعدد أوجه الإعراب في آيات الصفات يعدّ وجهاً من وجوه اعجاز القرآني ودليل على ثراء نصّه والسعة في التعبير عن المعنى، وليس معنى هذا أن كل حالة تعددت فيها أوجه الإعراب تأتي على هذا النمط من خصوبة الدلالة وثراء العطاء، إذ إنّ هناك حالات لم توجد إلا لسبب الترخّص في إحدى القرائن النحوية.

#### خامساً : المستوى الدلالي

- ❖ أظهر البحث أن جذور الدرس الدلالي تعود إلى إشارات علمائنا الأوائل من لغويين ونحويين ومفسرين فزخرت مؤلفاتهم بمسائل دلالية سبقوا فيها علماء اللغة المحدثين.
- ❖ أما في مفارقة الدلالة والمعنى فقد انتهى البحث إلى أن الدلالة ليست هي المعنى، على الرغم من أن كثيراً من الكتابات اللغوية يتساوى المصطلحان فيها، إلا أن البحث يذهب إلى أن الوصول إلى المعنى يحتاج إلى الرمز أو الإشارة، وهذا الرمز أو الإشارة يمثل الدلالة، فالأصوات رموز وترادفها يكون البنية "الكلمة"، وهي تمثل رمزاً لغوياً كذلك، والكلمات هي الوحدات الدلالية الصغرى وتأتلف هذه الوحدات الصغرى في سياق ليبين المعنى ويتحدّد، فالدلالة أعمّ من المعنى.
- ❖ جاءت الألفاظ المجازية في آيات الصفات موحيةً وموجزةً ومصورةً المعاني خير تصوير وفيها يُترك اللفظ إلى ما هو أجمل وأخصر وأبلغ وأطف وأكد وأوقع في النفس.
- ❖ ذهب البحث إلى القول بشيوع ظاهرة الترادف النسبي، وهو وجود تمايز دلالي بين الألفاظ التي تبدو مترادفة، أكثر من الترادف التام الذي لا ينكر وجوده من اللغة عامة ومن القرآن الكريم خاصة، وكان السياق القرآني في آيات الصفات أفضل جانب تطبيقي يبيّن ظلال الفروق الدقيقة بين الألفاظ المقول بترادفها، فميز البحث بين كثير من الألفاظ الدالة على صفات بني إسرائيل المقول بترادفها مثل : (المكر والكيد)، و (التحريف والتبديل) و (الاعراض والتولي) .. وغيرها.

- ❖ أوضح البحث أهمية المجاز اللغوي في كونه وسيلة مهمّة من وسائل التوسّع اللغوي، إذ يُثري اللغة ويسدّ أوجه النقص في الألفاظ والتراكيب المحدودة، فتتجدّد المعاني والألفاظ وتبتعد عن الخمول والرتابة.
  - ❖ كشف البحث أنّ التضاد من خصائص اللغة العربية الدالة على مرونتها وقدرتها على استيعاب المعاني والتنقل بين الأساليب.
  - ❖ أبرز البحث أنّ الأضداد نوع من المشترك اللفظي، غير أنّ المشترك أعمّ منه، مبيّناً أثر القرينة السياقية في توجيه معنى اللفظ المتضاد ولاسيما في الألفاظ التي يكون المعنى فيها منطوياً على جزء من الدلالة على المعنيين المتضادين، كما هو واضح من الشواهد.
  - ❖ عدّت الألفاظ القرآنية المشتركة جانباً من أعظم جوانب الإعجاز القرآني، وإنّما تحقّق هذا الفيض الدلالي في ألفاظ القرآن لامتلاكه كثافة دلالية عالية وبعداً عميقاً في المدلول، وهذا يتضح في الشواهد القرآنية المعروضة في الرسالة.
  - ❖ أبرز البحث الأثر المهم لظاهرة التقابل في المفردات، والجمل ولاسيماً تقابل الصور؛ لإثارتها ذهن المتلقي، ودفعه إلى تأمل الحاليين بعقده موازنة بينهما نتيجة لثراء الدلالة وإحياءاتها التي تنبثق من بُنى التقابل المضاد.
  - ❖ أوضح البحث أنّ نظرية الحقول الدلالية نظرية مهمة ونافعة وهي تساهم في التحليل الدلالي لبنية اللغة، مع التأكيد على أنها لم تكن بعيدة عن جهود لغويينا الأوائل.
- هذا عرض لأهم النتائج التي توصّل إليها البحث، أمّا التفصيل فإنّ القارئ الكريم سيجده منبثاً في أثناء البحث عند تناولنا لكل جزئياته.
- وختاماً، لا أزعم أنّي استوفيت موضوع الدراسة اللغوية لـ "صفات بني إسرائيل في القرآن الكريم" ما يستحقه من عرض وتحليل واستكمال لطرائق البحث فيه، بحيث لم أترك زيادة لمستزيد، غير أنّي كنت قد وطنت نفسي، وأخلصت النية على أنّ لا أبخل على الموضوع بجهد، ولا أضن عليه بمال، ولا أقصر في سعي، وإنّي لأرجو أن أكون قد وفيت حقّه من الإحاطة والتتبّع والشمول، وفي جمّع شتاته، وتكوين أجزائه ليصبح سهل التناول قريب المأخذ، يضمّ كل ما قيل عنه أو جله، يستطيع الباحث بعدي أن يقف على ما قيل فيه من دون أن يفرّق جهده أو يضيع وقته.

والله أسأل أن يحفظ الأمة الإسلامية من كيد أعدائها ومكرهم ويجعلها مسترشدةً بكتابه في أمرها كله، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إنه سميع مجيب.

**وهذه بضاعتي، فإن وفقني فمن عنده وإلا فهذا حال المجتهد  
ومن الله التوفيق.**

**الباحثة**

**٢٠٠٥/٤/١م**



## أولاً المطبوعات

### بعد

### - القرآن الكريم

#### (أ)

- أبحاث في أصوات العربية: د. حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية، آفاق عربية بغداد ط ١، ١٩٩٨ م.
- أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: د. رشيد العبيدي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨ م.
- ابن الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة: د. علي مزهر الياسري، منشورات وزارة الثقافة والفنون، سلسلة دراسات، دار الرشيد للنشر، جمهورية العراق ١٩٧٩ م.
- أبنية الصرف في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- أبنية الفعل ودلالاتها وعلاقاتها: أبي أوس إبراهيم الشمسان، كلية الآداب - جامعة الملك سعود، دار المدني للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، المسمى "منتهى الأمانى والمسرات في علوم القراءات": أحمد بن محمد البنا (ت ١١٧ هـ)، صنفه وقدم له: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ط ١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- الإتيقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، قدم له وعلق عليه: محمد شريف سكر، مراجعة مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية: د. عبد القادر عبد الرحمن السعدي، مطبعة الخلود، ط١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري: د. محمد زغلول سلام، تقديم: محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦١م.
- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام: د. عبد الكريم زيدان، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، ط١، ١٣٨٢هـ=١٩٦٣م.
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٩٢هـ=١٩٧٣م.
- إحياء علوم الدين: أبي حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، قرأ النص وحرّره وصحّحه وقدم له: د. عبد المعطي أمين قلعجي، اشرف على التحقيق والتصحيح: هيئة التحقيق بدار الوعي العربي، حلب، دار صادر- بيروت ط٢٠٠٠م.
- الأخلاق الإسلامية وأسسها: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، دار البشير، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- أدب الكاتب: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) أعتنى به وراجعته: د. درويش جويدي، المكتبة العصرية، شركة أبناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط١٤٢٣، ١٤٠٢هـ=٢٠٠٢م.
- أديان مقارنة "مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا"، د. ليلى حسن سعد الدين، دار الفكر، عمان، ط١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٤م.
- أديان مقارنة "ولتجدنهم أحرص الناس على حياة": د. ليلى حسن سعد الدين، دار الفكر- عمان، ١٩٨٥م.

- إرتشاف الضرب من لسان العرب: محمد بن يوسف الشهير "بأبي حيّان الأندلسي" (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق وتعليق: د. مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر ط١، الجزء الأول ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م، والجزء الثاني ١٤٠٨هـ= ١٩٨٧م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بـ "تفسير أبي السعود": أبي السعود محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ) وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤١٩هـ= ١٩٩٩م.
- أساس البلاغة: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) قدّم له وشرح غريبه وعلّق عليه : د. محمد أحمد قاسم، المكتبة العصرية، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م.
- الأساس في التفسير : سعيد حوّي، دار السلام، ط١، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.
- أساليب التوكيد في القرآن الكريم: عبدالرحمن المطردي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط١، ١٣٩٥هـ= ١٩٨٦م.
- أساليب الاستفهام في القرآن: د. عبدالعليم فودة، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، د.ت.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: د. قيس إسماعيل الأوسي، بغداد، بيت الحكمة ١٩٨٩م.
- أساليب القسم في اللغة العربية: د. كاظم فتحي الراوي، مطبعة الجامعة، شارع المنتبّي، بغداد، ١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م.
- أسباب حدوث الحروف : أبي علي الحسين بن عبدالله المعروف بابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، نشره ولاديمير اخوليدياني، تلفس، متسنياريا ٩٦٦م.
- أسباب النزول: أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) شرح وتحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الإيمان، ط١، ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م.

- أسرار التكرار في القرآن الكريم "البرهان" : محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت نحو ٥٠٥هـ) دراسة وتحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، ط١، ١٩٨٣م.
- أسرار التكرار في لغة القرآن : د. محمود السيد شيخون، القاهرة، ١٩٨٣م.
- أسرار العربية: كمال الدين أبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، عني بتحقيقه : محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي، مطبعة الترقى، ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م.
- أساليب الاستفهام في القرآن: د. عبدالعظيم السيد فودة، مؤسسة دار الشعب، القاهرة د.ت.
- أسلوب الدعوة القرآنية "بلاغة" ومنهاجا : عبدالغني محمد سعد بركة : دار غريب للطباعة، مكتبة وهبة-القاهرة ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.
- أسلوب السخرية في القرآن الكريم: د. عبدالحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨م.
- الأسلوبية والأسلوب : د. عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب ط٣، د.ت.
- اسم الفاعل بين الإسمية والفعلية : د. فاضل مصطفى الساقى، د. تمام حسان، المطبعة العالمية-القاهرة، ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره ١٣٩٠هـ= ١٩٧٠م.
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز : أبي محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام (ت ٦٦٠هـ) المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، دار الفكر، دمشق، د.ت.
- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ)، تحقيق: د. عبدالله محمود شحاته، وزارة الثقافة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.
- الأشباه والنظائر في النحو : جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت ط١، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.

- الأشتقاق : أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ-)، تحقيق وشرح : د. عبدالسلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، مصر، المكتبة التجارية، بيروت، مكتبة المثنى ، بغداد، ١٣٧٨هـ=١٩٥٨م.
- إصلاح المنطق : ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ-)، شرح وتحقيق : د.أحمد محمد شاكر، د. عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٠م.
- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسين بن محمد الدامغاني (ت ٤٧٨هـ-)، تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت ط١، ١٩٧٠م.
- أصوات العربية بين التحول والثبات : د. حسام سعيد النعيمي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، سلسلة بيتن الحكمة، د.ت.
- الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة دار فوزي ، القاهرة، ط٥، ١٩٧٩م.
- الأصوات اللغوية : د. عبدالقادر عبدالجليل، سلسلة الدراسات اللغوية، دار صفاء للنشر والطباعة، عمان-الأردن، ط١، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.
- أصوات وإشارات "دراسة في علم اللغة" : أ.كوندرايوف . ترجمة : أدور يوحنا، وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة، سلسلة الكتب المترجمة، بغداد د.ت.
- الأصوات "دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م.
- الأصول في النحو: أبي بكر بن السراج البغدادي (ت ٣١٦هـ-)، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- الأضداد : أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، التراث العربي، سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠م.
- الأضداد في كلام العرب: أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت ٣٥١هـ-)، تحقيق د. عزة حسن، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ١٣٨٢هـ=١٩٦٣م.
- الأضداد في اللغة : د. محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط١، ١٣١٤هـ=١٩٧٤م.

- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : د. نايف خرما، عالم المعرفة، الكويت، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.
- إظهار الحق: رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل نافع بن الأزرق: د. عائشة عبدالرحمن المعروفة بـ "بنت الشاطيء"، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.
- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم "دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة" : د. عبدالحميد أحمد يوسف هندأوي، المكتبة العصرية-شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر، بيروت ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
- إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها: عبدالكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط٩، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.
- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: محمود السيد حسن مصطفى ، تقديم : حسن عون، مؤسسة شباب الجامعة ط١، ١٩٨١م.
- الإعجاز والإيجاز: أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٣٠هـ)، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- إعراب القرآن: أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحاس (ت٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه : عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون بيروت-لبنان ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
- إعراب القرآن المنسوب للزجاج: تحقيق ودراسة : د. إبراهيم الأبياري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، (ت١٩٨٢م)، تحقيق : يوسف علي بدوي، دمشق-سوريا، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.
- إغاثة اللفهان من مصاديد الشيطان: أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) تحقيق وتصحيح وتعليق : محمد حامد الفقي، دار الفكر عمان، د.ت.

- الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام: عبدالله التل، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧١م.
- إلى القرآن الكريم: محمود شلتوت، دار الهلال، مصر، د.ت.
- الأفعال : أبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف "بابن القطاع" (ت ٥١٥هـ)، عالم الكتب، بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- الألسنية التوليدية التحويلية "النظرية اللسانية" : د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١ ، ١٩٨٢م.
- الألفاظ المترادفة: أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ)، اعتنى بشرحه والتزم طبعه : محمد محمود الرفعي، مصر، د.ت.
- أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقہ : أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الأندلسي (ت ٥٨١هـ)، تحقيق : محمد إبراهيم البناء، مطبعة السعادة، مصر، ط١ ، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
- أمالي المرتضى "غرر الفوائد ودرر القلائد" : الشريف المرتضى علي بن الحسن الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م.
- أمثال القرآن : أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: د. موسى بناي علوان العلي.
- الأنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: ناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الإسكندري المالكي، بهامش الكشاف للزمخشري.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين: أبي البركات الأنباري، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة، مصر، ط٤ ، ١٣٨٠هـ=١٩٦٦م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥ أو ٦٩١هـ)، تقديم : عبدالقادر الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، ط١ ، ٢٠٠١م.
- أوزان الفعل ومعانيها: د. هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م.

- الأيديولوجية الصهيونية "دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة" : د. عبدالوهاب المسيري، عالم المعرفة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م.
  - الإيضاح في شرح المفصل : جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف "بابن الحاجب" النحوي المالكي (ت ٦٤٦هـ-)، تحقيق د. موسى بناي الحلبي، مطبعة العاني ، بغداد، ١٩٨٢م.
  - الإيضاح في علل النحو : أبي القاسم الزجاجي (٣٧٧هـ-)، تحقيق : د. مازن المبارك دار النفائس ، ط ٢، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
  - الإيضاح في علوم البلاغة "المعاني والبيان والبدیع" : أبي عبدالله جلال الدين بن سعد الدين بن محمد عبدالرحمن القزويني ( ت )، راجعه وصحّحه وخرّج آياته : الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم ، بيروت ط ٢، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.
- (ب)
- البحث اللغوي عند العرب: د. أحمد مختار عمر، دار المعارف، مصر ١٩٧١م.
  - البحث النحوي عند الأصوليين: د. مصطفى جمال الدين، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
  - البحر المحيط: أبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق : عادل أحمد عبدالموجود.
  - بحوث ومقالات في اللغة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
  - بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
  - البديع تأصيل وتجديد: د. منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية، جلال حرب وشركاه، ١٩٨٦م.
  - بديع القرآن: ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ-)، تقديم وتحقيق : حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، ط ١، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.
  - البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤هـ-) خرّج أحاديثه وقدم له وعلّق عليه : مصطفى عبدالقادر عطا، دار الفكر ، بيروت ط ١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

- البرهان في وجوه البيان: أبي الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب (ت هـ)، تحقيق: د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ساعدت جامعة بغداد على نشره ط١، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.
- البرهان الكاشف عن القرآن: كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم الزمלקاني (ت٦٥١هـ) تحقيق: د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني بغداد، إحياء التراث الإسلامي ط١، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ) تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، ١٣٨٥هـ.
- البلاغة العربية "قراءة أخرى": د. محمد عبدالمطلب البكاء، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٧م.
- البلاغة فنونها وأفنانها: د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع-عمان- الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- البلاغة والتطبيق: د. أحمد مطلوب، ود. كامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط١، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- البلاغة وقضايا المشترك اللفظي: د. عبدالواحد حسن الشيخ، مؤسسات شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية ١٩٨٦م.
- البناء الصوتي في البيان القرآني: د. محمد حسن شرشر، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- بنو إسرائيل في القرآن والسنة: د. محمد سيد طنطاوي، ساعدت جامعة البصرة في نشره، ط١، ١٩٦٩م.
- بنو إسرائيل والعبرية الحديثة: د. علي رؤوف سيد مرسى، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- بنية اللغة الشعرية: جان كوهين، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، سلسلة المعرفة الأدبية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦م.

- بهجة الأريب في بيان مافي كتاب الله العزيز من الغريب: علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني المعروف "بابن التركماني" (ت ٧٥٠هـ)، تحقيق : خالد محمد خميس ، إشراف ومراجعة : د. أحمد عبدالمجيد هريدي، القاهرة، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.
  - البيان في غريب إعراب القرآن : لأبي البركات الانباري، تحقيق : د. طه عبد الحميد طه، مراجعة : مصطفى السقا، المكتبة العربية، الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف ، القاهرة، ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.
  - البيان والتبيين: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق وشرح : د.عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ، د.ت.
- (ت)
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت.
  - تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم "وأحوال وأخلاق ومواقف اليهود في عصر النبي ﷺ وبيئته من القرآن الكريم" : د. محمد عزّة دروزة، منشورات المكتبة العربية للطباعة والنشر، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م.
  - تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية : د. سعدون محمود الساموك، ود. رشدي محمد عليان، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، د.ت.
  - تاريخ الطبري "تاريخ الرسل والملوك" ، الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طه، دار المعارف، القاهرة(د.ت).
  - تاريخ فلسطين القديم : د. سامي سعيد الأحمد، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، ١٩٧٩م.
  - تاريخ اللغات السامية : إسرائيل ولفنسون "أبو ذؤيب"، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠م.
  - التاريخ اليهودي العام: د. صابر عبدالرحمن طعيمة، دار الجيل ، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.
  - التأويل النحوي في القرآن الكريم، د. عبدالفتاح أحمد الحموز، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م

- التبصرة في القراءات : أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) حقق نصّه وعلّق حواشيه د. محيي الدين رمضان، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- التبيان في إعراب القرآن : أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
- التبيان في أقسام القرآن : ابن قيم الجوزية، صحّحه وعلّق عليه الشيخ طه يوسف شاهين، دار الكتاب العربي د.ت.
- التبيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تحقيق وتصحيح : أحمد شوقي الامين، وأحمد حبيب قصير، المطبعة العلمية ومطبعة النعمان ، النجف الأشرف ١٩٦٥م.
- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن: ابن الزمكاني (٦٥١هـ)، تحقيق : د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني بغداد، ط ١، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) ، الدار التونسية للنشر، د.ت.
- الترادف في اللغة: د. حاكم مالك لعبيبي الزيايدي، دار الحرية للطباعة، ودار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.
- التراكيب اللغوية في العربية "دراسة وصفية تطبيقية" : د. هادي نهر، ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعه، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.
- التشبيهات القرآنية والبيئة العربية : واجدة حميد الأطرقجي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، سلسلة دراسات، العراق، ١٩٧٨م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية "فونولوجيا العربية" : د. سلمان حسن العاني، ترجمة : د. ياسر الملاح، د. محمد محمود غالي، النادي الثقافي، جدة-المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- تصحيح الفصح: عبدالله بن جعفر بن درستوية (ت ٣٤٧هـ)، تحقيق : د. عبدالله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧٥م.

- تصريف الأسماء : محمد الطنطاوي، مطبعة وادي الملوك، ط٥، ١٣٧٥هـ=١٩٥٥م.
- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : الطيب البكوش، تقديم : صالح القرماضي، تونس، ١٩٧٣م.
- التصور اللغوي عند الأصوليين: السيد أحمد عبدالغفار، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠١هـ=١٩٨١م.
- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط١١، ١٩٨٩م.
- التضاد في ضوء اللغات السامية "دراسة مقارنة" : د. ربحي كمال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م.
- التضاد في القرآن الكريم : د. محمد نور الدين المنجد، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- تطور البحث الدلالي "دراسة في النقد اللغوي والبلاغي" : د. محمد حسين علي الصغير، بغداد، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم "دراسة دلالية مقارنة" : د. عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- التطور النحوي للغة العربية : برجستر آسر، أخرجه وصحّحه وعلّق عليه: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي ، الرياض، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- التطور اللغوي التاريخي : د. إبراهيم السامرائي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢، ١٩٨١م.
- التعبير الفني في القرآن الكريم : د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
- التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، بغداد، ١٩٨٧م.
- التعريفات : علي بن محمد المعروف "بالسيد الشريف الجرجاني" (٨١٦هـ)، حققه وقدم له ووضع فهارسه: د. إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط١، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

- تفسير آيات الأحكام : أشرف على تنقيحها وتصحيحها الأستاذ محمد علي السائس، مطبعة محمد علي صبيح، (د.ت).
- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم : عبدالعزيز إبراهيم مصطفى ، مكتبة وهبة، أميرة للطباعة، القاهرة ط١، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- تفسير الجلالين للقرآن الكريم: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجمال الدين عبدالرحمن السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
- تفسير سفيان الثوري : أبي عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت١٦١هـ)، رواية : أبي جعفر محمد بن أبي حذيفة النهدي عنه، راجع النسخة وضبط اعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ=١٩٨٧م.
- تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، دار الجيل، بيروت-لبنان ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- التفسير القرآني للقرآن : عبدالكريم الخطيب
- التفسير القيم : ابن قيم الجوزية، جمعه : محمد إدريس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ط٣، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.
- التفسير الكبير أو "مفاتيح الغيب" : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي (٦٠٤هـ أو ٦٠٦هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.
- التفكير الصوتي عند الخليل : د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط١، ١٩٨٨م.
- التقابل والتماثل في القرآن الكريم: د. فايز عارف القرعان، المركز الجامعي للنشر والدعاية والإعلان، أربد-الأردن، ط١، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.
- التكرير بين المثير والتأثير: د. عز الدين علي السيد، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٧هـ=١٩٨٦م.

- التكملة : أبي علي النحوي: تحقيق ودراسة : د. كاظم بحر المرجان، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
- تكملة المعاجم العربية : رينهارت دوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه : د. محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والفنون، سلسلة المعاجم والفهارس، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٨م.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن : الشريف الرضي، تحقيق وتقديم: د. علي محمود مقلد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، ١٩٨٦م.
- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء: أبي هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، تحقيق: د. عزّة حسن، دمشق، ١٩٦٦م.
- التنعيم اللغوي في القرآن الكريم : د. سمير إبراهيم وحيد العزاوي، دار البيضاء للنشر والطباعة، الاردن ، ٢٠٠٠م.
- تهذيب اللغة : أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (٣٧٠هـ) حققه وقدم له : د. عبدالسلام محمد هارون، راجعه : محمد علي النجار (د.ت).
- تيجان البيان في مشكلات القرآن: محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري، دراسة وتحقيق : حسن مظفر الروز، مطابع جامعة الموصل، ط١، ١٩٨٥م.

### (ج)

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ "تفسير الطبري" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، ضبط وتعليق : محمود شاكر الحارستافي، تصحيح : علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ط١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.
- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، مراجعة د. محمد أسعد النادري المكتبة العصرية للطباعة والنشر شركة أبناء شريف الأنصاري، ط٣٤، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
- الجامع الصحيح "سنن الترمذي" لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورَه (ت ٢٩٧هـ)، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان (د.ت).

- الجامع لأحكام القرآن : أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق : سالم مصطفى البدرى ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة ، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، بغداد، ١٩٨٠م.
- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير : أحمد ياسوف، دار المكتبي للطباعة، دمشق-سوريه، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- الجمان في تشبيهات القرآن: أبي القاسم عبدالله المعروف بـ"ابن نايقا البغدادي (ت٤٨٥هـ)، تحقيق : د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي. سلسلة كتب التراث، مديرية الثقافة العامة، المؤسسة العامة للطباعة، دار الجمهورية، بغداد ١٣٨٧هـ=١٩٦٨م.
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها: د. فاضل صالح السامرائي، منشورات المجمع العلمي العراقي، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- جمهرة اللغة : ابن دريد، طبعة بالأوفسيت، دار صادر، بيروت، د.ت
- جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية : د. عبدالمنعم سيد عبدالعال، دار الاتحاد العربي للطباعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.
- الجموع في اللغة العربية : د. باكرة رفيق حلمي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٢م.
- الجنى الداني في حروف المعاني: حسين قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ)، تحقيق : طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب: علاء الدين بن علي بن بدر الدين بن محمد الأربلي، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبقتها في النجف، ط٢، ١٣٨٩هـ=١٩٧٠م.
- حاشية ياسين بن زين الدين العليمي (ت١٠٦١هـ) على شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهرى، بهامش شرح التصريح.
- الحجة في القراءات السبعة: ابن خالويه تحقيق وشرح د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت ط٢، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.

- الحدود في النحو (ضمن رسالتان في اللغة) : أبي الحسن علي بن عيسى الرماني، تحقيق وتعليق وتقديم: د. إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٤م.
- حروف المعاني : أبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ) حققه وقدم له: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل الأردن، ط١، ١٩٨٤م.
- الحوار في القرآن "قواعده، أساليبه، معانيه" : محمد حسين فضل الله، الدار الإسلامية ط١، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين الدميري (ت ) ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
- الحيوان: الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٩م.

## (ح)

- الخصائص: أبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق : د. محمد علي النجار، دار الهدى، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان د.ت.
- خصائص التراكيب "دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني" : د. محمد حسنين أبو موسى، مكتبة وهبة، دار التضامن، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م.

## (د)

- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : د. غانم قدوري الحمد، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة الخلود، بغداد، ط١، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- الدراسات الصوتية عند علماء العربية: عبدالحميد الهادي إبراهيم الاصبيعي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، لجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس - ليبيا، ط١، ١٩٩٢م.
- دراسات في الأدوات النحوية : مصطفى النحاس، جامعة الكويت، شركة الربيعات للنشر والتوزيع ط١، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- دراسات في السلوك الإنساني: د. عبدالرحمن محمد عيسوي، نشرة : منشأة المعارف الإسلامية، الإسكندرية (د.ت).

- دراسات في علم أصوات العربية : د. داود عبده، مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع، الكويت د.ت.
- دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت ط١٣، ١٩٩٧م.
- دراسات في اللغة والنحو : د. عدنان محمد سلمان، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩١م
- دراسات نقدية في النحو العربي : د. عبدالرحمن محمد أيوب، مؤسسة الصباح ، الكويت، د.ت.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: د. حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
- دراسة السمع والكلام: د. سعد مصلوح، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٠م.
- دراسة الصوت اللغوي : د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ط١، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.
- دراسة في المعاني والبديع : شفيع السيد، مكتبة الشباب، القاهرة د.ت.
- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز : الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ) برواية ابن أبي الفرج الأردستاني، منشورات دار الآفاق الجديدة-بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.
- درة الغواص في أوهام الخواص : أبي محمد القاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦هـ)، مكتبة المثنى للطباعة، بغداد د.ت.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بـ "السمين الحلبي" (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق وتعليق : الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، ود. جاد مخلوق جاد، د. زكريا عبد المجيد النوتي، قدّم له وقرّضه : د. أحمد محمد صيره، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- الدر المنثور في التفسير المأثور : جلال الدين السيوطي، ضبط النص والتصحيح وإسناد الآيات ووضع الحواشي والفهارس دار الفكر ، ط١، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

- دروس في علم أصوات العربية: جان كانتينيو، نقله إلى العربية : صالح القرمالوي، الجامعة التونسية، نشریات مركز الدراسات والبحوث اقتصاڊية والاجتماعية ١٩٦٦م.
  - دقائق النفسية اليهودية من خلال الكتب المقدسة "التوراة والإنجيل والقرآن"، و"التاريخ الواقع": محمد علي الزعبي، بيروت ١٩٦٨م.
  - دقائق التصريف: القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (ت بعد ٣٣٨هـ): تحقيق د. أحمد ناجي القيسي، ود. حاتم الضامن، وحسين تورال، مطبعة المجمع العلمي العراقي ط١، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
  - دقائق العربية: الأمير أمين آل ناصر الدين، وقف على طبعه وعني بمراقبة أصوله تلميذه: الأمير نديم آل ناصر الدين، مكتبة لبنان-بيروت ط٢، ١٩٦٨م.
  - دلائل إعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تصحيح وتعليق: محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، ومحمد محمود الشنقيطي ومحمد المراغي، تعليق وشرح: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان، ط١، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م.
  - دلالات التراكيب "دراسة بلاغية": د. محمد حسنين أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
  - دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٧٦م.
  - الدلالة الزمنية في الجملة العربية: د. علي جابر المنصوري، مطبعة الجامعة، بغداد، ط١، ١٩٨٤م.
  - دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة وقدّم له وعلّق عليه: د. كمال محمد بشر، ١٩٦٢م.
  - ديوان الأدب: أبي إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠هـ) تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة د. إبراهيم انيس، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.
  - ديوان أبي الأسود الدؤلي: تحقيق محمد حسن آل ياسين، منشورات مكتبة النهضة-بغداد ط٢، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.
- (٩)
- الربا في المعاملات المصرفية، د. عبدالله بن محمد حسن السعيد، دار طبية للنشر والتوزيع ط٢، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

- الرؤية العربية اليهودية : د. مهند يوسف حداد، منشورات ذات السلاسل ، الكويت، ط١، ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- رسالتان في علم الصرف : للسنباطي (ت ٩٥٠هـ) ، والمرصفي (ت ١٣٠٧هـ)، تحقيق : أحمد ماهر البقري، المكتب الجامعي الحديث، مصر ١٤٠٩هـ=١٩٨٨م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق : أحمد حسن فرحان، دار عمّار ، عمّان، الأردن ط٢، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

- روائع الإعجاز في القصص القرآني "دراسة في خصائص الأسلوب القصصي المعجز" : محمود السيد حسن، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية د.ت.

## (ز)

- الزاهر في معاني كلمات الناس : أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ) تحقيق د. حاتم صالح الضامن، الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، بغداد ، ١٩٧٩م.
- الزمن في القرآن الكريم "دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه" : د. بكرى عبدالكريم، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م.
- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (٣٢٢هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه : حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط١، ١٩٩٤م.

## (س)

- السبعة في القراءات : ابن مجاهد أحمد بن موسى (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق : د. شوقي ضيف، دار المعارف ، مصر، ط٢، ١٩٨٠م.
- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام: الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني (ت ١١٨٢هـ)، حقق نصوصه وخرج أحاديثه ورقمه وعلق عليه : خليل مأمون شيحا دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ط٧، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
- سر صناعة الإعراب : ابن جني، تحقيق : مصطفى السقا آخرون، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط١، ١٣٧٤هـ=١٩٥٤م.

- السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين : فوزي سالم عفيفي، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت.
- سنن ابن ماجه: أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني المعروف "بإبن ماجه (ت ٢٧٣هـ)، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : د.بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت ، ط١، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.
- سيرة الرسول ﷺ "صور مقتبسة من القرآن الكريم" : محمد عزّة دروزة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٤هـ=١٩٦٥م.
- السيرة النبوية : أبي محمد عبدالملك بن هشام (ت ٢١٣ أو ٢١٨هـ)، علّق عليها وخرّج أحاديثها : د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٤م.
- سيكولوجية القصة في القرآن : د. التهامي نقرة، الشركة التونسية للتوزيع، جامعة الجزائر، ١٩٧١م.

### (ش)

- الشخصية الإسرائيلية : د. عبده الراجحي، دار المعارف، مصر ١٩٦٨م.
- الشخصية الإسرائيلية : د. حسن ظاظا، دار الفكر، دمشق ط١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- شذا العرف في فن الصرف: الشيخ أحمد الحملوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١٦، ١٩٦٥م.
- شرح إبن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي الهمذاني المصري (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق : د. محمد محيي الدين عبدالحميد، مراجعة : محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر، ط١٤، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- شرح التسهيل "تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد" : جمال الدين محمد بن عبدالله بن عبدالله ابن مالك الطائي الجبائي الأندلسي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا، وطارق فتحي السيّد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

- شرح التصريح على التوضيح : الشيخ خالد بن عبدالله الأزهرى (ت ٩٠٥هـ)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة الاستقامة، مصر، ط ١، ١٩٥٤م.
- شرح جمل الزجاجة "الشرح الكبير" : ابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: د. صاحب أبو جناح ، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م.
- شرح الحدود النحوية: عبدالله بن أحمد بن علي الفاكهي (ت ٩٧٢هـ) دراسة وتحقيق : د. زكي فهمي الألوسي، التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، د.ت.
- شرح الشافية<sup>١</sup> ابن الحاجب : رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي النحوي (ت ٦٨٦هـ)، مع شرح شواهد له عبد القادر البغدادي، حققها وضبط غريبها وشرح مبهمها : محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية ، لبنان ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: أبي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأتصاري (٧٦١هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة-مصر ١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م.
- شرح المراح في التصريف : بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ) حققه وعلق عليه: د. عبدالستار جواد (د.ت).
- شرح المفصل : موفق الدين يعيس بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) عالم الكتب-بيروت، أوفسيت عن طبعة القاهرة (د.ت).
- شرح الملوكي في التصريف : ابن يعيس، تحقيق : د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب ، ط ١، ١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م.
- شرح الوافية نظم الكافية: أبي عمرو عثمان بنن الحاجب النحوي، دراسة وتحقيق: موسى بناي العليلي الخفاجي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- شفاء الغليل فيما وقع في كلام العرب من الدخيل : شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري (ت ٩٧٧هـ)، تصحيح وتعليق ومراجعة : محمد عبد المنعم الخفاجي، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى للطبع والنشر، المطبعة المنيرية بالأزهر ط ١، ١٣٧١هـ= ١٩٥٢م.

## (ص)

- **الصاحبي : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تحقيق : السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٧٧م.**
- **الصباح "تاج اللغة وصحاح العربية" : إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ط ٢، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.**
- **صحيح مسلم (ت ٢٦١هـ) بشرح الإمام محيي الدين يحيى بن شرف أبي زكريا الدمشقي الشافعي (ت ٦٧٦هـ)، رقمة وخرّج أحاديثه : محمد فؤاد عبدالباقي، حققه الشيخ : عرفان حسونة، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.**
- **الصرف : د. حاتم صالح الضامن، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١م.**
- **الصرف الواضح: عبدالجبار علوان النائلة، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.**
- **صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني، مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.**
- **الصناعتين "الكتابة والشعر" : أبي هلال العسكري، حققه وضبط نصه: د. مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.**
- **الصيغ الزمنية في اللغة العربية : د. مالك المطلبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦م.**

## (ط)

- **الطبيعة في القرآن الكريم : د. كاسد ياسر الزيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.**
- **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، منشورات مؤسسة النصر، طهران، مطبعة المقطف، مصر ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م.**

## (ط)

- ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم: د. أحمد سليمان ياقوت، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، ط١، ١٤٠١هـ=١٩٨١م.
- ظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني للقرآن الكريم: د. طالب محمد الزوبعي، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٥م.
- الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم: نذير حمدان، دار المنارة، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م.
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٢م.
- الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، ترجمة : د. عبدالصبور شاهين، دار الفكر، ط٣، ١٩٦٨م.
- الظروف الزمانية في القرآن الكريم : بشير محمد زقلام، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الكتب الوطنية-بنغازي، ط١، ١٣٩٥هـ=١٩٨٦م.

## (ع)

- العربية الفصحى "دراسة في البناء اللغوي" : هنري فليش، تعريب وتحقيق : د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م.
- عضوية الموسيقى في النص الشعري: د. عبدالفتاح صالح نافع، مكتبة المنار، الزرقاء-الأردن، ط١، ١٩٨٥م.
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث: د. محمد حماسة عبداللطيف، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٤م.
- علم الأصوات العام "أصوات اللغة العربية" : د. بسام بركة، مركز الإنماء القومي، لبنان، ١٩٨٨م.
- علم البيان : د. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧١م.
- علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، دار العروبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

- علم الدلالة : جون لاينز، ترجمة : مجيد عبدالحليم الماشطة، وحليم حسين فالح، وكاظم حسين باقر، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م.
- علم الدلالة "دراسة وتطبيقاً" : د. نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٥م.
- علم الدلالة العربي: د. فايز الداية: ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨١م.
- علم الدلالة والمعجم العربي: د. عبدالقادر أبو شريفة وآخرون، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان، ١٩٨٩م.
- علم اللغة "مقدمة للقارئ العربي" : د. محمود السعران، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.
- علم اللغة العام: فردينان دي سوسور، ترجمة : د.يونييل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي :د. مالك يوسف المطلبي ، دار آفاق عربية، ١٩٨٥م.
- علم اللغة العام "الأصوات" : د. كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٧٠م.
- علم اللغة المبرمج "الأصوات والنظام الصوتي مطبقاً على اللغة العربية" : د. كمال إبراهيم بدري، عمادة شؤون المكتبات مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ "معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم : السمين الحلبي، تحقيق : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- عمدة الصرف : كمال إبراهيم، مطبعة الزهراء، بغداد، ط٢، ١٣٧٦هـ=١٩٥٧م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ)، حققه وعلّق حواشيه : محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٢، ١٣٨٣هـ=١٩٦٤م.
- العنوان في القراءات السبع : أبي طاهر إسماعيل ابن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي (ت ٤٥٥هـ) حققه وقدم له د. زهير زاهد، ود. خليل العطية، عالم الكتب ط١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- عوامل التطور اللغوي : د. أحمد عبدالرحمن حمّاد، بيروت، ١٩٨٣م.

- عيار الجملة بين منطق اللغة والنحو : د. نجاة الكوفي، المكتبة العلمية ١٩٨١م.
  - العين : أبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ-)، تحقيق : د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر العراق ١٩٨٠م.
- (غ)
- غريب الحديث : أحمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ-)، تحقيق عبدالكريم الغرباوي، مطبعة دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.
  - غريب القرآن وتفسيره: أبي عبدالرحمن عبدالله بن يحيى بن المبارك الزبيدي (ت ٢٣٧هـ-)، تحقيق : محمد سالم الحاج، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.
- (ف)
- الفاءات في النحو العربي والقرآن الكريم : د. شرف الدين علي الراجي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١، ١٩٨٩م.
  - الفاصلة في القرآن : محمد الحساوي، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمّار ، عمان، ط ٢، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.
  - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ-)، ضبطه وصحّحه أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط ١، ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م.
  - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية : سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير "بالجمل" (ت ٢٠٦)، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م.
  - الفروق اللغوية : أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ-)، حققه : حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠١هـ= ١٩٨١م.
  - الفصل في المثل والأهواء والنحل: أبي محمد علي بن أحمد المعروف "بابن حزم الظاهري" (ت ٤٥٦هـ-)، تحقيق د. يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م.
  - فصول في فقه العربية : د. رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٧م.

- الفعل زمانه وأبنيته: د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه : أبي أوس إبراهيم الشمسان، دار السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- فقه اللغة: د. علي عبدالواحد وافي، دار النهضة للنشر، مصر، ط٧ (د.ت).
- فقه اللغات السامية :
- فقه اللغة العربية : د. كاصد ياسر الزيدي، جامعة الموصل ، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- فقه اللغة وخصائص العربية: د. محمد المبارك، دار الفكر ، بيروت، ط١٩٦٨، ٢م.
- فقه اللغة وسر العربية: أبي منصور الثعالبي، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
- في الأصوات اللغوية "دراسة في أصوات المد العربية" : د. غالب فاضل المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٤م.
- في البحث الصوتي عند العرب : د. خليل إبراهيم العطية، منشورات دار الجاحظ للنشر، الموسوعة الصغيرة، بغداد، ١٩٨٣م.
- في البنية الإيقاعية للشعر العربي: د. كمال أبو ذيب، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.
- في التحليل اللغوي "منهج وصفي تحليلي" : د. خليل أحمد عمايرة، تقديم : د. سلمان حسن العاني، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- الفيصل في ألوان الجموع، عباس أبو السعود، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٧١م.
- في ظلال القرآن : سيد قطب: دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط٥، ١٣٨٦هـ=١٩٦٧م.
- في اللهجات العربية: د. إبراهيم أنيس، القاهرة، ط٤، ١٩٧٣م.
- في المجالات الدلالية في القرآن الكريم "صيغة افتعل" : د. زين كامل الخويسكي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ط١، ١٩٨٩م.

- في النحو العربي قواعد وتطبيق: د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، ط٢، بيروت-لبنان ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
  - في النحو العربي نقد وتوجيه: د. مهدي المخزومي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٦٤م.
  - في نحو اللغة وتراكيبها: د. خليل عمايرة، عالم المعرفة، ط١، ١٩٨٤م.
- (ق)
- قاموس الأنثروبولوجيا: د. شاكر مصطفى سليم، مطبعة جامعة الكتب، ط١، ١٩٨١م.
  - قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح: د. عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس (مشارك)، ١٩٨٤م.
  - القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
  - القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: د. عبدالصبور شاهين، مطابع دار القلم، القاهرة ١٩٦٦م.
  - القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النحوية: د. عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
  - القراءات وأثرها في علوم العربية: د. محمد محمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.
  - قصة الحضارة: ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة-تونس، ١٤٠٨هـ=١٩٨٩م.
  - القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، مطبعة المدني، القاهرة (د.ت).
  - قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين: د. محمود سليمان ياقوت، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨م.
  - قضايا الشعر المعاصر، د. نازك الملائكة، مكتبة النهضة، بغداد ط٢، ١٩٦٥م.
  - قطف الأزهار في كشف الأسرار: السيوطي، تحقيق ودراسة: د. أحمد بن محمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

- قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم : د. سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط١، ٢٠٠٣.
- قواعد النقد الأدبي: اسل أبركرومبي، ترجمة : د. محمد عوض محمد، دار الشؤون الثقافية العامة آفاق عربية، بغداد، ط٢، ١٩٨٦م.
- القوافي : أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت٢١٥هـ-)، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.

### (ك)

- الكافية في النحو : ابن الحاجب، شرحه رضي الدين محمد بن الحسين الاسترابادي النحوي (٦٨٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط٢، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- الكتاب : أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ "سيبويه" (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح : عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، مصر ط١، ١٩٧٧م.
- الكتاب المقدس "العهد القديم" :
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : أبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ-)، تحقيق : د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٤م.
- كشاف اصطلاحات الفنون : محمد أعلى بن علي التهانوي، كلكتا، ١٨٦٢م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأوقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري: رتبته وضبطه وصحّحه : محمد عبد السلام شاهين، منشورات : محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ط١، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
- كلام على الإملاء العربي، بحث مفصل في رسم القلم القرآني : الشيخ جلال الحنفي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٨م.
- الكليات "معجم المصطلحات والفروق اللغوية" أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت، الكفوي ١٠٩٤هـ-)، قابله وأعدّه للطبع ووضع حواشيه، د. عدنان درويش ود. محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

## (ل)

- اللامات : الزجاجي، تحقيق : د. مازن المبارك، المطبعة الهاشمية، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م.
- الباب في علوم الكتاب : أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد ٨٨٠هـ) تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه برسالته الجامعية : د. محمد سعد رمضان حسن، ود. محمد متولي الدسوقي حرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- لباب النقول في أسباب النزول : السيوطي، تحقيق : محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
- لسان العرب : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر ، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- لطائف الإشارات المسمى بتفسير "القشيري" : أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالمك القشيري النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٥هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه : عبداللطيف حسن عبدالرحمن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.
- اللغة : ج، فندريس، تعريب : عبدالحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، وسيد محفوظ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٠م.
- اللغة بين المعيارية والوصفية: د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الرسالة ١٩٥٨م.
- اللغة الشاعرة "مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية" : عباس محمود العقاد، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠م.
- لغة الشعر العراقي المعاصر : عمران خضير حميد الكبيسي، دار العلم، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٢م.

- لغة القرآن الكريم في جزء عم: د. محمود أحمد نحلة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١م.
  - لغة المنافقين في القرآن "دراسة تحليلية لآيات النفاق من الوجهة اللغوية والبلاغية" : د. عبدالفتاح لاشين، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
  - اللغة وعلم النفس "دراسة للجوانب النفسية للغة" : د. موفق الحمداني، مطبعة دار الكتب ١٩٨٢م.
  - اللغة والمعنى والسياق: جون لاينز، ترجمة : د. عباس عبدالوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٧م.
  - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : د. فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٩م.
  - اللمع في العربية: ابن جني، تحقيق : حامد المؤمن، مطبعة العاني بغداد، منشورات جمعية منتدى النشر، النجف الأشرف، ط٢، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
  - اللهجات العربية في التراث في النظامين : الصوتي والصرفي : د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.
  - لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة : د. فاضل غالب المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، سلسلة دراسات ، دار الحرية للطباعة، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، بغداد ١٩٧٨م.
  - ليس في كلام العرب : الحسن بن أحمد بن خالويه، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطاء، مكة المكرمة، ط٢، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- (م)
- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد : أبي العباس بن يزيد المبرّد النحوي (ت ٢٨٥هـ) بعناية : عبدالعزيز الميمني الرّاجكوتي الأثري، المطبعة السلفية ومكنتها، القاهرة، ١٣٥٠هـ.
  - ما وراء اللغة "بحث في الخلفيات المعرفية" ، د. عبد السلام المسدي، مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله للنشر والتوزيع، تونس، (د.ت).
  - المبدع في التصريف: أبي حيان الأندلسي.

- متن اللغة: الشيخ محمد رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ١٣٧٧هـ=١٩٥٨م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الإثير، قدم له وحققه وعلق عليه، د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ط١، ١٣٧٩هـ=١٩٥٩م.
- مجاز القرآن : أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ)، تحقيق وتعليق : محمد فؤاد سزكين، دار الفكر، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.
- المجاز في البلاغة العربية : د. مهدي صالح السامرائي، دار الدعوة ، سورية، ط١، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.
- المجاز وأثره في الدرس اللغوي : محمد بدري عبدالجليل، دار الجامعات المصرية، إسكندرية، ١٩٧٥م.
- المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء : الشيخ محمد محمد المدني.
- مجمع الأمثال : أبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني (٥١٨هـ) حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبدالحميد، دار القلم، بيروت (د.ت).
- مجمع البيان في تفسير القرآن: أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان ١٣٧٩هـ.
- المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : ابن جني، تحقيق : علي النجدي ناصف، ود. عبدالحليم النجار، د. عبدالفتاح إسماعيل شلبي، إعداد وتقديم : محمد بشير الادلبي، دار سزكين، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز : أبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤١هـ)، تحقيق وتعليق: الرحالي الفاروق، وعبدالله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبدالعال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني، مؤسسة دار العلوم، الدوحة، ط١، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين الرازي، دراسة وتحقيق : طه جابر فياض العلواني مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط١٤١٨، ٣=١٩٩٧م.

- "مُحمَّد" في الكتاب المقدَّس : البروفيسور عبد الأحد داود "اسمه قبل إسلامه القسيس دافيد بنجامين" ، ترجمة : فهمي شَمَّا، مراجعة وتعليق : أحمد محمد الصديق، قطر، ط٣، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- مخارج الحروف وصفاتها : عبدالعزيز بن علي بن محمد بن سلمة المعروف "بابن الطحان" (ت ٥٦٠هـ)، تحقيق : د. محمد يعقوب تركستاني، مركز الصف الإلكتروني، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٦٦٦هـ)، دار الرسالة-كويت، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- المخصَّص : أبي الحسين علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، (د.ت).
- مدخل إلى دراسة الصرف العربي على ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة د. مصطفى النحاس، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
- مدخل إلى علم اللغة: د. محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
- المدخل اللغوي في نقد الشعر "قراءة بنيوية" : مصطفى السعدني، دار بورسعيد للطباعة، الإسكندرية (د.ت).
- المرتجل : أبي محمد عبدالله بن أحمد بن الخشاب (٥٦٧هـ) تحقيق ودراسة : علي حيدر، دمشق ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.
- المركب الأسمي الإسنادي وأنماطه من خلال القرآن الكريم: د. أبو السعود حسنين الشاذلي، جامعة القاهرة، دار المعرفة الجامعية ط١، ١٩٩٠م.
- المزهَر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي، شرحه وصحَّحه وعلَّنه موضوعاته وعلَّق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٤، ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨م.

- المسائل العسكرية في النحو العربي: أبي علي النحوي، دراسة وتحقيق : د. علي جابر المنصوري، مطبعة الجامعة بغداد، شارع المتنبي، ط١، ١٩٨٢م.
- المسائل المشكّلة المعروفة بـ"البغداديات": أبي علي النحوي، دراسة وتحقيق : صلاح الدين عبدالله السنكاوي، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٣م.
- المستصفي من علم الأصول : أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تقديم وضبط وتعليق : الشيخ إبراهيم محمد رمضان، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- المسند : للإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) : شرحه ووضع فهرسه : أحمد محمد شاكر، أكمله : حمزة الزين، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ط١، ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.
- المشترك اللغوي نظريةً وتطبيقاً : د. توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٠م.
- مشكل إعراب القرآن: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) : دراسة وتحقيق :د. حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الإعلام، سلسلة كتب التراث، العراق، ١٩٧٥م.
- مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر "أسباب-الاثار-الفلاح"، عبدالرحمن بن معلّ اللويحق، ط١، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ) ، صححه : مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (د.ت).
- معاني الأبنية في العربية : د. فاضل صالح السامرائي، جامعة الكويت، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط١، ١٤٠١هـ=١٩٨١م.
- المعاني الثواني في الأسلوب القرآني : فتحي أحمد عامر، مطبعة أطلس، القاهرة، ١٩٧٦م.
- معاني القرآن : أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) : تحقيق : أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، دار السرور (د.ت).

- معاني القرآن : الأخفش ، حقه : د. فائز فارس، دار البشير، دار الأمل ط٣، ١٤٠١هـ=١٩٨١م.
- معاني القرآن وإعرابه : أبي إسحق إبراهيم بن السري المعروف بـ "الزجاج" (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق : د. عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب ، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن: د. عبدالفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨م.
- معاني النحو : د. فاضل السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٧م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن : السيوطي، تحقيق : محمد عبدالرحيم، بإشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر والطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م.
- معجم الأدوات النحوية: د. محمد التونجي، منشورات مكتبة قورينا، بنغازي، ليبيا، ١٩٧٤م.
- معجم الجملة القرآنية "الدلالة الزمنية للأفعال في القرآن الكريم" : د. طالب محمد إسماعيل الزوبعي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨م.
- معجم اللباب : شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت-لبنان (د.ت) .
- المعجم الوسيط : د. إبراهيم أنيس، ود. عبد الحليم منتصر، وعطية الصّوالحي، ومحمد خلف الله أحمد، اشرف على الطبع حسن علي عطية، ومحمد شوقي أمين، دار الأمواج، بيروت ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
- معجم القراءات : د. عبداللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: د. مجدي وهبة، ود. كامل المهندس، دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٩م.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
- معجم النقد العربي القديم : د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩م.
- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، أعيد طبعه بالأفسيت، طهران ، ١٩٦٦م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، حققه وعلق عليه، د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، راجعه : سعيد الأفغاني، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط٥، ١٣٧٨هـ.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج :شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني، اعتنى به : محمد خليل عيتاني، دار المعرفة بيروت-لبنان ط٢، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.
- المفردات في غريب القرآن : الحسين بن محمد المعروف بـ "الراغب الاصبهاني" (ت ٤٢٥هـ)، أعدّه للنشر وأشرف على الطبع د. محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت).
- المفردات النحوية : كمال بسيوني، مكتبة النهضة العربية، مكتبة الدراسات النحوية، ط١، (د.ت).
- مفصل العرب واليهود في التاريخ "حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية" : د. أحمد سوسة بغداد، ط٥، ١٩٨١م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد علي، منشورات الشريف الرضي، ساعدت جامعة بغداد على نشره ط١٣٨٠، ١هـ.
- مقارنة الأديان "اليهودية"، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٨٨م.
- مقالات في الأسلوبية : د. منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٠م.
- مقاييس اللغة : ابن فارس، تحقيق وضبط : د. عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.

- المقتضب: المبرّد، تحقيق : عبد الخالق عظيمه، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- المقرّب : علي بن مؤمن المعروف "بابن عصفور" (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق : أحمد عبدالستار الجوّاري، وعبد الله الجبوري، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد . (د.ت).
- مكانة الشعر في الثقافة العربية المعاصرة، المحور الرابع الشعر والكتابة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
- مكائد يهودية عبر التاريخ : عبدالرحمن حسن حنكة الميداني، دار القلم-بيروت، ط ١، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه في اللفظ من آي التنزيل : أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (ت هـ)، تحقيق : سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- الملل والنحل : أبي الفتح محمد بن عبدالله الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) ، تحقيق : محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت-لبنان، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٣م.
- الممتع في التصريف : ابن عصفور الأشبيلي، تحقيق : د. فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٣.
- من أسرار الإبداع النقدي في الشعر والمسرح : د. سامي منير عامر، القاهرة، ١٩٨٧م.
- من أسرار التعبير في القرآن "صفاء الكلمة" : د. عبدالفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- من أسرار التعبير في القرآن "الفاصلة القرآنية" : د. عبدالفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٢م.
- من أسرار العربية في البيان القرآني: د. عائشة عبدالرحمن "بنت الشاطئ" دار الأحد، البحيري أخوان، بيروت، ١٩٧٢م.
- من أسرار اللغة : د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٥، ١٩٧٥م.
- من إعجاز البيان في القرآن، "الاستفهام" : محمد شكري أحمد الفيومي، دار القلم، ط ١، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

- من اعلام البصرة "أبو عمرو بن العلاء" جهوده في القراءة والنحو : د. زهير غازي زاهد، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٧م.
- من بديع لغة التنزيل : د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان- عمان، ط٤، ١٤٠هـ=١٩٨٤م.
- من بلاغة القرآن: د. أحمد أحمد بدوي، مكتبة نهضة مصر، ط٣، ١٩٥٠م.
- المنار "تفسير القرآن الحكيم" : محمد رشيد رضا (ت١٩٣٥م) خرج آياته وأحاديثه وشرح غريبه، إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- مناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان، دار الثقافة ، الدار البيضاء، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٤م.
- المنجد في اللغة، كراع النمل علي بن الحسن الهنائي (ت٣١٠هـ) تحقيق : أحمد مختار عمر، وضاحي عبدالقادر، عالم الكتب، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٣٦٦هـ=١٩٧٦م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبدالعظيم الزرقاني، تحقيق : أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- المنصف : شرح ابن جني لكتاب "التصريف" لأبي عثمان المازني النحوي البصري (ت٢٤٨هـ)، تحقيق : د. إبراهيم مصطفى، ود. عبدالله أمين، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، إدارة إحياء التراث القديم، ط١، ١٩٧٣هـ=١٩٥٤م.
- المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي: د. عفيف دمشقية، معهد الإنماء العربي، بيروت ط١، ١٩٧٨م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية "رؤية جديدة في الصرف العربي" : د. عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- الموازنة بين أبي تمام والبحثري: الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي (ت٣٧٠هـ)، تحقيق : محمد مجد الدين عبدالحميد ، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، (د.ت).
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن : عبدالكريم محمد المدرس ، غني بنشره محمد علي القره داغي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط١١، ١٤١١هـ=١٩٩١م.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبد الوهاب المسيري.
- الموسوعة الفلسطينية : عبدالرزاق محمد أسود، نشر وتوزيع الدار العربية للموسوعات ط١، ١٩٧٨م.

- موسوعة الأديان والمذاهب: عبدالرزاق محمد أسود، الدار العربية للموسوعات ط٢، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.
- موسيقى الشعر: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط٣، ١٩٦٥م.
- موسيقى الشعر العربي "مشروع دراسة علمية": د. شكري محمد عياد، دار المعرفة، القاهرة، ط١، ١٩٦٨م.
- الموسيقى الكبير: أبي نصر الفارابي (٣٩٩هـ)، تحقيق: غطاس عبدالمكش خشبة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

## (ن)

- النبأ العظيم "نظرات جديدة في القرآن": محمد عبدالله دراز، دار العلم، الكويت، ط١، ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.
- نحو المعاني: د. أحمد عبدالستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- نحو منهجية جديدة في فهم القرآن: د. أحمد الكبيسي، ماليزيا ١٩٩٧م.
- النحو الوافي: د. عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٨٠م.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، دراسة وتحقيق: محمد عبدالكريم الراضي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل: د. علي عبدالواحد وافي، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ط٢، ١٣٨٢هـ=١٩٦٢م.
- النشر في القراءات العشر: الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير "بابن الجوزي" (ت٨٣٣هـ)، أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الصباغ، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد، مصر (د.ت).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ) توزيع مكتبة ابن تيمية، ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م.
- النقد الجمالي وأثره في النقد العربي: روز غريب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٢م.
- النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث كتب في إعجاز القرآن): علي بن عيسى الرماني، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر (د.ت).
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، ود. محمد بركات حمدي أبي علي، دار الفكر للنشر، عمان، ١٩٨٥م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق : الطاهر أحمد الزاوي، ومحمد محمد الطناحي، دار إحياء الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م.
- النهر الماد من البحر المحيط : أبي حيان الأندلسي وتقديم وضبط : بوران الضناوي وهذيان الضناوي، دار الفكر، دار الجنان، مؤسسة الكتب الثقافية ط١، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- النيابة النحوية من خلال القرآن الكريم "أنماطها ودلالاتها" : د. هادي نهر، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء-اليمن، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

#### (هـ)

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، السيوطي، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية ط١، ١٤٠٠-١٩٨٠م.

#### (و)

- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : هارون بن موسى القارئ (ت ١٧٠هـ) ، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الآثار والتراث، ١٤٠٩هـ=١٩٨٨م.

#### (ي)

- اليهود بين الدين والتاريخ "دراسة للجوانب العقائدية والتاريخية عند بني إسرائيل": د. صابر عبدالرحمن طعيمة، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٧٢م.
- اليهود في القرآن تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الأحداث المعاصرة مع قصص أنبياء الله : إبراهيم، يوسف، موسى عليهم السلام : د.عفيف عبدالفتاح طبارة، دار الرائد العربي بيروت ط٥، ١٩٧٧م.
- اليهود في القرآن الكريم : صلاح أبو إسماعيل، الكويت ، ط٢، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
- اليهود في موكب التاريخ "دراسة تحليلية منذ عصر أبي الأنبياء" : د. صابر عبد الرحمن طعيمة، مكتبة القاهرة الحديثة، ط١، ١٩٦٩م.
- اليهود والأنبياء : توفيق علي وهبة، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

## ثانياً: الرسائل الجامعية

- الأبنية الدالة على اسم الفاعل في القرآن الكريم: أطروحة دكتوراه، أفراح عبد علي كريم الخياط، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٠م
- الأبنية الصرفية في ديوان امرئ القيس : أطروحة دكتوراه، صباح عباس سالم الخفاجي، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨م.
- أبنية الأفعال المجردة في القرآن الكريم :
- أبنية المبالغة ودلالاتها في القرآن الكريم: أطروحة دكتوراه، خميس فزاع عمير الدليمي، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢م.
- أبنية المصادر في اللغتين العربية والعبرية: أطروحة دكتوراه، صلاح حسنين، دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٦م.
- أبواب الفعل الثلاثي، دراسة صرفية صوتية : رسالة ماجستير ، حيدر كريم فهد السويدي، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- أثر المعنى في الدراسات النحوية حتى القرن الرابع الهجري : أطروحة دكتوراه، كريم حسين ناصح الخالدي، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٠م.
- أساليب المجاز في القرآن الكريم : أطروحة دكتوراه ، أحمد حمد محسن الجبوري، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٠هـ=١٩٨٩م.
- أساليب محاربة الإسلام في الفترة النبوية : رسالة ماجستير، عبدالغني حيدر فارح الوصابي، جامعة العلوم الإسلامية، ٢٠٠٠م.
- أسلوب الحذف في القرآن الكريم : أطروحة دكتوراه ، أحلام موسى حيدر الزهاوي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- الانشاء غير الطلبي في القرآن الكريم : رسالة ماجستير، سعاد كريم خشين بندر، كلية التربية للبنات-جامعة بغداد، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- الأوجه الإعرابية وعلاقتها بالمعنى في القراءات السبع: رسالة ماجستير، عبد العباس عبد الجاسم أحمد، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.
- الإيقاع "أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم"، رسالة ماجستير، عبدالواحد زيارة المنصوري، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٤١٠هـ=١٩٨٩م.

- التاء في العربية "دراسة صوتية وصرفية ونحوية ودلالية" رسالة ماجستير، سهاد ياسين عباس، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- التبشير بالنبي "محمد ﷺ" في القرآن، والكتب السماوية : رسالة ماجستير، لجين عبدالله محمود، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ١٤١٩هـ=١٩٩٩م.
- التراكم الدلالي في النص القرآني : أطروحة دكتوراه، مجيد طارش عبد، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.
- تضمن الجملة غير الشرطية معنى الشرط في القرآن : رسالة ماجستير، أسيل متعب مطرور الجنابي، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- تطرف اليهود وعنفهم في الفكر اليهودي والقرآن الكريم : أطروحة دكتوراه ، مجدي عبدالله حسين أبو عويمر، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
- التقابل الدلالي في القرآن الكريم : رسالة ماجستير ، منال صلاح الدين الصفار، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٣م.
- تقابل الصور في القرآن الكريم " دراسة أسلوبية" : أطروحة دكتوراه، ثائر حسن حميد الغرباوي، كلية الآداب، جامعة بغداد.
- التقديم والتأخير في القرآن الكريم "دراسة لغوية وصفية تحليلية": أطروحة دكتوراه، عز الدين محمد أمين سليمان، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- التكرار اللفظي "أنواعه ودلالاته قديماً وحديثاً" : رسالة ماجستير، صميم كريم الياس، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٨٨م.
- جمع التكسير في لسان العرب : رسالة ماجستير، قحطان عبدالستار عارف، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- خصائص الشخصية المرتبطة بموازين النجاح لدى المدرسين في المرحلة الإعدادية: أطروحة دكتوراه، عبد الحميد سعيد حسن، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.

- الخطاب اليهودي بين الماضي والحاضر دراسة تحليلية نقدية في ضوء القرآن الكريم : أطروحة دكتوراه، زياد حمّاد عليان الحسنات، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ١٩٩٩م.
- الخلاف الصرفي في ألفاظ القرآن الكريم : أطروحة دكتوراه، كاطع جار الله سّطام الدراجي، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.
- درس الصرفي والنحوي عند مكي بن أبي طالب : أطروحة دكتوراه، عبدالله أحمد حمزة النهاري، جامعة بغداد، ١٩٩٨م.
- دلالة الأنساق البيانية في التركيب القرآني:
- الدلالة الوظيفية في بنية الجملة الشعرية "رواد الشعر العراقي الحديث" : رسالة ماجستير، عامر عبد محسن السعد، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩١م.
- السمات الجمالية في القرآن الكريم من وجهة نظر فنان تشكيلي : أطروحة دكتوراه، قيس إبراهيم مصطفى العكيلي، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٩٨م.
- سورة الإسراء وبنو إسرائيل "دراسة تحليلية في فساد بني إسرائيل" : رسالة ماجستير، عامر نايف الزوبعي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ١٩٩٧م.
- الصيغ الثلاثية مجردة ومزيدة "اشتقاقاً ودلالة" : رسالة ماجستير، ناصر حسين علي، دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٨٢م.
- ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية: رسالة ماجستير عبدالكريم حافظ العبيدي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية ١٩٨٩م.
- لهجة قریش وأثرها في العربية الموحدة : رسالة ماجستير، علي جميل عباس السامرائي، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- المبني للمجهول في التعبير القرآني "دراسة نحوية دلالية" : رسالة ماجستير، هاتف بريهي شياع، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٩٩٧م.
- المحاجة في القرآن الكريم "دراسة دلالية" : أطروحة دكتوراه، أسيل متعب مطرود الجنابي، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.
- المشترك اللفظي في اللغة العربية : رسالة ماجستير، عبدالكريم شديد محمد، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦م.

- المصادر في القرآن الكريم "دراسة صرفية" : رسالة ماجستير، عامر عيدان اللامي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية ١٩٩٣م.
  - المصادر والمشتقات في معجم لسان العرب: أطروحة دكتوراه، خديجة زبار عنيزان الحمداني، كلية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد، ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.
  - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : رسالة ماجستير، عبدالعزيز سعيد أحمد الصيغ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
  - المنهج القرآني مع غير المسلمين في ضوء سورة التوبة : رسالة ماجستير، عمار جبار عبدالستار الدليمي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ، ١٩٩٩م.
  - النون في العربية : مشتاق عباس
  - الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : رسالة ماجستير، عبدالرحمن مطلق الجبوري، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٦م.
  - الوحدات غير المقطعية في اللغة العربية: رسالة ماجستير، ندى صالح يوسف صايل، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ثالثاً البحوث والدوريات
- الأعجاز القرآني في وصف اليهود: د. أحمد عبيد الكبيسي، المؤتمر الأول للإعجاز القرآني المعقود بمدينة السلام بغداد، للمدة من ٢١-٢٦ رمضان ١٤١٠هـ، ١٦-٢٠ نيسان ١٩٩٠م.
  - التحول الداخلي في الصيغة الصرفية وقيمتها البيانية أو التعددية : د. مصطفى النحاس، مجلة اللسان العربي، الرباط، المملكة المغربية، المجلد الثامن عشر، الجزء الأول، ١٩٨٠م.
  - الجرس والإيقاع في تعبير القرآن: د. كاصد ياسر حسين الزبيدي، مجلة آداب الرفادين، العدد التاسع، ١٩٧٨م.
  - الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: د. نعمة رحيم العزاوي ، كتاب المورد، منشور في كتاب دراسات في اللغة، دار الشؤون الثقافية ط١، ١٩٨٦م.
  - خساً ودلالاتها في القرآن الكريم: د. محمد عبدالمطلب البكاء، مجلة المورد، المجلد الثلاثون، العدد الثالث، السنة ٢٠٠٢م.

- الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني : د. عبدالكريم مجاهد، مجلة الفكر العربي، العدد السادس والعشرون، السنة الرابعة، ١٩٨٢م.
- الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي: د. كاسد ياسر الزيدي، مجلة آداب الرافدين-العدد ٢٦، ١٩٩٥م.
- دقة استعمال الألفاظ في القرآن الكريم، د. كاسد ياسر الزيدي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية.
- ظاهرة التقابل في علم الدلالة: د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة آداب المستنصرية، العدد العاشر، ١٩٨٤م.
- ظاهرة التنعيم في البحث الصوتي بين القديم والحديث: د. آمنة بن مالك، مجلة كلية الآداب، جامعة قسطنطينية، العدد الثاني، ١٩٩٥م.
- ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة: د. أحمد نصيف الجنابي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الخامس والثلاثون، العدد الرابع، ١٩٨٤م.
- ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث: د. علي زوين، مجلة آفاق عربية، العدد الخامس، ١٩٩٠م.
- العقوبات الربانية لليهود "إلقاء العداوة والبغضاء بينهم" : إبراهيم العلي، مجلة فلسطين المسلمة، العدد الثاني عشر، ١٩٩٦م.
- العلاقة بين الصوت والمدلول: د. عبدالكريم مجاهد، كتاب المورد، منشور في كتاب دراسات في اللغة، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
- المجال الدلالي بين كتب الألفاظ والنظرية الدلالية الحديثة: د. علي زوين، مجلة آفاق عربية، العدد الأول، كانون الثاني ١٩٩٢م.
- مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه : د. كريم حسين ناصح الخالدي، مجلة المورد، المجلد الثلاثون، العدد الثالث ٢٠٠٢م.
- المطاوعة حقيقتها وأوزانها : د. هاشم طه شلاش، مجلة كلية الآداب، العدد الثامن عشر، ١٩٧٤م.

- من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم : محمد السيد سليمان العبد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت ، العدد السادس والثلاثون، المجلد التاسع، ١٩٨٩م.
- النبر وبعض مظاهره في القراءات القرآنية: د. ولاء صادق محسن، مجلة الرسالة الإسلامية، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، جمهورية العراق، العدد السابع والثلاثون، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- نظرة مقارنة على بعض أدوات المعاني في ضوء اللغات السامية : د. إسماعيل أحمد عمايرة، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية-عمّان، المجلد الثاني، العدد الرابع ١٩٩٣م.
- نظريات نشأة اللغة عند العرب : د. محمد حسين آل ياسين، مجلة المورد، المجلد السابع، العدد الثالث، ١٩٧٨م.
- اليهود في القرآن الكريم "بحث في الدلالة والمعنى" : د. محمد عبدالمطلب البكاء، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، العراق، المجلد الثلاثون، العدد الرابع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٢م.



التسلسل	الفاظ الصفات	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها				التسلسل	الفاظ الصفات	عدد مرات وروده	السورة التي ورد فيها			
			مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية				مكية	رقم الآية	مدنية	رقم الآية
١.	الإثم	٤	—	—	البقرة	٨٥	٨.	البهتان	١	—	—	—	—
					المائدة	٦٢، ٦٣							
					المجادلة	٨							
٢.	الأذى	٥	الأعراف	١٢٩	آل عمران	١١١، ١٨٦	٩.	الإجرام	٢	—	—	١٤٧	الا
					الأحزاب	٦٩						٧٨	نعام
					الصف	٥						—	الق
												—	ص
												—	ص
٣.	الإفك	١	—	—	التوبة	٣٠	١٠.	الجهل	٣	—	—	١٣٨	الأ
												٨٩	عرا
												—	ف
												—	يو
												—	س
												—	ف
٤.	البخل	٤	—	—	آل عمران	١٨٠، ١٨٠	١١.	المحاجة	٧	—	—	—	—
			—	—	النساء	٣٧، ٣٧				البقرة	٧٦، ١٣	—	—
										آل	٩	—	—
										عمر	٢٠، ٦٥	—	—
										ن	٦٦، ٦٦	—	—
											٧٣،	—	—
٥.	التبديل أو "الاستبدال"	٤	الأعراف	١٦٢	البقرة	٥٩، ٦١	١٢.	الحسد	٢	—	—	—	—
						١٦٢				البقرة	١٠٩	—	—
										النساء	٥٤	—	—
٦.	البغضاء	٢	—	—	آل عمران	١١٨	١٣.	التحريف	٤	—	—	—	—
			—	—	المائدة	٦٤				البقرة	٧٥	—	—
										النساء	٤٦	—	—
										المائدة	١٣، ٤١	—	—

٧.	البَغْي	٩	الأُنعام القصص الشور ى الجاثية	١٤٦ ٧٦ ١٤ ١٧	البقرة آل عمران المائدة	٩٠ ١٩٠٨٣٠٩٩ ٥٠	١٤.	التَخْرِيب	١	—	—	لحشر	٢
١.					النساء	١٥٦	١٤.	الخُسُوء	٢	الأعراف	١٦٦	البقرة	٦٥
٢.	الحِرص	١	—	—	البقرة	٩٦	١٢.	الإِخفاء	٣	الأُنعام	١٩١	آل عمران المائدة	١١٨ ١٥
٣.	الإِسراف	١	—	—	المائدة	٣٢	١٣.	الاختلاف	١٢	يونس هود النحل ل ٢٥ ٤٥ ١٧	٩٣٠٩٣ ١١٠ ١٢٤	البقرة آل عمران	١١٣ ١٧٦ ١٩٠١٠٥
٤.	السِّفاهة	٢	الأعراف	١٥٥	البقرة	١٤٢	١٤.	الخَوْض	١	الأُنعام	٩١		
٥.	المَسْكَنَة	٢	—	—	البقرة آل عمران	٦١ ١١٢	١٥.	الخِيَانَة	٣			المائدة الانفال	١٣ ٥٨٠٥٨
٦.	الشَّرْك	٥	—	—	النساء التوبة الصف	٤٨٠٤٨ ٣١٠٣٣ ٩	١٦.	الذِّلَة	٣	الأعراف	١٥٢	البقرة آل عمران	٦١ ١١٢
٧.	الصَّدَق	٤			آل عمران النساء التوبة	٩٩ ٥٥٠١٦٠ ٣٤	١٧.	الرَّبُّوا	١			النساء	١٦١
٢١	الضلال	١٣	الأعراف	١٤٩	البقرة	١٠٨٠١٧٥	١٨.	الارتداد	٣	—	—	البقرة	١٠٩

١٠٠	آل عمران المائدة	—					٦٩،٦٩ ٤٤،٤٤ ١٢،٦٠ ٧٧،٧٧،٧٧	آل عمران النساء المائدة	٩٢	طه		"الضلالة"	
٤٩	النساء	—	—	١	التركيز	٣٠.	٦٠ ٦٤،٦٨ ٥١	المائدة النساء	٨١	طه	٥	الطغيان و الطاغوت	٢٢
٥٥	الصف	—	—	٢	الزيفان	٣١.	٥١،٥٤ ٥٧،٥٧ ٥٩،٥٩ ٩٢،١٤٠ ٩٤ ١٥٣،١٦٠ ٤٥ ٧٧ ٧،٥	البقرة آل عمران النساء المائدة الصف الجمعة	٢١ ١٥٠،١٦٠ ١٦٠،١٦٠ ٢ ١٦٢،١٦٠ ١١٨ ١١٨ ٤٦	الأنعام الأعراف النحل العنكبوت	٢٥	الظلم	٢٣
١٠٢	البقرة	—	—	١	السحر	٣٢.	—	—	١٦٦	الأعراف	١	العتو	٢٤
٦١،٨٥ ٩٧،٩١ ١١٢ ٤٥ ٦٢،٦٤ ٧٨ ٨ ٦٠،٦٠	البقرة آل عمران النساء المائدة المجادلة الأنفال	— ١٥٠ — — —	— الأعراف ف — — —	١٤	الاعتداء و العدوان العداوة	٣٣.	٩٤،٢٤ ٥٠،٤٨ ٧	آل عمران النساء الصف	٢١ ١٥٢	الانعام الأعراف	٧	الافتراء	٢٥
٨٣ ١٢٣	البقرة آل عمران	— —	— —	٢	الإعراض	٣٤.	٥٤،٦١ ٧٢،٨٥ ٨٧،٩١ ٢١،٢١ ١١٢،١٨١ ١٨٣	البقرة آل عمران النساء	١٥٠ ٩ —	الأعراف يوسف	١٨	القتل	٢٦

							٥٥،١٥٧ ٣٢،٣٢،٧٠	المائدة	— —				
٢٧	القِسْوَة	٤				٣٥	٧٤،٧٤ ١٣ ١٦	البقرة المائدة الحديد	— — —				
٦١،٩٢	البقرة	—	—	٦	العِصْيَان								
١١٢	آل	—	—										
٧٨	عمران	—	—										
٤٦	المائدة	—	—										
٨	النساء	—	—										
	المجادلة	—	—										
—	—	٤	الاسراء ٤	١	الْعُلُو	٣٦	٨٧	البقرة	١٤٦	الأعراف	٢	الكِبَر الاستكبار والتكبر	٢٨
٢٤	آل عمران	—	—	١	الغُرُور	٣٧	٤٢،٧٢ ١٤٠،١٤٦ ١٥٩،١٧٤ ٧١،١٨٧ ٣٧ ٦١	البقرة   آل عمران النساء المائدة	— — — —	— — — —	١٠	الْكِتْمَان	٢٩
٧٧	المائدة	—	—	١	الْغُلُو	٣٨	٨٧ ٧٥،٧٨ ٩٤،١٨٤ ١٨٤ ٥٠ ٤١،٤٢،٧٠ ٧ ٥	البقرة آل عمران  النساء المائدة الصف الجمعة	٢١،١٤ ٧ ١٤٧ ١٨	الانعام يوسف	١٦	الْكُذِب	٣٩
٧١	المائدة	١٥٥ —	الأعراف ٨٥،٩٠	٤	الْفِتْنَة	٤٣	٧٩،٨١	البقرة	—	—	٢	الْكَسْب	٤٠
٦٣	آل عمران	١٢٧ ٤	الأعراف ٤	٧	الْفَسَاد	٤٤	٤١،٦١،٨٨ ٨٩،٨٩،	البقرة	٨	الإسراء	٣٨	الْكُفْر	٤١

٣٢،٦٤ ٦٤	المائدة	٧٧	الإسراء ء القصص				٩٠،٩٠،٩١						
١٠٢ ١٠٥ عمران النساء ١٥٠ ٤	البقرة آل عمران النساء البينة	١٤ — — —	الشورى ى — —	٥	التفريق "التفرقة"	.٤٥							٤٢
٩٣،٩٨ ،٩٩، ،١٠٥ ،١٠٨ ١٢١ ٢١،٥٢ ٧٠،٩٨ ١١٢، ٤٦ ١٥٠ ١٥٠ ١٥١ ١٥١ ١٥٥	البقرة آل عمران النساء	—	—	٣٨	الكفر	.٤٦							٤٧
١٢،٤١ ، ٤٤،٦١ ، ٦٤،٦٨ ٦٨، ٧٨	المائدة التوبة الصف					.٥٢							٤٨

٣٢ ٨ ١٠٦	البينة												
١٢٠	آل عمران	٥٠٥	يوسف	٣	الكَيْدِ	.٥٣							٤٩
٤٢ ٧١	البقرة آل عمران			٢	اللبس	.٥٤							٥٠
٥٧،٥٨	المائدة	٩١	الانعام	٣	اللَّعِبِ	.٥٥							٥١
٨٨،٨٩ ١٥٩ ١٥٩ ٥٢،٥٢ ٤٦،٤٧ ٤٧ ١٣،٦٠ ٦٤،٧٨ ٦١	البقرة النساء المائدة الأحزاب	—	—	١٤	اللَّعْنِ	.٥٦							٥٧
٥٤	آل عمران	١٠٢	يوسف	٢	المَكْرِ	.٥٩							٥٨
١٠٠، ١٠١ ١٨٧	البقرة آل عمران			٣	النَّبَذِ	.٦٠							
٨،٨	المجادلة	—	—	٢	النَّجْوَى	.٦١							
٤٤ ١٣،١٤	البقرة المائدة	—	—	٣	النِّسْيَانِ	.٦٢							
١٥٥ ١٣ ٥٦	النساء المائدة الأنفال			٣	النَّقْضِ	.٦٣							